

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة الإسلامية في العراق وفارس إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة

إشراف

الدكتور / سليمان بن عبد الله السويكت

إعداد

المحاضر / أحمد بن صالح الغيث

١٤١٦ هـ

المقدمة

أسس المقدمة

مدخل إلى الدراسة :

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له

، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليم كثيرا - ، أما بعد :

فإن الله تعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في وقت
اكفهرت سماؤه ، وتلبدت غيومه، حيث كانت البشرية تتجاذبها عقائد
فاسدة ، وشرائع ظالمة ، وعبادات باطلة ، وفي ظل ذلك المجتمع
الحالك أشرقت شمس الرسالة ، فأخذت تبدد الظلام ، وتمزق الجهل،
وتنشر الخير ، وما توفي رسول الهدى صلى الله عليه وسلم إلا وقد
دخل الناس في دين الله أفواجا ، وامتألت الجزيرة العربية بالعدل بعد
الجور ، وبالنور بعد الظلام ، وبالعلم بعد الجهل .

ولأن رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين على
اختلاف أجناسهم وألوانهم فقد وجه - صلوات الله وسلامه عليه -
الدعوة لملوك العالم ورؤسائه عن طريق رسائل أرسلها إليهم مع
بعض أصحابه .

ولئن كان إمام الدعوة الإسلامية الأعظم صلى الله عليه وسلم قد
واتته المنية ولم تفتح الأمصار المجاورة بعد ، فإنه قد ربى رجالا أكفاء
بفضل من الله تعالى ساروا على دربه ، واقتفوا أثره ، فوجهوا الدعوة
لفتح البلاد بالعلم والإيمان ، والفكر والبيان ، والحجة والبرهان ،
وبجانب ذلك السيف والسنان ؛ لإرشاد الضال وهداية المحتار ،
ومناقشة الباحث عن الحق ومريده ، وقمع المتكبر عن الحق والحايذ
عنه ، ودك كل عقبة تواجه سريان الدعوة ، وانتشار النور .

ولما كان هذا العمل من نصرة الله عزوجل فإن الله نصرهم وأيدهم
، وفتح البلاد لهم ، ومكثهم ، ورزق كثيرا منهم الشهادة ، وها هي
أعمالهم تسطر نورا في جبين التاريخ الإسلامي .

وكان من ضمن هذه البلاد المفتوحة بلاد العراق وفارس ، وهي
موضوع هذه الرسالة ، وأرجو أن أكون قد وفقت في إبراز جهود

أولئك الرجال الذين بذلوا وضحوا بالنفس ، والمال ، والراحة في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفعها في هذه البلاد.

الدراسات السابقة :

لم أجد في كتب الدعوة الإسلامية مؤلفا تحدث بشمول عن « الدعوة الإسلامية في العراق وفارس إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم-، إلا أن هناك كتابين تحدثا عن الموضوع ، أحدهما - الدعوة الإسلامية لتوماس آرنولد، وهو كتاب يمتاز بجودة التحليل ، لكنه لا يتسم بالعدل والإنصاف ؛ ففيه شيء من الدس ، ومن ناحية أخرى فإن ما كتبه عن فارس يقع في ست صفحات فقط .
والآخر - تاريخ الإسلام لحسن بن إبراهيم بن حسن ، ومع أن ما كتبه في الموضوع لا يتجاوز سبع صفحات ففيه شيء من السمة التاريخية .

أسباب اختيار الموضوع:

إن هذا الموضوع - الدعوة الإسلامية في العراق وفارس إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين - له أهمية كبرى ، حيث يمثل جزءا من تاريخ الدعوة الإسلامية العظيم ، ذلك التاريخ الذي لم ينل حظه كاملا من البحث والدراسة ، فبقيت جهود الدعاة في نشر النور المبين متفرقة في المصادر ، متناثرة في صفحاتها ؛ ولذلك اخترت هذا الموضوع رغبة في جمع المتبعثرات المتعلقة بمادة هذا البحث ، ودراستها وتحليلها ، واستخلاص النتائج منها ، ومما يزيد أهمية هذا الموضوع مايلي :

١- إن هذا الجيل الذي تناولته الدراسة جيل تربي في مدرسة النبوة ، فهم خير القرون ، وصفوة الناس ، كما ورد بذلك الحديث

الصحيح^(١) ؛ ولذلك فإن دراسة منهجهم في الدعوة إلى الله هو من خير المشارب التي يقصدها الدعاة ؛ لينهلوا منها ، ويستفيدوا في جذب الشاردين ، وهداية الحيارى ، وطمع المبطلين، مع مراعاة النفسيات المختلفة ، والظروف الزمانية والمكانية المتباينة .
إن الداعية إلى الله قد يخطئ في التعامل مع المدعويين ، فيشتد في موضع يقتضي اللين، أو يلين في موضع الشدة ، وهذا المورد يعتبر أحد الروافد التي يستفيد منها الدعاة في تقليص ما قد يشوب أعمالهم من أخطاء .

٢- إن سنن الله تعالى لن تتغير ولن تتبدل كما قال سبحانه: { ولن تجد لسنة الله تبديلا }^(٢)، فإذا كان سلفنا الصالح قد انتصروا على دولتي الروم وفارس، وهما من الدول العظمى في الماضي ؛ فإنما حصل ذلك لإيمانهم وقوة ارتباطهم بالله عزوجل ، وهذا البحث يجسد ذلك الارتباط الوثيق ، وإذا كنا نريد تقويض قوى الشر والعدوان في الحاضر فلا بد من الرجوع إلى أسباب القوة، والاعتصام بها .

٣- بعض الدعاة يصاب بالملل والكسل ، وقد يتوقف عندما يواجه عقبة من العقبات في طريقه ، وقد يستكثر ما يقدمه للإسلام والمسلمين ، فهذه الدراسة تجعل الناظر فيها يرى بعين القلة لكل ما قدمه لهذا الدين إذا ما قارنه بما جادت به نفوس ذلك الجيل غير مترددين ولا مستكثرين ، كما أنه يجد السلوان حينما يطلع على ما أصابهم في سبيل الدعوة ، وإلى هذا يشير قوله تعالى: { وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك }^(٣).

٤- إن كثيرا من المسلمين في هذا العصر بعيد كل البعد عن الدعوة إلى الله عزوجل، وكأن هذه المهمة لا تجب عليه ولا تعنيه ،

(١) انظر نص الحديث ص ٥٢٣ من هذا البحث .

(٢) آية ٦٢ من سورة الأحزاب .

(٣) آية ١٢٠ من سورة هود .

وإبراز هذه الدراسة لتلك الجهود الدعوية في ذلك العصر مما يثير العواطف ، وينشط العزائم ، ويحفز الهمم ؛ لتتجه إلى هذا الميدان ، وتعتبره من أهم ما تطمح إليه النفوس ، وتصبو إليه الأفئدة .

٥ - معرفة أثر الدعوة الإسلامية في تغيير الناس ، ونقلهم من الظلمات إلى النور ، ومن الحضيض إلى السمو ، ومن العبودية إلى الحرية ؛ مما يعطي الإنسان نشاطا وحماسا في مجال الدعوة إلى الله ، وقد تعرضت هذه الدراسة لأهم نتائج الدعوة إلى الله عزوجل في ذلك العصر .

٦ - العيش مع سيرة السلف الصالح عامة ، والصحابة خاصة لاسيما أولئك الذين خرجوا للجهاد ، وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الله يجعل الإنسان يعيش جوا روحيا يتنسم عبيره ، ويتفيا ظلاله ؛ فتزكو نفسه ، وتسمو روحه لما يراه من أمثلة عالية مطبقة لتعاليم ربها وسنة نبيها .

٧ - إن من الأخلاق العالية التي أوصانا بها رسولنا صلى الله عليه وسلم مكافأة من أسدى إلينا معروفا ، ولا شك أن هؤلاء الرجال العظماء والقادة الأفاضل قد قدموا للأمة الإسلامية معروفا عظيما ، فأرجو أن تعطي هذه الدراسة شيئا يسيرا من حقهم، ونسأل الله عزوجل أن يثيبهم ويجزيهم عن الأمة خير الجزاء .

- وأخيرا أسأل الله عزوجل أن يجعل هذا العمل من الأعمال الصالحة والخالصة لوجهه ؛ لتحظى بالقبول منه سبحانه وتعالى .

تحديد مشكلة الدراسة :

المشكلة البحثية لهذا الموضوع هي محاولة تقصي جهود أولئك الدعاة في تلك البلاد ، وأعدادهم كثيرة جدا . ومما يزيد المشكلة عدم وجود المؤلفات في هذا الموضوع ، وما يوجد حول هذا الموضوع يرد ضمن أحداث تاريخية ، أو سيرة شخصية ، أو قضايا مالية ، وما كتب حول هذه القضية فيتسم بشدة الوجازة .

وقد بذلت قصارى جهدي في استقصاء جهود أولئك الدعاة في ذلك العصر في تلك المنطقة ، والصعوبات التي واجهتهم ، وكيف واجهوها وتغلبوا عليها ، والنتائج التي حققوها ، والمعينات التي ساعدت على نجاح دعوتهم .

تساؤلات الدراسة:

- قدمت الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات ، تمثل الإجابة عليها أهداف الدراسة ، وهذه التساؤلات هي :
 - من خصائص الدعوة الإسلامية عالميتها ، فما مدى تنفيذ المسلمين لهذا الأمر في منطقة البحث في زمن الدراسة .
 - ما الدافع الحقيقي وراء توجه المسلمين لمنطقة البحث ؟ هل هو تنفيذ أمر الله عزوجل ؟ أم الرغبة في خيرات البلاد المفتوحة ؟ أم هو حب التوسع واستعباد الآخرين ؟ وقد ربطت الإجابة - بحمد الله ومنته- بالنصوص التاريخية الموثقة .
 - ما الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في منطقة البحث ابان اتجاه الدعوة إليها ؟ وهل كانت هذه الأحوال مساندة لنجاح الدعوة أم عائقا دونها ؟
 - ما خط سير الدعوة ؟ وهل كانت هناك عقبات واجهتها ؟ وما مدى إعاقتها للدعوة ؟ وهل أمكن التغلب عليها ؟
 - ما الوسائل التي استخدمها المسلمون في الدعوة إلى الله ؟ وهل كانت هذه الوسائل عن دراسة وتثبيت ، أم كانت عفوية مرتجلة ؟ وما مدى نجاحها ؟
 - ما الأساليب المستخدمة في الدعوة هناك ؟ وما مدى نجاحها ؟
 - من مجموعة المعطيات السابقة نصل إلى التساؤل التالي : ما مدى نجاح الدعوة هناك؟ وما عوامل نجاحها ؟

مناهج الدراسة :

إن طبيعة البحث تفرض على الباحث نوعية المناهج التي يستخدمها ، ولقد استخدمت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي ، فقد بذلت وسعي في استقراء وحصر الجزئيات المتعلقة بموضوع البحث ، ولما كانت الكتب التاريخية من أهم مصادر هذا البحث فقد استخدمت المنهج التاريخي وتحريته صحة الأخبار ووثقتها .
كما استخدمت المنهج التحليلي في تحليل النصوص واستنطاقها ، ومعرفة الهدف منها ، ووضعها ضمن الفصول والمباحث المناسبة لها بعد عرضها على الكتاب والسنة وآراء العلماء .
وقد راعيت في هذا البحث - بفضل من الله عزوجل - أموراً مهمة منها:

- ١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها .
- ٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الحديث المعتمدة ، واجتهدت في نقل حكم العلماء من أهل الحديث عليها مما لم يكن في الصحيحين منها .
- ٣- اعتمدت على المصادر القديمة ، ولم أعتد على المراجع الحديثة إلا إذا اقتضى الأمر ذلك .
- ٤- عنيت بتوثيق المعلومات بذكر مصادرها ، وذكر معلومات كافية عن المصادر والمراجع ؛ ليتمكن القارئ من مراجعتها .
- ٥- العناية بشرح الألفاظ الغريبة .
- ٦- الترجمة لكثير من الأعلام وكذا البلدان الواردة في هذا البحث .
- ٧ - عمل فهرس للرسالة تشتمل على فهرس عام ، وفهرس للآيات القرآنية الكريمة ، وفهرس للأحاديث الشريفة ، وفهرس للآثار ، وفهرس للأبيات الشعرية، وفهرس للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

تحديد نطاق البحث (زمانا ومكانا) :

تناولت هذه الدراسة جزءاً من تاريخ الدعوة الإسلامية ، وهو من بداية الدعوة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم إلى نهاية خلافة آخر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - . وأما نطاق الدراسة المكاني فقد تناولت بلاد العراق وفارس .

الجديد في هذه الدراسة:

لقد قَدِّمَت هذه الدراسة - بحمد الله ومنته - معلومات مجتمعة موثقة ومنظمة عن الدعوة الإسلامية في العراق وفارس إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، وقد استعرضت الرسالة سير الدعوة والعوائق التي واجهتها وكيف تغلبت عليها ، وأهم الوسائل والأساليب التي مارسها المسلمون بنجاح في هذه البلاد ، ثم عرضت نتائج هذه الدعوة وعوامل نجاحها .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

بحمد الله ومنته لم أواجه في هذا البحث صعوبات تذكر اللهم إلا انتشار المادة العلمية لهذا البحث في بطون الكتب المختلفة من شرعية ، وتاريخية ، وغيرها . وكذا تركيز الكتب التاريخية على قضية الفتوح وإهمالها للقضايا الدعوية ، وإن ذكرت فتدرج في ثنايا القضايا التاريخية ؛ مما يوجب على الباحث أن يكون أكثر تيقظاً أثناء البحث والقراءة ، وبحمد الله ومنته تغلبت على هذا بالصبر والمثابرة واليقظة .

مصادر الدراسة :

تعددت المصادر التي استقى هذا البحث منها مادته العلمية ، وأولها القرآن الكريم ، وقد استدلت به على بعض القضايا مثل عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومقت الكبير وسوئه ، وفضل العلم ومكانته ، إلى غير ذلك من الأمور .

وبجانب القرآن العظيم تأتي السنة المطهرة ، وقد حظيت بالاهتمام الكبير في هذا البحث ، وقد استخرجت - بحمد الله ومنته - النصوص المتعلقة بالبحث من أشهر كتب الحديث وأوثقها ، وأهمها الصحيحان والسنن ، وبذلت ما في وسعي في بيان حكم العلماء القدماء والمتأخرين على الأحاديث في غير الصحيحين .

وتعتبر كتب الحديث من المصادر المهمة في هذا البحث والمهيمنة عليه ، فبجانب الاستدلال بها على بعض الأمور الشرعية فهي تمدنا بالوثائق والنصوص المتعلقة بكثير من قضايا البحث .

وقد اعتمدت كثيرا على كتب التاريخ والفتوح ، ومنها تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) ، وتبرز أهميته في أنه أقدم كتاب مرتب على السنين في التاريخ الإسلامي ، وهو من المصادر التي يحتاجها الباحث في النظام الإداري والمالي الإسلامي^(١) .

ومنها فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، وقد اهتم كثيرا بالفتوح ، وبالمعاهدات التي أبرمت بين المسلمين والبلاد المفتوحة ، وهو يعتمد مرويات أهل المدينة المتصفة بالحيدة والدقة ، كما أخذ من الروايات المحلية ، وقد اهتم بإيراد ما يتعلق بالنواحي الثقافية والاقتصادية والإدارية^(٢) .

وأخذت من الأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢هـ) ، وقد اهتم بتاريخ العراق وإيران كثيرا^(٣) .

وقد أكثرت من الأخذ من تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي يعتبر عمدة مؤرخي العرب ، ولا يستغني عنه باحث في فترة القرون الثلاثة

(١) د. شاکر بن مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون العرب ص ٢٣٥-٢٣٦ ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٩م ، بيروت .

(٢) د. عبدالعزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٤٩ ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت .

(٣) د. الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٥٥ . د. شاکر بن مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون العرب ص ٢٤٩ .

الهجرية الأولى^(١)، ويتصف هذا الكتاب بالحياد والبعد عن الهوى^(٢)، وقد ظهرت بصماته باعتباره محدثاً على كتابه، فقد أورد النصوص ناسباً لها لرواتها الأولين؛ ولذلك فهو من أشهر المؤرخين توثيقاً للروايات التاريخية، ولقد وجدت فيه المادة العلمية الوفيرة أكثر من أي مصدر آخر.

كما استفدت من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، وهو من الشيعة واعتبره المحدثون من الضعفاء^(٣)، كما أنه قد نال من بعض الصحابة في كتابه هذا وافترى عليهم^(٤)؛ ولذلك كنت حذراً عند الأخذ منه، وقد استفدت منه في بعض القضايا التي لا علاقة لها بتشيعه.

لم يهتم ابن أعثم بذكر تواريخ الحوادث في كتابه كقاعدة عامة ولا يستثنى من ذلك إلا القليل، كما أنه لا يهتم كثيراً بالجانب الجغرافي في الفتوح فبينما هو يتحدث عن الفتوح في العراق تجده فجأة وبدون مقدمات يقفز إلى الشام^(٥)، ولم يهتم ابن أعثم بذكر المصادر التي اعتمد عليها في كتابه سواء كانت مكتوبة أو كانت شفوية^(٦).

ومن المصادر التاريخية لهذه الرسالة كتاب غزوات ابن حبيش (ت ٥٨٤هـ)، وقد استقى مادته العلمية من تاريخ الطبري، وهو ينقل

(١) د. الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٥٥. د. السيد عبدالعزيز بن سالم، التاريخ والمؤرخون العرب ص ٨٥، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١ م.

(٢) د. الدوري، التاريخ العربي والمؤرخون العرب ص ٢٥٦. د. السيد عبدالعزيز بن سالم، التاريخ والمؤرخون العرب ص ٨٦.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان ٣٤١/١، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٨ هـ، بيروت.

(٤) تحدث الدكتور محمد بن جبر أبو سعدة في كتابه ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح عن هذا الموضوع بالتفصيل، انظر مثلاً ص ١٥٣ وما بعدها، وص ١٦٢ وما بعدها، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

(٥) د. محمد أبو سعدة، ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح ص ١١٨-٢٢٥.

(٦) المرجع السابق ص ٦١.

عنه كثيرا ، وكذا كتاب الردة والفتوح لسيف بن عمر وغيرها من الكتب . والكتاب يتحدث عن المغازي والفتوحات التي وقعت في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول بتفصيل جيد ، وجاء حديثه عن فتوح العراق وماتلاها من بلاد فارس في نصف المؤلف تقريبا ، وذلك يوحى باهتمامه بهذا الجانب ، وقد راعى ابن حبيش الجانب الجغرافي عند سرد الأحداث . وقد أشاد الدكتور سهيل زكار بالمادة العلمية التي تضمنها كتاب ابن حبيش (١) .

ولقد أمدتني كتب التاريخ بالمادة الغزيرة ، وعن طريقها مع كتب السنة استطعت - بحمد الله ومنته- رسم خط سير الدعوة إلى الله عزوجل في العراق وفارس، بالإضافة إلى عمق إفادتها في القضايا الأخرى للبحث وإثرائها لها .

كما أن كتب الرجال والطبقات من أهم مصادر هذا البحث وعلى رأسها الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، والذي تحدث فيه مؤلفه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين إلى عهده ولم يخص فئة معينة . وقد أفرد مجلداً كاملاً لطبقات الكوفيين وآخر للبصريين (٢) . وهناك بعض كتب الرجال تمحضت لنوع معين من الرجال مثل كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (ت ٧٤٢هـ) ، فقد استوعب رجال الكتب الستة وبعض الكتب الأخرى لمؤلفيها (٣) . وتضمن كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ) كما هو ظاهر من عنوانه تراجم ضافية لأعلام النبلاء . وتمحض كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) لتراجم الصحابة -

(١) د. سهيل زكار ، مقدمة غزوات ابن حبيش ص ١٠-١١ ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، لبنان .

(٢) حسب النسخة التي استفدت منها .

(٣) د. بشار بن عواد بن معروف ، مقدمة تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي والمطبوعة مع المجلد الأول منه ص ٤٣-٤٥ ، تحقيق : بشار بن معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت .

رضوان الله عليهم - . ومن كتب الرجال ما تحدث عن رجال بلد معين مثل كتاب التدوين في أخبار قزوين للقزويني (ت ٦٨٢هـ) ، وقد تحدث فيه عن العلماء وطلاب العلم والصالحين ممن نشأ بقزوين ونواحيها ، أو سكنها ، أو مرَّ بها ، وعلى رأس هؤلاء الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم ورحمهم - ، كما تحدث عن فضائل قزوين وخصائصها وفتحها وغير ذلك مما يتعلق بها باختصار. إلى ما شابه ذلك من كتب الرجال .

ولقد أثرت كتب الرجال الرسالة وأمدتها بالمادة المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمت في منطقة البحث . مع إفادتها في قضايا أخرى من البحث.

كما استفاد البحث من كتاب كنز العمال لعلاء الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، وقد أمدَّ الرسالة ببعض الآثار التي لها مسيس علاقة بالبحث كـبعض المحاورات ، والخطب ، والمعاملة الحسنة من المسلمين لغيرهم ، والقذوة الصالحة عند المسلمين .

كما أن مصادر هذه الرسالة شملت كتب الخراج والأموال ، ومن أهم الكتب التي رجعت إليها في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف (ت ١٨٢هـ) ، وألّفه استجابةً لأمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ ليعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك^(١) . وكتاب الأموال لأبي عبيد ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، وهو يتحدث عن مصادر بيت المال في الإسلام ومصارفه ، فمن مصادره الخراج ، والفقء ، والغنيمة ، والركاز ، وغيرها ، وقد انطبعت قدرة أبي عبيد العلمية على كتابه فهو يروي الأحاديث ، ويقارن بين الروايات ، وينقد الحديث متنا وسندا ، ويرجح ، فهو يجمع بين الحديث والفقء^(٢) . وكتاب

(١) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ص ٣ ، المطبعة السلفية ، ط ٥ ، ١٣٩٦هـ ، القاهرة .

(٢) د. محمد بن عمارة ، مقدمة كتاب الأموال لأبي عبيد ص ١٤-١٥ ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، بيروت ، القاهرة .

الأموال لابن زنجويه (ت ٢٥١هـ) ، وهو يتحدث عن الموضوع نفسه الذي تحدث عنه كتاب أبي عبيد السابق ، وينتهج منهجه في الأسانيد ، وينقل عنه كثيرا ، فأبو عبيد أبرز شيوخ ابن زنجويه ، غير أنه قد زاد عليه^(١) .

وقد أخذت من هذه الكتب الأمور المالية المتعلقة بالبحث كالمعاملة الحسنة للمسلمين مع أهل الذمة في الأمور المالية ، وإسقاط الجزية عن أسلم منهم ، وإلحاقهم بمواليهم ، وبعض أصناف الأموال التي تحصل عليها المسلمون ، بالإضافة إلى معلومات أخرى ساهمت في إثراء بعض جوانب البحث .

وهناك بعض الجوانب في هذا البحث تتعلق بكتب الفقه مثل : جواز قتال من بلغته الدعوة بدون دعاء وأن دعاءهم حسن ، وحماية المسلمين لأنفس أهل الذمة وأبدانهم ، وعدم التفريق بين الأسرى الذين لهم قرابة معينة ، وطاعة الجيش لولي الأمر ، إلى غير ذلك من القضايا ، وقد رجعت إلى بعض كتب الفقه الموثوقة وأخذت منها وعلى رأسها الشرح الكبير لأبي الفرج عبدالرحمن ابن قدامة (ت ٦٨٢هـ) ، وهو من الكتب المعتمدة في الفقه ، وهو شرح لكتاب المقنع للعلامة موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة ، وكتاب المقنع من أهم المختصرات المعتمدة في الفقه الحنبلي ، وقد سار على ترتيبه لأبواب الفقه ومسائلة من جاء بعده من فقهاء الحنابلة ، وقد اعتمد أبو الفرج في كتابه الشرح الكبير على المغني لعمه العلامة موفق الدين أبي محمد عبدالله ابن قدامة ، كما ذكر في الشرح ما لم يجده في المغني^(٢) .

(١) د. شاکر بن ذيب بن فياض ، مقدمة كتاب الأموال لابن زنجوية ص ٧٤-٩٤ ، تحقيق : د. شاکر بن ذيب بن فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .

(٢) أبو الفرج عبدالرحمن ابن قدامة ، الشرح الكبير ص ٢ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، الرياض .

كما أخذت من كتب المستشرقين ، وممن نقل أقوالهم في إبراز وضوح حسن معاملة المسلمين للبلاد المفتوحة ، وكذا في إبراز بعض خصائص الإسلام وأثرها في نجاح الدعوة ؛ منطلقا من أن ما شهدت به الأعداء هو من أوضح الحق وأنصعه مثل: حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ، والدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد ، والإسلام وأهل الذمة للخبزبوطلي .

إلى غير ذلك من المصادر القديمة والحديثة والتي استفاد منها هذا البحث .

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة . وقد اشتملت المقدمة على مدخل إلى الدراسة ، والدراسات السابقة ، وأسباب اختيار الموضوع ، وتحديد مشكلة الدراسة ، وتسؤلات الدراسة، ومناهج الدراسة، وتحديد نطاق البحث (زمانا ومكانا) ، والجديد في هذه الرسالة ، والصعوبات التي واجهت الباحث ، ودراسة لأهم مصادر الرسالة، وخطة البحث، والشكر والتقدير.

تحدثت في التمهيد عن الموقع الجغرافي للعراق وفارس ، وعن الأحوال السائدة فيهما قبيل الفتح الإسلامي ، وشملت الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد أوضحت أن الفساد قد غطى جميع هذه النواحي ، وذكرت الأحاديث النبوية الواردة عن العراق وفارس ، كما تطرقت لعالمية الإسلام ، وبينت أنها الباعث الحقيقي على الانطلاقة المباركة للفتوح الإسلامية .

وكان موضوع الباب الأول سير الدعوة والعقبات التي واجهتها ، وقد اشتمل على فصلين ، الأول تحدثت فيه عن سير الدعوة الإسلامية في بلاد البحث بداية من لفت الرسول صلى الله عليه وسلم أنظار المسلمين إلى هذه البلاد عن طريق التبشير بفتحها ، ثم إرساله أول لبنة في صرح الدعوة هناك بإرساله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس رسالة يدعو فيها إلى الإسلام ، ثم بداية الفتح في عهد أبي بكر

الصديق رضي الله عنه ، واستمراره في عهد عمر وعثمان - رضي الله عنهما - . ويأتي الفصل الثاني ليتضمن العوائق التي واجهتها الدعوة في هذه البلاد : من كِبَر زعماء فارس ، وتفوق فارس المادي ، واتحاد الفرس بعد التفرق ، ووقوف عرب السواد مع الفرس ، والعقبات الجغرافية ، وإحساس المسلمين بتفوق الفرس وخوفهم منهم ، والفتن بين المسلمين . وقد بينت كيف استطاع المسلمون التغلب على تلك العقبات ، مع إيضاح خطورة العائق الأخير ، والتحذير منه .

ويأتي الباب الثاني ليتحدث عن وسائل الدعوة ، وقد بينت فيه أن المسلمين قد استخدموا الوسائل المتاحة لهم في ذلك العصر من: الرسل ، والرسائل ، والولاية ، والجهاد ، والمسجد ، والمنزل ، والمخالطة ، وأخذت كل وسيلة منها فصلا من فصول الباب ، وقد أوضحت من خلال هذا الباب حرص المسلمين على جعل هذه الوسائل تؤتي أفضل الثمار .

وجاء الباب الثالث ليوضح الأساليب التي استخدمها المسلمون من: الدعوة بالكلمة ، والتعليم ، والقدوة ، والدعوة بالعمل ، والترغيب والترهيب ، والمعاملة الحسنة ، والاحتساب ، واحتل كل أسلوب منها فصلا من فصول الباب ، وقد ظهر في هذا الباب وضع المسلمين لكل أسلوب في موضعه المناسب له ؛ ولذلك أعطى النتائج المرجوة .

وأما الباب الرابع والأخير فقد تناول آثار الدعوة وعوامل نجاحها ، من خلال فصلين ، الأول تطرق لآثار الدعوة ونتائجها من : الإثخان في العدو وكسر شوكته، وانتشار الإسلام ، ومشاركة مسلمي الفرس في الدعوة ، واتساع بلاد الإسلام ، وانتشار اللغة العربية ، والأموال التي حصل عليها المسلمون . والثاني تناول عوامل نجاح الدعوة ، وبينت فيه أثر كل عامل ، وشملت هذه العوامل : الوضع المتردي في البلاد المفتوحة ، وخصائص الإسلام ، والنزعة الدينية لدى سكان تلك البلاد ، والصفات الإيجابية للجيش الإسلامي ، والصفات السلبية للجيوش المضادة ، والجهود الدعوية .

ثم بعد ذلك الخاتمة وفيها أبرزت مجموعة من الحقائق التي توصلت إليها من خلال البحث ، كما تضمنت الخاتمة بعض التوصيات .

شكر وتقدير :

الحمد لله الذي هداني للإسلام ، ووفقني لتعلم دينه ، وأسأله المزيد من فضله ، فقد وعد الشاكرين بذلك ، فقال عز من قائل: { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم }^(١) .

وانطلاقاً من أخلاق المسلم في ذكر المعروف ، وتقدير المحسن وشكره ، ففي الحديث: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزوجل »^(٢)؛ فإني أتقدم بالشكر الجزيل لجامعتنا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما تبذله وتقدمه ؛ لخدمة العلم وطلابها ، فقد كنت أحد تلاميذها الذين احتضنتهم في المرحلة الجامعية بقسم القرآن وعلومه ، ثم أتاحت لي المجال لمواصلة دراستي العليا في قسم الدعوة والاحتساب ، حيث يسر الله لي إنهاء دراسة الماجستير ، ثم فتحت الباب أمامي لتسجيل الدكتوراة والبحث فيها .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور: سليمان بن عبدالله السويكت الأستاذ المشارك بقسم التاريخ الإسلامي بكلية العلوم الاجتماعية من هذه الجامعة ، فقد لقيت منه التوجيهات السديدة ، والإرشادات النيرة ، هذا مع انشراح الصدر ، وبشاشة الوجه ولين الجانب ، فأسأل الله العلي القدير أن يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته إنه سميع مجيب .

(١) آية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل شرح وفهرسة أحمد بن شاكر ٢٤٦/١٤ ، رقم الحديث ٧٤٩٥ و ٨٣/١٥ ، رقم الحديث ٧٩٢٦ . قال أحمد بن شاكر : إسناده صحيح .

كما أتقدم بالشكر الوافر لفضيلة عميد الكلية: الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد على ما قدمه ويقدمه لي ولطلاب العلم من تشجيع وتوجيه ؛ فجزاه الله عني وعنهم خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة .

كما أشكر مشايخي الكرام في قسم الدعوة والاحتساب على ما قدموه لي من آراء وأفكار ؛ فأعظم الله لهم الأجر .

كما أشكر الدكتور أحمد بن معبد ، والدكتور محمد بن بكار ، والدكتور باسم الجوابرة ، من أساتذة قسم الحديث على ما قدموه لي من توجيهات .

وأشكر كل من ساهم معي في هذا البحث بدلالة على كتاب ، أو إرشاد برأي، أو توجيه ملاحظة .

والله أسأل أن يجزي الجميع عني خير الجزاء ، وأن يجمعنا وإياهم في مستقر رحمته إنه القادر على ذلك .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد ويشمل :

- ١- الموقع الجغرافي للعراق وفارس .
- ٢- الأحوال السائدة في العراق وفارس .
- ٣- الأحاديث عن العراق وفارس .
- ٤- عالمية الإسلام .

١- الموقع الجغرافي للعراق وفارس :

أ- العراق :

يمتد العراق من تكريت (١) شمالاً إلى عبّادان (٢) جنوباً .
وعرضه من القادسية (٣) غرباً إلى حلوان (٤) شرقاً (٥) . وتختلف
وجهات النظر حول سبب تسمية العراق بهذا الاسم (٦) . كما يطلق على
العراق السواد ؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار . وهو
متاخم لجزيرة العرب الخالية من الزرع والشجر ، فإذا خرجوا من
أرضهم رأوا الخضرة فيسمونه سوادا (٧) .
ب - فارس :

(١) تكريت : بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً غربي
دجلة . [صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، مرصد الاطلاع ١/٢٦٨ ،
تحقيق وتعليق : علي بن محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي
الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٣٧٣ هـ] .

(٢) عبّادان : تحت البصرة قرب البحر الملح ، فإن دجلة إذا قاربت البحر انفرقت
فرفقتين عند قرية تسمى المحرزي فيكون ما بينهما مثلث الشكل ، وعبادان في هذه
الجزيرة بين النهرين . [ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤/٧٤ ، دار صادر ، دار
بيروت ، ١٣٧٦ هـ ، بيروت] .

(٣) القادسية : بليدة بقرب الكوفة على سابلة الحجاج . [زكريا بن محمد بن محمود
القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٣٩ ، دار بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، بيروت]

(٤) حلوان : في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، وليس للعراق مدينة
بقرب الجبل غيرها . [الحموي ، معجم البلدان ٢/٢٩١] .

(٥) د. أحمد بن سوسة ، الجمهورية العراقية « العراق » في الخوارط القديمة ، انظر
خريطة رقم ١٨ صورة العراق للأصطخري ، وخريطة رقم ٢٢ صورة العراق
لابن حوقل ، وخريطة رقم ٢٣ صورة العراق للمقدسي ، وخريطة رقم ٢٧ صورة
العراق للجيهاني ، مطبعة المعارف ، ١٣٧٩ هـ ، بغداد .

(٦) انظر تفصيل ذلك عند ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤/٩٣ - ٩٤ .

(٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣/٢٧٢ .

إن «بلاد فارس» تطلق على كل المملكة الساسانية التي يحكمها الأكَاسرة ، بالرغم من أن فارس ^(١) هو أحد الأقاليم الإيرانية، وقد استخدم هذا الإطلاق اليونان ؛ لأن فارس كانت الولاية المركزية وبها الحكومة زمن الإخمينيين ، واستمر هذا الإطلاق في الكتابات الأوربية ^(٢)، كما أن إطلاق «بلاد فارس» على كل المملكة الساسانية يستعمل لدى المؤرخين المسلمين العرب ^(٣).

وكانت الإمبراطورية الفارسية تتعرض للمد والجزر بحسب قوتها وضعفها ، وسنعمد في هذه الدراسة حدودها القائمة قبيل الفتح الإسلامي لها ^(٤).

يحد فارس من الشرق بلاد السند ^(٥) وطخارستان ^(١)، ومن الغرب دولة الروم ^(٢) وبلاد تدمر ^(٣) ومنطقة الحيرة ^(٤) وما جاورها ،

(١) إقليم فارس : إقليم فسيح أول حدوده من جهة العراق أرّجان ، ومن جهة كرمان السّيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران ، وقصبتها شيراز ، وكورها خمس. [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١/٨٧] .

(٢) د. فاروق بن عمر بن فوزي ، الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري ... إعادة تقويم ، مقال نشر في الرسالة الإسلامية العدد (٢٠٦) ، ص ٥٩ ، مجلة فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية ، الدار العربية ، بغداد . كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٣ ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، بيروت .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٤/٩٤ ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت . أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٨٦ ، ٣٨٨ ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ ، بيروت . محمود بن شيبان خطاب ، قادة فتح بلاد فارس « إيران » ص ٨٢-٨٥ ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٤ هـ . محمد بن فرج ، الفتح العربي للعراق وفارس ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٦ هـ ، د. عبدالحميد بن بخيت ، ظهور الإسلام ص ٤ ، مكتبة الانجلو المصرية .

(٤) شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي ص ١٩ ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان . [الحموي ، معجم البلدان ٣/٢٦٧] .

ومن الشمال خوارزم^(٥) وداهستان^(٦) وبحر الخزر^(٧) وبلاد الخزر^(٨)،
ومن الجنوب بحر العرب^(٩)،
والخليج العربي^(١٠)، ومن الجنوب الغربي الخليج العربي^(١١) .

(١) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي : طخارستان العليا والسفلى . فالعليا شرقي بلخ ، وغربي نهر جيحون ، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا . وأما السفلى فهي أيضاً غربي جيحون، إلا أنها أبعد من بلخ، وأقرب في الشرق من العليا. [الحموي، معجم البلدان ٤ / ٢٣].

(٢) بلاد الروم: مشارقهم وشمالهم الترك والخزر والروس ، وجنوبهم الشام والاسكندرية ، ومغاربهم البحر والأندلس . وكانت الرقة والشامات كلها تعد في حدود الروم أيام الأكاسرة. [الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٩٨].

(٣) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بريا الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام. [الحموي ، معجم البلدان ٢ / ١٧].

(٤) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة . وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية النعمان وآبؤه . وسموها الحيرة البيضاء لحسنها . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١ / ٤٤].

(٥) خوارزم: اسم لناحية كبيرة عظيمة قصبته الجرجانية . وهي على جيحون، قيل : ثمانون فرسخا في مثلها . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١ / ٤٨٧].

(٦) داهستان: بلاد واسعة تقع شرق بحر قزوين وغربي بلاد خوارزم . [د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ص ١١٦ ، ١١٧].

(٧) بحر الخزر : هو بحر طبرستان وجرجان وأبسكون كلها واحد . وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره . وعليه من جهة الشرق جبال موقان وطبرستان وجبل جرجان ، ويمتد إلى قبالة داهستان ، وهناك أبسكون ، ثم يدور مشرقاً إلى بلاد الترك وكذلك في جهة شماله إلى بلاد الخزر . [الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٤٢].

(٨) الخرز: بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند [الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٦٧].

(٩) بحر العرب : بحر واسع يقع جنوب فارس وجزيرة العرب. [د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ص ٤٧].

(١٠) الخليج العربي : خليج واسع يتفرع من بحر العرب ، ويحد الجزيرة العربية من جهة الشرق . [د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ص ٤٧].

(١١) د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، خريطة ٣١ ص ٤٧ وخريطة ٦٣ ص ١١٦ ، ١١٧ ، الزهراء للإعلام العربي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، القاهرة .

٢ - الأحوال السائدة في العراق وفارس :

كانت العراق تخضع للفرس إبان غزو المسلمين لها عام اثني عشر للهجرة (١٢هـ)^(١).

ونظراً لذلك فإن الأحوال السائدة في فارس ستنعكس على العراق ، وإن كان قد يوجد شيء من التمايز عند أهالي الحيرة لكثرة العرب فيها^(٢).

وبلاد العراق وفارس كغيرها من البلاد قبل أن تشرق عليها شمس الرسالة ويغمرها نور التوحيد كانت تمتلئ بالفساد ، وتعج بالظلام في كل ميادين الحياة من الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد .

وسأعطي - إن شاء الله تعالى - نبذة يسيرة عن الأحوال السائدة في العراق وفارس قبل الزحف الإسلامي إليهما .

أ- الحالة السياسية :

إن الناظر في الأحوال السياسية لبلاد فارس يلاحظ الاضطراب في علاقة فارس بالبلدان المجاورة ، حيث الحروب التي لا تخمد بينهم وبين جيرانهم ، فقد كان بينهم وبين الهياطلة^(٣) في الشرق ، والترك في الشمال حروب مستمرة ، وكذلك كانت الحرب مشتعلة بينهم وبين

(١) أحمد بن عادل بن كمال ، الطريق إلى المدائن ص ١٠٣ ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ ، بيروت . د. عبدالرزاق بن عباس بن حسين ، نشأة مدن العراق وتطورها ص ٢٥ ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتوجيه والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣م .

(٢) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ص ١٥-١٨ ، مطبعة دنكور الحديثة ، بغداد .

(٣) الهياطلة : من أجناس الترك ، وهم أهل هراة ، قاتلهم الأحنف بن قيس في أبر شهر وهزمهم . [تاريخ الطبري ٣٠١/٤ . د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ص ١٣٠] .

جيرانهم من الرومان ، وكان من سوء سياستهم أن عملوا على القضاء على مملكة المناذرة^(١).

يضاف إلى هذه العوامل الخارجية انتشار الاضطراب السياسي في البلاط الفارسي ، فقد كثرت فيه الدسائس ، وتنازع الطامعون وغدر بعضهم ببعض ، وبذلك فسد الرأس فامتد الفساد إلى ما دونه^(٢). ومن الدلالات الواضحة على الاضطراب السياسي تعاقب عشرة ملوك على عرش فارس ما بين رجل وامرأة وصبي ومغتصب للحكم خلال السنوات الخمس الأخيرة التي سبقت الفتح الإسلامي والمقارنة لأوائله (١٠-١٥هـ)^(٣).

ومما يتعلق بالوضع السياسي اعتبار بعض ملوك آل ساسان الملك مركبا يمتطونه لتحقيق شهواتهم ولذاتهم ، لا مسؤولية ملقاة على عواتقهم ؛ ولهذا انغمس الملوك في اللهو والترف ، وأسرفوا في الملاذ والشهوات ، حتى أن يزدجرد^(٤) لما جلا عن دار ملكه لاجئا أخذ معه

(١) د. أبو زيد شلبي ، الخلفاء الراشدون ص ٦٤ ، مكتبة وهبة ، القاهرة . يوسف بن رزق الله بن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ص ٥ .

(٢) د. عبدالوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ص ٧٠-٧١ ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ ، بيروت . محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب ص ٢٣٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٤٨٠ ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مراجعة : عبدالوهاب بن عزام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت . حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص ٢٨٢ ، ترجمة : د. محمد نور الدين عبدالمنعم و د. السباعي بن محمد السباعي ، مراجعة وتقديم : د. يحيى الخشاب ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

(٤) يزدجرد بن شهريار بن كسرى آخر ملوك فارس ، وأمه من أهل بادوريا ، تملك وعمره إحدى وعشرون سنة ، في عام ١٣هـ ، وقد قاوم المسلمين وما فتئ يعد الجيوش ويجمعها لكن الله عز وجل هزمه ، ثم قتل سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين للهجرة . [تاريخ الطبري ١/١٤٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٤٤٧/٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٣٠ ، ٥٥٢ ، ٥/٤ ،

ألف طباخ ، وألف مطرب ، وألف فهاد^(١) ، وألف بازيار^(٢) ، فضلاعن غيرهم ويعتقد أنه قد قلل^(٣) .ومن قبله كسرى أبرويز^(٤) فقد كان له اثنتا عشرة ألف امرأة ، وخمسون ألف جواد ، وشيء لا يحصى من آلات الترف والقصور الشامخة ومظاهر الثروة والغنى^(٥) .

ب- الحالة الدينية :

عرف الفرس بميلهم إلى عبادة المظاهر الطبيعية ، ولقد لفتت أنظارهم السماء الصافية ، والضوء ، والنار ، والهواء ، والمطر فاتخذوها آلهة يعبدونها ، ومقابل ذلك آلهة الشر من الظلمة ، والجذب ، ونحوها .

ويعتقدون أن الصراع قائم بين آلهة الخير وآلهة الشر ، وأعمال الإنسان الصالحة تعين آلهة الخير في ذلك الصراع ، ورمزوا لآلهة الخير بالنار ومن ثم فهم

-
- ١٠ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ١٣٨ ، ١٢٢ ، ٩٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠-١٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ . الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٤٠ .
- (١) الفهد : سبع ، ومعلمه الصيد فهاد . [الطاهر بن أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ص ٥٢٩ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٢] .
- (٢) البازيار : صاحب الباز الذي يحمل البازي . [مجمع اللغة العربية بمصر ، المعجم الكبير ٢/٢١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٤٠١هـ] .
- (٣) أبو منصور الثعالبي ، تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٧٤٢ ، مكتبة الأسد ، ١٩٦٣م ، طهران .
- (٤) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، وكان من أشد ملوك فارس بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ فيما ذكر من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز مالم يتهبأ لملك أكثر منه ، وقد قيل : إن قول الله { الم غلبت الروم في أدنى الأرض ... } الآيات الأولى من سورة الروم نزلت في أمر أبرويز وملك الروم هرقل ، وهو الذي بعث إليه الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة . [تاريخ الطبري ٢/١٧٦-١٨٤ ، ٦٥٤] .
- (٥) شاهين مكاربوس ، تاريخ إيران ص ٩٠ ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨م ، مصر .

يشعلونها في معابدهم حتى تقوى على آلهة الشر وتهزمهم^(١).
ثم جاء زرادشت^(٢) فدعا إلى دين جديد وأسس على الديانة
القديمة بعد إصلاحها ؛ حيث وحد آلهة الخير في إله واحد هو
(أهرامزدا) ، وجمع قوى الشر في شيء واحد هو (درواحهرمن)^(٣) ،
وهذا يدل على ثنويته^(٤) . وهناك من يرى أنه
كان موحدًا^(٥) . ويرى المستشرق هوج : «أن زرادشت كان من الناحية
اللاهوتية موحدًا ، ومن الناحية الفلسفية ثنويًا ، ولعله يريد من قوله هذا
أنه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى للعالم إلهًا واحدًا ، ولكن إذا
تعرض لشرح فلسفة العالم ، وما فيه من خير وشر يتطاحنان ، وما إلى
ذلك فهو ثنوي يرى أن في العالم قوتين»^(٦) .

-
- (١) أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ص ٩٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٠ ، ١٩٦٥م
. محمود بن شيت بن خطاب ، قادة فتح بلاد فارس «إيران» ص ٤٥-٤٦ .
- (٢) زرادشت بن بورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراست الملك ، وأبوه كان
من أذربيجان ، وأمّه من الري ، واسمها دغوية ، ويزعم أهل ملكه أنه من الأنبياء
. [محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل ص ٢٣٧-٢٣٨] .
- (٣) أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ص ٩٩-١٠٠ .
- (٤) ممن قال بثنويته أحمد بن عطية الله في كتابه القاموس الإسلامي ٤٦/٣ ، مكتبة
النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ . ود. أحمد بن شلبي في كتابه مقارنة الأديان
ص ١٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٧م . والعميد : عبدالرزاق بن محمد
بن أسود في كتابه المدخل إلى دراسة الأديان ٣٤/١ ، الدار العربية للموسوعات، ط
١ ، ١٤٠١هـ ، بيروت .
- (٥) ذكر توحيد زرادشت محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، الملل والنحل
٢٣٧/١ ، تحقيق: محمد بن سير بن كيلاني ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ ،
بيروت . وأحمد بن عبدالغفور عطار ، العقائد في مختلف العصور ٢٤٦/١ ، مكة
المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠١هـ . وأبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
ص ٤٣ ، دار الكتاب العربي ، ط ٨ ، ١٤٠٤هـ ، بيروت .
- (٦) عن أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ١٠٣/١ .

وظهرت الديانة الزرادشتية في القرن السابع قبل الميلاد^(١)،
وسادت في فارس في عهد الساسانيين الذين بدأ حكمهم سنة ٢٢٦ م ،
وظلت هي ديانة الفرس إلى الفتح الإسلامي^(٢)، ولكن الزرادشتية
الساسانية كانت بعيدة جداً عن غاية زرادشت ، وكانت تحقق أهواء
الملوك وتسلط الكهنة^(٣) . كما ظهر في فارس ماني^(٤) في
أوائل القرن الثالث المسيحي ، وتعاليمه مجموعة من النصرانية
والزرادشتية^(٥)، وعقيدته تقوم على وجود النور والظلمة^(٦)، ويعتقد أن
اختلاط النور والظلمة في العالم الحاضر شر ؛ ولهذا حرم الزواج
لتقرب نهاية العالم ونادي بالرهبة^(٧) .
وظهرت في فارس في أوائل القرن الخامس الميلادي المزدكية ،
وتقوم على الثنوية فهي تقول بالنور والظلمة^(٨) ، وتدعو إلى

(١) محمد بن أمين بن حسن ، خصائص الدعوة الإسلامية ص ٢١٣ ، مكتبة المنار ، ط
١٤٠٣هـ، الأردن ، الزرقاء.

(٢) أحمد بن عطية الله ، القاموس الإسلامي ٤٦/٣ . العميد : عبدالرزاق بن محمد بن
أسود ، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ٣٣/١ . حسن بيرنيا ، تاريخ إيران
القديم ص ١١٣ .

(٣) أحمد بن ثلبي ، مقارنة الأديان ٤٢/٣ .

(٤) هو ماني بن فاتك الحكيم ، ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وقتله بهرام بن
هرمز بن سابور وذلك بعد -عيسى عليه السلام -، وكان يقول بنبوة المسيح- عليه
السلام- ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . [الشهرستاني، الملل والنحل ٢٤٥] .

(٥) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢٩٣/١٣ ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . محمود بن شيت بن
خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ص ١٥ ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٧م .

(٦) أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، الفصل في
الملل والأهواء والنحل ٩١/١ ، تحقيق: د. محمد بن إبراهيم بن نصر و د. عبدالرحمن
بن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ. القلقشندي ، صبح الأعشى
٢٩٧/١٣ .

(٧) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢٤٤/١ . عبدالرزاق بن أسود ، المدخل إلى دراسة
الأديان والمذاهب ٤٥/١ . أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ص ١٠٥ .

(٨) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢٤٩/١ .

الاشتراكية والإباحية في الأموال والأعراض^(١)، فاغتنم السفلة ذلك وأعانوا مزدك وأصحابه ، وقوي أمرهم وعانى منهم الناس أيما معاناة حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، وحسن كسرى مذهبهم مكرها فقد هددوه بخلعه ، فما هي إلا فترة حتى اختلطت أنسابهم ، وضاعت اليد وافتقر الناس^(٢)، وهكذا انغمست إيران في الفوضى الخلقية .

وانتشرت النصرانية في بلاد فارس انتشاراً قوياً بالرغم من الاضطهادات القاسية من قبل الأكاسرة ، بتحريض من الزرادشتيين ؛ للرابط الديني بينهم وبين الروم . وابتان الحكم الساساني دخلت النسطورية^(٣) كنيسة المدائن ، وانتشرت بترحيب من الفرس الذين رغبوا في زرع فواصل مذهبية بين نصارى فارس والروم^(٤)، كما ظهر في فارس المذهب اليعقوبي^(٥) من النصرانية وهو معاد للمذهب النسطوري^(٦) .

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ١/٢٤٩ . آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٣٢٩ .

(٢) تاريخ الطبري ، ٢/٩٢-٩٣ .

(٣) هذه النحلة تنسب إلى نسطور وكان بطريك القسطنطينية ، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إليها ، بل ولدت فقط الإنسان ، وهو بذلك يرى أن الألقوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم ، ويرى أن اتحاد الإنسان الذي ولدته مريم بالألقوم الثاني اتحاداً مجازياً ؛ لأن الإله منح المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن . [محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ص ١٩١-١٩٢ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ٤ ، ١٤٠٤هـ ، الرياض] .

(٤) يوسف بن رزق الله بن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ص ٥ .

(٥) هم أتباع يعقوب البراذعي ، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة ، قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت . [محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ص ١٩٤] .

(٦) د. أبو زيد شلبي ، الخلفاء الراشدون ص ٦٤ .

وانتشرت البوذية^(١) في الشمال الشرقي لإيران^(٢) .
ومما يتعلق بهذا الأمر رؤية الفرس لملوكهم كأنهم كائنات إلهية ؛
ولأجل ذلك فهم فوق القانون والانتقاد وفوق البشر ، ويعتقد الملوك أن
لهم حقا على الناس، وليس لأحد من الناس حق عليهم^(٣) .
وأهل الحيرة من العراق منهم وثنيون يعبدون الأصنام ،
وبعضهم صابئة يعبدون الكواكب ، ومنهم مجوس يعبدون النيران ،
ونصاري ويهود ، ومنهم من يعبد القمر .
وتعتبر الحيرة مركزاً للزندقة^(٤) ، والمراد بالزندقة الثنوية ،
وسادت المزدكية في

(١) البوذية : ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد .
كانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان ، كما أن فيها دعوة إلى التصوف
والخشونة ونبذ الترف ، والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير ، لكنها لم تلبث بعد
موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ، ولقد غالى أتباعها في
مؤسسها حتى ألوهه . [الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في
الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٠٧-١١١ ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، الرياض] .

(٢) حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص ٣٢٢ .
(٣) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٠ . د. أحمد بن شلبي
، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥٧٣/١ ، مكتبة النهضة
المصرية ، ط ١١ ، ١٩٨٤ م ، القاهرة . د. عبد الحميد بن بخيت ، ظهور الإسلام ص
١٠ .

(٤) الزندقة : اسم الزندقة ظهر أيام ماني ، وأول من أطلق كلمة الزندقة هم الفرس ؛
وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بكتابهم المعروف بالبستاه وعمل له التفسير
وهو الزند ، فكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل
إلى التأويل الذي هو الزند قالوا : هذا زندي فأضافوه إلى التأويل والانحراف عن
الظواهر من المنزل ، فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا :
زنديق وعربوه ، والثنوية هم الزنادقة وأحق بهم سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث
العالم. [عاطف بن شكري أبو عوض ، الزندقة والزنادقة ص ٧٥ ، دار الفكر ،
عمّان] .

عصر قباذ^(١) ، كما أن المانوية انتشرت بينهم^(٢) ، وقد حماها عمرو بن عدي^(٣) أحد ملوك الحيرة^(٤) .

وانتشرت النصرانية في الحيرة^(٥) وقويت في القرن الرابع وما بعده، واعتنقها ملوكها أو كثير منهم حتى كادت تصبح الدين الرسمي ، أو أصبحت فعلا مع بقاء بعض القبائل على الوثنية إلى أن زالت بعد التحرير الإسلامي ، ولقد أصبحت الحيرة مركزاً مهماً في حركة التنصير^(٦) ، وكان أغلب نصارى الحيرة نساطرة ، أما اليعاقبة فكانوا قلة^(٧) ، كما وجد في الحيرة اليهود واشتهرت مدارسهم^(٨) .

وهكذا نجد أنه لم يكن لبلاد العراق وفارس الواقعتين تحت حكم آل ساسان دين واحد يوحد بين شعوبها ، وإنما كانت متشعبة بين هذه المذاهب الدينية والحركات الهدامة التي تنخر فيها ، وتقوي روح

(١) د. السيد عبدالعزيز بن سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٨٢-٢٨٣ ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية

(٢) يوسف بن رزق الله بن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٣٠ ، ولقد فصل غنيمة في أديان الحيرة تفصيلاً وافياً فيحسن الرجوع إليه ص ٢٩-٤٠ .

(٣) هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك من لحم ، ورث الملك من خاله جذيمة بن مالك ابن فهم ، وعمرو هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب وإليه ينسب ملوكها ، ولم يزل ملكاً حتى مات وله مائة وعشرون سنة . [تاريخ الطبري ١/٦٢٧ . د. جواد بن علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٨٤/٣ وما بعدها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٩م] .

(٤) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ١٩٠ .

(٥) د. مصطفى الرافعي ، حضارة العرب ص ٣٢ ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٣ ، ١٩٨١م ، بيروت .

(٦) محمد بن عزة بن دروزة ، تاريخ الجنس العربي ٥/٤٢١ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

(٧) د. السيد عبدالعزيز السالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٨٣ .

(٨) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ١٨ .

الفرقة بينها ؛ ولهذا لا نعجب عندما نجد أن النصارى تعرضوا لاضطهاد الأكاسرة بتحريض سدنة النار^(١)، كما لقي المانويون من رجال الدين الزرادشتيين نكالا واضطهادا^(٢)، ولم يسترح بهرام الأول^(٣) لتعاليم ماني ومذهبه فقتله وشرده أصحابه^(٤)، ونكّل قباذ^(٥) بمزدك^(٦) ومن معه ودبر لهم مذبحه عام ٥٣٣م كادت تفنيهم^(٧)، وباختصار فقد كان الاضطهاد الديني ببلاد الفرس ضاريا قبل الفتح الإسلامي^(٨).

ج - الحالة الاجتماعية :

كان المجتمع الإيراني قبل الفتح الإسلامي لا يتسم عبير المساواة ، ولا يحلم بما يقرب منها ، فقد قام المجتمع على الطبقة الغالية التي

(١) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٥ . آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٢٥٤-٢٥٥ . حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ١٩٠ .
(٣) هو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ، كان رجلا ذا حلم وتؤدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، وقد دعاه ماني إلى دينه فأمر بقتله وقتل أصحابه ، وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام فيما قيل . [تاريخ الطبري ٥٣/٢] .

(٤) أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ص ١٠٥ .
(٥) هو قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، وابنه كسرى أنوشروان ، وقد أخذ أخوه بلاش الملك منه فذهب قباذ إلى الترك واستنصر بهم واستعاد ملكه ، وكان ملكه مع سني ملك أخيه ثلاثاً وأربعين سنة . [تاريخ الطبري ٩٠/٢-٩٤] .
(٦) مزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان ، ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه ، واطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه ، فوجده فقتله . [الشهرستاني ، الملل والنحل ص ٢٥٠] .

(٧) أحمد بن أمين ، فجر الإسلام ص ١١٠ .

(٨) د. أحمد بن شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥٧٤/١ .

تقسم المجتمع إلى طبقات متعددة، يوجد بينها هوات ساحقة ، بل كان الناس يعتقدون في ملوكهم شيئاً من القداسة والألوهية ، « وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده»^(١) .

وكانت المناصب محصورة في بعض الطبقات ذات الغنى والجاه والقريبة من الحكام^(٢)، وغرق ملوك فارس في بحر الترف ، فكان لكسرى أبرويز اثنا عشر ألفاً من النساء وخمسون ألف حصان ، وآلات ترف لا تقدر ، والقصور العظيمة البالغة الحد في الأبهة^(٣)، وحاول السير خلف الملوك في لباسهم وطعامهم الأمراء والأغنياء ورجال البيوتات الشريفة وأفراد الطبقات الوسطى ؛ فارتفع مستوى الحياة بشكل لا يطاق ، وتعقدت المدنية ، وأصبح الشرفاء ينفقون على أنفسهم ما يكفي قرية بكاملها ، ولو أخل بذلك لكان ملوماً^(٤) .

ويقابل هؤلاء طبقة الفلاحين والصناع والتجار وأهل الحرف والأشغال كانوا في ضنك من العيش ، حياتهم الكد والنصب لينعم غيرهم ، وانتشر الجهل والمرض والفقر فيهم^(٥)، وكان الفلاحون ملزمين بالسخرة والخدمة العسكرية رجالة بلا أجر^(٦) .

ونجد في الحيرة شيئاً من التمايز ، فنرى أن المناذرة يقابلون الناس من وراء ستور يزداد عددها كلما كان الزائر وضيعاً حتى يبلغ عدد الستور سبعة^(٧) .

-
- (١) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٣٠٢ .
(٢) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧٠ .
(٣) شاهين مكاربوس ، تاريخ إيران ص ٩٠ .
(٤) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧٣ .
(٥) عبدالرحيم الدهلوي ، حجة الله البالغة ١/١٠٥-١٠٦ ، دار التراث ، دار الجيل ، القاهرة . محمود ابن شيبة بن خطاب ، قادة فتح بلاد فارس ص ٧٨ .
(٦) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٣٠٦ .
(٧) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدنية والمملكة ص ٩٦ .

وكان أمراء الحيرة تتدفق إليهم الأموال الطائلة ، فهذا إياس بن قبيصة^(١) مثلاً يُعَيِّنُه كسرى عاملاً على عين التمر^(٢) وما والاهما إلى الحيرة ، ويرزقه ثلاثين قرية إلى شاطئ الفرات^(٣)، وكانت هذه الأموال تنفق في شهوات الأمراء وملذاتهم^(٤)، ومما يدل على ترفهم قصورهم مثل قصر الخورنق الذي كان يتلأأ ليلاً ونهاراً بالألوان المتنوعة ، فكان يظهر صباحاً أزرق ، وظهراً أبيض ، وعصراً أصفر ، وقصر السدير، والقصر الأبيض وغيرها^(٥). وامتد الترف والبخ إلى أغنياء أهل الحيرة وتفننوا في ذلك^(٦).

كما أن الفرس والحيريين انغمسوا في الشراب والغناء^(٧).
كما لا ننسى أن أساس الأخلاق في فارس كان مختلاً من قديم الزمان ولم تزل المحرمات النسبيّة المتفق على حرمتها عند الأقاليم

(١) هو إياس بن قبيصة الطائي ، أحد وجهاء الحيرة ، ولما مات المنذر بن المنذر وترك ثلاثة عشر ولداً جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي إلى أن يرى كسرى رأيته ، فكان على الحيرة أشهراً ثم ولي كسرى النعمان بن المنذر ، فلما قتله كسرى استعمل إياس بن قبيصة ، وكان مع الفرس في معركة ذي قار . [تاريخ الطبري ١٩٤/٢ ، ٢٠٦] .

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة [الحموي ، معجم البلدان ١٧٦/٤] .

(٣) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٢١٦ .

(٤) ومن ذلك : أن النابغة الذبياني مدح النعمان بن المنذر فأمر النعمان أن يملأ فوه دراً ويكسى أثواب الرضا ، وهي جباب أطواقها الذهب . [يوسف بن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٢٨٣] .

(٥) يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٢٠ ، وانظر تفصيل الكلام عن قصور الحيرة في نفس الكتاب ص ١٩ - ٢٨ .

(٦) د. السيد عبدالعزيز بن سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٧٢ . يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٢٩٥ .

(٧) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٤٨٥ . يوسف ابن غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ .

المعتدلة موضع نزاع ، حتى أن يزدجرد الثاني تزوج ابنته ثم قتلها ، وأن بهرام جوبين^(١) كان متزوجاً بأخته^(٢) .

ومما يدل على تغلغل الفساد الخلقي حتى في رجال الدين أن الحائض إذا أرادت الاغتسال « دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته »^(٣) .

ويعتبر ظهور ماني رد فعل قويا ضد ما هو منتشر في البلاد من نزعة شهوية ، وقد قتله بهرام كسرى فارس سنة ٢٧٦ م^(٤) .

ولم يحتل الفرس تعاليم ماني الجائرة فثارت طبيعتهم ، وتمثلت في دعوة مزدك

الذي ولد سنة ٤٨٧ م^(٥) ، وقد دعا إلى الاشتراكية في النساء والمال^(٦) ، وقد حظيت تلك الدعوة بالقبول لدى الشباب والمترفين والفجرة^(٧) ، بل أيدها قباز كسرى فارس ونشرها حتى غرقت إيران في أحوال

(١) هو بهرام جوبين ، تملك في القرن السادس الميلادي ، وقد انتزع الملك من كسرى أبرويز بن هرمز الذي حاول اللين معه لكنه أبى وقدم المدائن بجيشه ، ورأى أبرويز فشل جيشه فهرب إلى ملك الروم ، ثم إن أبرويز استرد ملكه ، وهرب بهرام إلى الترك ، ودس له أبرويز من قتله . [تاريخ الطبري ١٧٦/٢-١٨١ . أبو منصور الثعالبي ، تاريخ غرر السير ص ٦٦١-٦٨٦] .

(٢) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٨ . وانظر بعضه عند عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تلبس إبليس ص ٧٦ ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨ هـ : إدارة الطباعة الخيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) ابن الجوزي ، تلبس إبليس ص ٧٦ .

(٤) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٨ ، ٣٩ . د . أحمد بن شلبي ، مقارنة الأديان ٤٢/٣ .

(٥) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٩ .

(٦) الشهرستاني ، الملل والنحل ٩٤٢/١ .

(٧) د . أحمد بن شلبي ، مقارنة الأديان ٤٢/٣ .

الفوضى الخلقية^(١) ، بل بلغ من سلطان مزدك أن « نكح نساء قباد لتقتدي به العامة »^(٢).

د- الحالة الاقتصادية :

كما مر بنا في الحالة الاجتماعية فقد انغمس الملوك والأغنياء والأشراف ونحوهم في الشهوات والملذات والترف والبذخ ، كما « أن ملوك إيران من عاداتهم أن يجمعوا في خزائنهم أقصى ما يستطيعونه من الأموال والنفائس »^(٣) ، فمثلاً حينما كان يزدجرد يريد الهروب من المدائن كان في بيت مالها ثلاثة آلاف ألف ألف^(٤).

وسبق في الحالة السياسية ذكر الحروب الطاحنة التي كانت فارس تخوضها، وكل ما سبق مدعاة لاستنزاف أموال الشعب ، وفرض الضرائب الفادحة التي أثقلت كاهل الناس ، وقصمت ظهورهم ؛ مما أدى إلى إحداث تدهور الاقتصاد في البلاد ، فقد هجر كثير من المزارعين مزارعهم ، أو دخلوا الأديرة ؛ هروباً من الضرائب والخدمة العسكرية لدولة لا يحبونها ، وانتشرت البطالة والجنايات ووسائل كسب غير شرعية^(٥).

ومما يزيد الطين بلة أن النظام المالي لم يكن مستقراً ولا عادلاً ، فمن ناحية كان الجباة لا يتورعون من اغتصاب أموال الناس عند تقدير الضرائب ، ومن ناحية أخرى فإن الضرائب لم تكن ثابتة بل

(١) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٩.

(٢) ابن الجوزي ، تلبس إبليس ص ٧٦.

(٣) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ١١٤ ، كما ذكر آرثر في كتابه ص ٤٤٨ وما بعدها نفائس كسرى وقال في بداية كلامه : «ومن نفائس كسرى التي تبلغ حد الخرافة ...».

(٤) تاريخ الطبري ١١/٤.

(٥) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧٠-٧١.

تختلف من سنة لأخرى ، وربما نشبت الحرب فتلجأ الدولة إذا لم يكن لديها مال إلى فرض ضرائب جديدة^(١) .
وكانت أموال البلاد وخيراتها محتكرة للفئات العليا من المجتمع ،
بينما يعاني العامة من الفقر والمذلة والحرمان^(٢) .
وهكذا فقد كانت الشعوب التي دانت للفرس تقاسي أشد ألوان
العسف والعنف والهوان ؛ بسبب الفساد الذي غطى كل مناحي الحياة ،
فجاء الفتح الإسلامي حركة تحريرية لهذه الشعوب، ولإخراجها من
الظلمات إلى النور، نور العلم والتوحيد والحرية والعدل والرحمة
والتآلف.

٣ - الأحاديث عن العراق وفارس :

وردت نصوص في فضل العراق وفارس، وهذه النصوص تلفت
انتباه الدعاة إلى استغلال ما عند أهل الخير من سكانها من فضل
وصلاح، وتوجيههم الوجهة المناسبة، ثم وضعهم في المراكز اللائقة
بهم من تدريس وفتوى وقيادة وغيرها.
كما وردت نصوص أخرى في ذم العراق وفارس، وهي تجعل
الدعاة يتعاملون بحذر شديد، وتيقظ دائم مع أهل الشر فيها؛ لضرورتهم
فيه ويتخذون الإجراءات المناسبة معهم.
وسنورد - إن شاء الله تعالى - هذه النصوص :

أ - فضل العراق وفارس :

لقد أثنى الله عز وجل على أهل فارس في قوله : {وأخريين منهم

(١) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ١١٢ .
(٢) عبدالرحيم الدهلوي ، حجة الله البالغة ١/١٠٥-١٠٦ . محمود ابن خطاب ، قادة
فتح بلاد فارس ص ٧٨ . محمد ابن حسن ، خصائص الدعوة الإسلامية ص ٢١٤ .

لما يلحقوا بهم} ^(١). وقد بين صلوات الله وسلامه عليه أن المقصود بهم أهل فارس، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «كنا جلوسنا عند النبي (ز) إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي (ز) حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي ^(٢)، قال: فوضع النبي (ز) يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» ^(٣).

قال القرطبي: «وقع ما قاله (ز) عياناً؛ فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم» ^(٤).

كما بين الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنهم هم المراد بالقوم في قوله تعالى: {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} ^(٥) وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «تلا رسول الله (ز) يوماً هذه الآية: {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا

(١) آية ٣ من سورة الجمعة.

(٢) سلمان الفارسي أبو عبد الله، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي (ز)، وحدث عنه، كان لبيبا حازماً من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم، له في مسند بقي ستون حديثاً، مات في خلافة عثمان بالمداين، [الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١ - ٥٥٨ ابن حجر، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٦٢/٢ - ٦٣].

(٣) صحيح مسلم ١٩٧٢/١ - ١٩٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب ٥٩ فضل فارس، رقم الحديث ٢٣٠ - ٢٣١، تحقيق وترقيم: محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، دار الدعوة، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي م ٣ ج ٥/٧٢٥، كتاب المناقب، باب ٧١ فضل العجم، رقم الحديث ٣٩٣٣، حسنه الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد ابن شاكر، دار الدعوة. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٩/٢، المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٥ هـ، بيروت. وبهامشه منتخب كنز العمال للمتقي الهندي.

(٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري ٦٤٣/٨، تصحيح وتحقيق: بإشراف الشيخ عبدالعزيز بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٥) آية ٣٨ من سورة محمد

يكونوا أمثالكم}، قالوا : ومن يستبدل بنا؟ قال : فضرب رسول الله (ز)
(على منكب^(١) سلمان، ثم قال : هذا وقومه»^(٢) .
ونقل القرطبي عند تفسيره لهذه الآية عن المحاسبي^(٣) قوله :
«فلا أحد بعد

العرب من جميع أجناس الأعاجم - أحسن ديننا ولا كانت العلماء منهم
إلا الفرس»^(٤) . وعقد ابن خلدون فصلاً في أن حملة العلم في الإسلام
أكثرهم العجم^(٥) .

ونال أهل العراق وفارس دعوة الرسول (ز) لهم بالهداية، فعن
جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ز) يوماً ونظر إلى الشام
فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم، ونظر إلى العراق فقال نحو ذلك، ونظر قبل
كل أفق ففعل ذلك وقال : اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا
في مدنا وصاعنا»^(٦) .

(١) المنكب : مجمع عظم العضد والكتف . [محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي،
مختار الصحاح ص ٦٧٨، دار الكتاب العربي، ١٤٠١ هـ، بيروت] .

(٢) سنن الترمذي م ٣ ج ٣٨٣/٥ - ٣٨٤، كتاب تفسير القرآن، باب ٤٨ ومن سورة
محمد (ز)، رقم الحديث ٣٢٦٠، ٣٢٦٢ أخرجه بأكثر من طريق قال عن أحدها :
هذا حديث غريب في إسناده مقال. وقال الألباني عن طريقين منها : صحيح ، صحيح
سنن الترمذي باختصار السند ١٠٥/٣، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته
: زهير الشاويش، مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

(٣) هو الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبدالله، من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول
والمعاملات واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد
ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد . [خير الدين الزركلي، الإعلام ١٥٣/٢، ط ٣] .

(٤) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن م ٨ ج ٢٥٨/١٦، دار الكتاب
العربي، ١٣٨٣ هـ، القاهرة.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٢٥٧/٣، تحقيق :د. علي بن عبدالواحد بن وافي، دار نهضة
مصر للطباعة والنشر، ط ٣، القاهرة .

(٦) أحمد بن عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل
٢٥٦/٢٣، دار الشهاب، القاهرة، المطبوع مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى لأحمد
البناء. قال الهيثمي : إسناده حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٠٤/٣، دار الكتاب
العربي، ط ٣، ١٤٠٢ هـ، بيروت.

وبين- صلوات الله وسلامه عليه - أن أنهارا تجري بالعراق وفارس من أنهار الجنة في الحديث الذي رواه مالك بن صعصعة روفيه: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقتها (١) كأنه قلال هجر (٢) ، وورقها كأنه آذ ان الفيول، في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل (٣) والفرات (٤)

-
- (١) النبق : حمل السدرة الواحد نَبْقَة . [الرازي، مختار الصحاح ص ٦٤٣] .
(٢) هجر : قرية قريبة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قُلَّة لأنها تُقَل : أي ترفع وتحمل . [مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١٠٤/٤، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود بن محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية] .
(٣) النيل : مبدؤه من جبال القُمر، وقيل : ينبع من اثني عشرة عينا هناك، ويجرى ثلاثة أشهر في القفار وثلاثة أشهر في العمران إلى أن يجيء إلى مصر فيفترق فرقتين. [أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٢٨/١٥، محمد أمين دمج، بيروت] .
(٤) الفرات : أصله من أطراف أرمينية قريب من قاليقلا، ثم يمر على بلاد الروم، ثم يمر بأرض ملطية، ثم على أشمشاط وقلعة الروم والبيرة وجسر منيح وبالس وجعبر والرقة والرحبة وقرقيسيا وعانات والحديثة وهيت والأنبار، ثم يمر بالطفوف، ثم الحلة، ثم بالكوفة، وينتهي إلى البطائح، وينصب في البحر الشرقي. [العيني، عمدة القاري ١٢٨/١٥] .

« (١) ، وفي رواية: «فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان (٢) فقال : ما هذان النهران يا جبريل؟ قال : هذان النيل والفرات عنصرهما (٣) » (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ز) : « سيحان (٥) وجيحان (٦) »

والفرات والنيل كل من أنهار الجنة (١) » (٢) .

(١) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٧٨، كتاب بدء الخلق، باب ٦ ذكر، الملائكة - صلوات الله عليهم - ، وم ٢ ج ٤/٢٤٩، كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٢ المعراج، وم ٢ ج ٦/٢٤٦ كتاب الأشربة، باب ١٢ شرب اللبن وقول الله تعالى: { من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين }، دار الدعوة. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، سنن النسائي م ١ ج ١/٢٢٠، كتاب الصلاة، باب ١ فرض الصلاة، دار الدعوة. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) يطردان : يجريان . [ابن حجر ، فتح الباري ١٣/٤٨٢] .

(٣) العنصر : هو الأصل . [ابن حجر ، فتح الباري ١٣/٤٨٢] .

(٤) صحيح البخاري م ٣ ج ٨/٢٠٤، كتاب التوحيد، باب ٣٧ قوله : « وكلم الله موسى تكليماً » . وقال ابن حجر : « وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صعصعة؛ فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فإذا في أصلها أربعة أنهار، ويجمع بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى، ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأرض. [ابن حجر ، فتح الباري ١٣/٤٨٢] .

(٥) سيحان : من ساح الماء يسيح إذا سال، وهو نهر كبير بالثغر من نواحي المصيصة، وهو نهر أذنة بين انطاكية والروم، يمر بأذنة، ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم. [ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣/٢٩٣] .

(٦) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامي، ومخرجه من بلاد الروم، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفريياً بإزاء المصيصة، ثم يدخل إلى المصيصة وينفذ منها فيمتد أربعة أميال، ثم يصب في بحر الشام. [ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢/١٩٦] . قال النووي : اعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث فجيحان نهر المصيصة، وسيحان نهر أذنة . [يحي بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٧٦ ، المطبعة المصرية ومكتبتها] .

ب- ذم العراق وفارس :

العراق وفارس يقعان شرق مدينة الرسول (ز)، وقد ورد عن النبي (ز) أن المشرق جهة الفتنة، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» (٣) « (٤).

ومن هذه الفتن فتنة الخوارج التي أشار إليها الرسول (ز) في الحديث الذي رواه سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : سمعت الرسول (ز) يقول وأهوى بيده قبل العراق : « يخرج منه قوم يقرؤون

(١) كون هذه الأنهار من ماء الجنة فيه تأويلان ذكرها القاضي عياض أحدهما - أن الإيمان عم بلادها ، أو الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. والثاني - وهو الأصح أنها على ظاهرها، وأن لها مادة من الجنة، والجنة مخلوقة موجودة اليوم عند أهل السنة. [النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٧/١٧] .

(٢) صحيح مسلم ٢١٨٣/٣، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ١٠ ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم الحديث ٢٨٣٩. مسند الإمام أحمد ٢٨٩/٢ ، ٤٤٠ .

(٣) قرن الشيطان : وفي رواية : «قرن الشيطان أو قرن الشمس». قال الداودي : للشمس قرن حقيقة، ويحتمل أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وهذا أوجه، وقيل : إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له، قيل : ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه، وقال الخطابي : القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين، وقرن الحية أن يضرب المثل فيما لا يحمد من الأمور ، وقال غيره : كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر (ز) أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر. وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة . [ابن حجر ، فتح الباري ٤٦/١٣ - ٤٧] .

(٤) صحيح مسلم ٢٢٢٩/٣، كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب ١٦ الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، رقم الحديث ٤٩ . وقد ذكر مسلم عدة أحاديث قريبة من هذا اللفظ كلها عن ابن عمر . الإمام مالك بن أنس ، الموطأ م ١ ج ٢/٩٧٥، باب ١١ ما جاء في المشرق، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، دار الدعوة.

القرآن لا يجاوز تراقيهم^(١) ، يمرقون^(٢) من الإسلام مروق السهم من الرمية^(٣) »^(٤) ، ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ز) قال : «لا تقوم الساعة حتي يحسر^(٥) الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم : لعلي أكون أنا الذي أنجو»^(٦) .

ومنها خروج الدجال كما ورد في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله (ز) قال : «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة^(٧)»^(٨) .

ولعل هذا ما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يترك الدعاء لها بالبركة^(٩) كما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : «ذكر النبي (ز) اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا : يا رسول الله، وفي نجدنا، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا

(١) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ، ولا تضم التاء .[الرازي، مختار الصحاح ص ٧٧].

(٢) مرق السهم من الرمية : خرج من الجانب الآخر .[الرازي ، مختار الصحاح ص ٦٢٢].

(٣) الرميّة : الصيّد يُرْمَى . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٢٥٨].

(٤) صحيح البخاري ٥٣/٨، كتاب استنابة المرتدين، باب ٧ من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه.

(٥) الانحسار : الانكشاف .[الرازي ، مختار الصحاح ص ١٣٥].

(٦) صحيح مسلم ٢٢١٩/٣، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ٨ لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم الحديث ٢٩، الرقم العام للحديث ٢٨٩٤.

(٧) المجان المطرقة : التروس الغليظة . [هامش سنن الترمذي م ٣ ج ٤/٥٠٩].

(٨) سنن الترمذي م ٣ ج ٤/٥٠٩، كتاب الفتن، باب ٥٧ ما جاء من أين يخرج الدجال، رقم الحديث ٢٢٣٧، قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٢٤٨/٢، رقم الحديث ٨٢٤ - ٢٣٥٢.

(٩) قال الملهب : «إنما ترك (ز) الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهنم؛ لاستيلاء الشيطان بالفتن» .[ابن حجر ، فتح الباري ٤٦/١٣].

في يمننا ، قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة :
هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»^(١) .

والمراد بنجد هنا كما قال الخطابي : «نجد من جهة المشرق، ومن
كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل
المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما
انخفض منها»^(٢) .

ولهذا لم يشر الرسول (ز) بسكنى العراق، كما في حديث عبد الله
بن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ز) : «سيصير الأمر
إلى أن تكون جنوداً مجندة : جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق
فقال ابن حوالة : خرلي يا رسول الله إن أدركت ذلك. فقال : عليك
بالشام؛ فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن
أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله عز وجل قد توكل لي
بالشام وأهله»^(٣) .

ولا منافاة ولا تناقض بين ما ورد في مدح المنطقة وندمها؛ فإن
الشخص الواحد يمدح في أمور ويذم في أمور أخرى فكيف بجهة كاملة
وبلاد واسعة، فيتوجه الخير إلى أهل الخير، والشر إلى أهله، ولعل
أوضح مثال لذلك أن الخوارج خرجت بالعراق ومع ذلك فالذين
قاتلوهم هم أهل العراق.

٤ - عالمية الإسلام :

(١) صحيح البخاري م ٣ ج ٨/٩٥، كتاب الفتن، باب ١٦ قول النبي (ز) : «الفتنة من قبل
المشرق».

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ٤٧/١٣ .

(٣) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود
١٠/٣، كتاب الجهاد، باب ٣ في سكنى الشام، رقم الحديث العام ٢٤٨٣، دار الدعوة،
ومعه كتاب معالم = السنن للخطابي، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي
داود ٤٧١/٢، اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه: زهير الشاويش، مكتب التربية
العربي لدول الخليج، ط ١. مسند الإمام أحمد ١١٠/٤ .

بعث الله سبحانه وتعالى الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - في الأمم

ليدعوا إلى عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت.
وكان الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - يبعثون لأمم خاصة، لكن رسالة محمد (ز) رسالة عامة لجميع الإنس والجن^(١).
إن رسالة الإسلام رسالة عالمية، فهي ليست لزمن مخصوص بعينه، كما أنها لا تعرف التفريق بين البشر، فهي لكل الأمم والأجناس والشعوب والطبقات.
والأدلة التي تثبت عالمية الإسلام كثيرة جداً^(٢) نذكر طرفاً منها:

أ - الآيات التي تدل على عالمية الرسالة:

قال الله تعالى: { وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعاملين }^(٣).
وقال: { قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين }^(٤).
وقال: { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }^(٥).
ووجه الاستدلال بهذه الآيات: أن لفظ العالمين جمع معرف بأل، وهو من صيغ العموم يدخل تحته كل ما خلق الله إلا ما أخرجه دليل^(٦).

(١) د. علي بن عبد الحليم بن محمود، عالمية الدعوة الإسلامية ١/٤١١ وما بعدها، دار عكاظ، جدة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

(٢) لقد حشد الدكتور علي بن عبد الحليم بن محمود في كتابة عالمية الدعوة الإسلامية مجموعة كبيرة جداً من الأدلة على عالمية الرسالة من القرآن ١/١٦٤ - ٢٣٤، وكذا من السنة النبوية ١/٢٤٦ - ٢٥٣.

(٣) آية ١٠٤ من سورة يوسف.

(٤) آية ٩٠ من سورة الأنبياء.

(٥) آية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٦) محمد بن أمين بن حسن، خصائص الدعوة الإسلامية ص ١٥٣.

وقال تعالى : { يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا }^(١) .

وقال: { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً }^(٢) .
وقال: { قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل }^(٣) .
ووجه الاستدلال : أن لفظ الناس اسم جمع لإنسان وإنسانة على غير لفظه، واللام الداخلة عليه للجنس^(٤) ، وهي هنا تخلفها كل، فهي لشمول أفراد الجنس

(الاستغراق الحقيقي)^(٥) .

وقيل : الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويرادفه أناس جمع إنسان أو إنس، وهو حقيقة في الأدميين ويطلق على الجن مجازاً^(٦) .
وقال تعالى : { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون }^(٧) .
ووجه الاستدلال : أن كافة حال من الكاف في «أرسلناك»، وهي اسم فاعل،

والتاء فيها للمبالغة، أي إلا كافة للناس عن الباطل^(٨) .

(١) آية ١٧٤ من سورة النساء .

(٢) آية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) آية ١٠٨ من سورة يونس .

(٤) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ٤٠/١ ، دار الفكر .

(٥) محمد بن أمين ، خصائص الدعوة الإسلامية ص ١٥٤ .

(٦) سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ١٦/١ ، عيسى البابي الحلبي ، مصر .

(٧) آية ٢٨ من سورة سبأ .

ب- الأدلة من السنة النبوية :

١- روى الإمام البخاري حديثاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه وفيه قوله (ز) : «إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»^(٢)

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ز) : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحرر

وأسود ... الحديث»^(٣)

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٤)

وللنصوص الكثيرة الدالة على عالمية رسالته (ز) كانت عالمية الإسلام أمراً معلوماً من الإسلام بالضرورة^(٥) ، وقد أجمع الصحابة وأئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة على ذلك^(٦) .

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) ، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ١١١- ١١٢ ، تحقيق : أحمد بن محمد بن شاکر ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤٠٠هـ.

(٢) صحيح البخاري ١٩٧/٥ ، كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، باب ٣ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً.

(٣) صحيح مسلم ٣٧٠/١ - ٣٧١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، بدون باب ، رقم الحديث ٥٢١ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٤/٣ .

(٤) صحيح مسلم ١٣٤/١ ، كتاب الإيمان ، باب ٧٠ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ز) إلى جميع الناس ونسخ الملة بملته، رقم الحديث ٢٤٠ .

(٥) علي بن أبي العز الحنفي الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١١ .

(٦) محمد بن حسن ، خصائص الدعوة الإسلامية ص ١٥٨ .

إن هذه العالمية هي التي جعلت المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته - رضوان الله عليهم - من بعده لا يقفون عند حدود العرب، بل تخطوهم إلى غيرهم، وهذا هو الأساس في الانطلاقة المباركة لكل الفتوحات الإسلامية، وليس ما يتمم به أعداء الدين الإسلامي من أهداف أخرى.

وكان من بين هذه الفتوحات الموفقة فتح البلاد التي نحن بصدد البحث فيها، وهي بلاد العراق وفارس.

الباب الأول
سير الدعوة والعقبات التي واجهتها

ويشتمل على فصلين :

- الفصل الأول - سير الدعوة.
- الفصل الثاني - العقبات التي واجهتها الدعوة.

الفصل الأول سير الدعوة

ويشمل :

المبحث الأول - تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم) بالفتح

.

المبحث الثاني - رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى .

المبحث الثالث - بداية الفتح في عهد أبي بكر رضي الله عنه

.

المبحث الرابع - استمرار الفتح في عهد عمر بن الخطاب

وعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

المبحث الأول — تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بالفتح :

وردت البشارة بفتح الله عز وجل بعض البلاد على الأمة الإسلامية ومنها بلاد العراق وفارس، وفي هذه البشارة لفت من المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنظار أصحابه - رضي الله عنهم - لهذه البلاد، وحفز لهممهم للتوجه إليها ومحاولة فتحها؛ لعل الله أن يشرفهم بذلك، لاسيما وأنه - صلوات الله وسلامه عليه - قد سبقهم إلى ميدان الدعوة فيها بإرسال رسالة إلى كسرى فارس.

ويمكن تقسيم النصوص الواردة في هذا الصدد إلى قسمين :
القسم الأول - عام يبشر بفتح منطقة العراق وفارس وغيرها من البلاد.

القسم الثاني - خاص يبشر بفتح منطقة العراق وفارس فحسب.
وإليك النصوص الواردة في هذين القسمين :

نصوص القسم الأول :

١- عن أبي زهير رقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تفتح اليمن فيأتي قوم يَبْسُونُ ^(١) فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يَبْسُونُ فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يَبْسُونُ فيتحملون

بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ^(٢) .

(١) يقال بَسَّتْ الناقة وأبَسَّتْها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها: بَسْ ، بَسْ . [ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ١/١٢٦ - ١٢٧] .

(٢) صحيح البخاري م ١ ج ٢/٢٢٢ ، كتاب فضائل المدينة ، باب ٥ من رغب عن المدينة ، صحيح مسلم ١/١٠٠٨ - ١٠٠٩ ، كتاب الحج ، باب ٩٠ الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، حديث رقم ٤٩٦ ، الرقم العام ١٣٨٨ . الإمام مالك بن

٢- عن ابن عتبة رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله (ز) في غزوة، قال : فأتى النبي (ز) قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة^(١) ، فإنهم لقيام ورسول الله (ز)، قال : فقالت لي نفسي : انتم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه^(٢) ، قال : ثم قلت : لعله نجي معهم^(٣) ، فأتيتهم ففقت بينهم وبينه، قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي، قال : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله»^(٤) .

٣- عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال : «بعثنا رسول الله (ز) حول المدينة على أقدامنا لنغرم، فرجعنا ولم نغم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال : اللهم لا تكلمهم إليّ فأضعف، ولا تكلمهم إلي أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلمهم إلى الناس فيستأثروا عليهم، ثم قال : ليفتحن لكم الشام والروم وفارس أو الروم وفارس حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر

أنس ، الموطأ م ١ ج ٢/٨٨٧ - ٨٨٨ ، كتاب الجامع ، باب ٢ ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها ، حديث رقم ٧ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٢٢٠ .
(١) الأكمة : التل من الفف من حجارة واحدة، أو هي دون الجبال ، أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً . [الطاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ١/١٦٥ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٢] .
(٢) غاله : أهلكه كاغتاله وأخذه من حيث لم يدر . [الطاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٣/٤٢٩] .

(٣) ناجاه مُنْجَاةً ونجاء : ساره . [الطاهر الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٤/٣٢٤] .
(٤) صحيح مسلم ٣/٢٢٢٥ ، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ١٢ ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، رقم الحديث ٣٨ ، الرقم العام للحديث ٢٩٠٠ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/١٧٨ و ٤/٣٣٧ ، ٣٣٨ .

كذا وكذا، ومن الغنم حتى يعطى أحدهم مائة دينار فيسخطها ...
الحديث»^(١) .

٤- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : «كان النبي (ز)
(يخرج علينا في الصفة - وعلينا الحَوْتُكِيَّه^(٢) - فيقول : لو تعلمون
ما نذر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم، ولتفتحن لكم فارس
والروم»^(٣) .

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله (ز) : «
هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون
قيصر بعده، ولتقسمنَّ

كنوزهما في سبيل الله»^(٤) .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٨٨/٥ . أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی
الصحيحين ٤/٤٢٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي، دار
الكتاب العربي، بيروت، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي.

(٢) الحَوْتُكِيَّه : قيل هي عمامة يعتمها الأعراب يسمونها بهذا الاسم، وقيل : هو مضاف
إلى رجل يسمى حوتكا كان يتعمم هذه العمة. [أحمد بن عبدالرحمن البناء، بلوغ
الأمان من أسرار الفتح الرباني ١٩٣/٢٢، دار الشهاب، القاهرة، المطبوع مع الفتح
الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد البناء].

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٢٨، وقال لهيثمي : رواه أحمد ورجاله وثقوا، مجمع
الزوائد ١٠/٢٦٠ - ٢٦١.

(٤) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٢٤، كتاب الجهاد والسير، باب ١٥٧ الحرب خدعة، و م ٢

ج ٤/٥٠، كتاب فرض الخمس، باب ٨ قول النبي (ز) : «أحلت لكم الغنائم»، و م ٣

ج ٧/٢١٨، كتاب الإيمان والندى، باب ٣ كيف كانت يمين النبي (ز) . صحيح مسلم

٢٢٣٦/٣ - ٢٢٣٧، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ١٨ لا تقوم الساعة حتى يمر

الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٧٥ الرقم

العام ٢٩١٨، و ٧٦ و ٧٧ الرقم العام ٢٩١٩ . سنن الترمذي م ٣ ج ٤/٤٩٧، كتاب

الفتن، باب ٤١ ما جاء إذا ذهب كسرى فلا كسرى بعده، حديث رقم ٢٢١٦ . مسند

وهذا الحديث فيه دلالة على فتح بلاد كسرى كلها أو بعضها، فينقل عن الشافعي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث : بأن المراد زوال كسرى عن العراق، وقيصر عن الشام، وذلك أن سبب الحديث أن قريشاً كانوا يتاجرون مع الشام والعراق فخافوا توقف ذهابهم إليهما بسبب إسلامهم؛ فقال النبي (ز) ذلك لهم تطيباً لقلوبهم، وتبشيراً لهم بفتح هذين البلدين ^(١) . وقال ابن حجر: « وعلى كل تقدير فالمراد في الحديث وقع لا محالة؛ لأنهما لم تبق مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النبي (ز) » ^(٢) .

٦- عن ثوبان -مولى رسول الله (ز)- رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ز) : « إن الله زوى ^(٣) لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ^(٤) ... الحديث » ^(٥) .

قال النووي : « فيه إشاره إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي الشرق والغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي

الإمام أحمد بن حنبل ٢٣٣/٣، ٢٤٠، ٢٥٦، ٣١٣، ٢٧٢، ٤١٦، ٤٧٦، ٥٠١، ٩٢/٥، ٩٩، ١٠٥ .

وقد ورد الحديث من عدة طرق وفي ألفاظها شيء من الاختلاف ،ومن أوجه الاختلاف أن بعضها بلفظ الماضي « هلك كسرى » ،وأنقل إليك ما قال عنه ابن حجر بأنه أولى : « ويحتمل أن يكون المراد بقوله: « هلك كسرى » تحقق وقوع ذلك حتى عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان لم يقع بعد للمبالغة في ذلك » . [فتح الباري ٦/٦٢٦] .

(١) ابن حجر ، فتح الباري ٦/٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٢) المصدر السابق ٦/٦٢٦ .

(٣) زوي : أي جمع . [صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/١٨] .

(٤) الأحمر والأبيض : الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر . [المصدر السابق ١٣/١٨] .

(٥) صحيح مسلم ٢٢١٥/٣، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ٥ هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث ١٩، الرقم العام للحديث ٢٨٨٩ .

الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى»^(١) .

٧- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله (ز) أنه قال : «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبدالرحمن بن عوف : نقول : كما أمرنا الله^(٢) ، قال رسول الله (ز) : أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون^(٣) ، ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض^(٤)»^(٥) .

٨- عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا مشت أمتي بالمطياء^(٦)، وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها»^(٧) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/١٨ .

(٢) نقول كما أمرنا الله : معناه نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله. [صحيح مسلم بشرح النووي ٩٦/١٨].

(٣) تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون : قال العلماء : التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكرهية أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد. وأما الحسد : فهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها. والتدابير : التقاطع، وقد يبقى مع التدابير شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض. وأما التباغض فهو بعد هذا؛ ولهذا رتبت في الحديث. [المصدر السابق ٩٦/١٨ - ٩٧].

(٤) ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض : أي ضعفاءهم، فتجعلون بعضهم أمراء على بعض هكذا فسروه. [صحيح مسلم بشرح النووي ٩٦/١٨ - ٩٧].

(٥) صحيح مسلم ٣/٢٢٧٤ - ٢٢٧٥، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم ٧، الرقم العام للحديث ٢٩٦٢ .

(٦) المطيياء : بالمد والقصر مشية فيها تبخرت ومد اليدين. [ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣٤٠/٤].

(٧) سنن الترمذي م ٣ ج ٤ / ٥٢٦ - ٥٢٧، كتاب الفتن، باب ٧٤، رقم الحديث ٢٢٦١، وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٢٥٦/٢ .

٩- عن رجل -من أصحاب النبي (ز)- رضي الله عنه قال : « لما أمر النبي (ز) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله (ز) وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر ثلث الحجر - وسلمان الفارسي قائم ينظر - فبرق مع ضربة رسول الله (ز) برقة، ثم ضرب الثانية، وقال : تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر فبرقت برقة، فأراها سلمان، ثم ضرب الثالثة، وقال : تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله (ز) فأخذ رداءه وجلس، قال سلمان: يا رسول الله، رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة. قال له رسول الله (ز): يا سلمان، رأيت ذلك ! فقال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله. قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني ، قال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله (ز) بذلك، ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني ، قالوا : يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله (ز) بذلك، ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني ، قال رسول الله (ز) عند ذلك: دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم » (١) .

(١) سنن النسائي م ٢ ج ٦/٤٣ - ٤٤ ، كتاب الجهاد، باب ٤٢ غزوة الترك والحبشة، وقال عنه الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن النسائي باختصار السند ٦٦٨/٢ - ٦٦٩، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٣/٤.

نصوص القسم الثاني :

١- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : « بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : يا عدي ، هل رأيت الحيرة . قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة^(١) ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعارطى^(٢) الذين سعّروا البلاد^(٣) ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت:كسرى ابن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ... الحديث»^(٤).

٢ - عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « عصابة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى»^(٥).

٣ - وفي حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه لعامل كسرى قال : « وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا

(١)الظعينة: المرأة في اليهودج ، وهو في الأصل اسم لليهودج . [ابن حجر ، فتح الباري ٦/٦١٣] .

(٢)دعارطى :المراد قطاع الطريق . [ابن حجر ، فتح الباري ٦/٦١٣] .

(٣) سعّروا البلاد : أي أوقدوا نار الفتنة ، أي ملؤا الأرض شراً وفساداً . [ابن حجر ، فتح الباري ٦/٦١٣] .

(٤)صحيح البخاري م ٢ ج ٤ / ١٧٥-١٧٦ ، كتاب المناقب ، باب ٢٥ علامات النبوة في الإسلام. مسند الإمام أحمد ٤/٢٥٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٥)صحيح مسلم ٢/١٤٥٣-١٤٥٤ ، كتاب الإمارة ، باب ١ الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ، حديث ١٠ ، الرقم العام للحديث ١٨٢٢ . و ٢٢٣٧/٣ ، كتاب الفتن ، باب ١٨ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، رقم الحديث ٧٨ ، الرقم العام للحديث الذي قبله ٢٩١٩ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم «
(١)

٤- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب ، وإنكم ستفتحونها . فقام رجل فقال : يا رسول الله ، هب لي بنت بقبيلة . فقال : هي لك . فأعطوه إياها ، فجاء أخوها فقال : أتبيعها؟ قال : نعم . قال : فاحتكم ما شئت . قال : بألف درهم . قال : قد أخذتها بألف . قالوا له : لو قلت ثلاثين ألفا . قال : وهل عدد أكثر من ألف ؟ » (٢) .

إن هذه النصوص الكريمة وهذا اللفت منه صلى الله عليه وسلم كان له الأثر العظيم في نفوس المسلمين الذين استيقنوا فتح هذه البلاد ؛ ولهذا نجده يظهر في كلامهم ويعلنونه لأهل البلاد المفتوحة ويجابهنهم به ، صرح به أحد المسلمين وهو أسير عند الفرس لرستم^(٣) ، كما صرح به المغيرة بن شعبتر^(٤) لرستم^(٥) ولقائد الفرس بنهاوند^(٦) .

(١) صحيح البخاري م ٢ ج ٤ / ٦٤ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ١ الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

(٢) سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الكبير ١٧ / ٨١ ، رقم الحديث ١٨٣ ، حققه وخرج أحاديثه: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مطبعة الأمة ، بغداد . وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ٦ / ٢١٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٥٠٨ .

(٤) المغيرة بن شعبتر بن أبي عامر بن مسعود بن معكب الأمير أبو عيسى ويقال : أبو عبدالله ، وقيل : أبو محمد ، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة ، شهد بيعة الرضوان ، كان عظيم الجسم ذا رأي ثاقب ودهاء ، اعتزل الحرب بين علي ومعاوية . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ٢٨٤-٢٨٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٢١-٣٢] .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٢ .

(٦) صحيح البخاري م ٢ ج ٤ / ٦٤ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ١ الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

وهذا اليقين بالفتح مع ارتباطهم بالله عز وجل هو الذي أعطى المسلمين القوة الهائلة التي لم تستطع جحافل الفرس- بالرغم من قوتها وقهرها - أن تقف أمامها .

المبحث الثاني - رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى :

في السنة السادسة للهجرة وبعد صلح الحديبية وهدوء الأحوال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الاسلام^(١)، فعن أنس رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى»^(٢).

ولقد راعى -صلوات الله وسلامه عليه- أعراف الملوك في ذلك العصر ؛ فإنه لما أخبر أنهم لا يقبلون كتابا إلا عليه خاتم اتخذ خاتما من فضة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى رهط^(٣) أو أناس من الأعاجم فقبل له : إنهم لا يقبلون كتابا إلا عليه خاتم ، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة نقشه محمد رسول الله، فكأنسي بويص^(٤)، أو ببصيص^(٥) الخاتم في أصبع النبي صلى الله عليه وسلم أو في

كفه^(٦) .»

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٤٤-٦٤٥ .

(٢) صحيح مسلم ٢/١٣٩٧ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ٢٧ كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل . سنن الترمذي م ٣ ج ٥/٦٨ ، كتاب الاستئذان ، باب ٢٣ في مكاتبة المشركين ، رقم الحديث ٢٧١٦ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . مسند الإمام أحمد ٣/٣٣٦ .

(٣) الرهط: ما دون العشرة من الرجال . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٢٥٩] .

(٤) الوبيص: البريق . [جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ٧/١٠٤ ، دار صادر ، بيروت] .

(٥) البصيص : البريق ، وقد بص الشيء لمع . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٥٤] .

(٦) صحيح البخاري م ٣ ج ٧/٥٢ ، كتاب اللباس ، باب ٥٠ نقش الخاتم . صحيح مسلم ٢/١٦٥٧ ، كتاب اللباس والزينة ، باب ١٣ في اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى كسرى أبرويز مع عبدالله بن حذافة السهمي ر^(١) فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فأوصله عظيم البحرين إلى كسرى^(٢).

وكان نص الكتاب: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين .
أسلم

تسلم فإن أبيت فإن إثم الجوس عليك »^(٣).

خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم ، أرقام الحديث ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ . سنن الترمذي م ٣ ج ٦٩/٥ ، كتاب الاستئذان ، باب ٢٥ ما جاء في ختم الكتاب ، رقم الحديث ٢٧١٨ .
(١) عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة ، وقد أسره الروم وأرادوه على ترك دينه وتفننوا في تعذيبه لفتنته ولكنه بحمد الله ثبت ، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه . [ابن حجر ، الإصابة ٢/٢٩٦ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ١١/٢-١٦ ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت] .

(٢) صحيح البخاري م ١ ج ١/٢٣-٢٤ ، كتاب العلم ، باب ٧ ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، و م ١ ج ٣/٢٣٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ١٠١ دعوة اليهود والنصارى وعلام يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال . مسند الإمام أحمد ١/٢٤٣-٢٤٤ ، ٣٠٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٥٤-٦٥٥ . محمد الزرقاني ، شرح المواهب اللدنية ٣/٣٤٠-٣٤١ ، دار المعرفة ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ ، بيروت ، وبهامشه زاد المعاد لابن القيم .

وما إن قرأ كسرى الكتاب حتى مزقه^(١) وقال: « يكتب إليَّ بهذا وهـو عبدي»^(٢) ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق^(٣).

كانت هذه الرسالة أول لبنة في بناء الدعوة إلى الله المقامة على أرض فارس، وقد رأينا كيف راعى فيها الداعية الأول صلى الله عليه وسلم الأعراف التي لا تصادم الإسلام، ومع ذلك تحطمت على صخرة كبر وغطرسة ملك الفرس؛ فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فكان ذلك.

ولم يكتف كسرى بهذا بل بعث إلى عامله على أرض اليمن بادان^(٤) يطلب منه أن يبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من الرجال الأشداء ليحضراه إليه،

علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية ٢٩١/٣ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١ ، ١٣٨٤هـ ، مصر.

(١) صحيح البخاري م ١ ج ١/٢٣-٢٤ ، كتاب العلم ، باب ٧ ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، و م ١ ج ٣/٢٣٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ١٠١ دعوة اليهود والنصارى وعلام يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال . مسند الإمام أحمد ١/٢٤٣-٢٤٤ ، ٣٠٥ .
(٢) تاريخ الطبري ٢/٦٥٥ .

(٣) صحيح البخاري م ١ ج ١/٢٣-٢٤ ، كتاب العلم ، باب ٧ ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ، و م ١ ج ٣/٢٣٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ١٠١ دعوة اليهود والنصارى وعلام يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال . مسند الإمام أحمد ١/٢٤٣-٢٤٤ ، ٣٠٥ .

(٤) بادان عند ابن حجر ، وعند الطبري بادان ، أحد كبار الفرس ، وقد ولاه كسرى ملك اليمن ، ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أسلم عندما علم صدقه سنة ست من

فلما ذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سلط الله ولد كسرى عليه فقتله ، فأعلمهما الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وحدد الساعة والليلة والشهر الذي حدث فيه هذا فأبلغا بادان ذلك ^(١) .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل لبادان يدعو إلى الإسلام ، ورغبة في الإسلام بإقراره على ملكه إن أسلم ، وانتظر بادان حتى ينظر في نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر كسرى ، فلما ظهر صدقه أسلم وأسلم معه بعض الفرس ^(٢) ؛ وبهذا دخلت اليمن وهي إحدى الولايات التابعة لفارس إلى حياض الدعوة الإسلامية .

المبحث الثالث - بداية الفتح في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

الهجرة ، وقد وعده النبي صلى الله عليه وسلم بإيقائه على ملكه إن أسلم فكان ذلك ، وبعد وفاته استعمل ابنه على بعض عمله . [تاريخ الطبري ١٤٨/٢ ، ١٨٨ ، ٢١٥ ، ٦٥٥-٦٥٧ . و ١٥٨/٣ ، ٢٢٧-٢٢٩ ، ٢٣٦ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ١/١٧] .

(١) تاريخ الطبري ٦٥٥/٢ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ١/١٦٩ ، مكتبة المثنى ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ ، بغداد ، وبهامشة الاستيعاب في معرفة الأوصياء لابن عبد البر .

(٢) تاريخ الطبري ٦٥٦/٢ . السيوطي ، الخصائص الكبرى ١٣٦/٢-١٣٧ ، تحقيق : د. محمد بن خليل بن هراس ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

في أواخر حروب الردة كان المثنى بن حارثة الشيباني ^(١) يهاجم السواد، وانتشرت انتصاراته حتى بلغت أبا بكر رضي الله عنه فسأل: « من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ » فأخبر عنه وعن علو نسبه ومكانته ^(٢).
وأحب المثنى رضي الله عنه أن يضفي الرسمية على عمله فقدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وطلب أن يوليه على قومه لانتشار الإسلام فيهم ؛ ليقاتل بهم الفرس ^(٣)، فوافق أبو بكر رضي الله عنه على ذلك ، واستمر المثنى رضي الله عنه على مهاجمة السواد لمدة عام أو نحوه ^(٤)، ثم بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة للهجرة ^(٥) خالد بن الوليد ^(٦) إلى العراق بعد الانتهاء من حروب الردة بناء على طلب المثنى رضي الله عنه المدد منه ^(٧)، ووجه أبو بكر رضي

(١) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني ، قال ابن حبان : له صحبة ، كان إسلامه وقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، كان شهماً شجاعاً ميمون النفية حسناً الرأي ، أبلى في حروب العراق بلاء حسن، مات سنة ١٤ هـ قبل القادسية . [ابن حجر ، الإصابة ٣/٣٦١-٣٦٢] .

(٢) أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٢ ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان بن محمد بن رضوان ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، بيروت . علي بن محمد الجزري ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/٢٨٤ ، دار الفكر .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ٣/٣٦١ . ابن الأثير ، أسد الغابة ٤/٢٨٤ .

(٤) محمد بن عبد الله الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٥٣ ، تحقيق : عبد المنعم بن عبد الله بن عامر ، مؤسسة سجل العرب .

(٥) تاريخ الطبري ٣/٣٤٣ .

(٦) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان ، أسلم سنة سبع بعد خيبر، أرسله أبو بكر إلى قتال المرتدين فأبلى في قتالهم بلاء عظيماً ، ثم ولاءه حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً ، مات بحمص سنة ٢١ هـ . [ابن حجر ، الإصابة ١/٤١٣-٤١٥] .

(٧) أحمد بن داود الدينوري ، كتاب الأخبار الطوال ص ١١١ ، تحقيق : عبد المنعم بن عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٩٦٠ م ، القاهرة .

الله عنه بجانب خالد بن الوليد عياض بن غنم - رضي الله عنهما-^(١) وأمره أن يسير إلى العراق من أعلاه من شماليه ، كما أمر خالداً رضي الله عنه أن يتجه إلى أسفله من الجنوب ، وأيهما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه^(٢)، وهي خطة تدل على حنكة الصديق رضي الله عنه حيث جعلهما في مضمار سباق وتنافس شريف .
جعل خالد رضي الله عنه يفتح بلدان العراق واحدة تلو أخرى صلحاً أو عنوة^(٣) حتى وصل إلى الحيرة ، فلما صالحه أهلها جعلت رؤساء البلدان ترى لعقد الصلح معه^(٤) وأمر خالد رضي الله عنه أمراء الثغور بالاستمرار في الفتح فانتشروا في السواد كله

إلى شاطئ دجلة^(٥)^(٦) فصار ما بين الحيرة ودجلة ملكاً للمسلمين^(١).

(١) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد أبو سعد الفهري ، كان خيراً صالحاً زاهداً سخياً ، ممن بايع بيعة الرضوان ، وهو الذي افتتح الجزيرة صلحاً ، واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح لما احتضر على الشام وأقره عمر عليها ، مات سنة عشرين بالشام . [محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٥٤/٢ ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ] .
(٢) تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ .

(٣) انظر تفصيلات ذلك في تاريخ الطبري ٣٤٣/٣-٣٥٩ . وعند ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٤٢/٦-٣٤٧ ، مكتبة المعارف ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت .

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن حبيش ، غزوات ابن حبيش ٤٢/٢ .

(٥) دجلة : النهر العظيم المشهور الذي يشق بغداد . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٥١٥/٢] .

(٦) عبدالرحمن بن خلدون المغربي ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بتاريخ ابن خلدون ٨٩٢/٤ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

وكتب خالد رضي الله عنه إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية فإن أجابوا وإلا حاربهم^(٢) ، لكن الفرس مع اختلافهم في الملك كانوا مجتمعين على قتال خالد^(٣) .

ولم يستطع خالد رضي الله عنه الإقدام في فتح فارس لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعدم التقدم إلى فارس حتى يفتح المعسكرات ، ويؤمننا المسلمين من المباغته من الخلف^(٤) ، وكان هناك مجموعة من المسالحو لم تفتح بعد ، وهي عين التمر والأنبار^(٥) والفراض^(٦)^(٧) ، وكان من المخطط له أن يقوم عياض رضي الله عنه بفتح هذه المسالحو في شمال العراق ، لكن صمدت له دومة الجندل^(٨) قبل وصوله إلى العراق ؛ ولذلك وجب على خالد رضي الله عنه أن يقوم بعمل عياض رضي الله عنه قبل السير إلى المدائن^(٩) .

-
- (١) تاريخ الطبري ٣/٣٧٠ .
 - (٢) غزوات ابن حبيش ٤٤/٢ .
 - (٣) المصدر السابق ٤٥/٢ .
 - (٤) تاريخ الطبري ٣/٣٤٧ .
 - (٥) الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد ، وسميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١/١٢٠] .
 - (٦) الفراض : تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات . [الحموي ، معجم البلدان ٤/٢٤٤] .
 - (٧) تاريخ الطبري ٣/٣٧٢ .
 - (٨) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة ، وسميت دومة الجندل لأنها مبنية به ، وهي قرب جبل طيء . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٢/٥٤٢] .
 - (٩) المدائن : كانت سبع مدن من بناء الأكاسرة على طرف دجلة ، وقيل : إنها من بناء كسرى أنوشروان ، سكنها هو وملوك بني ساسان بعده إلى زمن عمر بن الخطاب ر . [زكريا بن محمد ابن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٥٣ ، دار بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، بيروت] .

وبالفعل خرج خالد رضي الله عنه وقام بعمل عياض رضي الله عنه ففتح الأنبار ثم عين التمر ، ثم ذهب إلى دومة الجندل ليمد عياض بن غنم رضي الله عنه وفتح دومة الجندل ، ثم رجع إلى الحيرة . وحدثت بين المسلمين وبين الفرس ومن الأهم من العرب عدة مصادمات ، كما واجه المسلمون الروم والفرس والعرب مجتمعين بالفراض ، وكان النصر في جميع هذه المصادمات من نصيب المسلمين^(١) .
ويسمي بعض الباحثين هذه المرحلة من الفتح بفتح العراق العربي^(٢) . وقد تم هذا كله في السنة الثانية عشرة للهجرة^(٣) .

وبينما خالد رضي الله عنه في انتصاراته هذه كان المسلمون يجتازون مرحلة صعبة مع

الروم^(٤)؛ فجاء كتاب أبي بكر رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة يأمر خالدا رضي الله عنه بالتوجه إلى الشام^(١)، فخرج إليها وبقي المثنى بن حارثة رضي الله عنه بالعراق^(٢) حيث هزم الفرس بعد ذلك في معركة بابل^{(٣)(٤)} .

(١) انظر تفصيل هذه المصادمات في تاريخ الطبري ٣/٣٧٣-٣٨٤ . وعند أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٤/١٠٦-١١٠ ، دراسة وتحقيق: محمد بن عبدالقادر بن عطا ومصطفى بن عبدالقادر بن عطا ، راجعة وصححه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، بيروت .

(٢) شكري بن فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ص ٦٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٤٣-٣٨٦ .

(٤) أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ) ، كتاب الفتوح ١/١٣٢-١٣٣ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، ط ١ ، ١٣٨٨هـ ، الدكن ، الهند .

وأبطأ خبر أبي بكر رضي الله عنه على المسلمين ، فخلف المثنى رضي الله عنه على المسلمين ، وتوجه نحو أبي بكر رضي الله عنه ليخبره بأحوال المسلمين والمشركين ، وليستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته من المرتدين ، فقدم المثنى رضي الله عنه وأبو بكر رضي الله عنه في مرض الموت ، فدعا أبو بكر عمر - رضي الله عنهما - وأمره إن مات أن يحث الناس على الخروج مع المثنى ر^(٥)، وهكذا انتهى عهد الصديق رضي الله عنه وأحد شقي السواد في سلطان المسلمين^(٦).

(١) الشام: هي من الفرات إلى العريش طولاً ، ومن جبال طيء إلى بحر الروم عرضاً. [القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٠٥ . البغدادي ، مرصد الاطلاع ٧٧٥/٢] .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٢ . أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ١٣٣/٢ ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، بيروت .

(٣) بابل: اسم قرية كانت على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق في قديم الزمان . [القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠٤] .

(٤) غزوات ابن حبيش ٦٦/٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ١٢٣/٤ - ١٢٤ ، وكان سبب هذه المعركة أن فارس استقام أمرها بعد سير خالد من الحيرة بقليل على شهر براز بن أردشير بن شهريار فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمرز جادويه . [ابن كثير ، البداية والنهاية ١٧/٧ - ١٨] .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٨٦/٢ .

(٦) غزوات ابن حبيش ٦٧/٢ .

المبحث الرابع- إكمال الفتح في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما :

تنفيذا لوصية أبي بكر رضي الله عنه بادر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ندب الناس مع المثنى بن حارثة رضي الله عنه فلم ينتدب أحد إلا في اليوم الرابع ، وكان أول منتدب أبو عبيد رضي الله عنه ^(١) فأمره عليهم ^(٢) .

خرج أبو عبيد رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة بعمل المثنى رضي الله عنه إلى العراق، وقد اجتمع الفرس على بوران ^(٣) التي جعلت رستم ^(٤) على أمر فارس ، فكاتب أهل السواد ودس إليهم الأمراء فثاروا بالمسلمين ، وخرج المسلمون إلى المثنى رضي الله عنه بالحيرة ، فسار بهم إلى خفان ^(٥) حتى لا يباغت بمكروه

(١) أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، استشهد في جماعة من المسلمين في قتال الفرس يوم الجسر، وهو والد المختار بن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبدالله بن الزبير سنة ١٣هـ. [ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ١٣٠/٤-١٣١].

(٢) غزوات ابن حبيش ٦٨/٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ١٤٤/٤-١٤٥.

(٣) هي بوران بنت كسرى ابرويز ملكها الفرس بعد قضائهم على شهربراز المتسلط على الملك من غير الساسانيين ، وكانت أعقل وأفضل أمثالها من النساء ، وكلمت الناس من وراء الحجاب فأحسننت وضمنت العدل والإحسان ، وماتت بعد ملكها بثمانية أشهر . [أبو منصور الثعالبي ، تاريخ غرر السير ص ٧٣٥-٧٣٦].

(٤) هو رستم بن الفرخزاد الأرمني ، أحد كبار قادة الفرس ، وكان محط ثقتهم ، ولما اختلفت الفرس على أزميدخت بعثت إليه بوران فأقبل وقضى على الخلاف ، وملك بوران فجعلت أمر فارس إليه عشر سنين، ثم يعود في آل كسرى ، ثم اختلف أهل فارس عليه ، ثم توجو يزديجرد ، وتولى قيادة جيش الفرس بالقادسية وبها قتل. [تاريخ الطبري ٤٤٧/٣-٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩-٥٣٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ، ٦١٦].

(٥) خفان : موضع قرب الكوفة فوق القادسية. [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٤٧٧/٣].

من خلفه ، وبقي حتى جاء أبو عبيد رضي الله عنه ثم التقوا مع
الفرس في النمارق^(١) فهزم الله الفرس^(٢)، ثم كانت وقعة السقاطية^(٣)
بكسكر^(٤)، ثم التقوا مع الفرس بباقيسيثا^(٥) من باروسما^(٦) فهزم الله
الفرس فيهما^(٧). وبعد ذلك كانت وقعة الجسر^(٨) التي هُزم فيها
المسلمون ، وقد هلك يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ما بين غريق
وقتل^(٩)، وهرب ألفان ، وبقي ثلاثة آلاف مع المثنى بن حارثة رضي
الله عنه^(١٠) وأراد الفرس العبور خلف المسلمين فأتاهم الخبر باختلاف
الفرس فرجعوا^(١١).

إن مثل هذا العدد الذي بقي مع المثنى رضي الله عنه يخشى
عليه وقوفه وحده في وجه الفرس ؛ ولذلك نجد عمر بن الخطاب

(١) النمارق: موضع قرب الكوفة من أرض العراق. [البغدادي ، مرصد الاطلاع
١٣٨٩/٣].

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٣) السقاطية : ناحية بكسكر من أرض واسط . [الحموي ، معجم البلدان ٢٢٦/٣] .
(٤) كسكر : كورة واسعة ، وقصبتها واسط القصب التي بين الكوفة والبصرة ، وكانت
قصبتها قبل تمصير الحجاج واسطاً حُسْرُوسابور. [البغدادي ، مرصد الاطلاع
١١٦٥/٣].

(٥) بأقْسِيَاثَا : ناحية بأرض السواد من عمل باروسما. [البغدادي ، مرصد الاطلاع
١٥٦/١].

(٦) باروسْمَا : ناحيتان من سواد بغداد يقال لها باروسما الاعلى وباروسما الأسفل من
كورة الإستان الأوسط. [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١٥١/١ ، ١٥٢] .

(٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥٠-٤٥٣ .

(٨) الجسر : إذا قالوا: الجسر فإنما ينسبون إليه اليوم الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين
والفرس قريب من الحيرة وهو جسر عقد على الفرات عبر عليه أبو عبيد إلى
الفرس . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٣٣٤/١] .

(٩) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب
ومعادن الجوهر ٢/٣٠٨ ، فهرسة : يوسف بن أسعد بن داغر ، دار الأندلس ، ط ٢
، ١٣٩٣ هـ ، بيروت .

(١٠) غزوات ابن حبيش ٨٢/٢ .

(١١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٨ .

رضي الله عنه أخذ يندب الناس ويبعثهم إلى المثنى رضي الله عنه (١) ، كما أن المثنى رضي الله عنه كاتب من حوله من المسلمين فأتوا إليه في جمع عظيم (٢) ، فلما سمع الفرس بذلك أرسلوا جيشاً كثيفاً فالتقى الجميع بالبويب (٣) ، فنصر الله المسلمين نصراً مؤزراً فيقال : إنه هلك من الفرس يومئذ قريب من مائة ألف ، والله الحمد والمنة (٤) ، وبعث المثنى رضي الله عنه الخيل تلاحق الفرس فبلغوا السيب (٥) ، واستأذنوه في التقدم فسمح لهم فأغاروا حتى ساباط (٦) ، ثم انتشروا في السواد فيما بينه وبين دجلة لا يخشون مكروها (٧) .
وأحب المثنى رضي الله عنه أن يزيد من القوة المالية للمسلمين فأغار على سوق

الخنافس (٨) وسوق بغداد (٩) وأخذ ما فيها من أموال ، إلى جانب غارات أخرى صغيرة (١) .

-
- (١) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٤ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٣/٢ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٣ .
(٣) البويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات . [الحموي ، معجم البلدان ٥١٢/١] .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٩ /٧ .
(٥) السيب : كورة من سواد الكوفة ، وهما سييان الأعلى والأسفل . [الحموي ، معجم البلدان ٢٩٣/٣] .
(٦) ساباط كسرى : قرية كانت قريبة من المدائن عندها قنطرة على نهر الملك ، وكان القرية سميت بالقنطرة لأنها ساباط . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٦٨٠/٢] .
(٧) تاريخ الطبري ٤٧٠/٣ .
(٨) سوق الخنافس : يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد ، وربيعة وقضاة يخفرونهم . [ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٦/٢] . والخنافس : أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البردان ، في شرقي الفرات كانت تقام فيه سوق للعرب في الجاهلية . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ٤٨٣/١] .
(٩) سوق بغداد : قرية قرب الحيرة تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة ؛ فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد . [الحموي ، معجم البلدان ٤٥٧/١] .

لم تكن هذه الأحداث بمعزل عن أهل فارس ، فلما رأوا ذلك حرصوا على أن يجدوا ابنا لكسرى ليجتمعوا عليه، فلم يلقوا إلا غلاما اسمه يزدجرد له من العمر عشرون عاما ، فاجتمعت كلمتهم عليه وقويت به فارس ، وأخرجوا المسلمين من المروج ، وكفر أهل السواد ، وخرج المسلمون إلى الأطراف^(٢).

فلما بلغ عمر رضي الله عنه ذلك أراد الخروج إلى العراق بنفسه ، ثم استشار فأشير عليه بالمقام ، فبقي وبعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه^(٣) ووصاه^(٤)، وتوالت الكتب من عمر بن الخطاب إلى سعد - رضي الله عنهما - توجهه في عمله ، وفي المقابل كان سعد يكتب لعمر يصف له الوضع كأنه يراه^(٥).

وفي جبهة الفرس أمر يزدجرد كسرى فارس رستم بالخروج فانبعث في مائة ألف وعشرين ألفا ، فعلم عمر رضي الله عنه بذلك فكتب إلى سعد رضي الله عنه أن يبعث إلى يزدجرد رسلا ، فقام سعد رضي الله عنه بذلك ولكن لم تحقق الرسل أي تقدم سلمي^(٦).

انتهت الأمور إلى اجتماع جيش المسلمين والفرس ، ودارت مفاوضات بين رستم قائد الفرس ورسل المسلمين ، ظهرت فيها براعة

(١) تاريخ ابن خلدون ٩١٣/٤-٩١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ١٤٩/٤-١٥٠ . ولم يُفصل في قضية سوق الخنافس .

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٤٣ /٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٤٣/٢ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٥ .

(٤) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ١٧٣/١ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٦/٧-٣٨ . عبدالعزيز بن إبراهيم العمري ، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ص ١٢٢ ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٦-٢٥٨ .

المسلمين في إظهار روعة الإسلام وحسنه ، وغرس الرعب في قلوب
الفرس^(١).

ولما لم تفلح الرسل في مساعيها كان السيف هو الفيصل بين
الفريقين ، ودارت معركة من أعتى وأشد معارك التاريخ ، ألا وهي
معركة القادسية^(٢) التي انتهت بالنصر الحاسم للمسلمين ، وقُتل رستم
قائد الفرس وانهزم أتباعه^(٣). وكان لهذه المعركة أهمية خاصة حيث
فتحت أمام المسلمين الطريق إلى المدائن.

وبعد شهرين من القادسية وفي سنة خمس عشرة للهجرة تقدم سعد
رضي الله عنه إلى المدائن ، ودارت في الطريق إليها عدة وقائع بين
المسلمين والفرس لم يثبت فيها الفرس وانهزموا^(٤)، ثم تقدم سعد
رضي الله عنه إلى بَهْرَسِير^(٥) في ذي الحجة سنة ١٥ هـ ولم يستتم
فتحها إلا في سنة ١٦ هـ ، ثم اقتحموا دجلة ودخلوا المدائن التي فيها
إيوان كسرى فأقاموا فيها^(٦). ومنها انطلقت الجيوش تقضي على
التجمعات الكبيرة من الفرس ومن الأهم فكانت وقائع وفتوحات منها :
جلولاء^(٧)، وحلوان، وتكريت، والموصل^(١)، وماسبَدَان^(٢)، وقرقيسيا^(٣)
^(٤)؛ وبذلك صار السواد كله في يد المسلمين.

(١) سيأتي تفصيل لهذا في فصل الرسل ص ١٢٨ وما بعدها من هذا البحث إن شاء الله
تعالى.

(٢) انظر تفصيل المعركة في تاريخ الطبري ٥٣٨/٣ وما بعدها.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٤٤/٢-١٤٥. مطهر بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ) ، البدء
والتاريخ ١٧٤/٥ . مكتبة الأسد ، ١٩٦٢ م ، طهران.

(٤) هذه الوقائع هي برس وبابل وكوثي . انظر تفاصيلها في تاريخ الطبري ٦١٩/٣-
٦٢٤.

(٥) بهر سير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي في غربي دجلة [الحموي ،
معجم البلدان ٥١٥/١] .

(٦) تاريخ الطبري ٦٢٢/٣-٦٢٣ و ٥/٤-١٦ .

(٧) جلولاء : بالمد طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان ، بينها وبين خانقين
سبعة فراسخ . [الحموي ، معجم البلدان ١٥٦/٢] .

ولما لم تناسب المدائن المسلمين انتقلوا إلى الكوفة ، واستقروا بها عام سبع عشرة للهجرة^(٥).

وهكذا رأينا تتابع الأحداث في شمال العراق ، ونرجع قليلا إلى الوراء لننظر ما يدور في أسفل العراق ، فقد كانت هناك جبهة أخرى حيث كان قطبة بن قتادة

السدوسي رضي الله عنه^(٦) يغير بناحية البصرة^(٧) إبان كون المثنى بن حارثة رضي الله عنه يغير بناحية الحيرة ، وقد استمد قطبة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -^(٨) فوجه إليه شريح بن عامر أحد بني

(١) الموصل : المدينة المشهورة والعظيمة باب العراق وخراسان تقع على طرف دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرقي نيوني ، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١٣٣٣/٣] .

(٢) ماسبذان: مدن عدة منها أريوجان ، ومن هذه المدينة إلى الرّدّ عدة فراسخ، ثم نخرج منها إلى السيروان ومنها إلى الصيمرة . [الحموي ، معجم البلدان ٤١/٥] .

(٣) قرقيسيا : بلد على الخابور عند مصبه ، وهي على الفرات ، جانب منها على الخابور ، وجانب على الفرات فوق رحبة مالك بن طوق . [البغدادي ، مرصد الاطلاع ١٠٨٠/٣] .

(٤) انظر تفاصيل هذه المعارك في غزوات ابن حبيش ٢٧١/٢-٢٨٨ .

(٥) خليفة بن خياط الليثي العصفري ، تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣٨ ، تحقيق : د. أكرم بن ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ .

(٦) قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي أبو الحويصلة ، قال البخاري : له صحبة . وقال ابن حبان : أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه . واستخلفه خالد على البصرة لما سار إلى السواد . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ٢٣٧/٣-٢٣٨] .

(٧) البصرة : هي البلد المشهور بالعراق ، مصرّها عتبة بن غزوان بإذن من عمر بن الخطاب . [الحموي ، معجم البلدان ٤٣٠/١ ، ٤٣٢] .

(٨) يحدد الدينوري وقت استمداد قطبة عمر بن الخطاب حينما بلغ قطبة ظفر المثنى في معركة البويب، الأخبار الطوال ص ١١٦ .

سعد بن بكر رضي الله عنه^(١) حيث قُتل في إحدى المعارك فبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن غزوان رضي الله عنه^(٢) واليا علي البصرة مع رجال معه^(٣) ؛ ليقطع إمدادات تلك الناحية عن شمال العراق ، فنزل عتبة رضي الله عنه البصرة سنة أربع عشرة للهجرة^(٤) ، وقد قامت هذه الجبهة بمشاغلة أهل هذه الناحية، كما قامت بعدة عمليات حربية لتطهير هذه المنطقة من الفرس^(٥) ، وكانت الأهواز^(٦) تتاخم حدود البصرة وكان فيها الهرمزان^(٧) ، وكان يغير على المسلمين فاستمد عتبة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما -

(١) شريح بن عامر بن قيس بن عامر بن عمير من بني سعد بن بكر ، قال أبو عمر : له صحبة . واستخلفه خالد بن الوليد على الجزية بالبصرة حين سار إلى الشام ، وولاه عمر البصرة فقتل بالأهواز [أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٤٦/٢-١٤٧ ، مكتبة المثنى ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ ، بغداد ، بهامش الإصابة لابن حجر . ابن حجر ، الإصابة ١٤٦/٢-١٤٧] .

(٢) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني حليف بني عبد شمس أو بني نوفل ، من السابقين الأولين ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع إلى المدينة رفيقا للمقداد ، وشهد بدرا وما بعدها ، وولاه عمر في الفتوح فاخطت البصرة ، وفتح فتوحا ، وكان طوالا جميلا ، روى له مسلم وأصحاب السنن . [ابن حجر ، الإصابة ٤٥٥/٢] .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٣٨/٢ . تاريخ ابن خلدون ٩٤٢ / ٤ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٢٩ . الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٦ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣-٥٩٦ .

(٦) الأهواز: كورة عظيمة ، قيل : هي سبع كور بين البصرة وفارس . لكل كورة منها اسم ، والأهواز يجمعهن ولا ينفرد الواحد منها . [البغدادي ، مراصد الاطلاع ١٣٥/١] .

(٧) الهرمزان المرجاني ، أحد كبار قادة الفرس ، كان على ميمنة رستم عندما زحف إلى القادسية فلما انهزم يوم القادسية توجه إلى أمته وهم مهرجان قذق وكور الأهواز فملكهم وقاتل بهم من أرادهم ، ثم كانت بينه وبين المسلمين حروب انتهت إلى نزوله على حكم الخليفة عمر ، ثم أسلم ، ثم قتل عبيد الله بن عمر سنة ٢٤هـ لاعتقاده أنه شارك في قتل أبيه . [تاريخ الطبري ٥٠٤/٣ ، ٥١٠ ، ٥١٥ ، ٧٢/٤ ، ٧٤ ، ٧٦-٧٨ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣] .

فأمده، ووجه عتبه رضي الله عنه جيشاً وحاربوا الهرمزان وانتصروا عليه ووصلوا دُجَيْل^(١) فكان هو الفاصل بينهم ، ثم كاتبهم الهرمزان في الصلح لضعفه فصالحوه ، ثم انتقض واستعان بالأكراد ، فحاربه المسلمون وهزموه ؛ وبذلك اتسق للمسلمين الأهواز إلى نُستَر^(٢)، ثم راسلهم الهرمزان في الصلح فصالحوه على ما لم يفتحه المسلمون ، وكان حرب المسلمين مع الهرمزان في سنة ١٧ هـ^(٣) .

وفي هذه السنة أيضاً قام العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ^(٤)أمير البحرين بإرسال مجموعة من الجند إلى ولاية فارس عن طريق البحر فخرجوا في اصْطَخْر^(٥)، وبإزائهم أهل فارس فحالوا بين المسلمين والسفن إلا أن ذلك لم يؤثر في عزيمة المسلمين وقوتهم فقاتلوهم وهزموهم ، ثم خرجوا يريدون البصرة بعد أن يئسوا من الرجوع عن طريق البحر ، وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا فأرسل عتبه بن غزوان رضي الله عنه من ينقذهم بأمر من عمر رضي الله عنه فاستنقذوهم وهزموا أهل فارس هزيمة منكراً ^(٦) .

(١) دجيل :نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، ومخرجه من أرض أصبهان، ومصبه في بحر فارس قرب عبّادان. [الحموي ، معجم البلدان ٤٤٣/٢] .

(٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان أيام الحموي ، وهي مختطة على شكل فرس ، وبها أنهار كثيرة أعظمها نهر تستر. [الحموي ، معجم البلدان ٢٩/٢] .

(٣) تاريخ الطبري ٧٢/٤ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ .

(٤) العلاء بن الحضرمي : كان اسمه عبدالله بن عثمان بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي ، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين ، وأقره أبو بكر ثم عمر ، مات سنة أربع عشرة ، وكان يقال : إنه مجاب الدعوة ، وخاض البحر بكلمات قالها وذلك مشهور في كتب الفتوح. [ابن حجر ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ٤٩٧/٢-٤٩٨] .

(٥) اصطخر : بلدة بفارس ، يقال : إن كور فارس خمس، وأكبرها وأصلها كورة اصطخر. [البغدادي، مرصد الاطلاع ٨٧/١] .

(٦) غزوات ابن حبيش ٣٠٩/٢-٣١٢ .

وحرص يزدجرد أهل فارس فتعاقدوا وأهل الأهواز ونقض
الهرمزان العهد فتوجه جند من الكوفة وجند من البصرة وفتحوا
رامهرمز^(١) وتستر وغيرها^(٢).

إن الهزائم المتتالية التي لحقت بالفرس أثارت حفيظتهم فكاتبوا
ملكهم الذي وجه رسله إلى البلدان يستحثهم على قتال المسلمين^(٣)،
فاجتمعت له جموع عظيمة فوجههم إلى نهاوند^(٤)، فعلم عمر رضي
الله عنه بذلك فوجه الجيوش إليها بقيادة النعمان بن مقرن ر^(٥) سنة
إحدى وعشرين^(٦) فدارت معركة قوية انتصر فيها المسلمون انتصاراً
باهراً^(٧)، وسُمي هذا النصر بفتح الفتوح ؛ إذ لم يكن بعده حرب
عظيمة بين الفرس والمسلمين^(٨) ، «وكانت إيذاناً بسقوط المقاومة
المنظمة كلها ، وتشنت القوى الفارسية في جهود فردية يقوم بها حكام
المقاطعات على غير تساند وعون»^(٩).

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . [الحموي ، معجم البلدان ١٧/٣] .
(٢) انظر تفاصيل ذلك عند ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٨٢/٢-٣٨٨ وابن كثير ،
البدية والنهاية ٨٥/٧-٨٩ . وفي تاريخ ابن خلدون ٩٦٥/٤-٩٦٨ .
(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٣ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣ .
(٤) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همدان بينهما ثلاثة أيام . [الحموي ، معجم البلدان
٣١٣/٥] .

(٥) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني ، يكنى أبا عمرو ، كان صاحب لواء مزينة يوم
الفتح ، وهاجر النعمان ومعه سبعة إخوة له ، ثم سكن البصرة ، وتحول عنها إلى
الكوفة ، وقدم المدينة بفتح القادسية ، واستشهد في نهاوند . [ابن عبد البر ، الاستيعاب
٥٤٥/٣-٥٤٨] .

(٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٣-١٣٥ .
(٧) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣٣٢/٢ .
(٨) أبو زيد شلبي ، الخلفاء الراشدون ص ١٣٠ .
(٩) شكري بن فيصل ، حركة الفتح الإسلامي ص ٢٠٥ .

وبعد نهاوند أمر عمر رضي الله عنه بالانسياح في بلاد العجم^(١)،
وقد تولى عملية الانسياح في البلاد جبهتا البصرة والكوفة^(٢)،
واستطاع المسلمون أن يخضعوا الغالبية
العظمى من بلاد فارس .

ولما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة كان ملك
المسلمين قد توطد في غالب بلاد فارس، وبعضه لم يتوطد فيه الملك
وهو ما بعد عنهم^(٣)، وبعض بلاد فارس لم تفتح بعد ، فقام المسلمون
بتوطيد ملكهم في تلك البلاد ، ومتابعة الفتح في البلاد التي لم تفتح^(٤)
حتى قتل يزيدجرد في عام ثلاثين للهجرة ، وانقضت بقتله الدولة
الساسانية^(٥)، وصفا الملك بعده للمسلمين^(٦) .

وكان يحصل بين الحين والآخر انتقاضات من الفرس لكن بحمد
الله ومنته كان المسلمون يخدمونها ويقضون عليها ويعيدون فتح البلاد
مرة أخرى ، وكان المسلمون يستخدمون وسائل وأساليب الدعوة
المتاحة لهم سواء في السلم أو الحرب في البلاد المفتوحة^(٧) .

وبعد أن سرنا مع مراحل سير الدعوة التي نفذها وقام بجميع
أدوارها رجال أفذاذ بذلوا أنفسهم لهذه الدعوة ، فهل يا ترى كانت
الدعوة تسير بدون عوائق وصعوبات ؟ أم أنها واجهت ذلك ؟ وإذا

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٨/٣ . محمد بن رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب
ص ٣٠١ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ .

(٢) نظم الأستاذ أحمد بن عادل بن كمال عملية الانسياح فيحسن الرجوع إليه ، سقوط
المدائن ص ٢٢١ ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .

(٣) عبدالوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ص ٢٧٩ .

(٤) انظر تفصيل ذلك عند ابن الأثير ، الكامل في التاريخ
٤٣،٤٤،٥٠،٥١،٥٤،٥٥،٦١،٦٥/٣ .

(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٤٠ .

(٦) عبدالوهاب النجار ، الخلفاء الراشدون ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٧) هذا ما سنفصله - إن شاء الله تعالى - في باب وسائل الدعوة وباب أساليب الدعوة .

كانت الإجابة بالإثبات فما هذه العوائق ؟ هذا ما نتناوله - إن شاء الله تعالى - في الفصل القادم .

الفصل الثاني العقبات التي واجهتها الدعوة

لم يكن طريق الدعوة يوماً ما معبداً مريحاً ، ولا مفروشاً بالزهور والرياحين ، لكنه مليء بالمتاعب والأشواك والصخور .
لقد واجهت الدعوة الإسلامية منذ أن بزغ فجرها عتو قريش وعنادها وطغيانها، ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انضم أعداء جدد للدعوة الإسلامية من اليهود والمنافقين .
ولما توجهت الدعوة الإسلامية إلى العراق وفارس اصطدمت بالحواجر المعيقة للدعوة والمضايقة لها ، كان أولها كبر ملوك فارس وليس هو آخرها .

وإذا نظرنا إلى العقبات التي واجهتها الدعوة في العراق وفارس أمكن تقسيمها إلى ما يلي :

أولاً - ما يتعلق بالفرس ويشمل :

١ - الكبر والصلف لدى زعماء فارس .

٢ - تفوق الفرس المادي .

٣ - اتحاد الفرس بعد تفرقهم .

ثانياً - ما يتعلق بالعرب غير المسلمين ويتضمن عائناً واحداً ، وهو وقوف هؤلاء العرب مع الفرس .

ثالثاً - ما يتعلق بأرض العراق وفارس ويتضمن عائناً واحداً ، وهو ما واجهه المسلمون من عقبات جغرافية .

رابعاً - ما يتعلق بالمسلمين ويشمل :

١ - إحساس المسلمين بتفوق الفرس وخوفهم منهم .

٢- الفتن بين المسلمين .
وسأحاول - بمشيئة الله تعالى- إلقاء الضوء على هذه العقبات فيما يلي :

المبحث الأول - الكبر والصلف لدى زعماء فارس:
الكبر : هو الركون إلى رؤية النفس أفضل من المستكبر عليه أو عليهم^(١).

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، إحياء علوم الدين ٣/٣٣٤ ، قدم له : د. بدوي طبانة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

والكبر من الأمراض النفسية الخطيرة ؛ ذلك أنه متى سيطر على عقل المتكبر وإرادته دفعه بقوة إلى رد الحق وطمس معالمه .
وقد ذم الله عز وجل الكبر وجعله سببا في صرف العبد عن آياته سبحانه وتعالى ، قال الله عز وجل: { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق }^(١).

كما أن الكبر سبب للطبع على قلب صاحبه ، قال تعالى: { كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار }^(٢).

وكان لدى الفرس نزعة قومية يمجدون بها أنفسهم ويميزونها عن غيرهم، فهم يعتقدون أنهم أفضل الناس جميعا من كل الوجوه^(٣).

وكانوا يرون أن الله قد ميزهم وخصهم بمواهب لم يعطها أحداً سواهم ، وكانوا ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة ازدراء واحتقار^(٤).

وكانت الأمة العربية من أحقر الناس عند الفرس، صرح بذلك قائدهم في القادسية رستم حيث يقول للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه :
« ولم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم ، كنتم أهل كشف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا »^(٥). وهو ما صرح به الدهاقين يوم قالوا :
« قاتل الله أولينا ما كان أحقهم حين كانوا يُصعَّرون أمر هذه الأمة »^(٦).

وقد اصطدمت الدعوة الإسلامية في بدايتها بهذا العائق ، فلما أرسل المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- إلى كسرى فارس يدعوه

(١) آية ٤٦ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٣٥ من سورة غافر .

(٣) أول ديورانت ، قصة الحضارة ٤٣٢/٢ ، ترجمة :د. زكي بن نجيب بن محمود ، مطابع النجوى ، ط ٤ ، ١٩٧٣م ، القاهرة .

(٤) الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٢ .

(٥) غزوات ابن حبيش ١٥٤/٢ .

(٦) المصدر السابق ١٥٣/٢ .

إلى الإسلام ما كان منه إلا أن مزَّق الكتاب^(١) وقال: « يكتب إليّ بهذا وهو عدي»^(٢)، ثم كتب إلى بادان وهو باليمن يطلب منه إحضار النبي محمد صلى الله عليه وسلم^(٣). فكسرى مزَّق رسالة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه- في الحال دون رجوع أو استشارة لأحد من ذوي الرأي والفكر من وزرائه ، ثم بين سبب استشاطته غضبا وهو نظرته إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عبد من عبيده ؛ ولهذا فهو يستحق أن يذيقه أشد العذاب ، فليؤت به عاجلا حتى يتولى بنفسه الإشراف على إنزال العقاب به .

ولم يكن هذا الأمر مستغربا في حق الكسروية الذين كان الناس يقدسونهم وينظرون إليهم ككائنات إلهية ، وأن لهم حقا على كل إنسان^(٤).

وحينما بعث شهربراز^(٥) جيشاً إلى المثنى رضي الله عنه في بابل كتب إليه قائلاً : إني قد بعثت إليك جندا من وخش^(٦) أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم»^(٧).

(١) صحيح البخاري م ١ ج ١/٢٣-٢٤ ، كتاب العلم ، باب ٧ ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان.

(٢) تاريخ الطبري ٦٥٥/٢ .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ١٦٩/١ .

(٤) الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٠ .

(٥) هو شهربراز بن أردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى ثم إلى سابور ، ملك سنة ثلاث عشرة للهجرة وقتل فيها ، واتفقت كلمات أعيان فارس على كراهته ، واجتمع المتفرقون على بغضه. [تاريخ الطبري ٢٣١/٢ و ٤١١/٣-٤١٣ . أبو منصور الثعالبي ، تاريخ غرر السير ص ٧٣٣-٧٣٥] .

(٦) وخش الناس: أي من رذالهم ، وأوخاش من الناس أي سقاطهم. [الرازي ، مختار الصحاح ص ٧١٣] .

(٧) تاريخ الطبري ٤١٢/٣ .

وعندما أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى يزيدجرد جماعة ليدعوه إلى الإسلام فقال لهم يزيدجرد : وما جرأكم علينا ؟ فتكلم النعمان بن مقرن رضي الله عنه فبين رحمة الله بالعالم والعرب وإرساله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبين ما يدعو إليه وثمره ذلك في الدنيا والآخرة ، وكيف أن الله مكن لرسوله صلى الله عليه وسلم وكانت العاقبة له - كان المتوقع من يزيدجرد أن يناقش صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكننا نجد أنه يعرض عن هذا بالكلية ويقول : « قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم ، لا تغزوكم فارس ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس ، فإن كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم ، وملأنا عليكم ملكاً يرفق بكم»^(١). فيقوم المغيرة بن زرارة رضي الله عنه^(٢)، ويجيب على كلامه ، فيبين أن العرب كانوا على ما ذكر يزيدجرد من سوء الحال وأشد ، ثم ذكر من سوء عيش العرب ، وذلك لأنه لا عيب في شدة العيش والفقر ، ثم ذكر إرسال الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم نحو قول النعمان رضي الله عنه وقتال من خالفهم أو الجزية. وفي كلامه تأكيد لما في كلام النعمان رضي الله عنه من ذكر الغاية التي جاءت بهم إلى فارس ، لكننا نجد يزيدجرد لا يلتفت إلى هذا كله ويقول متكبراً: « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ، ثم استدعى بوقر من تراب فقال: احمطوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليه رستم حتى

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٥/٢-٣١٦.

(٢) هو المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب الأسيدي ، حضر القادسية ، وكان أحد الرسل إلى يزيدجرد، وممن تكلم معه ، وكان ذا عقل ومنطق ورأي. [تاريخ الطبري ٤٨٦/٣-٥٠٠].

يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية، وينكل به وبكم ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور^(١)»^(٢).

فالغاية التي جاءت بالمسلمين لا يلقي لها يزدجرد بالا ولا يناقش فيها ، وليس ذلك عن تكذيب لهم وإنما كبرا واحتقارا للعرب ، ولقد أفصح عن إعجابه بمنطقهم لرستم بعد انصرافهم عنه حيث قال: « ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا عليّ ، وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم ، وأخبره بكلام متكلمهم وقال: لقد صدقني القوم ، لقد وعد القوم أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه»^(٣).

كما يظهر الكبر أيضاً لدى القادة ومن حولهم ، فهذا عقة بن أبي عقة قائد نصارى العرب قبل وقعة عين التمر يقول لقائد الفرس: « إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا . قال : صدقت لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم» ، فما حملت الأعاجم هذا من قائدها وقالت له : « ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب»^(٤).

هذا الكلام عن العرب الذين اتفقوا معهم في الهدف ، وهو عداوة المسلمين وقتالهم ، فكيف بمن خالفهم وعاداهم ؟
وهذه الكلمة نسمعها أيضاً من رؤساء أهل فارس عندما مدح رستم المسلمين ورأوا منه ميلا إلى دينهم حيث قالوا : « معاذ الله لك أن تميل

(١) هو سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن ترسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ، ولد مملكا بوصية أبيه هرمز ، فاجتراً الناس على فارس في بداية عهده لكونه طفلاً ، ومنهم العرب فلما كبر أوقع بالعرب وقتل منهم ، وقد ضري بقتل العرب ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك ؛ فسموه ذا الأكتاف ، وكانت بينه وبين الروم حروب. [تاريخ الطبري ٥٥/٢-٦٢] .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٣١٥/٢-٣١٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤١/٧-٤٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٠١/٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٣٧٦/٣ .

إلى شيء من هذا [يعني الإسلام] وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه»^(١).

وقبل هذا الموقف نرى أنفتهم من الإسلام عندما كلمهم رستم أيضا بعد حديثه لزهرة بن حوية رضي الله عنه^(٢)^(٣).

بل إن رستم الذي يعتبر من أشدهم قربا وميلا للإسلام حتى حسن تعاليمه^(٤) لم يتخلص من هذا الداء الدفين ، فعندما جاءه آخر وفد من المسلمين ودعوه بحكمة ولين قابل ذلك بكل صلف وكبر قائلا : « إن الأمثال أوضح من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تبصروا» ، ثم ضرب لهم مثلهم بالثعالب والذباب والجرذان^(٥) مع أنه كان في قرارة نفسه يخشى العرب ويخافهم .

ولما لم يستجيبوا لتهديده ويرضخوا لمطالبه وعرضوا عليه الإسلام أو الجزية أو القتال قال مغضبا : « ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب، لا أمسي غدا حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم »^(٦).

(١) تاريخ الطبري ٥٢٠/٣ ، ونحوه عند محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩) . الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٨١ ، دار صادر ، ١٣٨٦ هـ ، بيروت.

(٢) زهرة بن حوية بن عبدالله بن قتادة التميمي السعدي ، أوفده ملك هجر على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم شهد القادسية مع سعد وأبلى في فتوح العراق ، وعاش إلى زمن الحجاج فقتل في وقعة شبيب الخارجي وهو يقاتل الخوارج سنة سبع وسبعين. [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٥٢/١] .

(٣) غزوات ابن حبيش ١٤٨/٢-١٤٩. وانظر حديث زهرة مع رستم ص ٢٤٧-٢٤٨ من هذا البحث.

(٤) المصدر السابق ١٤٨/٢-١٤٩.

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٣/٢ وسترده هذه الأمثال مفصلة في ص ١٤٦ وما بعدها من هذا البحث .

(٦) تاريخ الطبري ٥٧٤/٣.

بل أعظم من هذا فقد تكبر على الله تعالى فعندما عزم رستم على قتال المسلمين ولبس سلاحه ووثب على فرسه فإذا هو عليه لم يمسه قال: « غدا ندقهم دقا. فقال له رجل : إن شاء الله. فقال : وإن لم يشأ »^(١).

وفي نهاوند عندما ذهب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسولا إليهم لقي منهم العنت والصلف والكبر ، فقد دفعوه وكفوه ، ولما قال المغيرة رضي الله عنه لهم : « إن الرسل لا يفعل بهم هذا » أجابوه بكل احتقار : « إنما أنت كلب ».

ولما وصل إلى قائدهم وجد أنه أشد منهم كبرا ، وأبعد منهم في الغطرسة فقد استقبله بقوله : « إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاء ، وأقدر الناس قذراً ، وأبعد داراً وما منعني أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسوا لجيفكم فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نخل عنكم وإن تأتوا نركم مصارعكم »^(٢). فانظر إلى جواب هذا الملك بعد أن وطئ المسلمون بلاده ، وامتلكوا عاصمة دولته ، ودحروا جيوش الفرس الجرارة قبله ، لكنه الكبر .

ورضي الله عنه عمر بن الخطاب عندما قال لأبي عبيد رضي الله عنه حينما وجهه لفرس : « إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية^(٣) ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشر فعملوه وتناسوا الخير فجعلوه »^(٤).

ولعل هذا يفسر لنا تلك الظاهرة القوية في بلاد فارس وهي كثرة الانتفاضات^(٥) حتى اعتبرها بعض الباحثين أهم ما يميز الفتوحات

(١) المصدر السابق ٥٣٠/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١١٨/٤ .

(٣) الجبرية : أي الكبر. [الرازي ، مختار الصحاح ص ٩١] .

(٤) تاريخ الطبري ٤٥٤/٣ .

(٥) انظر على سبيل المثال : تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،

١٦٥ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٩ ،

٣٧٠ . تاريخ الطبري ١٦٧/٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٨٢/٢ . و ١٠/٣ .

العربية الإسلامية في هذا الجناح ، « فلم تكد المقاطعة أو المدينة تصلح حتى تنتقض الصلح وتتمرد على الحكم العربي الإسلامي »^(١) ، ويمكن القول : « إنه ما من شبر من هذه الأرض لم ينتقض مرة إثر مرة ، وما من بلد لم تتزلزل فيه أقدام المسلمين الحين بعد الحين »^(٢) . وهذا الداء والعائق قد عالجه المسلمون بالقوة والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وإزهاق أصوات هؤلاء ورد كيدهم إلى نحورهم ، وقد نصر الله المسلمين عليهم .

بيد أنه ليس كل الفرس على هذه الشاكلة فقد كان مجتمعهم طبقيا وكانت الطبقات العليا مستعبدة للطبقات الدنيا ، وهو ما أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن كدتم أن تفعلوا فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود»^(٣) ، كما ذكره المغيرة بن شعبة رضي الله عنه للفرس لما أبعدوه عن سرير رستم حيث قال: «وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض»^(٤) ، وهذه الطبقات استنقذها الإسلام وفك أسارها من الرق الساساني الاجتماعي والاقتصادي.

١٦ ، ٢٠ ، ٤٣ ، ٥٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٧/٧ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ . تاريخ ابن خلدون ٩٧٣/٤ ، ٩٧٨ ، ١٠٠٠ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٥ .

(١) د. فاروق بن عمر بن فوزي ، الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري ... إعادة تقويم ، مقال ضمن مجلة الرسالة الإسلامية ص ٦٥ .

(٢) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٩٩ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن ابن ماجه ٣٩٣/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ١٤٤ ما جاء في إنما جعل الإمام ليؤتم به ، رقم الحديث ١٢٤٠ ، دار الدعوة . قال الألباني عنه : صحيح ، صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٧/١ ، رقم الحديث ١٠٢٥ ، ١٢٤٠ ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، بيروت .

(٤) تاريخ الطبري ٥٢٢/٣ .

كما أن الانتصارات المتتالية للمسلمين جعلت أناسا من علية القوم تعتبر أن مجابهة مد الإسلام الهائل ضرب من الخيال فسالمته ودخلت فيه أو عقدت صلحا معه^(١).

المبحث الثاني -تفوق الفرس المادي :

لا أظن أحدا يزعم أن التفوق المادي يمثل كل شيء لتحقيق الانتصار في الحروب ، لكن من العسير أيضا إنكار أثر التفوق المادي في إحراز الفوز في المعارك. وكانت فارس والروم تتأخمان بلاد العرب ، وكل واحدة منهما على جانب كبير من القوة العسكرية ، ولكل منها خبرة قرون في الحروب^(٢).

بيد أن فارس كانت أشد رهبة في نفوس المسلمين من دولة الروم ؛ وذلك « لقوة سلطانهم وشدة قتالهم »^(٣) ، « وقد كانت عندما هاجمها العرب متماسكة قوية غنية رغم تدهور الأسرة الحاكمة »^(٤) حتى شهد لهم خالد بن الوليد رضي الله عنه بقوله: « ما لقيت قوما كأهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس^(٥) »^(٦).

(١) د. فاروق بن عمر بن فوزي ، الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري ... إعادة تقويم ، مقال ضمن مجلة الرسالة الإسلامية ص ٦٥ .

(٢) أحمد ابن كمال ، الطريق إلى المدائن ص ١٢ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٦/٧ .

(٤) د. حسين بن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٢ .

(٥) أليس : قرية من قرى الأنبار في أول أرض العراق من ناحية البادية ، هزم المسلمون فيها الفرس . [الحموي ، معجم البلدان ٢٤٨/١] .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٦٧/٢ .

وإذا نظرنا إلى الجيوش الإسلامية المتجهة إلى بلاد العراق وفارس وما واجهها من جيوش نجد التفوق المادي عند الفرس سمة بارزة لا تحتاج إلى كثير نظر ، فالفرس أكثر من المسلمين أعدادا في الجند ، وأقوى عتاداً وسلاحاً في الوقت نفسه .

فمثلا كان عدد المسلمين في معركة القادسية ما بين سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف، ورستم في ستين ألفاً^(١)، وعند آخرين أن المسلمين كانوا بضعة وثلاثين ألفاً، والفرس كانوا عشرين ومائة ألف والأتباع مثلهم خدام لهم^(٢)، وعند البلاذري كان المشركون زهاء مائة ألف وعشرين ألفاً، وكان المسلمون ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف^(٣). وفي معركة جلولاء كان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً^(٤)، بينما عدد القتلى من الفرس مائة ألف^(٥)، وفي معركة نهاوند كان عدد المسلمين ثلاثين ألفاً، بينما يقابلهم في جانب الفرس مائة وخمسون ألفاً^(٦).

وكان هذا التفوق العددي الهائل يعطي للفرس مرونة في التخطيط ، فمن ذلك مثلا أنه في وقعة جلولاء احتدم القتال بين المسلمين والفرس وقاتل الفرس المسلمين قتالا لم يقاتلوهم مثله في معركة من المعارك ، فلما كان بين صلاة الظهر والعصر وأحس الفرس بكل الجنود تراجع كتيبتهن لمواجهة للمسلمين وتقدمت كتيبة أخرى لتحل محلها في القتال^(٧).

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١١ / ٢ .

(٣) فتوح البلدان ص ٢٥٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٢٧/٤ . غزوات ابن حبيش ٢٧٤/٢ .

(٥) غزوات ابن حبيش ٢٧٣/٢ .

(٦) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ٣١/٢ ، ٤٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٨/٧ ، ١٠٩ .

وانظر أمثلة أخرى في معارك أخرى عند البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٦ . ابن

أعثم ، كتاب الفتوح ١٠/٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ . وفي تاريخ الطبري ٣/٥٩١-٥٩٢ .

(٧) تاريخ الطبري ٢٧/٤ .

فقد تمكن الفرس هنا بسبب كثرة العدد من أن يجعلوا المسلمين بعد إرهابهم بقتال شديد يجابهون كتيبة أخرى مرتاحة مستجمة ، ولا شك أن المتعب المرهق يخشى عليه من الفتور والعجز عن مواجهة المستريح .

وبجانب التفوق العددي للفرس نجد تفوقا في العدة والعتاد الحربي ، فنجد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول عنهم يوم القادسية : « وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها^(١) »^(٢) . ويقارن عبد الله بن أبي بكر - رحمه الله -^(٣) بين المسلمين والفرس في بعض عدتهم يوم القادسية فيقول : « وما عامة جنن^(٤) المسلمين غير براذع الرحال^(٥) قد عرضوا فيها الجريد يترسون بها عن أنفسهم ، وما عامة ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع^(٦) الرحال يطوي الرجل نسع رحله على رأسه يتقي به ، والفرس فيما بينهم من الحديد واليلاق^(٧) »^(٨) .

(١) الزهء : المقدار . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٤٠٥/١ . قام بإخراجه : إبراهيم بن مصطفى وآخرون ، أشرف على طبعه : عبدالسلام بن هارون] .

(٢) تاريخ الطبري ٥٨٣/٣ .

(٣) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الإمام الحافظ أبو محمد الأنصاري ، صاحب المغازي وشيخ ابن اسحق ، قال مالك : كان رجل صدق كثير الحديث . وقال ابن سعد : كان ثقة عالما كثير الحديث ، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة ، وقيل : سنة ثلاثين ومائة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣١٤/٥ - ٣١٥ . النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٦٢/١] .

(٤) الجئة : بالضم ما استترت به من سلاح ، والجمع جنن . [الرازي ، مختار الصحاح ص ١١٤] .

(٥) البرذعة : الحلس الذي يلقي تحت الرحل ، والجمع البراذع . [ابن منظور ، لسان العرب ٨/٨] . والرحل مركب للبعير والناقة . [ابن منظور ، لسان العرب ٢٧٤/١١] .

(٦) النسع : سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال . [ابن منظور ، لسان العرب ٣٥٢/٨] .

(٧) اليلق : القباء فارسي معرب . [ابن منظور ، لسان العرب ٤٥٦/١٥] . والقباء من الثياب : الذي يلبس مشتق من القبو وهو الجمع لاجتماع أطرافه . [ابن منظور ، لسان العرب ٤٥٦/١٥] .

ويصف أحد المسلمين خروج الفرس من الأبلّة^(٢) إليهم فيقول : « فخرجوا إلينا في الحديد مسومين^(٣) لا ترى منهم إلا الحدق^(٤) »^(٥). ويتحدث ابن أعثم عن بعض فرق الفرس في موقعة تستر فيقول : « ما يبين منهم شيء سوى حوافر الخيل من كثرة السلاح والتجافيف^(٦) »^(٧).

وينعت المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الفرس وهم بين يدي قائدهم ذي الحاجبين يوم نهاوند ، وقد أرسله المسلمون إليهم فيقول : « فلما أتيتهم كادت تلك الحراب والنيازك^(٨) يلتمع^(٩) منها البصر »^(١٠).

ويصف والد زياد بن حدير -رحمه الله-^(١١) عبور الفرس يوم نهاوند فيقول :

-
- (١) تاريخ الطبري ٥٧٥/٣.
(٢) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. [الحموي ، معجم البلدان ٧٧/١].
(٣) السومة : العلامة يجعل على الشاة وفي الحرب أيضا ، تقول منه « تسوم » وفي الحديث: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت». [الرازي ، مختار الصحاح ص ٣٢٢].
(٤) الحدق : حدقة العين سوادها الأعظم ، والجمع حدق. [الرازي ، مختار الصحاح ص ١٢٦].
(٥) الحموي ، معجم البلدان ٤٣١/١.
(٦) التجفاف: ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح. [ابن منظور ، لسان العرب ٣٠٨/٢].
(٧) كتاب الفتوح ١٤/٢.
(٨) النيزك: الرمح القصير. [ابن منظور ، لسان العرب ٤٩٨/١٠].
(٩) يلتمع : أي يختلس. [ابن منظور ، لسان العرب ٣٢٦/٨].
(١٠) تاريخ الطبري ١١٨/٤ . غزوات ابن حبيش ٣٢٩/٢ .
(١١) هو حدير الأسدي أحد بني مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وهو والد زياد ابن حدير أول من عشّر في الإسلام ، وجد أبو حوالة القارئ إمام مسجد الجماعة بالكوفة. [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣٠/٦].

«فلم أر والله مثل ذلك اليوم ، إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد»^(١) ، كما نجد الحكم بن أبي العاص^(٢) لما أقبل الفرس هابطين من عقبة عليهم الحديد يخشى أن تعشو أبصار الناس فيأمر مناديا فينادي : « أن من كان عليه عمامة فليلقها على عينيه، ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره»^(٣).

ومن ألوان العتاد التي استخدمها الفرس حسك الحديد^(٤)، ففي يوم القادسية أخذ الفرس يلقون حسك الحديد تحت خيول المسلمين^(٥)، وفي يوم جلولاء استخدموه لإعاقة تقدم المسلمين فرموه حول الخندق مما يلي المسلمين حتى لا تقدم عليهم الخيل^(٦)، كما استخدموه في نهاوند لرفع الجانب المعنوي عندهم ، فقد تواتقوا ألا يفروا من المسلمين وتقوية لهذا الأمر ألقوا حسك الحديد خلفهم^(٧).

ومن ألوان العتاد التي استخدمها الفرس وكان لها تأثير في المعارك الفيلة ، ففي وقعة بابل كان مع الفرس فيل وكان يفرق بين كتائب المسلمين^(٨).

وفي وقعة الجسر عانى المسلمون من الفيلة أشد المعاناة حيث كان المسلمون إذا حملوا على الفرس نفرت خيولهم بسبب الفيلة وبسبب

(١) تاريخ الطبري ١١٩/٤ .

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن بشر بن وهمان أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي ، شارك في فتح فارس ، وهو الذي قتل رئيسهم وقائدهم شهرك ، وهو الذي فتح توج وأنزلها المسلمين على حد قول البلاذري . [تاريخ الطبري ١٧٦/٤-١٧٧] . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١٧٦/٤-١٧٧ .

(٤) الحسك : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم ، وعند ورقه شوك مُكزّر صلب ذو ثلاث شعب ، ويعمل على مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب ويسمى باسمه . [الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٦٤١/١] .

(٥) تاريخ الطبري ٥٧٦/٣ .

(٦) المصدر السابق ٢٦/٤ .

(٧) تاريخ الطبري ١١٩/٤ . غزوات ابن حبيش ٣٢٩/٢ .

(٨) تاريخ الطبري ٤١٢/٣ .

الخيال التي عليها التجافيف ، وإذا حمل الفرس على المسلمين بالفيلة والجلجل^(١) فرقت بين كراديس المسلمين ، وأكثر الفرس الطعن في المسلمين ، وتألم المسلمون كثيرا^(٢)، بل كانت الفيلة من أقوى الأسباب في إلحاق الهزيمة بالمسلمين ؛ ذلك أن أحد الفيلة قد تخبط أبا عبيد قائد المسلمين فقتله ، ولقي خلفاء أبي عبيد في القيادة المصير نفسه من ذلك الفيل فلما رأى المسلمون ذلك ضعفوا « ولم يكن بقي إلا الظفر بالفرس »^(٣).

وفي وقعة القادسية كان مع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلا^(٤)، ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنبيين^(٥)، وكان عليها الصناديق والرجال كالحصون^(٦)، وقد قاسى المسلمون « من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمرا بليغاً »^(٧)، وكانت الفيلة إذا حملت فرقت بين الكتائب فنفرت الخيل^(٨).

ولما علمت الفرس بأن قوة المسلمين في الجانب الذي به بجيلة - وكانوا يشكلون ربع المسلمين - وجهت إليهم ستة عشر فيلا^(٩) فنفرت خيلها فكادت تهلك لذلك^(١٠). كما أن الفيلة حملت على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها، وجالت الميمنة والميسرة قليلا^(١١).

(١)الجلجل: الجرس الصغير. [الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٥٢/١].

(٢)تاريخ الطبري ٤٥٦/٣-٤٥٧ . غزوات ابن حبيش ٨١/٢ .

(٣)ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٨/٧ .

(٤)البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٦ .

(٥)غزوات ابن حبيش ١٦٢/٢ .

(٦)تاريخ ابن خلدون ٩٢٨/٤ .

(٧)ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .

(٨)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٢ .

(٩)تاريخ الطبري ٥٧٦/٣ .

(١٠)غزوات ابن حبيش ١٧٠/٢ .

(١١)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٢-٣٢٧ .

ولما رأى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فعل الفيلة بالجيش يوم أرمات- أول أيام القادسية - توجه لعاصم بن عمرو التميمي رضي الله عنه^(١) ليخلص المسلمين منها ، فنادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة^(٢) ، فأمر الرماة بمشاغلة راكبي الفيلة برميهم بالنبل ، وأمر أهل الثقافة أن يأتوا الفيلة من خلفها ويقطعوا أحزمة رحالها ، وخرج يحميهم ، وطبقت الخطة وأدبرت الفيلة وتخلص منها المسلمون^(٣) ، ولقوة أثر هذه الفيلة على مسار المعركة نجد أن قبيلة أسد استراحت بعد ذهاب الفيلة وردوا فارس عنهم إلى موافهم^(٤) .

كما نجد أن فارس في يوم أغواث - ثاني أيام القادسية - لم يروا ما يسرهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل لانعدام الفيلة في صفوفهم ذلك اليوم^(٥) .

ولهذا نجد الفرس يهتمون بالفيلة ، ويعيدون إصلاحها ، ويستخدمونها في يوم عماس - ثالث أيام القادسية - ، وتستأنف تفريقها للكتائب ، فما كان من سعد رضي الله عنه إلا أن أرسل إلى من يثق به ليخلص المسلمين منها ويتم ذلك بحمد الله ومنته^(٦) . وفي وقعة نهاوند جمع الفرس نيفا وسبعين فيلا يريدون إرعاب خيول المسلمين^(٧) .

(١) عاصم بن عمرو التميمي ، أحد الشعراء الفرسان ، أخو القعقاع بن عمرو ، له أشعار كثيرة في فتوح العراق ، وكان له ولأخيه بالقادسية مقامات محمودة وبلاء حسن ، اختلف في صحبته . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٤٧] .
(٢) تَقَف الشيء : ظفر به . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ١/٩٨] ، والمعنى لهم قدرة على الظفر بالشيء وتحصيله .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٤٠ . غزوات ابن حبيش ٢/١٧١-١٧٢ .

(٤) غزوات ابن حبيش ٢/١٧٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٤٤ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ٤/٩٣٢ .

(٧) ابن أعم ، كتاب الفتوح ٢/٣٢ .

وخلاصة الأمر أن فارس كانت أكثر عدداً وأقوى عدة كما كتب عمر لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما - : «واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد»^(١). ولئن كان المسلمون أقل عدداً وأضعف عدة ، لكنهم تغلبوا على ذلك كله وتجاوزوه بقوة إيمانهم وشدة صلتهم بربهم التي أمدتهم بنصر من عنده عز وجل وفتح من لدنه وقوة معنوية تغمر قلوبهم وتُسكِّن نفوسهم وتقوي عزائمهم ، ومن إمداد الله عز وجل لهم أن هياً لهم أسباب النصر على عدوه وعدوهم^(٢).

المبحث الثالث - اتحاد الفرس بعد تفرقهم :

كان التنافس على الملك قائماً والفتن سائدة في فارس ، ولا شك أن لهذا تأثيره على سير الحرب ، ثم استتب الأمر واجتمعوا على بوران التي ملكت رستم مدة عشر سنين ثم يعود الملك في آل كسرى سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فبعث رستم إلى أمراء السواد يأمرهم بالانتقاص على المسلمين، ودس في كل بلد رجلاً ليثور بأهله ، وقد تتابعت البلاد بالثورة من أعلى الفرات إلى أسفله^(٣). وكما نرى فقد أدى اجتماع الفرس على رستم إلى ثورات متتالية على المسلمين أدت إلى ضم المثنى رضي الله عنه مسالحه إليه

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) ، العقد الفريد ١/١١٧ - ١١٨ ، تحقيق د. عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، بيروت . غزوات ابن حبيش ١١٩/٢ .

(٢) نتناول -إن شاء الله تعالى - هذا بالتفصيل مستقبلاً في عوامل نجاح الدعوة ص ٤٦٢ وما بعدها من هذا البحث

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٤٧-٤٤٨ .

وخروجه من الحيرة إلى خفان^(١) ؛ وبهذا فقدت هذه الرساتيق إقامة المسلمين فيها، وإشعاع نور الدعوة والنداء للصلاة وأداءها، واختلاط المسلمين بأهلها ، وحصول دعوة إما بالكلمة والقوة أو بالقوة على الأقل.

بيد أنه بحمد الله ومنته لم تدم هذه الحالة طويلا ، فقد ذهب المثنى بن حارثة رضي الله عنه إلى المدينة يطلب مددا لمجابهة الموقف الجديد ، وقد لقي التجاوب التام من القيادة بالمدينة ، وأصبح القائد العام في العراق أبا عبيد رضي الله عنه ، وقد استطاع أن يجابه الفرس ويهزمهم في عدة معارك .

ثم فرق الله كلمة الفرس مرة أخرى فثار الفرس برستم وأصبحوا فريقين مختلفين^(٢) .

لكن تفرقهم هذا أعقبه اتحاد أقوى وأعمق وأثبت من الاتحاد السابق ؛ وذلك عندما رأى أهل فارس ما يحققه المسلمون من انتصارات بالسواد ، فحرصوا على أن يجدوا ابنا لكسرى فلم يعثروا إلا على شاب اسمه يزيدجرد عمره عشرون عاما فاجتمعوا عليه ، وكانت النتيجة أن قوي الفرس وأخرجوا المسلمين من المدن، وانتقض أهل السواد، وخرج المسلمون إلى الأطراف^(٣) .

وهكذا خسر المسلمون السواد للمرة الثانية ، ليس هذا فحسب بل استطاع يزيدجرد أن يحشد الجيوش الجرارة التي تفوق المسلمين عددا وعدة للقضاء على المسلمين ، وكلما هُزمت جيوشه في معركة لم يهدأ له بال حتى يحرك معركة أخرى حتى قتل ، ولولا نصر الله وتأييده للمسلمين وتيسير أسباب النصر لهم لرأيت الأثر القوي لهذا الاتحاد عند الفرس .

(١) المصدر السابق ٤٤٨/٣-٤٤٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٤٣/٢ .

المبحث الرابع - وقوف عرب السواد بجانب الفرس :

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عاداه أقرب الناس إليه ، وهم قومه وسبؤه وشتموه وقاتلوه وجمعوا الأحزاب ضده وتعاونوا مع اليهود عليه .

إن موقف المشركين من الدعوة الإسلامية لا يكاد يتغير ، فالكفار وإن تشعبت بهم المذاهب فعداوة المسلمين تجمعهم .
وفي فتح العراق تكرر الموقف من عرب تلك المنطقة فإنهم لم يرحبوا بالفتح الإسلامي العربي ، ولم تكن أصرة العروبة لتقرب هوة الاختلاف العقدي .

لقد بدا عداؤُ العرب في تلك الناحية واضحاً جداً لمن يقرأ تاريخ الفتح ، ففي الولجة^(١) بعث كسرى أردشير^(٢) جيشاً فكان فيه عرب الضاحية^(٣) ^(٤)، وأما وقعة أليس فإنه لما قتل خالد بن الوليد رضي الله

(١)الولجة: تقع بأرض كسكر مما يلي البر . [الحموي ، معجم البلدان ٢٨٣/٥] .
(٢) هو أردشير بن شيرويه بن أبرويز ، ملك وهو طفل صغير ، قيل :إنه كان ابن سبع سنين ؛ لأنه لم يكن في بيت المملكة محتك ، وحضنه رجل يقال له مهأ ذرجشش فأحسن سياسة الملك حتى لم يحس معه بحدائثة سن أردشير ، وكان ملكه سنة وستة أشهر . [تاريخ الطبري ٢٣٠/٢] .

(٣)ضاحية كل شيء :ناحيته البارزة [الحموي ، معجم البلدان ٤٤٩/٣] .

(٤)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٦٣/٢-٢٦٤ .

عنه مجموعة من نصارى بكر بن وائل ممن ساندوا الفرس يوم
الولجة غضب لهم نصارى قومهم واشتركوا مع الفرس في هذه
المعركة ضد المسلمين^(١).

وعندما ذهب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الحيرة لم يستقبله
أهلها من العرب ، وإنما أغلقوا على أنفسهم القصور ولم ينزلوا إلا
بشيء من القوة^(٢)، وفي الأنبار وقف العرب مع الفرس أيضاً^(٣)، وفي
عين التمر وُجِدَ جمع عظيم من الفرس وجمع آخر كبير من العرب
بقيادة عقة بن أبي عقة فطلب العرب من الفرس أن يتركوهم يقاتلون
المسلمين وحدهم ؛ لأنهم عرب وهم أدري بحرب العرب ، وبالفعل
التقى نصارى العرب مع المسلمين فهزمهم الله^(٤) فقتل عقة وانهمزم
جيشه.

وتفرد العرب بالوقوف في وجه المسلمين في دومة الجندل ، ولم
يستطع عياض رضي الله عنه أن يفتحها فسار خالد رضي الله عنه
إليه ممدا وفتحها^(٥)، ولما علم الأعاجم بذهاب خالد رضي الله عنه
طمعوا في المسلمين ، وكاتبهم عرب الجزيرة^(٦) غضبا لعقة بن أبي
عقة لأن خالد بن الوليد أوقع بالجميع في عدة وقائع^(٧)، كما نجد من
ضمن من اشترك في وقعة الفراض قبائل تغلب وإياد والنمر من
العرب^(٨).

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٥-٣٥٦.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٦ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٨-٣٤٩.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٧٦.

(٥) المصدر السابق ٣/٣٧٨-٣٧٩.

(٦) الجزيرة : هي جزيرة أفور وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام سميت
بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات. [الحموي ، معجم البلدان ٢/١٣٤] .

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٧١-٢٧٤ .

(٨) تاريخ الطبري ٣/٣٨٣.

ومما يؤكد استمرار هذا الموقف العدائي أنه عندما اجتمعت الفرس على بوران وملكت رستم الأمر وكتب إلى السواد يثورون بالمسلمين ثار أهل البلاد من أعلى الفرات إلى أسفله حتى إن المثنى رضي الله عنه خرج من الحيرة فنزل خفان خوفا على المسلمين من أن يجيئهم شيء يكرهونه من خلفهم^(١).

وعندما توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وثار أهل السواد بالمسلمين كانت الحيرة ممن ثار بالمسلمين وانضم إلى الفرس ، واستخفوا بكتاب الصلح الذي عندهم وضيعوه ، فلما افتتحها المثنى بن حارثة رضي الله عنه ثانية أدلوا بالصلح السابق فلم يجبههم وعقد معهم صلحا جديداً فلما غلب المثنى رضي الله عنه على البلاد انضموا إلى الفرس وساعدوهم واستخفوا بكتاب الصلح وأضاعوه ، فلما افتتحها سعد رضي الله عنه أدلوا بالصلح السابق فسألهم واحداً من الكتابين السابقين فلم يحضروهما فوضع صلحاً جديداً يراهم له مطيقين^(٢).

ولو حاولنا تلمس العذر لهم في نقض العهد لخوفهم من الفرس فإننا لا نستطيع أن نتلمس لهم عذرا في تضييع الكتاب والاستخفاف به . وبهذا يتبين أن العرب في العراق لم يكونوا يدا معينة للمسلمين بل ولا محايدين، وإنما كانوا حربا عليهم إما وحدهم وإما بالتعاون مع غيرهم من الفرس أو الفرس والروم معاً^(٣).

وبحمد الله ومنتته فإن المسلمين استطاعوا دحر قوى الشر كلها مع تكالبها وتداعيها ، وقد كان لهم من الله العون والمدد .

(١) المصدر السابق ٤٤٨/٣-٤٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٦٤.

(٣) وهذا يفند ما ذهب إليه الدكتور فاروق بن فوزي من مساعدة القبائل العربية للمسلمين في حربهم في العراق، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية (١-٦٥٦هـ) ص ٢١ ، مكتبة النهضة ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، بغداد .]

المبحث الخامس - عقبات جغرافية :

تعد العوامل الجغرافية أحد المؤثرات على سير الأمور التاريخية^(١)، وقد واجه المسلمون في فتحهم للعراق وفارس بعض العقبات الجغرافية التي نبه إليها عمر بن الخطاب قائده سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - قائلاً : « إنك تقدم على بلد منيع وإن كان سهلاً ، كؤود لبحوره وفيوضه^(٢) ودأدئه^(٣) إلا أن توافقوا غيضاً^(٤) من فيض^(٥)» .

ومن الأمثلة على تلك الصعوبات ما واجهه المسلمون في موقعة المذار^(٦) حيث حالت المياه بين المسلمين وبين ملاحقة الفرس ، وقد قام الفرس بضم السفن ، ولولا ذلك لأفناهم المسلمون بإذن الله^(٧) . وفي موقعة الجسر كان من أسباب الهزيمة الموقع الجغرافي ، فقد نهى المسلمون أبا عبيد رضي الله عنه من عبور الجسر ، لكنه خالفهم فعبر فكان المنزل الذي نزل فيه وتركه له الفرس ضيق المطرد والمذهب ولم يكن لهم فيه مجال للكر والفر وحرية الحركة^(٨) .

(١) محمد بن أحمد بن حسونة ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح ص ٢٧ ، مكتبة نهضة مصر بالجمهورية ، ١٩٦٠م .

(٢) فاض الماء : أي كثر حتى سال على ضفة الوادي . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٥١٧] .

(٣) الدأداء : ما اتسع من التلاع . [ابن منظور ، لسان العرب ٧١/١] .

(٤) غاض الماء : قل ونضب . [مختار الصحاح ص ٤٨٦] .

(٥) تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ .

(٦) المذار : قسبة ميسان ، بين واسط والبصرة ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . [الحموي ، معجم البلدان ٨٨/٥] .

(٧) تاريخ الطبري ٣٥٢/٣ .

(٨) المصدر السابق ٤٥٤/٣ - ٤٥٥ .

ولما حصلت الهزيمة لم يستطع المسلمون بسبب النهر الذي خلفهم وقطع الجسر الذي عليه أن ينسحبوا انسحاباً سهلاً بل واجهوا صعوبة شديدة في ذلك حتى غرق كثير منهم^(١).

ومنها أيضاً نهر دجلة الذي عبّر عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بقوله : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فينا وشونكم في سفنهم »^(٢).

وحاول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الحصول على السفن ليتمكن من العبور هو وجيشه إلى المدينة القصوى التي فيها إيوان كسرى فلم يفلح ؛ فبقوا في موضعهم أياماً يمنعه الخوف على المسلمين من عبور النهر ، وجاءه أشخاص من الفرس فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي ، فتردد عن ذلك ، وفجأهم المد فرأى سعد رضي الله عنه رؤياً أن خيول المسلمين خاضت النهر وعبرت ، فعزم على العبور ووافقه الجيش ، وتقدمت قطعة من الجيش لتحمي الجانب الآخر من النهر ، وبعد سيطرتهم عليه أذن سعد رضي الله عنه لبقية الجيش بالاقترحام^(٣). وقال لهم سعد: « قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »^(٤).

ومن إكرام الله لهذا الجيش أن القرسَ خلال هذا الاقترحام إذا تعب رُفِعَ له تلة فيستريح عليها كأنه على الأرض^(٥)، فكانت آية من آيات الله عز وجل .

(١) المصدر السابق ٣/٤٥٤-٤٥٥ .

(٢) غزوات ابن حبيش ٢/٢٥٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٩-١٠ .

(٤) غزوات ابن حبيش ٢/٢٥٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٤/١٣ .

ولئن وُجِدَت بعض الصلة للعرب ببلاد العراق فإن ذلك معدوم في بلاد فارس فهي جديدة بالنسبة لهم^(١) ، ولقد عبر عن هذه الغربية عمرو بن ثني رضي الله عنه^(٢) وقد بعثه المسلمون للاستكشاف في طريقهم إلى نهاوند فسار يوماً إلى الليل فرجع قائلاً: «لم أكن في أرض العجم، وقُتِلتُ أرضُ جاهلها وقُتِلَ أرضاً عالمها»^(٣).

وبجانب غربة البلاد فهم يجابهون تضاريس وعرة ، فوسط هضبة إيران صحاري ملحة يصعب المسير فيها بجيوش كثيفة ، وأبرز هذه الصحاري دشت اللوت ودشت الكافر بيد أنه يوجد بين دشت الكافر وجبال البرز^(٤) المغطاة بالغابات مجال من نوع المراعي الباردة - الاستبس - تتخلله على أبعاد مناسبة واحات غنية بها عيون مياه عذبة غزيرة ، وفي هذا المجال يوجد الممر الجيد الوحيد الذي يصل بين شرق آسيا وغربها، وقد سارت الجيوش الإسلامية في هذا الطريق^(٥). وقد ينصرف الجيش من بعض المناطق خوفاً من الثلج كالجيش الذي انصرف مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه^(٦)، وربما حصر الثلج بعض الجيوش كما حصر ابن عمر رضي الله عنه ومن

(١) د. فاروق بن فوزي ، الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري ... إعادة تقويم ص ٦١ مقال ضمن مجلة الرسالة الإسلامية ، العدد ٢٠٦ . شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتها ، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي) ص ١١٧ ، مكتبة الخانجي ، ١٣٧١هـ ، مصر .

(٢) عمرو بن ثني وهو ابن أبي سلمى ، حضر نهاوند ، وهو أول من أشار على النعمان بن مقرن بمناجزة العدو، وكان من أكبر الناس سناً يومئذ . [ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ١١٢/٣] .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤/٣ .

(٤) بُرُز : من قرى مرو ، قرب كُمسان ، على خمسة فراسخ من مرو . [الحموي ، معجم البلدان ٣٨١/١] .

(٥) محمد بن أحمد بن حسونة ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ص ٢٧ .

(٦) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، كتاب ذكر أخبار أصفهان ٢٨/١ ، دار العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، موري كيت دلهي ، الهند .

معه ستة أشهر^(١)، كما أن الثلج والدمق^(٢) ينزل أحيانا فيؤدي إلى الفتك بالجند كما حدث لجيش مجاشع رضي الله عنه^(٣) على بعد خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان^{(٤)(٥)}.

وبالجملة فالمسلمون يجاهدون في بلاد غريبة عليهم ، توجد بها التضاريس الصعبة ، وتكثر بها الجبال والوديان الوعرة ، وفيها المناخ ذو الشتاء القارس والثلوج الكثيرة^(٦).

وقد واجه المسلمون هذا العائق بالتحلي بالصبر والجلد في مجابهة تلك المشاق ، واتخاذ الرجال الذين يدلونهم على الطرق المجهولة لهم^(٧)، وكانت عناية الله عزوجل ترعاهم وتمدهم بالكرامات .

(١) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم (ت ٧٥١ هـ) ، زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٦٢/٣ ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .

(٢) الدمق : الثلج مع الريح يغطي الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه ، فارسي معرب . [ابن منظور، لسان العرب ١٠٤/١٠] .

(٣) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي ، قال البخاري وغيره : له صحبة . وله رواية في الصحيحين وغيرهما ، روى عنه أبو عثمان النهدي وكلب بن شهاب وأبو ساسان الرقاشي وغيرهم، قتل يوم الجمل . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٦٢/٣] .

(٤) السيرجان: مدينة بيت كرمان وفارس . [الحموي ، معجم البلدان ٢٩٥/٣] .

(٥) تاريخ الطبري ٢٨٦/٤-٢٨٧ .

(٦) د. فاروق بن فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة ص ٢١ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٦/٢ .

المبحث السادس - إحساس العرب بتفوق الفرس وخوفهم منهم :
لم يكن التفوق المادي عند الفرس بجملته بغائب عن المسلمين؛ مما أدى إلى نفورهم وتحاشيهم لتلك الوجهة أحياناً عندما يندبون إليها؛ ولذلك نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه يندب الناس في المدينة المنورة إلى أهل فارس ثلاثة أيام متتالية فلا يجيبه أحد^(١).

ونلاحظ هنا أن المنتدب هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من هو في الهيبة والقدرة على التأثير، وأن المنتدبين هم مجتمع المدينة المنورة والصحابة - رضوان الله عليهم - فيها متوافرون، ومع ذلك لم يخرج أحد مدة ثلاثة أيام.
ولما رأى المثنى بن حارثة رضي الله عنه ذلك التباطؤ وعرف سببه خطب فيهم مهونا شأن الفرس قائلاً: «يأيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه؛ فإننا قد تبجحنا^(٢) ريف فارس، وغلبناهم على خير

(١) تاريخ الطبري ٤٤٤/٣. أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ص ٨٩-٩٠، تحقيق: زينب بنت إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٢هـ، بيروت.

(٢) التبجح: التمكن. [ابن منظور، لسان العرب ٣٢٣/١].

شقي السواد ، وشاطرناهم ، ولنلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها - إن شاء الله- ما بعدها»^(١).

وقام عمر رضي الله عنه وذكّرهم شدة الحجاز ، ودعاهم إلى الهجرة إلى ما وعد الله عز وجل عباده من الفتح والنصر فقال : « إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطرّاء^(٢) المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال: { ليظهره على الدين كله }^(٣)، والله مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومولي أهله مواريث الأمم ، أين عباد الله الصالحون ؟ »^(٤) ، فانتدب الناس بعد ذلك^(٥)، وانطلق الجيش إلى بلاد العراق ، وحقق انتصارات في بعض المعارك ، إلا أنه في آخر معركة لهذه الحملة- وهي معركة الجسر - تلقى المسلمون هزيمة منكرة كان لها أثر في تركيز خوف المسلمين من الفرس ؛ ولهذا نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعاني من حب القبائل للتوجه إلى الشام وإبائهم وجه العراق ، حتى اضطر عمر رضي الله عنه إلى إكراه قبيلة بجيلة على التوجه إلى العراق ، وعوضهم لإكراههم وتأليفهم ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الغنيمة^(٦)، ونجده يُري قبيلة بجيلة وسيدها جرير بن عبدالله البجلي^(٧) أنه يبعث عرفجة البارقي رضي الله عنه^(١) إلى الشام حتى

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٩٧ .

(٢) الطرّ: الجماعة . [ابن منظور ، لسان العرب ٨/١٤١] .

(٣) آية ٣٣ من سورة التوبة .

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ . ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١/١٦٣-١٦٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ .

(٦) المصدر السابق ٣/٤٦٠ ، ٤٦٢ .

(٧) جرير بن عبدالله البجلي ، يكنى أبا عمرو ، من أعيان الصحابة ، كان صلى الله عليه وسلم يجله ويبتسم في وجهه إذا رآه، أرسله إلى ذي الخلصة بيت خثعم ، وكان يسمى الكعبة اليمانية فخر بها ، ولم يشترك في الحرب بين علي ومعاوية ، ومسند جرير

يحبب العراق إليهم ؛ ذلك أن بجيلة غضبت على عرفجة رضي الله عنه واستعفت عمر رضي الله عنه من إمارته^(٢). ونجد الموقف نفسه عند بني كنانة والأزد فيقول لهم عمر : « ذلك- أي الشام- وجه قد كفيتموه ، العراقَ العراقَ ، ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ؛ لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس »^(٣) ، فقام رئيسا العشيرتين وحث كل واحد منهما عشيرته على إجابة أمير المؤمنين فاستجابوا عند ذلك ، فدعا لهم عمر بخير^(٤).

ويتكرر الموقف ذاته عند إرسال بعض الجند مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فيأبون إلا الشام ، ويصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العراق ، ثم يوافق نصفهم فيمضي إلى العراق ، والشطر الآخر يمضي إلى الشام^(٥).

ونلاحظ هنا أن القيادات الإسلامية تغلبت على هذا العائق عن طريق التذكير بموعد الله للمسلمين بالنصر وميراثهم خيرات هذه البلاد الكثيرة ، وضرب المثل بمن سبق في قتال الفرس ، وكذا استعان الخلفاء برؤساء العشائر في حث أقوامهم على الاتجاه لهذه البلاد ،

نحو من مائة حديث ، توفي سنة إحدى وخمسين ، وقيل أربع وخمسين. [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٢/٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٣٠/٢-٥٣٧] .
(١) عرفجة بن هرثمة البارقي ، أحد الأمراء في الفتوح ، أمره أبو بكر في حرب الردة ، وأمدَّ به جيفر بن الجلندي ، وأمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن غزوان به وقال عنه : فإنه ذو مجاهدة ونكاية في العدو، وسرحه سعد بن أبي وقاص على الخيل في فتح الموصل بأمر من عمر . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٤/٢-٤٧٥] .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٢/٣-٤٦٣ . غزوات ابن حبيش ٨٧/٢ .

(٣) غزوات ابن حبيش ٨٩/٢ .

(٤) المصدر السابق ٨٩/٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٨٤/٣ .

وأحياناً يلجأ الخليفة إلى الإكراه ، ثم يحاول امتصاص أثر الإكراه بالتعويض المالي .

ولكن بحمد الله ومنتته فإنه عندما تلتقي صفوف المسلمين بالفرس فإننا نجد الشجاعة والبسالة والتضحية تظهر جليا ، مما يدل على أن قوة الإيمان تتغلب على ذلك العائق وإن كانوا قبل المواجهة يحاول بعضهم الحيدة عن هذا الوجه .

كما كان القواد يحاولون زرع الثقة في النفوس ، والتقليل من شأن الفرس ، فهذا المثني بن حارثة رضي الله عنه بعد نهاية معركة البويب يقول : « قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد عليّ من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد عليّ من ألف من العجم ، إن الله أذهب مصدوقتهم ، ووَهَنَ كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء^(١) ترونه ، ولا سواد^(٢) ، ولا قسيّ فح^(٣) ، ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أوفقدوها كالبهائم أينما وجهت اتجهت »^(٤) . وما أثقب نظر أبي بكر رضي الله عنه إذ يفطن لهذا ! فيقول لعمر رضي الله عنه وقد أشفى على الموت : « وإذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق إلى العراق ؛ فإنهم أهله وولاية أمره وأهل الضراوة بهم والجرأة عليهم »^(٥) .

(١) الزهاء : المقدار . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٤٠٥/١] .

(٢) سواد الناس : كل عدد كثير . [ابن منظور ، لسان العرب ٢٢٤/٣-٢٢٥] .

(٣) قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها . [ابن منظور ، لسان العرب ٣٣٩/٢] .

(٤) تاريخ الطبري ٤٦٧/٣-٤٦٨ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٨٦/٢ .

المبحث السابع - الفتن :

إن أعداء الدعوة الإسلامية منذ أن بزغ فجرها لا يفترون من الكيد لها ، وحبك المؤامرات ضدها ، ولما رأى أولئك الأعداء أن المواجهة العنيفة لم تجد شيئاً لجأوا إلى الحركات السرية ، فكان منها حركة عبدالله بن سبأ ، وكان يهودياً أظهر الإسلام زمان عثمان ر ، ثم تنقل في البلاد الإسلامية ؛ محاولاً بثّ الفرقة بينهم ، ونشر أفكار دخيلة عليهم ، وقد أصبح له أتباع ودعاة ، وصاروا يظهرون الطعن على الأمراء ، ويضعون الكتب في ذمهم ، ويرسلونها إلى البلد الآخر فيقرونها أتباعهم هناك وانتشر شرهم^(١).

ولئن لم نتفق مع من يضخم دور ابن سبأ في الفتنة التي أدت لمقتل عثمان رضي الله عنه فإننا أيضاً نرفض الرأي الذي يزدري دور ابن سبأ ويشكك فيه ونقول بأنه يعد من أقوى عوامل هذه الفتنة ، بيد أنه كانت هناك عوامل أخرى مساعدة^(٢).

وقد تفاقمت هذه الفتنة التي أثارها ابن سبأ حتى قتل عثمان بن عفان ر^(٣).

واستمرت هذه الفتنة في فتكها ، وكانت مفتاحاً لفتن تلتها من انقسام المسلمين أحزاباً وتشتتهم فرقا ، فمنهم من بايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عازم على نصرته والدعوة إلى طاعته ، ومنهم من بايع ولكنه معتزل كعبدالله بن عمر ر ، ومنهم المطالب بدم عثمان رضي الله عنه ومن رؤوسهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وأم

(١) تاريخ الطبري ٣٤٠/٤-٣٤١.

(٢) سليمان بن حمد العودة ، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص ١٥٣-١٥٤ ، دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٣) أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ) ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ٣٥٧/٢ ، دار صادر ، بيروت .

المؤمنين عائشة - رضي الله عنهم - الذين انتهى بهم المطاف إلى العراق ، ومن رؤوسهم أيضاً معاوية رضي الله عنه بالشام^(١) .
وسار علي رضي الله عنه من المدينة إلى العراق لينفادي ما قد يحدث من فتن ، وجرت بينه وبين أم المؤمنين عائشة والزبير وطلحة - رضي الله عنهم - مراسلات وصلت إلى الاتفاق والإصلاح^(٢) .
ولما رأى قتلة عثمان ما وصل إليه القوم من الصلح خشوا على أنفسهم من الهلاك ، واستقر رأيهم على الدخول في الناس والاختلاط بهم ، وإنشأ الحرب بينهم^(٣) ، وبالفعل نجحوا في ذلك ، ودارت رحى الحرب ، والتقى المسلمون يقتل بعضهم بعضاً^(٤) .
وبعد انقضاء الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطي^(٥) وعمران بن الفصيل

البرجمي^(١) في صعاليك من العرب واتجهوا إلى زالق^(٢) ، وكان أهلها قد نقضوا العهد ، فأصابوا غنائم ، ثم قصدوا زَرْج^(٣) فخاف منهم

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٩٨/٣-١٠٨ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١١٩/٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٣٨/٧ وما بعدها .

(٣) هذا ما أشار به عبدالله بن سبأ . [ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٣٩/٧-٢٤٠] .
(٤) أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد ابن العربي (ت ٣٦٤هـ) ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٥٦-١٥٧ ، حقه وعلق على حواشيه : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، الرياض . أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٦ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ط ٣ ، ١٣٨٧هـ .
(٥) حسكة بن عتاب الحبطي ، أحد المشاركين في فتوح العراق ، وقد ولاه خالد بن الوليد إحدى قرى سواد الأبله ، وله مواقف حسنة في معركة تستر . [تاريخ الطبري ٣٧٢/٣ ، ٥٨/٤] .

رئيسها وصالحهم ، وعندما علم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالأمر بعث عبدالرحمن بن جزء الطائي^(٤) لكن حسكة تغلب عليه وقتله ، فوجه عليّ ربيّ بن كأس العنبري^(٥) فتمكن من القضاء على الفتنة^(٦).

وكما دارت رحى الحرب بين المسلمين في الجمل فكذلك أيضاً دارت الحرب بينهم في صفين^(٧).

وفي صفين ظهرت فتنة جديدة هي فتنة الخوارج^(٨)، وبعد أن رجع علي رضي الله عنه من صفين اعتزله الخوارج فلم يدخلوا معه الكوفة ، فأتوا حروراء^(٩) فنزلوا بها ، ثم

ذهب علي رضي الله عنه إليهم واستطاع إقناعهم بالعودة إلى الكوفة^(١٠).

(١) هو أحد شيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، تولى سنة تسع وعشرين في عهد عثمان ولاية سجستان ، ثم انتقل إلى ولاية كرمان وبقي عليها إلى أن قتل عثمان ، ثم خرج على علي رضي الله عنه ففضى علي على فنتته ، ولما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان وسجستان وخرج إلى خراسان كان عمران معه. [تاريخ الطبري ٤/٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٤٧٢/٥].

(٢) زالق : من نواحي سجستان ، وهورستاق كبير فيه قصور وحصون. [الحموي ، معجم البلدان ٣/١٢٧].

(٣) زرنج : مدينة هي قسبة سجستان. [الحموي ، معجم البلدان ٣/١٣٨].

(٤) لم أجد له ترجمة .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٧ .

(٧) تاريخ الطبري ٤/٥٦٩ وما بعدها و ١٠/٥ وما بعدها .

(٨) د. عمار الطالبي ، آراء الخوارج الكلامية ص ٤٤ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

(٩) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : موضع على ميلين منها. [الحموي ، معجم البلدان ٢/٢٤٥].

(١٠) تاريخ الطبري ٥/٦٣-٦٦ .

وعندما عزم علي رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى الأشعري رضي الله عنه للتحكيم أنكر عليه الخوارج واشتد إنكارهم وكفروه ، ثم خرجوا من الكوفة إلى النهروان^(١) ، وكاتبوا إخوانهم في البصرة فخرجوا إليهم^(٢) .

ولما أراد علي رضي الله عنه المسير إلى الشام مرة أخرى كتب إليهم بالنهر لينضموا إليه ، فرفضوا ذلك إلا أن يعترف علي نفسه بالكفر ويستقبل التوبة ، وإلا فقد نابذوه على سواء^(٣) . فانظر إلى هذه الفتنة العظيمة القبيحة من اتهامهم لأمير المؤمنين رضي الله عنه بالكفر .

و«اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله»^(٤) ؛ وبناء على ذلك عاثوا في الأرض فسادا ، وأخافوا العباد والخلق ، ومن ذلك أن خوارج البصرة لقوا عبدالله بن خباب رضي الله عنه^(٥) ومعه امرأته حاملا متما فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - فأثنى عليهم جميعاً ، فما كان منهم إلا أن قتلوه وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا أربع نسوة ، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأرسل إليهم الحرث بن مرة العبدي^(٦) ليتحقق الأمر فقتلوه ، فلما كان ذلك خرج إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بجيشه ، وحاول إعادتهم إلى الجماعة فرجع بعضهم ، وبقي ألف

(١) نَهْرَوَان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد . [الحموي ، معجم البلدان ٣٢٤/٥-٣٢٥] .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١١١٨/٤-١١٢٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٧٧/٥-٧٨ .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري ٢٨٤/١٢ .

(٥) عبدالله بن خباب بن الأرت ، ذكره الطبري وغيره في الصحابة ، قيل : أول مولود ولد في الإسلام عبدالله بن الزبير وعبدالله بن خباب ، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سماه عبدالله ، وقال لأبيه : أنت أبو عبدالله . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٢/٢] .

(٦) لم أجد له ترجمة .

وثمانمائة من أربعة آلاف فقتلهم علي ر^(١)، وهذا كله في سنة سبع وثلاثين للهجرة^(٢).

وكانما الفتن منظومة بخيط انحلت عقدته فتناثرت ، فبعد وقعة النهروان « خالفه [أي علي] قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي^(٣) البصرة ، وانتقض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج في كسره ، ثم أخرجوا سهل بن حنيف رضي الله عنه^(٤) من فارس وكان عامل علي رضي الله عنه عليها «^(٥). وسنحاول إلقاء الضوء على هذه الفتن إن شاء الله تعالى.

ففي سنة ثمان وثلاثين وبعد مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه^(٦) واستيلاء عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر سير

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٧٣/٣-١٧٥ .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه أحداث هذه السنة في ١/٥-٩٣ .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي ، يكنى أبا سعد وأبا عبدالله ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت ، وروى عنه جماعة ، كان من السابقين ، وشهد بدرأ ، وثبت يوم أحد وناقح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد المشاهد كلها ، مات سنة ثمان وثلاثين بالكوفة . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٨٧/٢ . الذهبي ، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٥٩٥-٥٩٧] .

(٥) تاريخ الطبري ١٢٢/٥ .

(٦) محمد بن أبي بكر الصديق ، ولدته أسماء بنت عميس في حجة الوداع وقت الإحرام ، ولاه عثمان بن عفان رضي الله عنه إمرة مصر ، ثم سار لحصار عثمان ، ثم انضم إلى علي رضي الله عنه فكان من أمرائه ، فسيره على إمرة مصر سنة سبع وثلاثين ، فانهزم جيش محمد واختفى لكنهم عثروا عليه فقتلوه . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٣-٤٨٢ . علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ص ١٣٨ ، تحقيق : عبدالسلام بن هارون ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ ، مصر] .

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عبدالله بن عمرو بن الحضرمي إلى البصرة ؛ لأن فيها من يوافقه في الرأي من جهة ، ومن جهة أخرى فقد وقعت بينهم وبين علي رضي الله عنه وقعة الجمل ، وكادت أن تقع فتنة لولا أن لطف الله بالمسلمين ، واستطاع علي رضي الله عنه القضاء على هذه الفتنة وعلى قائدها^(١).

وفي سنة ثمان وثلاثين خرج الخريت بن راشد الناجي^(٢) وأظهر الخلاف لعلي بسبب تحكيم الحكيمين ، وخرج معه ثلاثمائة من بني ناجية متجهين إلى نَقْر^(٣) وقتلوا رجلاً من الدهاقين كان أسلم . وحاول علي رضي الله عنه إطفاء هذه الثائرة بإرسال جيش صغير فقاتلهم ، لكنه لم يوفق في القضاء على فتنتهم فرجع .

وأتى الخريت الأهواز، وتلاحق به ناس من أصحابهم ، واجتمع عليه علوج من أهل الأهواز كثير أرادوا منع الخراج ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه .

ولما علم علي رضي الله عنه بذلك أرسل جيشاً قويا بقيادة معقل بن قيس^(٤) فهزم الخريت ومن معه قريبا من جبل من جبال

(١) تاريخ الطبري ١١٠/٥-١١٢.

(٢) هو الخريت بن راشد الناجي ، وعن زيد بن أسلم قال : لقي الخريت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة في وفد بني سلمة بن لؤي ، وكان الخريت على مضر كلها يوم الجمل ، واستعمله عبدالله بن عامر على كورة من كور فارس ، وكان على بني ناجية في حروب الردة ، وكان أحد الأمراء حينئذ ، وكان مع علي رضي الله عنه ، ثم فارقه عندما حكم الحكيمين . [ابن حجر ، الإصابة ٤٢٣/١] .

(٣) نَقْر: قرية على نهر النرس من نواحي بابل بأرض الكوفة . [الحموي ، معجم البلدان ٢٩٥/٥] .

(٤) هو معقل بن قيس الرياحي ، أحد قادة علي رضي الله عنه الذين يثق بهم ، وقد حضر معه صفين ، ولما انتهت الخلافة إلى معاوية بايعه ، وكان له منزلة في قومه ، وقد أرسله المغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل معاوية لقتال الخوارج سنة ٤٣ من الهجرة فهزمهم ، واستشهد في المعركة . [تاريخ الطبري ٥٧٤/٤ و ١٤/٥ ، ١٨٥ ، ١٨٨-٢٠٩] .

رامهرمز^(١)، ولحق الخريت بأسياف البحر، وبها جماعة كثيرة من قومه، فمزال يفسدهم على علي رحتى اتبعه ناس كثير منهم، فلحق به جيش علي رضي الله عنه فقتل على هذه الفتنة^(٢).

ثم في سنة تسع وثلاثين كانت غارات وسرايا يرسلها معاوية رضي الله عنه إلى بلاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فتقتل وتأخذ من الأموال^(٣).

ويمكننا القول بأن هذه الفتن قد استنزفت الطاقات الإسلامية من الرجال فقد كان عدد قتلى الجمل عشرين ألفاً^(٤)، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة^(٥)، وكان

عدد القتلى في صفين سبعين ألفاً^(٦).

وهكذا فقدت الدعوة الإسلامية هذه الأعداد الكبيرة من المسلمين ممن يساهم فيها جهادا باللسان والسنان.

ولعل كلمات علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة الجمل تصور لنا توجعه لهذه الأمور حيث يقول لابنه الحسن رضي الله عنه:

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان. [الحموي ، معجم البلدان ١٧/٣] .

(٢) تاريخ الطبري ١١٣/٥-١٢٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٨٨/٣-١٩١ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٦ . محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٣٦ ، تحقيق : د. عمر بن عبدالسلام بن تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٤٧/٧ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٤-١٩٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٧٥/٧ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٤٥ .

« يابني ، ليت أباك مات قبل هذا اليوم [أي الجمل] بعشرين عاماً »
(١)

والكلمة نفسها تقولها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - (٢) ،
ويقول عبدالله بن زُرَيْرِ الغافقي (٣) : « لقد رأيتنا يوم صفين فاقنتلنا نحن
وأهل الشام حتى ظننا أنه لا يبقى أحد ، فأسمع صائحا يصيح : معشر
الناس ، الله الله في النساء والولدان من الروم ومن الترك (٤) الله الله
» (٥)

وبجانب فقد هذه الأعداد الكبيرة من الرجال فإن هذه المعارك ومن
قبلها مقتل عثمان وكانت فاتحة تقابل المسلمين مع بعضهم في المعارك
، وضرب بعضهم رقاب بعض بالسيوف ، وما يحدث بسبب ذلك من
تنافر القلوب فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كما أنها ألحقت بالمسلمين خسائر في المعدات والأموال والتي كان
يمكن أن توجه لخدمة الدعوة الإسلامية .

يضاف إلى هذا انشغال المسلمين هذه الأوقات الطويلة بهذه الفتن
بدلاً من أن يستغلوها في أمور أخرى من تعلم وتعليم وجهاد وغيره
من الأمور التي تعود على الأمة بالخير .

وقد استغل بعض ضعاف النفوس هذه الظروف فمنعوا الصدقة
عام صفين وسنة ثمان وثلاثين ، وهم بعض بني ناجية ، فلما ذهب

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٢٤١/٧ . تاريخ الطبري ٥٣٧/٤ . إلا أنه لم يجعل الكلام
موجهاً للحسن.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٧/٤ .

(٣) هو عبدالله بن زُرَيْرِ الغافقي ، ثقة له أحاديث ، روى عن عمر وعلي - رضي الله
عنهما - ، وروى عنه جماعة ، وشهد صفين ، مات سنة إحدى وثمانين في خلافة
عبد الملك بن مروان . [محمد ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ٥١٠/٧ ، دار
صادر ، بيروت . المزي ، تهذيب الكمال ٥١٧/١٤-٥١٨] .

(٤) هكذا العبارة ولعل الصواب : من للروم ومن للترك .

(٥) لذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٤٤ .

الخرية إلهم عئء أسلاف البحر وبعه معقل بن قيس جمع معقل منهم صدقة عامين^(١) والله الحمد والمنة .

كما قد تسببت هذه الفتنة بتغيير توجه الناس وتفكيرهم نحو الدعوة الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك أن نصارى كثيرين ممن أسلم بأسياف البحر لما رأوا فتنة الخريت واختلاف الناس بينهم قالوا : « والله لديننا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذين هم عليه ، ماينهاهم دينهم عن سفك الدماء وإخافة السبيل وأخذ الأموال » ، فارتدوا إلى النصرانية^(٢) . لكن بحمد الله ومنته بعد انتصار معقل على الخريت ومن معه عرض الإسلام على هؤلاء المرتدين فرجعوا إلا شيخاً منهم نصرانياً فقتله معقل^(٣) .

كما أن فارس وكرمان^(٤) لما رأوا اختلاف الناس على علي رضي الله عنه طمعوا في منع الخراج ، وأخرجوا عاملهم ، لكن بحمد الله سير علي رضي الله عنه زياد بن أبيه^(٥) في جمع كثير فأعادهم إلى السمع والطاعة^(٦) .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٨٦/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١٢٥/٥ .

(٣) المصدر السابق ١٢٨/٥ .

(٤) كerman : ولاية مشهورة كبيرة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران

وسجستان وخراسان، وجنوبيها بحر فارس. [الحموي ، معجم البلدان ٤٥٤/٤] .
(٥) زياد بن أبيه ، ويسمى زياد بن سمية ، ويقال له زياد بن أبي سفيان بن صخر، استلحقه معاوية بن أبي سفيان، كنيته أبو المغيرة ، كان من دهاة العرب والخطباء العظماء ، استعمله عمر بن الخطاب على بعض أعمال البصرة ، وقيل: استعمله أبو موسى ، ثم استعمله علي بن أبي طالب على بلاد فارس ولم يزل معه حتى انتهت الخلافة إلى معاوية فاستلحقه وولاه البصرة والكوفة إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين. [النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٩٨-١٩٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٩٤/٣] .

(٦) تاريخ الطبري ١٣٧/٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٢١/٧ .

وأخيراً قد كان أهل البصرة يغزون من لم يكن له عهد من بلاد خراسان^(١) فإذا عادوا بقي منهم أربعة آلاف للعقبة ، فكانوا على هذا الأمر إلى أن وقعت فتنة قتل عثمان رضي الله عنه^(٢) .
فانظر إلى الفتنة كيف استطاعت تفريق شمل المسلمين ، وضرب بعضهم ببعض، وتحقيق تلك الأمور السابقة التي لم يستطع أعداء الإسلام بالمواجهة تحقيقها ، فليتنبه المسلمون إلى كيد أعدائهم الخفي ، وليؤصدوا أمامه الأبواب فهو والله أشد وأنكى وأمضى .

(١) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق وأزادوار قصبه جوين وبيهق ، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنه وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها . [الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٥٠] .
(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٦ .

الباب الثاني وسائل الدعوة

الباب الثاني وسائل الدعوة

الوسيلة في اللغة: الوُصلة والقربى ، وجمعها الوسائل ، والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير ، والوسيلة في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به^(١).

وفي الاصطلاح: « الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي : هي القناة الموصلة للغاية ، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس ، وهي في أساسها الكلمة أو القول عندما يكون الاتصال مباشرا

(١) ابن منظور ، لسان العرب ١١/٧٢٤-٧٢٥ .

. وعندما يكون الاتصال جماهيريا أو جمعيا بصورة لا يتمكن فيها الداعي أو القائم بالاتصال من إيصال ما لديه إلى الآخرين تحتاج إلى أداة اصطناعية تحملها ، وهذه الأداة تختلف باختلاف الجمهور المستهدف ، وطبيعة المادة المعروضة ، والملايسات الزمنية والمكانية الأخرى ، وهي بهذا التحديد تختلف عن أسلوب الدعوة ومجال الدعوة كذلك^(١) .

وقد استخدم المسلمون الوسائل الممكنة والمتاحة لهم في ذلك العصر في سبيل إيصال دعوتهم إلى المدعوين . وفي هذا الباب عرض لأهم الوسائل التي توصل بها المسلمون إلى الدعوة إلى الله عز وجل ، وسيكون تناول هذه الوسائل من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول - الرسل .

الفصل الثاني - الرسائل .

الفصل الثالث - الولاية .

الفصل الرابع - الجهاد .

الفصل الخامس - المسجد .

الفصل السادس - المنزل .

الفصل السابع - المخالطة .

(١) د. سيد بن محمد بن ساداتي الشنقيطي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ص ٤٣ ، دار عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، الرياض .

الفصل الأول الرسل

الرسل مرآة تعكس صورة المجتمع الذي أرسلهم من ناحية صفاتهم الجسمية ، وأخلاقهم السلوكية ، وقوتهم العقلية ، وجودتهم الكلامية ؛ ولذلك يحرص من أرسلهم على اختيارهم وانتقائهم .
وكان إرسال الرسل إحدى الوسائل التي استخدمها المسلمون في العراق وفارس للدعوة إلى الله عز وجل ، فقد أرسلوا من رأوا فيه راحة العقل ، وقوة البصيرة ، وحسن المنطق ، وهيبة المنظر ؛ لينقل للفرس صورة وضاعة للإسلام ، ويدعوهم إلى الله عز وجل وشهادة الحق ، ويناقش الحجة بالحجة إذا لزم الأمر ، ويزرع مهابة المسلمين ، ويلقي الرعب في قلوب الكافرين .
وإذا نظرنا إلى الرسل الذين أرسلهم المسلمون نرى أنهم إما رسل إلى كسرى ملك الفرس أو إلى قادتهم ، وسأحاول إلقاء الضوء - إن شاء الله تعالى - على هذين الصنفين من الرسل.

أولاً - الوفد لكسرى يزدجرد :

لما خرج رستم ونزل بساباط ووصلت الأخبار إلى سعد رضي الله عنه كتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب إليه عمر رضي الله

عنه : « لا يكرثنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونهم ، فإن الله عز وجل جاعل دعاءهم توهينا لهم »^(١) ، فما كان من سعد رضي الله عنه إلا أن انتقى مجموعة من الرجال تتوفر فيهم تلك الصفات التي أشار إليها الخليفة عمر رضي الله عنه فأرسل النعمان بن مقرن ، وبسر بن أبي رهم^(٢) ، وحملة بن جُوَيَّة الكناني^(٣) ، وحنظلة بن الربيع التميمي^(٤) ، وفرات بن حيان العجلي^(٥) ، وعدي بن سُهيل ، والمغيرة بن زرارة بن النَّبَّاش بن حبيب ، وعطار بن

(١) غزوات ابن حبيش ١٢٦/٢ .

(٢) بسر بن أبي رهم الجُهني ، شهد اليمامة ، وهو صاحب جَبَّانة بسر بالكوفة . [أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تبصير المنتبه بتحريير المشتبه ٨٦/١ ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي، مراجعة : محمد بن علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت . أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ابن ماکولا الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ٢٦٩/١ ، تحقيق : المعلمي اليماني ، محمد أمين دمج ، بيروت] .

(٣) هو حملة بن جويه الكناني ، شارك في فتوح العراق وفارس ، وقد أرسله سعد بن أبي وقاص ضمن الوفد الذي ذهب ليزدجرد ، وكان من ضمن الشهود على كتاب الأمان الذي أعطاه بكير بن عبدالله أهل موقان من جبال القُبج . [تاريخ الطبري ٤٩٦/٣ ، ١٥٧/٤] .

(٤) حنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي ، ويقال له : حنظلة الكاتب ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له ، وأرسله إلى أهل الطائف فيما ذكر ابن اسحاق ، وشهد القادسية ، ونزل الكوفة ونزل قرقيسياء حتى مات في خلافة معاوية . [المزي ، تهذيب الكمال ٤٣٨/٧-٤٤٣ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٩/١-٣٦٠] .

(٥) فرات بن حيان العجلي ، أدرك الجاهلية فأسلم وفقه في الدين ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن منكم رجالا نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان» أخرجه أبو داود والبخاري في التاريخ ، سكن الكوفة وله عقب بها . [ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٢٠٠/٣-٢٠١] .

حاجب^(١)، والأشعث بن قيس^(٢)، والحارث بن حسان^(٣)، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معد يكرب^(٤)، والمغيرة بن شعبه، والمعنى بن حارثة -رضي الله عنهم ورحمهم-^(٥) فأرسلهم دعاة إلى كسرى فارس^(٦).

ولقد أتى اصطفاء الرجال ثمرته، فقد زرعوها الهيبة في النفوس قبل دخولهم على كسرى يزدجرد؛ حيث «تاب إليهم الناس ينظرون

(١) عطار بن حاجب بن زراة بن عدس التميمي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكان خطيبه، واستعمله على صدقات بني تميم، وهو من رؤسائهم، وقد ارتد وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام وتاب، وتوفي نحو عشرين للهجرة. [ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٨٣/٢-٤٨٤. خير الدين الزركلي، الإعلام ٢٣٦/٤].

(٢) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن كندة، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من كندة، ثم ارتد وحاصره المسلمون وجرىء به إلى أبي بكر لا أمان له فمن عليه أبو بكر، وأسلم وزوجه أخته، شهد اليرموك، وكان أكبر أمراء علي يوم صفين، مات بالكوفة سنة أربعين للهجرة وعمره ثلاث وستون سنة. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٢/٦-٢٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٧/٢-٤٣].

(٣) الحارث بن حسان، ويقال: ابن يزيد البكري الذهلي، روى له أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وفي بعض طرق حديثه أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنه أبو وائل وسماك بن حرب وإياد بن لقيط، ولما فتح الأحنف خراسان بعثه إلى سرخس. [ابن حجر، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٢٧٧/١].

(٤) عمرو بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو الزبيدي الشاعر الفارس المشهور، يكنى أبا ثور، أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن له صحبة، ثم ارتد ثم تاب وحسنت توبته، وشهد فتوح الشام والعراق وله بلاء حسن بالقادسية. [ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ١٨/٣-٢١].

(٥) المعنى بن حارثة أخو المثني بن حارثة، له أثر في فتوح العراق، وكان أخوه المثني يعتمد عليه، استخلفه على الجيش الذي حاصر حصن المرأه، وفي البويب كان على المجرده، وقد تولى قيادة قومه بعد موت أخيه، ولقي بهم قابوس بن قابوس بن المنذر فأهلكه ومن معه، ثم قدم على سعد بن أبي وقاص فكان معه، وأعلمه بوصية أخيه المثني من قتال الفرس بأدنى أرض العرب. [تاريخ الطبري ٣/٣٥٠، ٣٧٧، ٤٦٥، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥٠٧].

(٦) تاريخ الطبري ٣/٤٩٦.

إليهم ، فلم يكن عشرة قط يعدلون في الهيبة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضا ، وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم» (١). « فلما دخلوا على يزيد جرد أمرهم بالجلوس - وكان سيء الأدب- فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال: سلهم ما يسمون هذه الأردية ؟ فسأل النعمان - وكان على الوفد - : ما تسمي رداءك ؟ قال : البرد ، فتطير وقال : « بردجهان » ، وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم ، ثم قال: سلهم عن أحذيتهم ، فقال: ما تسمون هذه الأحذية ؟ فقال: النعال ، فعاد لمثلها ، فقال: « ناله ناله » في أرضنا ، ثم سأله عن الذي في يده فقال: سوط ، والسوط بالفارسية الحريق ، فقال: أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان تطيره على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه ... ثم قال الملك : سلهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أنا أجمناكم ، وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ! فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء أثرته ، فقالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا . فتكلم النعمان فقال : إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين ، فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ، وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مكره عليه فاغتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبَّح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء ، فإن أبيتم فالمناجزة

(١) تاريخ الطبري ٤٩٨/٣ .

، فإن أحببتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم ... فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فأسكت القوم ، فقام المغيرة بن زُرارة بن النباش الأسيدي فقال: أيها الملك ، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخم الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، فنرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، ويغير بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسبه ، ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها ، أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد قبل ترب كان له وكان الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقفذ الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ؛ فصار فيما بيننا وبين رب

العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإليّ يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدرکتكم فبعثت إليکم هذا الرجل ؛ لأدلكم على السبيل التي بها أنجيکم بعد الموت من عذابي ، ولأحلکم داري دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تابعکم على هذا فله مالکم وعليه ما علیکم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسکم ، ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينکم، فمن قتل منکم أدخلته جنتي ، ومن بقي منکم أعقبته النصر على من ناواه ؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلّم فتتجى نفسك. فقال: أتستقبلني بمثل هذا ! فقال : ما استقبلت إلا من كلمني ، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به . فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتکم ، لا شيء لكم عندي، وقال: انتوني بوقر من تراب، فقال : احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ، ارجعوا إلى صاحبکم فأعلموه أنني مرسل إليکم رستم حتى يديکم ويدفيه^(١) في خندق القادسية ، وينکل به وبکم من بعد ، ثم أورده بلادکم

حتى أشغلکم في أنفسکم بأشد مما نالکم من سابور «^(٢) .

وهكذا نجد أن الاختيار المناسب أثمر ثمرته في المخبر كما أثمر في المظهر ، ولنا وقفات عند هذا النص الذي يحوي حواراً بين رسل المسلمين وبين يزدجرد كسرى فارس :

الأولى - أنهم قابلوا سوء أدبه في أسئلته التي لا معنى لها في هذا المقام بالإجابة الهادئة الحقة .

الثانية - أن سؤال يزدجرد حول مجيء المسلمين يتضمن احتقاراً للعرب وتعظيماً لفارس ، ومع هذا نجد الإجابة الهادئة من الوفد،

(١)أدفي الجريح : أجهز عليه . [ابن منظور ، لسان العرب ٤/٣٦٨] .

(٢)تاريخ الطبري ٣/٤٩٨-٥٠١ .

وإعطاء صورة واضحة للدعوة الإسلامية ، ومحاولة جذب الفرس لها من حيث أن إرسال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم رحمة من الله عز وجل ، وبيان أن مضمون رسالته هو الأمر بالخير والنهي عن الشر، وبيان ثمرة إجابة الدعوة وهي خير الدينا والآخرة ، وبيان انقسام الناس من العرب أمام دعوته إلى قسمين: مصدق ومخالف ، وكون العاقبة للمصدقين ، وانضواء المخالفين تحت رايتهم فيما بعد ، ثم بين بعد هذا كله أن مجيئهم إلى بلاد الفرس ليس عن حقد أو عداوة أو طمع أو لتشاغل الفرس عنهم كما يزعم يزدجرد ، وإنما هو حلقة متصلة ضمن حلقات تبليغ الدعوة الإسلامية التي هي رحمة كما بيّن قبل ذلك، كما أوضح أن الدعوة التي يدعونهم إليها دعوة منصفة ، فهم يدعونهم إلى دينهم الذي يلتزمون به وحاربوا بني جلدتهم لأجله ، وبيان ثمرة إجابتهم وهي الكف عنهم وتخفيف كتاب الله فيهم ومساواتهم بالمسلمين ، وإلا فالجزية على أن يمنعوهم، وإلا فالقتال .

فيالها من دعوة جامعة بين الإيضاح والبيان ، وبين الترغيب والترهيب ، والعدل والإنصاف .

الثالثة - لكن مع هذا البيان نجد يزدجرد لغروره وصلفه لم يسأل مزيد تفصيل عن الدعوة وعن صدق دعوى قائلها ، ولم يحاول إقامة مناظرة بين علماء دولته ومن يثق بهم وهؤلاء الرسل بحضرة منه ، كل هذا لم يفعله ، وإنما نكّس رأسه وراح يتحدث عن بؤس العرب وإنه إنما جاء بهم غرر بفارس أو الجهد .

الرابعة - إجابة المغيرة بن زرارة على كلامه فلم ينكر جهد العرب وضيق يدهم بل لقد فصل فيه أكثر ، كما عرّج على دين العرب الجاهلي وما فيه من عيوب ؛ ليبين أن ضيق العيش لا عيب فيه ، وأن الماضي المشين إذا تاب منه الشخص لا يلام عليه ، ولعله بهذا يضرب له المثل لعله يتراجع عن غيه وخطرسته وجاهليته ويدخل في الإسلام، ثم بعد ذلك أكد كلام أخيه النعمان بشجاعة ودون تلعثم .

الخامسة - نلاحظ الفرق بين عبارتي النعمان والمغيرة - رضوان الله عليهما - فنجد هدوء الأسلوب ولينه في كلام النعمان رضي الله عنه بينما نلاحظ قوة العرض في كلام المغيرة رضي الله عنه ؛ ولعل هذا بسبب كون المغيرة رضي الله عنه متأخرا في الكلام فرأى عدم فائدة الأسلوب الهادئ مع هذا المتعطرس البعيد عن قبول الحق ، فأراد أن يزرع الرعب في قلبه من المسلمين .

السادسة - كما هي عادة الطواغيت عندما تلجمهم الحجة ويفحمهم البرهان يلجؤون إلى التهديد والترهيب ، وهذا ما ختم به يزدجرد المقابلة .

وبالرغم من هذا التصرف المعلن من الملك إلا أنه لما سأله رستم عن أمره وأمرهم بين له حقيقة أثر الرسل عليه وإعجابه بهم وقال: « ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا عليّ ، وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم، وأخبره بكلام متكلمهم ، وقال: لقد صدقتني القوم لقد وعد القوم أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه»^(١) .

ثانياً - الرسل إلى قادة الفرس :

وبجانب الرسل الذين أرسلهم المسلمون إلى كسرى فقد ذهب مجموعة من الرسل إلى بعض قاداتهم ، وهذا عرض لهؤلاء الرسل وما دار بينهم وبين من ذهبوا إليه:

١- **ربيع بن عامر رضي الله عنه** ^(٢) رسول إلى قائد الفرس رستم : أرسل قائد الفرس رستم إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يطلب منه إرسال رجل إليه ليتبادل معه الحديث ، فدعا سعد رضي الله

(١) تاريخ الطبري ٥٠١/٣ .

(٢) ربيع بن عامر بن خالد بن عمرو ، من أشرف العرب ، شهد القادسية ونهاوند ، وكان ممن بنى فسطاط النعمان بن مقرن قائد المعركة ، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠٣/١] .

عنه مجموعة من الرجال ليرسلهم ، فأشار عليه ربعي بن عامر رضي الله عنه بإرسال رجل واحد ؛ معللاً ذلك بأن الأعاجم لها آراء وآداب ، وأنهم سيرون إرسال مجموعة لهم يعد احتفالاً بهم ، فوافقهم الجميع على ذلك فوجهه سعد رضي الله عنه وحده فسار إليهم ، فحبسوه وأعلموا رستم به ، فاستشار عظماء فارس فيما يفعلونه أمام الرسول من التهاون أو المباهاة ، فأجمعوا على التهاون ، فأظهر زينته ، وجلس على سرير من ذهب ، وبسط البسط ، ونشر الوسائد المنسوجة بالذهب ، وجاء ربعي بن عامر رضي الله عنه على فرسه ومظهره في غاية التواضع ، فسيفه ملفوف في خرقة ، ورمحه مشدود بقد^(١) ونحوه ، فلما وصل إلى البسط طلبوا منه النزول ، فحمل فرسه عليها ، ونزل وشق وسادتين ، وأدخل حبل فرسه فيهما ، وربطه فلم يقدر أن ينفهوه ، وأظهروا عدم المباهاة ، فعلم قصدهم وعزم على إحراجهم ، فلما طلبوا منه وضع سلاحه أبي وأصر على بقاءه والإرجع ، فأخبروا رستم فأذن له ، فأقبل يتوكأ على رمحه ، ويقارب خطوه ، ولم يترك وسادة ولا بساطاً إلا أفسده وهتكه ، فلما قرب من رستم جلس على الأرض ، وركز رمحه على البسط ، فسئل عن ذلك فأخبر بأنهم لا يرغبون القعود على زينة الفرس ، ثم دار الحوار التالي بينه وبين رستم :

« قال له ترجمان رستم : ما جاء بكم ؟

قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من العباد إلى عبادة الله عز وجل ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبله قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبي قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله عزوجل . قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقي .

(١) القَدّ : سير يقطع من جلد غير مدبوغ . [ابن منظور ، لسان العرب ٥٢/١١] .

فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟

قال : نعم، كم أحب إليكم أيوم أو يومان ؟
قال له: لا ، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، وأراد مقاربتة ومدافعتة.

فقال : إن مما بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاي فنقبل ونكف عنك، فإن كنت غنيا عن نصرتنا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجا منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل بذلك عن جميع من ترى. قال : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم»^(١).

إن ربي بن عامر رضي الله عنه هنا حاول قلب موازين تخطيطهم ، فهم أحبوا أن يظهروا له التهاون وعدم الاهتمام ، فما كان منه إلا أن تمسك بسلاحه ليذهب ذلك التهاون ، ويضطرهم إلى الجد ومطالبته بتركه ، ولما كان ذلك منهم رفض؛ لإظهار عزة المسلمين وذلة الكافرين ، كما أنه أظهر عدم مبالاته بزينتهم ، تلك الزينة التي يمجدونها ، ثم بين لهم الغاية من مجيء المسلمين بوضوح تام، وقد جمع في عرضه للإسلام على رستم بين الترغيب بتركه وملكه ، والترهيب بقتاله والقضاء على سلطانه ، كما حاول زرع الرعب في قلوب الفرس فالمسلمون مصممون على القتال، فهم واثقون بنصر ربهم لمن بقي ، والجنة لمن استشهد ، وفي هذا إيضاح بأن المسلم يُقبل

(١) غزوات ابن حبيش ١٥١/٢-١٥٢ .

على القتال غير متردد ولا خائف ، فهو في كلا الحالين -سواء قتل أو بقي حيا ليشهد النصر- على خير .

ولما سأل رستم ربعي بن عامر رضي الله عنه عن كونه سيدهم اغتتم هذه الفرصة ليعطيهم جرعة أخرى من الرعب ، حيث أظهر وحدة المسلمين وأنهم كالجسد الواحد .

ولهذا لما انتهت مقابلة رستم له كان متأثراً بكلامه فقال لرؤساء قومه : « ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ » . لكنهم تغطرسوا وأبوا واستخفوا بلباس ربعي رضي الله عنه ، وهكذا نلاحظ عدم خدشهم أو انتقاصهم لشيء مما جاء به من الدعوة ، وإنما وجَّهوا السخرية لشيء لا دخل له بها. فقال لهم رستم: « ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب تستخف باللباس والمأكل وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم »^(١).

ويظهر أن رستم كان متأثراً بدعوة المسلمين غير أنه خائف على منصبه ومركزه ؛ ولذلك أحب السير قدما في قضية الرسل علَّ رؤساء قومه يتأثرون تأثره .

٢ - حذيفة بن محصن رضي الله عنه^(٢) رسول إلى رستم :

ثم أرسل رستم إلى سعد رضي الله عنه يطلب منه أن يرسل إليهم رسول الأمس فبعث إليهم حذيفة بن محصن رضي الله عنه ففعل كما فعل ربعي بالأمس ، ولم ينزل عن فرسه ، وتكلم وأجاب مثله ، وسأله رستم عن سبب قعود الرسول الأول عنهم فقال رضي الله عنه : «

(١) النصوص القولية من غزوات ابن حبيش ١٥٢/٢ .

(٢) حذيفة بن محصن العلقائي ، استعمله أبوبكر على عمان بعد عزل عكرمه فلم يزل عليها إلى أن مات أبوبكر ، ودعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دبا ، وذكر سيف في الفتوح أن أبابكر أسره في الردة ، وقال عمر بن شبه : ولاه عمر على اليمامة . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣١٧/١] .

أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، وهذه نوبتي . فقال رستم :
والمواعدة إلى متى ؟ فقال: إلى ثلاث من أمس ،» ورجع إلى المسلمين^(١) .

ونلاحظ اتفاق الحديث عند الرسولين مما يؤكد وحدة الهدف ،
وصدق المضمون ، ولما سأله عن سبب تأخر رسول الأمس مع أنهم
طلبوه لم يتلأأ في الإجابة مع أنه لم يخطط لها وهذا يدل على سرعة
بديهته ، وإنما أبرز من خلالها خلقا إسلاميا رفيعا وهو العدل ، ولذلك
فقد تأثر رستم بهذا الكلام أيما تأثر فقال لأصحابه: « ويحكم أما ترون
ما أرى ! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا ، وحقر ما نعظم ،
وأقام فرسه على زبرجنا^(٢) وربطه به ، وجاءنا هذا اليوم ، فوقف علينا
وهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا ،» وكان رستم متحمسا
لذلك حتى أغضب الملاء وأغضبوه^(٣) .

٣ - المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى رستم :

وعندما كان من الغد من إرسال حذيفة بن محصن رضي الله عنه
أرسل رستم يطلب من سعد رضي الله عنه أن يبعث إليهم رجلا ، فبعث
سعدُ بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة - رضي الله عنهما - فلما
اقترب منهم إذا عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم
مفروشة على نطاق واسع لا يوصل إلى قائدهم حتى يسير عليها ، فلم
يقف المغيرة رضي الله عنه حتى قعد مع رستم على سريره ، فوثبوا
عليه وأنزلوه ومعكوه^(٤) . « فقال : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا

(١) تاريخ ابن خلدون ٩٢٥/٤-٩٢٦ .

(٢) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر أو نحو ذلك ، يقال: زبرج مُزَبَّرَج: أي مزِين . [إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ٣١٨/١ ، تحقيق : أحمد بن عبدالغفور بن عطار ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ ، بيروت] .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢١/٢ .

(٤) المعك : الدلك ، معكه في التراب يمعه معكا دلكه ، ومعكته تمعكا : مرَّغه فيه ، ومعكت الرجل أمعه إذا ذلته وأهنته . [ابن منظور ، لسان العرب ١٤٥/١٣] .

أرى قوما أسفه منكم ، إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسي ، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد ، وإني لم آتكم ولكن دعوتموني ، اليوم علمت أن أمركم مضمحل وإنكم مغلوبون ، وإن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول ، فقالت السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه ، قاتل الله أولينا ما كان أحقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم ، وقال : لم نزل متمكنين في البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرف في الأمم ، فليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا ، ننصر عليهم ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين والشهر للذنوب ، فإذا انتقم الله منا ورضي علينا رد لنا الكرة على عدونا ، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمرا منكم ، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا ، وكنتم تقصدوننا إذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ، ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ؛ فأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وأمر لكل منكم بوقر تمر وتتصرفون عنا فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا أسركم. فتكلم المغيرة رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئا فإنما هو بصنعه ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه ، فإله صنعه بكم ووضع فيكم وهو له دونكم ، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله ابتلانا به ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليها ، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم ، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به

مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ، ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الإسلام ، والجزية ، والقتال ، وقال له : وإن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا : لا صبر لنا عنه . فقال رستم : إذا تموتون دونها . فقال المغيرة رضي الله عنه : يدخل من قتل منا الجنة ، ومن قتل منكم يدخل النار ، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم ، فاستشاط رستم غضبا ، ثم حلف بالشمس أن لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين ، وانصرف المغيرة ر ، وخلص رستم بأهل فارس وقال : أين هؤلاء منكم؟! هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين ، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم ، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء ، فلجوا وتجلدوا ، وقال : والله إنني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ، وإن هذا منكم رءاء فازدادوا لجاجة . فأرسل رستم رسولا خلف المغيرة رضي الله عنه ، وقال له : إذا قطع القنطرة ووصل إلى أصحابه فأعلمه أن عينه تفتأ غداً ، فأعلمه الرسول ذلك ، فقال المغيرة رضي الله عنه : بشرتني بخير وأجرا ! ولولا أن أجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً ، فرأهم يضحكون من مقالته ، ويتعجبون من بصيرته ، فرجع إلى رستم فأخبره فقال : أطيعوني يا أهل فارس ، إنني لأرى الله فيكم نعمة لا تستطيعون ردها»^(١) .

ونلاحظ قبل الخوض فيما دار بين المغيرة ورستم ما يلي :

١ - محاولة الفرس زرع الهيبة في قلوب المسلمين عن طريق إظهار ما لديهم من زينة، ولسان حالهم يقول : إن هذا الموقف تجاه جيشكم لا يهمنا ولا نبالي به .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٢١-٣٢٢ ، وذكر نحوه الهيتمي في مجمع الزوائد ٦/٢١٤-٢١٥ . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وذكر بعضه الدينوري في الأخبار الطوال ص ١٢٠-١٢١ .

٢ - وقف المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أمام هذا التصرف بتصرف آخر يبطل مفعوله ويظهر لهم عدم وجود هيبة له في نفسه ، ألا وهو اقتحامه حتى جلس مع رستم على سريره .

٣- تصرف مقابل من الفرس وهو وثوبهم عليه وإنزالهم له ومعك ، وقد يقلب هذا التصرف الموازين في بعض الشخصيات فيدخله فزع ويذهب توازنه ، لكن المغيرة بن شعبة ركان يتمتع برباطة الجأش ، فاستغل الموقف لصالحه فقذف بكلمات توهن جمعهم ، وتفرق كلمتهم حيث بين أن مثل هذه الطبقية المقبحة لا توجد عند المسلمين ، وأن وجود مثل هذه الطبقية مؤذن بزوال ملك فارس ، ولقد سرت كلماته في نفوس العامة من الفرس سريان النار في الهشيم فطرح على أسنتهم ، وخشيت من ذلك عليّة القوم .

ثم دار الحوار ، وقد ابتدأه رستم فعظم أمر فارس ورفع ، وصغر العرب ووضعهم ، وحاول عزو مجيء العرب الى فارس إلى الجوع والشدة ، وهو بهذا يحاول إخافة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه والمسلمين من لقاء فارس ، فهم ليسوا بأنداد ولا نظراء لها ، وحاول فتح مجال العذر للعرب في مجيئهم وغزوهم هذا بحيث أن فارس لن تؤاخذهم عليه ؛ لأنه بسبب قاهر وهو الجوع .

ثم تكلم المغيرة رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وبعد ذلك ما ترك عقدة عقدها رستم إلا حلها فعزّ فارس الذي ذكره رستم متباهياً به إنما هو من عند الله عز وجل وهم لم يقوموا بشكره ؛ ولذلك فهو لا يخيف المسلمين ؛ لأن عدم شكره سيؤدي بهم إلى تغير الحال ، كما أن الدنيا دول ، فأهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تحل بهم .

وكما أن عزّ فارس من الله فكذلك ضيق العرب واختلافهم ابتلاء من الله عز وجل ، وإن عظيم ما ابتلوا به لو كانوا على الكفر مستجلباً لرحمة الله عز وجل ، كما أن الدنيا دول فأهل الشدائد يتوقعون الخير حتى يأتيهم .

وما تقدم إنما هو رد لكلام رستم من باب الجدل ، وكأنه يقول له إن كلامك لا يخيفنا لو كنا على الجاهلية فكيف والأمر الآن مختلف جداً ، وبين سبب اختلافه وهو الإسلام ودعاهم إليه أو الجزية وإلا فالقتال ، ثم أطنب في بيان أن المسلمين لن يرجعوا عن فتح فارس ، وذلك لما ذاقوه من أطايب طعامهم ، ولاشك أن هذا مجرد مزيد من ترهيبهم وقذف الرعب في قلوبهم وإلا فإنه قد دعاهم إلى الإسلام ، والإسلام يعصم أموالهم .

بعد هذا رد رستم متفاخراً بأن ذلك سيؤدي إلى القضاء عليهم ، فأجاب المغيرة رضي الله عنه بأن الموت لا يباليون به ؛ لأنهم يعلمون أن وراءه جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، بينما النار لقتلاكم يامعشر الفرس ، ليس هذا فحسب بل إن الظفر لا بد أن يكون من نصيب من بقي من المسلمين .

وهنا يخرج رستم عن طور أخلاق الساسة والرؤساء إلى طور الدهماء ، فيغضب ويحلف بالشمس أن يبيد المسلمين .

ولا تذكر لنا المصادر أي أثر سيء على المغيرة رضي الله عنه أو المسلمين ، أما رستم الذي أرغى وأزبد في الظاهر فإنه كان منهزماً من الداخل فما انصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس حتى قال : « أين هؤلاء منكم؟! هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين ، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم ، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء » ، فلجوا وأظهروا الجلد والقوة لكن رستم وهو أعلم بهم يقول عنهم : « والله إنني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ، وإن هذا منكم رثاء »^(١).

وركض بعض الفرس بأمر من رستم يلثهون وراء المغيرة رضي الله عنه يخبرونه بفقء عينه غداً ، ولكنهم رجعوا بخيبة الأمل ، فبدلاً من أن يظهر على المغيرة رضي الله عنه الاستياء والضجر بان عليه

(١) تاريخ الطبري ٥٢٤/٣ .

البشر والفرح بذلك ، وبين لهم رغبته في ذهاب العين الأخرى في سبيل الله لولا محبته في مجاهدة أعداء الله من أمثالهم بعد ذلك^(١) .
وعاد المرسل إلى رستم ليخبره الخبر فإزداد يقينا إلى يقينه بنصر المسلمين ، وحاول فيهم أن يطيعوه لكن دون جدوى .

٤- وفد لرستم قائد الفرس :

لم يصل الرسل السابقون الذين أرسلهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى رستم لشيء ؛ ولذا أرسل مجموعة من ذوي الرأي ، فخرجوا حتى التقوا به فقالوا له : إن أميرنا يقول: إن الجوار يحفظ الولاية ، وإني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، والعافية أن تقبل ما دعاك إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك، وبعضنا من بعض إلا أن داركم لكم، وأمركم فيكم ، وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا، وكنا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوي عليكم ، وائق الله يارستم، ولا يكونن هلاك قومك على يدك ، فإنه ليس بينك وبين أن تغبط به إلا أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك . فقال : إني قد كلمت منكم نفراً ، ولو أنهم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضح من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تَبَصَّرُوا ، إنكم كنتم أهل جهد في المعيشة ، وقشف في الهيئة، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم نسيء جواركم ، ولم ندع مواساتكم ، تقحمون المرة بعد المرة فتميركم ثم نردكم ، وتأتوننا أجراء وتجاراً فنحسن إليكم ، فلما تطاعتم بطعامنا، وشربتم شرابنا ، وأظلمكم ظلنا ، وصدقتكم لقومكم ، فدعوتموهم ، ثم أتيتمونا بهم، وإنما مثلكم في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم ، فرأى فيه ثعلباً فقال : وما ثعلب !

(١) نلاحظ أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لم يحاول أن ينكر عليهم ما أخبروه به وأنه لا يصدقه ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ، وأن المسلمين يرفضون رفضاً تاماً قضية التنجيم ، لأن الموقف لا يحتمل ذلك، فهم أولاً كفار بالإسلام لا يؤمنون به ولا يعتقدون تعاليمه، ثم لو قال ذلك لربما حملوه على دخول الرعب في قلبه.

فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم ، فلما اجتمعن عليه سد عليهن صاحب الكرم الجحر الذي كن يدخلن منه فقتلهن ، وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والطمع والجهد ، فارجعوا عنا عامكم هذا ، وامتاروا حاجتكم ، ولكم العود كلما احتجتم ؛ فإني لا أشتهي أن أقتلكم ...

وقال : وقد أصاب أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرهم القتل والهرب ، ومن سن هذا لكم خير منكم وأقوى ، وقد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئاً أصيب بعضهم ونجا بعضهم ، وخرج مما كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جرذان ألفت جرة فيها حب ، وفي الجرة ثقب ، فدخل الأول فأقام فيها ، وجعل الآخر ينقلن منها ويرجعن ، ويكلمنه في الرجوع فيأبى ، فانتهى سِمَنُ الذي في الجرة فاشتاق إلى أهله ليريهم حسن حاله ، فضاق عليه الجحر ، ولم يطق الخروج ، فشكا الفلق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل ، فكف وجوع نفسه ، وبقي في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله ، فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلاً ...

وقال : لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضر ما خلاكم يامعشر العرب، ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع ، وسأضرب لكم مثلكم : إن الذباب إذا رأى العسل طار ، وقال : من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهنه أحد إلا عصاه، فإذا دخله غرق ونشب، وقال : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضاً: إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جحراً وهو مهزول ضعيف إلى كرم ، فكان فيه يأكل ماشاء الله ، فراه صاحب الكرم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلما طال مكثه في الكرم وسمن ، وصلحت حاله ، وذهب ما كان به من الهزال أشر ؛ فجعل يعبث بالكرم ، ويفسد أكثر مما يأكل ، فاشتد على صاحب الكرم ، فقال : لا أصبر على هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلمانه ، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم، فلما رأى

أنهم غير مقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجحر الذي دخل منه، فنشب ، اتسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ، فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جنتم وأنتم مهازيل ، وقد سمنتم شيئاً من سمن فانظروا كيف تخرجون ؟ وقال أيضاً : إن رجلاً وضع سلاً وجعل طعامه فيه، فأتى الجرذان فخرقوا سله فدخلوا فيه ، فأراد سده ، فقيل له : لا تفعل ، إذا يخرقنه، ولكن انقب بحياله ، ثم اجعل فيها قصبه مجوفة ، فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبه وخرجن منها ، فكلما طلع عليكم جرد قتلتموه ، وقد سددت عليكم ، فإياكم أن تقتحموا القصبه ، فلا يخرج منها أحد إلا قتل ، ومادعاكم إلى ما صنعتم، ولا أرى عددا ولا عدة !...

فتكلم القوم فقالوا : أما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا فلما تبلغ كنهه ، يموت الميت منا إلى النار ، ويبقى الباقي منا في بؤس ، فبيننا نحن في أسوأ ذلك بعث الله فينا رسولا من أنفسنا إلى الأانس والجن ، رحمة رحم بها من أراد رحمته ، ونقمة ينتقم بها ممن رد كرامته ، فبدأ بنا قبيلة قبيلة ، فلم يكن أحد أشد عليه ، ولا أشد إنكاراً لما جاء به ، ولا أجهد على قتله ورد الذي جاء به من قومه ، ثم الذين يلونهم ، حتى طابقتنا على ذلك كلنا ، فنصبنا له جميعاً ، وهو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى ، فأعطي الظفر علينا ، فدخل بعضنا طوعاً، وبعضنا كرهاً ، ثم عرفنا جميعاً الحق والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة ، وكان مما أتانا به من عند ربنا جهاد الأدنى فالأدنى ، فسرنا بذلك فيما بيننا، نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا يخرم عنه ولا ينقض ، حتى اجتمعت العرب على هذا، وكانوا من اختلاف الرأي فيما لا يطيق الخلائق تأليفهم ، ثم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله ، وننفذ لأمره، وننتجز موعوده ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ، فإن أحببتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله ، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى ، فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورتنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم، فاقبلوا نصيحتنا ، فوالله لإسلامكم

أحب إلينا من غنائمكم، ولقتالكم بعد أحب من صلحكم . وأما ما ذكرت من رثائتنا وقتلنا فإن أداتنا الطاعة، وقتالنا الصبر . وأما ما ضربتم لنا من الأمثال فإنكم ضربتم للرجال والأمور الجسام وللجد الهزل ، ولكن سنضرب مثلكم ، إنما مثلكم مثل رجل غرس أرضاً ، واختار لها الشجر والحب ، وأجرى إليها الأنهار ، وزينها بالقصور ، وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جناتها ، فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب ، وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرتهم ، فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم استعذبهم فكابروه ؛ فدعا إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ، فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس ، وإن أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء يملكونهم ، ولا يملكون عليهم ، فيسومونهم الخسف أبداً ، ووالله أن لولم يكن ما نقول لك حقاً ، ولم يكن إلا الدنيا ، لما كان لنا عما ضرينا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زبرجكم من صبر ، ولقار عناكم حتى نغلبكم عليه . فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ قالوا : بل اعبروا إلينا ، فخرجوا من عنده عشياً^(١) .

ولنا وقفات مع هذا الحوار :

الأولى - نلاحظ رقة العبارة وظهور الإشفاق والرحمة على الفرس في كلام المسلمين، ويغلب جانب الترغيب على الكلام من بقاء ملك الفرس وإعانة المسلمين لهم على عدوهم ، وصيرورة الفرس إخواناً للمسلمين العرب ؛ وذلك لما عند رستم من ميل إلى السلم والإسلام، كما لم يخل الكلام من الترهيب والتخويف بالهلاك للفرس .

الثانية - أظهر رستم الكبر والصلف وذلك في ضربه مثلاً للمسلمين بالثعلب والجرذان والذباب.

الثالثة - اعتراف المسلمين بما كانوا عليه من جهد قبل الإسلام فهو أمر لا عيب فيه، ثم ذكروا معاداتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتصار الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ليكون بذلك ضرب

(١) تاريخ الطبري ٥٢٥/٣-٥٢٩ .

مثل لرستم ، فنحن مع كوننا كثرة قد هزمتنا الله تعالى أمام رسوله ،
فكذلك سيهزمكم معاشر الفرس ، ثم هانحن قد دخلنا فيه فصرنا حملته
وصرنا إخوة لمن سبقنا ، فهيا ادخلوا فيما دخلنا فيه نكن نحن وأنتم
إخوة ، وهذا الكلام مؤثر أيما تأثير فيمن له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد .

ثم بين الوفد أن مجيئهم للفرس ليس عن اجتهاد منهم ، وإنما هو
تنفيذ لأمر من عند الله عزوجل مقترن بانتجاز موعوده بوراثة فارس ،
وفي هذا ترغيب وترهيب لقبول الدعوة .

الرابعة - لم ينحرف الدعاة المسلمون بسبب أمثلة رستم
المتغترسة فيثوروا ويغضبوا، وإنما كانوا مثلاً في الهدوء والرزانة ،
فاكتفوا بإظهار عدم رضاهم بهذه الأمثلة الجائرة، وأنها لا تمثل من
الواقع شيئاً ، ثم ضربوا له المثل الحق دون أن ينتقصوا المدعويين أو
ينالوا منهم حتى لا يكون ذلك سبباً لنفورهم ، وإنه لموقف ينبغي للدعاة
في كل عصر أن يفيدوا منه إذا تعرضوا لمواقف استفزازية من قبل
من يدعونهم من ذوي الغترسة والنزق .

الخامسة - بالرغم من هذه الدعوة التي تحمل في طياتها صدق
العاطفة، وبذل النصيحة، وضرب المثل ، والترغيب والترهيب كانت
النتيجة من قبل الفرس بطراً للحق وردة، والمضي قدماً في الغي
والضلالة ، وهذا لا يعني فشل الدعوة فمهمة الداعية التبليغ، وأما
الهداية فبيد الله العزيز الحميد .

٥- المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى قائد نهاوند :

أرسل قائد نهاوند^(١) إلى المسلمين يطلب إرسال رجل يتكلمون معه ، فأرسلوا المغيرة بن شعبه ر^(٢) . وقد دار بينهما الحوار التالي :
« قائد الفرس: إنكم معشر العرب أصابكم جوع شديد ، فإذا شئتم مرناكم ورجعتم إلى بلادكم .

المغيرة : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنا كنا معشر العرب نأكل الجيف والميتة، وكانوا يطؤوننا ولا نطوهم ، فابتعث الله إلينا رسولا في شرف منا ، أو سطنا حسبا، وأصدقنا حديثا، وإنه وعدنا أنا ههنا سيفتح علينا ، فقد وجدنا جميع ما وعدنا حقا، وإني أرى ههنا بزة وهيئة ما أرى أن من بعدي بذاهبين حتى يأخذوه »^(٣) .

ولعلك تعجب من شدة خطاب المغيرة رضي الله عنه لكن ما جاء عند الطبري يكشف عن ذلك فقد جاء فيه أن قائد الفرس قال : « إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قذراً، وأبعده دارا ، وما منعني أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسا لجيفكم ؛ فإنكم أرجاس ، فإن تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأتوا نركم مصارعكم »^(٤)، كما يلاحظ أن الفرس في هذه المعركة كان لديهم شيء عن الإسلام ؛ بسبب ما سبق من لقاءات معهم في القادسية وغيرها، ثم إن المغيرة رضي الله عنه حريص بجانب بيان الإسلام على زرع الرعب في قلوبهم .

إن مما لا شك فيه أن ما دار بين رسل المسلمين وبين من أرسلوا إليهم يعتبر معينا عذبا ينهل منه المسلمون والدعاة فيما إذا أرادوا

(١) في تاريخ الطبري ١١٨/٤ أنه بن دار العلج . وعند الهيتمي في مجمع الزوائد ٢١٥/٦ والمسعودي في مروج الذهب ٣٢٢/٢ أنه ذو الجناحين وعند أبي نعيم الأصبهاني في كتاب ذكر أخبار أصبهان ٢١/١ أنه ذو الحاجبين .

(٢) تاريخ الطبري ١١٨/٤ .

(٣) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ٢٩٣/٣-٢٩٤ . الهيتمي ، مجمع الزوائد ٢١٦/٦ . أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ٢١/١-٢٢ .

(٤) تاريخ الطبري ١١٨/٤ .

إرسال رسالة أو عرض الإسلام على أحد ليس له سابق علم به ، مع مراعاة منزلة المدعو .

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى الفرس ثلاث مرات :
ومما يلفت انتباه القارئ في الرسل الموفدين إلى الفرس ما يرى من إرسال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ثلاث مرات ، وهذا ما حداني إلى البحث في شخصيته ، وهذه إطلالة يسيرة عليها .
كان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رجلا طوالا مهيبا^(١)، ضخم الهامة ، بعيد ما بين المنكبين ، عبل الذراعين^(٢)، وكان داهية يقال له : مغيرة الرأي^(٣) .
قال الزهري: « الدهاة في الفتنة أربعة » . وذكر منهم المغيرة بن شعبة ر^(٤) .

وقال الشعبي : « الدهاة أربعة » . وذكر منهم المغيرة بن شعبة ر^(٥) .

وقال الشعبي : سمعت قبيصة بن جابر يقول: «صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها»^(٦) .
وهكذا نلاحظ أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه جمع الهيئة في الهيئة ، وعظم الجسم، والدهاء في الأمور ، فاستحق بذلك تلك الوفاة .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢١/٣ .

(٢) رجل عبل الذراعين : أي ضخمهما . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٤٠٩] .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٢/٣ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٩/٨ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٩/٨ .

(٦) المصدر السابق ٤٩/٨ .

الفصل الثاني الرسائل

تعتبر الرسائل إحدى الوسائل الناجحة للداعية في تبليغ مضامين ما يدعو إليه الناس.

وقد استخدم المسلمون وسيلة الرسالة في الدعوة إلى الله في العراق وفارس ، فكانت رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس هي أولى تلك الرسائل ولم تكن هي آخرها.

ولئن كانت رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تحمل التخيير بين الإسلام والجزية والجهاد؛ لظروف الدعوة إبان إرسال تلك الرسالة فإن الرسائل الأخرى قد تضمنت ذلك .

وأحياناً تكون الرسالة رداً على رسالة سابقة تحمل بين طياتها الكبر والغطرسة فيأتي الرد تبكيتاً لمن أرسلت إليه .

وقد قسمت هذه الرسائل إلى ثلاث مجموعات :

أولاً - الرسائل إلى كسرى .

ثانياً - الرسائل إلى مرازية^(١) أهل فارس.
ثالثاً - الرسائل إلى أمراء بعض المناطق .

أولاً - الرسائل إلى كسرى:

من أبرز الرسائل التي بعثها المسلمون إلى كسرى فارس:

أرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز :
كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض ومنهم كسرى ملك فارس ، فقد بعث إليه برسالة يدعوها فيها إلى الإسلام ، وقد جمع فيها بين الترغيب والترهيب ، فرغبه في السلامة إن أسلم ، وحذره من الإعراض وإلا تحمل أوزار المجوس ؛ لكونه سببا في صدهم عن نعمة الهداية، ولكن للأسف الشديد لم تقابل هذه الرسالة بقبول الإسلام، بل ولا باللين والرفق ، وإنما قوبلت بالتمزيق والتهديد والوعيد لمن أرسلها^(٢).

ب - رسالة المثني بن حارثة رضي الله عنه إلى كسرى شهربراز :
بعد خروج خالد بن الوليد رضي الله عنه بقليل من الحيرة سنة ثلاث عشرة للهجرة اتحد الفرس على شهربراز بن أردشير بن شهريار فأرسل إلى المثني بن حارثة رضي الله عنه جندا كثيفا وكتب إليه رسالة نصها : «إني قد بعثت إليكم جنداً من وخش^(٣) أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم».

(١)المرازية :مفردها مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ،وهو معرب. [ابن منظور ، لسان العرب ٧٧/١٣].
(٢) لمزيد من التفصيل حول هذه الرسالة ارجع إلى ص ٦٣ وما بعدها من هذا البحث .
(٣) وخش الناس: أي من رذالهم . وأوخاش من الناس أي سقاطهم . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٧١٣].

ومع ما يظهر في الرسالة من الكبر والخطرة مما قد يثير حفيظة المرسل إليه إلا أننا نجد أن المثنى رضي الله عنه يرد عليها بكل تودة وتعقل فيقول: «إنما أنت أحد رجلين، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير»^(١).

ولقد أثمرت هذه الرسالة من المثنى رضي الله عنه ثمرتها إذ بينت رجاحة عقل المسلمين، وأزرت بقيادة الفرس؛ ولذلك جزع الفرس من كتابة كسرى وقالوا: «إنما أتى شهربراز من شؤم مولده ولؤم منشئه، وقالوا له: جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم، فإذا كاتب أحدنا فاستشر»^(٢).

ثانياً - الرسائل إلى مرازبة أهل فارس :

لما تمكن خالد بن الوليد رضي الله عنه من أطراف العراق وفتح الحيرة وهزم الفرس ومن معهم في وقائع عديدة، وافق ذلك أن قتلت الفرس ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيرين وكل من ينسب إليهما، وظلوا مترددين فيمن يقلدونه الحكم، فعند ذلك كتب خالد رضي الله عنه إلى من هنالك من المرازبة والأمراء^(٣)، ونص كتابه: «سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإننا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم فإن معي قوما يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر والسلم»^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤١١/٣-٤١٢.

(٢) المصدر السابق ٤١١/٣-٤١٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٤٨/٦.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين ٢٩٩/٣. حميد بن زنجوية (ت ٥٢١هـ)، كتاب الأموال ١٣٨/١. وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن أو صحيح. [مجمع الزوائد ٣١٠/٥].

فخالد بن الوليد رضي الله عنه دعاهم أولاً للإسلام، وفي بعض الروايات ترغيب لهم في الإسلام وذلك بالمساواة مع المسلمين حيث يقول: « وإنه من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ما علينا »^(١)، فإن أبوا فأعطاء الجزية ، ثم أرهبهم وخوفهم القتال لأن معه قوما لهم صفة عجيبة ليست عند غيرهم ، فهم يحبون الموت مثل ما يحب الفرس الخمر والسلم ، وفي رواية «كما تحبون الحياة»^(٢).

ولكن للأسف الشديد لم تقابل هذه الرسالة بالقبول الحسن ، وإنما تعجب الفرس من جرأة خالد وشجاعته ، وسخروا من فعله ؛ ولذلك استمر خالد في الجهاد لإعلاء كلمة الله وكسر شوكة أعدائه^(٣).

ثالثاً - الرسائل إلى أمراء بعض المناطق :

من الرسائل إلى أمراء بعض المناطق رسالة خالد بن الوليد رضي الله عنه فإنه لما خرج إلى العراق سنة ١٢ هـ كتب إلى هرمز^(٤)^(٥)، ونص كتابه : «أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»^(٦). وقد جمعت هذه الرسالة بين الترغيب والترهيب ، ولكن لم

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ٣/٣٤٦.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٨.

(٤) هرمز أحد عظماء الفرس ممن تم شرفه فيهم ، وكان على فرج الهند ، وهو من أعظم فروج فارس بأسا وأشدّها شوكة ، وكان هرمز يحارب العرب في البر والهند في البحر ، وكان سيء المجاورة للعرب فكلهم عليه حنق حتى ضربوه مثلاً في الخبث فقالوا : أكفر من هرمز. [ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٦٦٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٤] .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٤.

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٤٧-٣٤٨.

يستجيب هرمن لرسالة خالد رضي الله عنه وإنما عاند وكابر وكتب إلى أردشير كسرى بذلك ، وجمع جيوشه لمقابلة المسلمين ، ولقد لقيه المسلمون فقتلوه وهزموا جيشه هزيمة منكرة^(١) فله الحمد والمنة.

الفصل الثالث الولاية

تعتبر الولاية أحد المناصب التي لها مسيس علاقة بالدعوة إلى الله عزوجل ، فقد أنيطت بها مهمات دعوية تقوم بها ، ولأهميتها كان الخلفاء الراشدون يولونها كامل عنايتهم ، فمن كلام عمر : « من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يشغله إلا ذاك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ومن استعمل فاجرا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله»^(٢) . وكان عمر رضي الله عنه يختبر عماله قبل أن يوليهم ، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس ر^(٣) حين قال : « قدمت على عمر بن الخطاب -رضوان الله عليه- فاحتبسنى عنده

(١) تاريخ ابن خلدون ٨٨٨/٤ .

(٢) محمود بن شيبان بن خطاب ، عمر بن الخطاب الفاروق القائد ص ٥٧ ، مكتبة الحياة ، ط ٢ ، بيروت .

(٣) الأحنف بن قيس التميمي بن معاوية بن حصين التميمي يكنى أبا بحر ، والأحنف لقب واسمه الضحاك ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروي أنه دعا له ، وكان ثقة مأمونا قليل الحديث ، مات سنة سبع وستين بالكوفة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٣/٧-٩٧ . المزي ، تهذيب الكمال ٢/٢٨٢-٢٨٧] .

حوالا فقال : ياأحنف ، قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وإنا كنا نتحدث أنه يهلك هذه الأمة كل منافق عليم»، ثم بين له أنه أراد اختباره ثم ولاه^(١).
وبالجملة كان الخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم - يراقبون الله عز وجل ، ويراعون المصلحة عند تعيين الولاة دون نظر لقرابة أو عداوة شخصية^(٢).
وبجانب الاجتهاد في اختيار الولاة كان الخلفاء يراقبون عمالهم بعد التولية .

قال عمر : « أرأيت إن استعملت عليكم خير من أعلم ، ثم أمرته بالعدل أفضيت ما علي ؟ قالوا : نعم . قال : لا حتى أنظر في عمله ، أعمل بما أمرته أم لا؟»^(٣). واستعمل عمر رجلا من بني أسد على عمل فدخل ليسلم عليه فجاء عمر ببعض ولده فقبله فأنكر الأسدي ذلك وذكر أنه لا يقبل أولاده. فقال عمر رضي الله عنه : « فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة ، لا تعمل لي عملا أبدا فرد عهده »^(٤). ودأب علي رضي الله عنه على مراقبة ولاته ، والنظر في سيرتهم في ولاياتهم ، وقد سلك لذلك عدة طرق منها بعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة ليستخبروا الناس عن أمرهم ، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ، ويأمرهم بتفقد أحوالهم^(٥).

-
- (١) ابن الجوزي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١١٧ .
(٢) العمري ، الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ص ٣٣٢ .
(٣) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، كنز العمال ١٦٥/٣
(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ٤١/٩ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٦هـ ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني . ابن الجوزي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٢٠ .
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠٤ ، ٢٠٥ . العمري ، الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ص ٣١٤ .

كما أن الخلفاء الراشدين كانوا يحاسبون عمالهم^(١)، وكان عمر رضي الله عنه يبعث إلى عماله في رأس كل سنة ، فإذا قدموا عليه سألهم عن أحوالهم مع الناس ، وعماء وراءهم ، ثم يرد من شاء إلى ولايته ، ومن أحب عزله أبقاه عنده^(٢).

وقد قام الخلفاء بمناصحة ولاتهم وإرشادهم ، فقد كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى سعيد بن العاص ر^(٣) واليه على الكوفة « أما بعد ففضل أهل السابقة والقدمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد ، وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء ، واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل »^(٤) .
ولقد أنيط بالولاية واجبات دعوية نذكر شيئاً منها :

أولاً- التعليم:

كان عصر الخلفاء الراشدين عصرًا مملوءاً بالفتوحات ، ودخول الناس في دين الله عز وجل، وكان من مهام الولاية تعليم الناس ونشر الدين بينهم .

(١) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ٣/٨٠٥-٨٢١ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٧ تاريخ الطبري ٤/٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٧٧ ، ٣٢٢ .

(٢) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ٣/٨٠٦ .

(٣) ابن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي ، قتل أبوه يوم بدر مشركاً ، وخلف سعيداً طفلاً ، قال أبو حاتم : له صحبة ، وكان أميراً ، شريفاً ، جواداً ، ممدوحاً ، حليماً ، وقوراً ، ذا حزم وعقل ، يصلح للخلافة ، اعتزل الحرب بين علي ومعاوية ، توفي بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة المنورة سنة تسع وخمسين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥/٣٠-٣٥ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٤-٤٤٩ .]

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/٥٤ .

قال أبو موسى الأشعري ر^(١) لأهل البصرة: « إن أمير المؤمنين بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم وأنظف لكم طرقكم »^(٢) . وكون التعليم من مهام الوالي هو ما صرح به عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرار^(٣)، كما صرح به علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأحد عماله أيضاً^(٤)، وقد يستعين الولاة بغيرهم على مهمة التعليم^(٥).

ثانياً- إقامة الصلاة :

ومن الأمور الموكلة إلى الوالي إمامة الصلاة ، فقد كان يتولى إمامة الصلاة

الوالي أو من ينوب عنه^(٦).

(١) عبدالله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري التميمي ، الفقيه المقرئ الإمام الكبير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحمل عنه علما كثيراً، واختلف في سنة وفاته فقيل: اثنتين وأربعين. وقيل: غير ذلك. [الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢-٤٠٢. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٩/٢-٣٦٠].

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص ٨٢، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٩هـ، دمشق.

(٣) الإمام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي ١٣٩/١، دار الدعوة. مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٥/١، قال أحمد بن شاکر: إسناده صحيح، المسند بشرح وفهرسة أحمد بن محمد بن شاکر ١٩٢/١-١٩٣، رقم الحديث ٨٩، دار المعارف، ط ٢، مصر. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣٠/٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٠٢/٢.

(٥) انظر فصل التعليم ص ٣٠٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية ص ١٠٠. صحيح مسلم ٥٩٤/١، كتاب الجمعة، باب ١٣ تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث ٨٦٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٢. العمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ص ٣٥٦.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لولاته : « إن أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة»^(١) .
ومن كلام عمر للولاة عند مفارقتهم متوجيهم إلى البلاد متولين عليها : « ... ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة ... »^(٢) .

ثالثاً- بناء المساجد :

المساجد لها أهميتها العظمى في الإسلام ، ولقد راعى الولاة - رضي الله عنهم ورحمهم- ذلك ، فقاموا ببناء المساجد، ومن المساجد التي بناها الولاة مسجد أربيل، بناه الأشعث بن قيس رضي الله عنه ، ومسجد بجزيرة بفارس ، بناه عرفة بن هارثة ر، ومسجد توج ، بناه عثمان بن أبي

العاص رضي الله عنه^(٣) ومسجد اصطخر، بناه شريك بن الأعور^(٤) وغيرها من المساجد^(١) .

(١) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المشهور بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٢٤ ، تحقيق: محمد بن حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٩٥/٢ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت . علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، كنز العمال ١٤٨/٣ .

(٣) عثمان بن أبي العاص أبو عبدالله الثقفي الطائفي ، الأمير الفاضل المؤتمن ، قدم في وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلموا ، وأمره عليهم لما رأى من عقله وحرصه على الخير والدين ، ثم أقره أبوبكر ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين ، له أحاديث في مسلم والسنن ، توفي سنة إحدى وخمسين . [ابن قتيبة ، المعارف ص ٢٦٨-٢٦٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٤-٣٧٥] .

(٤) هو شريك بن الأعور الحارثي ، اشترك في فتوح فارس ، وقد استعمله ابن عامر على اصطخر ، ولما كانت فتنة قتل عثمان وانقسم المسلمون كان مع علي رضي الله

رابعاً- تيسير أمور الحج :

كان الولاية في العصر الأول من الإسلام مسؤولين عن تسهيل أمور الحج في ولاياتهم والحرص على سلامة الحجاج^(٢)، وهذا العمل كان يدخل السرور على أنفسهم ، بل نجد عبدالله بن عامر بن كريز^(٣) والي البصرة يتمنى مزيداً من التسهيلات للحجاج ، فيود أن الأمر بيده فيجعل الحاج يذهب إلى مكة بدون زاد حيث يمر كل يوم على ماء وسوق حتى يصل إلى مكة^(٤).

خامساً - إقامة الحدود والعقوبات :

ومن الواجبات الملقاة على عاتق الولاية إقامة الحدود الشرعية وتطبيق العقوبات على المخالفين ، وقد كان الولاية يقومون بذلك بين الناس دون تمييز كقتل الوليد بن عقبة^(٥) قَتْلَ ابن الحيسمان

عنه ، وقد بعثه علي مع جارية بن قدامه السعدي لإخماد فتنة ابن الحضرمي بالبصرة ، ولما اجتمع الناس على معاوية بايعه ، وكان حريصاً على قتال الخوارج . [تاريخ الطبري ٣٠١/٣ و ١١٢/٥ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٣٢١] .

(١) انظر ص ١٩٨ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٣ .

(٣) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشي العبشمي ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه حديثاً ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وأبوه عامر ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، من كبار ملوك العرب وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فيه رفق وحلم . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤٤/٥-٤٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢١-١٨/٣] .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ص ٣٢١ .

(٥) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو الأمير أبو وهب الأموي ، له صحبة قليلة ، ورواية يسيرة ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، من مسلمة الفتح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق ، وأمر بذبح والده صبراً يوم بدر ، اعتزل الحرب بين علي ومعاوية ، وكان شجاعاً قائماً بأمر الجهاد . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٤/٦-٢٥ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٤١٢-٤١٦] .

الخزاعي^(١) وأمر ابن مسعود رضي الله عنه بقتل ابن النواحة^(٢) ^(٣). وإقامة هذه الحدود والعقوبات له أثره الكبير في تقليل هذه الجرائم التي تزور الأمنين وتفزع المواطنين ؛ وبذلك يعم الأمن والرخاء وذلك من أهداف الدعوة الإسلامية ، كما أنه إذا عم الأمن امتد الناس في أعمالهم ومنها الأعمال المتعلقة بالدعوة إلى الله عزوجل .

سادساً-الجهاد في سبيل الله :

يعتبر الجهاد من المهمات الكبيرة الملقاة على عاتق الولاة في عصر الخلفاء الراشدين ، بل إننا نلاحظ أن من معالم عصر الخلفاء الراشدين أن الولاة هم قواد الجهاد غالباً مثل خالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة ، وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضوان الله عليهم .

سابعاً-القضاء على الفتن :

ومما ينبغي على الوالي أن يتنبه إلى الفتن وأصولها ، ويحاول القضاء عليها ، ولعل من أهم الأمثلة على ذلك ما فعله ابن عامر رضي الله عنه بعبدالله بن سبأ حين حل بالبصرة ، وصار له أتباع إذ أرسل إليه واستجوبه ، وعرف أغواره ، وأدرك سعيه إلى الفتنة فأخرجه من البصرة ، فذهب إلى الكوفة فأخرج منها أيضاً^(٤). وعندما دبت الفتنة في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه أرسل عثمان رضي الله عنه إلى بعض عماله ومنهم عبدالله بن عامر رضي الله عنه والي

(١) تاريخ الطبري ٢٧١/٤-٢٧٢ .

(٢) ابن النواحة: هو أحد الرسولين اللذين أرسلهما مسيلمة الكذاب إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهد أمام الرسول بأن مسيلمة رسول الله ، والآخر هو ابن أثال وقد أسلم. [ابن كثير ، البداية والنهاية ٥٢/٥] .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٥٢/٥

(٤) تاريخ الطبري ٣٢٦/٤-٣٢٧ .

البصرة فجمعهم فشاورهم فأشاروا عليه بما يجمع هذه الفتنة ويزيلها^(١)، وهكذا أدلى الولاة بدلوهم بالمشورة في كيفية القضاء على الفتنة .
كما أن الولاة منتقون انتقاء ، للناس فيهم قدوة حسنة ، مثل سعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان^(٢) ، وعمار بن ياسر^(٣) ، وأبو موسى الأشعري وغيرهم- رضوان الله عليهم- ، ومع ذلك فقد كان عمر رضي الله عنه يشترط على ولاته بعض الشروط التي تبعدهم عن الدنيا وزخرفها ، فقد كان يشترط على الوالي أن لا يأكل نقيا ، ولا يلبس رفيعا ، ولا يركب برذونا ، ولا يغلق بابه دون حاجات الناس^(٤) ؛ وبذلك يكون قدوة للناس في الزهادة في الدنيا ، كما كان عمر رضي الله عنه يحب في ولاته أن يقوموا بالأعمال الاجتماعية الحسنة من زيارة المريض لاسيما العبيد، والرأفة والرفق بالضعفاء^(٥) .

-
- (١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٧٥/٣ .
(٢) حذيفة بن اليمان بن جاجر العبسي اليماني أبو عبدالله ، من أعيان المهاجرين ومن نجباء الصحابة ، وهو صاحب السر وأعلم الناس بالمنافقين وبالفتن ، شهد المشاهد كلها بعد أحد، مناقبه كثيرة جداً، توفي بالمدائن سنة ست وثلاثين وقد شاخ. [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥/٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢-٣٦٩].
(٣) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة من قحطان مولى بني مخزوم ، أحد السابقين الأولين والأعيان البدريين ، وأمه سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابييات ، له في مسند بقي اثنان وستون حديثاً، قتل بصفين وله ثلاث وتسعون سنة. [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٠٦/١-٤٢٨] .
(٤) المحب الطبري ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٩٥/٢ .
(٥) تاريخ الطبري ٢٢٦/٤ .

الفصل الرابع الجهاد

إن الصراع بين الحق والباطل قديم جداً منذ أن خلق الله آدم وكرمه بأن أمر الملائكة بالسجود له فأبى إبليس واستكبر. وعندما أنزل الله آدم وزوجه إلى الأرض استمرَّ الصراع بينهما وبين إبليس . ولما تناسل آدم وحواء وُجد الصراع بين الذرية من أجل الحياة والعقيدة والسيطرة ... واستمر الصراع بين الحق والباطل^(١).

والجهاد الإسلامي ما هو إلا حلقة من حلقات جهاد الحق ضد الباطل ؛ لحماية الحق وأهله ، وصون العقيدة وحفظها ، ونشر الإيمان وبثه ، وبيان أحييته وصدقته، وكشف باطل أعدائه ، ورفع نير العبودية عن الشعوب المغلوبة على أمرها ، لتتنفس عبير الحرية ، وتفكر بهدوء وروية ، ثم تدخل في دين الله الحق دين العقل والفطرة.

إن الدين الإسلامي دين الله عزوجل جاء يحمل خصائص وصفات حسنة ، تحمل العدل والبر والإحسان والمساواة ... ، وليس كل الناس يعجبه ذلك ، فأهل الشر لا يريدونها ؛ لأنها تخالف أهواءهم وشهواتهم فكان لابد من الصراع معهم .

ومن حكمة الله عزوجل أن الحق محتاج إلى قوة تحميه ، وتقف بجانبه ، توضح طريق الحق وما فيه من خير ، وتفضح طريق الشر وما فيه من عوار ؛ ومن هنا شرع الجهاد الإسلامي .

وسأحاول هنا - بمشيئة الله تعالى- إلقاء الضوء على أهم مبادئ الجهاد الإسلامي التي طبقت في العراق وفارس ، ثم أتحدث عن المشاركين في ذلك الجهاد.

(١) عبدالله بن محمد موسى ، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، ص ٢٣ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع .

أولاً - مبادئ الجهاد الإسلامي :

إن الجهاد الإسلامي يباين كل الحركات الحربية البشرية لارتباطه بالله عز وجل أولاً وآخرأ ؛ ولذلك كانت له مبادئه الفريدة المتميزة ، وسأعرض - إن شاء الله تعالى - أهم هذه المبادئ فيما يلي :

١ - وضوح غاية الجهاد :

إن الدولة الإسلامية تباين غيرها من الدول في غاية القتال وهدفه ، فإذا كان غيرها يستهدف استعباد الشعوب وإذلالهم ، وامتصاص خيرات بلادهم ، والتوسع في الملك والسيادة ، فإن هذا لا وجود له في الإسلام .

وليست فارس منالاً سهلاً هينا ، بل كانت عقبة كؤوداً دونها المخاطر والموت، وكانت العرب في جاهليتها ترهبها وتخشاها ، وتخشى فتكها بل وجد شيء من الخوف منها عندهم بعد الإسلام .
ولذلك تستبعد العوامل الاقتصادية في كونها الباعث على الجهاد كما يزعم بعض المستشرقين^(١).

إن غاية الجهاد الإسلامية غاية واضحة في الأذهان ، جليلة لمن طلب الحق بنزاهة وتجرد ، فالجهاد الإسلامي إنما كان هدفه نشر كلمة لا إله إلا الله في كل مكان انطلاقاً من عالمية الرسالة الإسلامية ، يظهر لنا هذا على ألسنة الخلفاء الراشدين -رضوان الله تعالى عليهم- ففي كتاب الأمان من خالد رضي الله عنه لأهل الحيرة: « إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - أمرني أن أسير بعد منصرفي من أهل اليمامة إلى أهل

(١) عن علي بن حسين الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمة ص ١٠١ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٩هـ .

العراق من العرب والعجم ، وأدعوهم إلى الله جل ثناؤه وإلى رسوله عليه السلام»^(١).

وفي وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - حينما أمره على حرب العراق: « لا يغررك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ، ووصاه بالصبر»^(٢) ، وفي وصيته لعنتبة بن غزوان : « ... وادع إلى الله فمن أجابك فاقبل منه»^(٣). ولا نرى في هذه النصوص وصاية بالاستعباد والقهر للناس ، ولا أمراً بجمع الأموال وتكديسها ، وإنما نرى أمراً بالدعوة إلى الله وبلزوم الأمر الذي عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإذا تقابلت الجيوش ، وأزفت المعركة لم يكن إلا التذكير بالله عزوجل والارتباط به سبحانه ؛ لأنهم إنما جاءوا لإعلاء كلمته ، فمثلا في القادسية نرى في كلمات من يحثون الجيش على الشجاعة الإخلاصَ لله عزوجل ، منها مثلا قول بسر ابن أبي رهم الجهني : « احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحدتموه ولا إله غيره وكبرتموه وأمنتم بنبيه ورسله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا ؛ فإنها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم ، انصروا الله ينصركم»^(٤).

(١) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ص ١٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٣/٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٣٨/٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٥٣٤/٣ .

ولما لم تكن الأموال والتوسع هدفهم كانوا يحبون الموت ولا يبالون به ويبدلون أنفسهم لله^(١).

قال سليط بن قيس الأنصاري ر^(٢): «ألا وإني قد وهبت نفسي لله أنا ومن أجبني من بني عمي ومن أتبعني»^(٣).

وبجانب رسوخ هذه الغاية في نفوس المسلمين فقد كانوا يوضحونها لأهل البلاد المفتوحة ، فلقد كانت رسائل المسلمين تدعوا إلى الإسلام ، فإن أبوا فالجزية أو القتال وغايته إزاحة العقبات عن طريق الدعوة لتصل إلى الناس .

وبجانب الرسائل كان الرسل الذين يذهبون إلى الفرس يوضحون هذا الجانب إيضاحاً لا لبس فيه ، وما أحسن قول ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم لما سأله : ما جاء بكم قال : « الله جاء بنا وهو بعثنا ؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله عزوجل ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^(٤).

ولما جاء حذيفة بن محصن رضي الله عنه إلى رستم فقال له ما جاء بكم ؟ أجابه مثل إجابة ربعي رضي الله عنه^(٥).

ومن هذا يتضح أن للمسلمين من جهادهم هدفاً سامياً هو إيصال نور الهدى الرباني إلى كل نفس بشرية ، فهم لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، ولا درهماً ولا ديناراً ، وإن كان المال قد جاءهم فهي نعمة من الله لهم على إخلاصهم وإن لم تكن غايتهم ، وهو ما

(١) انظر مبحث إثبات الآخرة على الدنيا وحبهم للجهاد ص ٤٠٥ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) سليط بن قيس بن عمرو بن عبدالله بن مالك الأنصاري النجاري ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وقتل يوم الجسر . [ابن حجر ، الإصابة ٧٢/٢] .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١/١٦٤ .

(٤) غزوات ابن حبيش ١٥١/٢ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٩٢٥-٩٢٦/٤ .

صرح به زهرة بن حوية لرستم حيث قال : « إنا لم نأتكم لطلب الدنيا ، إنما طَلَبْنَا وَهَمْتْنَا الْآخِرَةَ »^(١).

٢- البذل والتضحية :

لم يخرج المجاهدون لقتال أناس ضعفاء يطمعون في هزيمتهم بيسر وسهولة ، وتحصيل ما عندهم من الغنائم ، وإنما خرجوا يواجهون أعتى دولتين في ذلك العصر دولة الفرس ودولة الروم . خرج المجاهدون يجابهون هذه القوى تاركين بلادهم ، مضحين براحتهم ، رافعين للواء ربهم ، معتبرين الشهادة في سبيله كسباً عظيماً لهم ، ولئن اشترك المجاهدون في ذلك ما يدفعهم إلا حب الآخرة ورجاء ما عند الله ، فإن هناك صوراً من التضحية سطرت نورا في جبين التاريخ تستوقف القارئ نذكر طرفاً منها .

فعندما حالت دجلة بين المسلمين وبين المدائن ، وعزم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على عبورها ، حث الناس ليعبر بعضهم لحماية الجهة الأخرى من النهر ليعبر المسلمون آمنين ، فأجابه عاصم بن عمرو وذوو البأس حوالي ستمائة ، فاستعمل عليهم عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة ، فانتدبهم عاصم ليسبق معه بعضهم الناس في البحر لحماية الجانب الآخر من النهر ، فأسرع إليه ستون من الشجعان المذكورين ، والأعاجم واقفون صفوفاً في الطرف الآخر ، فتقدم أحد المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في النهر فقال : « أتخافون من هذه النطفة ، ثم تلا قوله تعالى : { وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً }^(٢) ، ثم اقتحم النهر وتبعه المسلمون^(٣) ، إنها

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٩/٢ .

(٢) آية ١٤٥ من سورة آل عمران .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٦/٧ .

تضحيات عظيمة نابعة من الإيمان العميق والتصديق الجازم بموعد الله عزوجل .

وفي القادسية في اليوم الأول ورحى الحرب تدور وفعلت الفيلة الأفاعيل بالمسلمين فهل من باذل ومضح ؟

رأى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما فعلته الفيلة فاستنجد بعاصم بن عمرو الذي لم يتلجج ولم يتلعثم ، وإنما بادر إلى تلبية النداء وإيجاد الحل السريع لهذه المعضلة ، حيث دعا رجالا من قومه بعضهم رماة وآخرين لهم قدرة على الوصول إلى الشيء ، وأمر الرماة بإشغال راكبي الفيلة برميهم بالنبل ، وأمر الآخرين بالوصول إلى الفيلة وتقطيع أحزمة رحالها ، وخرج يحميهم ، وقام المضحون بعملهم على أكمل وجه فما بقي فيل يومئذ إلا عُرِّي ، وقتل أصحابها ، ورد المسلمون فارس إلى موافقهم^(١).

وفي اليوم الثالث من القادسية عادت الفيلة لفعالها بالمسلمين ، ورأى سعد رضي الله عنه ذلك فأرسل إلى القعقاع^(٢) وعاصم ابني عمرو وطلب منهما أن يكفياه الفيل الأبيض-وكانت كلها آفة له - وكان بإزائهما ، فقاما بمهمتهما على خير وجه ، كما بعث سعد رضي الله عنه إلى حمّال^(٣) والربيل^(١) الأسديين ليكفياه الفيل الأجر ، ففعلا

(١) تاريخ الطبري ٥٤٠/٣ .

(٢) القعقاع بن عمرو التميمي ، أخو عاصم ، كان من الشجعان الفرسان ، قيل : إن أبابكر الصديق كان يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم. [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٩/٣-٢٤٠] .

(٣) حمّال بن مالك الأسدي الوالبي ، أمره سعد بن أبي وقاص على الرجال حين توجه إلى العراق ، وله مواقف حسنة في القادسية تدل على شجاعته وإقدامه ، منها تخليص المسلمين من بعض الفيلة ، ومنها حث الجنود على الإقدام والشجاعة كغيره من أهل النجدات. [تاريخ الطبري ٤٨٩/٣ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٥٥ ، ٦٥٥ ، ٥٦٠ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٢/١] .

ذلك بكل توفيق ، وبصر سائس الفيل بأحدهما فبقر أنفه وجبينه^(٢) ،
فلتهنهم التضحية وليلقوا الجزاء من رب العباد إن شاء الله تعالى .
وهذا ابن أم مكتوم لم يمنعه عماه من التضحية والخروج للجهاد
في سبيل الله، فلقد كان يحمل يوم القاسية راية سوداء^(٣) .
وفي تستر بذل المسلمون وضحوا ، ومن أبرز من بذل البراء بن
مالك رضي الله عنه فقد قتل مائة من الفرس مبارزة سوى من
قتل في غير ذلك ، وقتل مجموعة من

فرسان المسلمين وشجعانهم مثل ذلك العدد ، كل واحد منهم قتل
مائة^(٤) .

وفي تستر أيضاً جاء رجل من الفرس إلى قائد المسلمين أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه وطلب الأمان مقابل دلائتهم على
الطريق الذي يدخلون معه إلى المدينة ، فبعث معه أبو موسى
الأشعري رضي الله عنه عوف بن مجزأة^(٥) ، فلما علم عوف
الطريق ورجع حث أبو موسى رضي الله عنه الناس ليخرجوا معه
لفتح المدينة للمسلمين من الداخل ، فسارع إلى إجابته سبعون رجلاً أو
يزيدون ، ومضوا يقدمهم عوف ، فلما كان الصبح توجهوا نحو باب
تستر ، وكان عليه ثلاثة أقفال ، وكبر المسلمون من الخارج وكبر
المسلمون السبعون من الداخل ، وسمعت الفرس بذلك فبادروا نحو
الباب ، وجابه السبعون رجلاً من المسلمين أهل تستر أجمعين ، بينما

(١) هو الربيل بن عمرو بن ربيعة الوالبي الأسدي ، أحد الشعراء ، من شجعان بني
أسد ومن المقدمين فيهم ، وكان سعد بن أبي وقاص يثق بشجاعته وبلائه ، أعطاه
أحد الأسياف الأربعة التي أرسلها عمر إلى القادسية لتقسم فيمن انتهى البلاء إليهم . [
تاريخ الطبري ٥٣٨/٣ ، ٥٤٤] .

(٢) تاريخ الطبري ٥٥٥/٣-٥٦٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٢٢/٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٨٥/٤ وقد ذكر أسماء أولئك الفرسان .

(٥) لم أجد له ترجمة .

كان بعض المسلمين يعالج فتح الأقفال فلم يفتحوها إلا وقد قتل السبعون بأجمعهم غير ثلاثة نفر، وهؤلاء الثلاثة داستهم الخيل فقتلتهم^(١)، فرحمهم الله رحمة واسعة وأجزل لهم المثوبة لقاء ما بذلوا .
وبعث ابن عامر رضي الله عنه الأسود بن كلثوم بن عدي الرباب^(٢) وكان ناسكا إلى بيهق^(٣)، فدخل البلد من ثلثة في سورها وقاتل حتى قتل^(٤) .

وأحيانا قد يهلك جيش في سبيل الله ورفع كلمته ، فهذا مجاشع بن مسعود السلمي يلاحق يزدجرد ، ويخرج من السّيرجان فلما كان عند قصر مجاشع في بيمند^(٥) أصابهم الدّمق^(٦) والثلج وصار طول رمح واشتد البرد - فهلك الجند ولم يسلم إلا ثلاثة نفر^(٧) .
بهذا البذل وتلك التضحية اللذين لا يرجو المسلمون عليهما جزاء ولا شكورا من أحد سوى الله عزوجل استطاعوا بتوفيق من الله عزوجل أن يحققوا ما حققوه من نصر وفتح .

٣ - الرحمة والإنصاف :

-
- (١) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢٠٠/٢-٢٣ .
(٢) هو الأسود بن كلثوم العدوي ، له ذكر في الفتوح ، وهو الذي فتح بيهق ، أمره ابن عامر على الجيش فقتل يوم الفتح سنة إحدى وثلاثين ، وكان فاضلا ، وكان عامر بن عبدالقيس يحبه كثيرا . [ابن حجر ، الإصابة ١٠٥/١] .
(٣) بيهق : ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور ، وقومس . [الحموي ، معجم البلدان ٥٣٧/١] .
(٤) تاريخ ابن خلدون ١٠١٢/٤ .
(٥) بيمند : هو ميمند بلد بكرمان ، وقيل : بفارس . [الحموي ، معجم البلدان ٥٣٤/١] .
(٦) الدّمق : الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه ، فارسي معرب . [ابن منظور ، لسان العرب ١٠٤/١٠] .
(٧) تاريخ الطبري ٢٨٦/٤ .

الجهاد الإسلامي جهاد عدل ورحمة بأهل البلاد ، فقد أرشد الإسلام الفاتحين إلى منتهى الرحمة « فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ، ولا يسرقون ولا ينهبون الأموال ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى ، فهم في حربهم خير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين »^(١).

إن المسلمين لا يتعرضون لمن ليس من أهل الحرب من الصبيان والنساء والرهبان والشيخ الفاني والأعمى الذين لا رأي لهم إلا أن يقاتلو^(٢)، وكذا العبيد^(٣) والفلاحين^(٤).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد « أن يقاتلوا في سبيل الله ، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان ولا يقاتلوا إلا من جرت عليه موسى »^(٥).

ولذلك نجد في كتب التاريخ تصريحا بعدم التعرض لهذه الفئات^(٦) ، وإذا هرب أهل بلد ممن لم يقاتل عنها نجد المسلمين يدعونهم

(١) حسن البنا ، مجموعة رسائل حسن البنا ص ٢٨٨ ، دار الدعوة ، ١٤١١ هـ ، الإسكندرية .

(٢) أبو يعلى الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ٤٣ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٢ ، ١٣٨٦ هـ ، مصر . أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، الشرح الكبير ٥/١١١ وذكر النساء والولدان فقط .

(٣) ابن قدامة المقدسي ، الشرح الكبير ٥/١١٢ .

(٤) المصدر السابق ٥/١١٣ .

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، كتاب الأموال ص ٤٥ ، تحقيق : محمد بن خليل بن هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ، القاهرة .

(٦) انظر مثلا تاريخ الطبري ٣/٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣-٢٦٤ . تاريخ ابن خلدون ٤/٨٨٩ .

ويؤمنونهم^(١)، بل قد يتسامح المسلمون مع من أخذت أرضه عنوة فيجرونه مجرى من صالح^(٢).

أما أهل الصلح ممن دفع الجزية فنجد عقود الصلح تنص على أمانهم على أنفسهم^(٣)، ومع هذا نجد الوعيد الشديد لمن أقدم على انتهاك دمائهم، ففي الحديث « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما »^(٤).

لذا كانت تسمية الحرب في الإسلام جهادا فيها إشارة إلى أنها ليست حرب تدمير وسلب ونهب، ولكنها دعوة للحق وحفظ له من المعتدين، وإزالة للحواجز التي تحول دون وصوله إلى الناس^(٥).

٤ - الشورى :

تعتبر الشورى من المبادئ التي تحقق الوصول إلى أفضل الأمور وأحسن النتائج، ولقد أمر الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم بها فقال : { وشاورهم في الأمر }^(٦).

والشورى إحدى صفات المؤمنين، قال عزوجل: { وأمرهم شورى بينهم }^(٧)، فمن كمال عقولهم أنهم إذا عرضت لهم قضية

(١) تاريخ الطبري ٣٧/٤ .

(٢) المصدر السابق ١٤٠/٤ .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٩٩ . تاريخ الطبري ١٣٧/٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٤) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٦٥ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ١٥ إثم من قتل معاهدا بغير جرم

(٥) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ص ٦٩ ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٧٣ م .

(٦) آية ١٥٩ من سورة آل عمران .

(٧) آية ٣٨ من سورة الشورى .

تحتاج إلى أعمال العقل فيها اجتمعوا لها وبحثوا أطرافها فإذا اتضح لهم الخير عزموا عليه^(١).

والشورى مما يلزم أمير الجيش ليتجنب الخطأ والزلل^(٢)، ولقد كانت الشورى إحدى معالم الجهاد في عهد الخلفاء الراشدين .

فعندما ولى عمر بن الخطاب أبا عبيد الثقفي - رضي الله عنهما - إمارة الجيش المنطلق إلى العراق قال له : « اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم الأمر ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين»^(٣)

وحينما أراد عمر رضي الله عنه بعد مقتل أبي عبيد رضي الله عنه وهزيمة المسلمين بالجسر إرسال جيش كبير إلى العراق استشار المسلمين في السير إلى العراق بنفسه أو يبعث أحداً غيره ، ولما استقر الرأي على بعث غيره استشارهم فيمن يبعث^(٤).

ولما اجتمع الفرس بنهاوند استشار عمر رضي الله عنه المسلمين في خروجه فلم يشيروا عليه بذلك ، وكان من كلام علي رضي الله عنه : « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهر وجنده الذي أعز وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، والله منجز وعده، وناصر جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً ، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهي كثير عزيز بالإسلام »، ثم ذكر مشورته ، فسُرَّ عمر بحسن

(١) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/٢٢٢ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

(٢) أبو يعلى الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ٤٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٤٥ .

(٤) المصدر السابق ٣/٤٨٠-٤٨٢ .

رأيهم^(١)، كما استشار عمر رضي الله عنه المسلمين فيمن يوليه القيادة في نهاوند^(٢).

ونصح عمر قائده النعمان بن مقرن-رضي الله عنهما - بالاستشارة حيث كتب له: «إن قبلك رجلين هما فارسا العرب عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد^(٣) فشاورهما في الحرب»^(٤). وفي نهاوند حصر المسلمون الفرس ، وأقاموا عليهم مدة والفرس بالخيار يخرجون متى أرادوا ، فخشي المسلمون من طول أمرهم فأحضر النعمان بن مقرن رضي الله عنه أهل الرأي والنجدة فتشاوروا فيما بينهم ، وتوصلوا إلى رأي حسن^(٥) . وغير ذلك من الأمثلة التي تثبت وجود الشورى بين المسلمين^(٦).

ثانياً - المشاركون في الجهاد :

لما كان الجهاد قتالا وبذلا في سبيل الله عزوجل فقد تسابق إليه المسلمون كل بحسب قدرته وما يلائمه ، فقد شارك فيه الرجال والنساء والأحرار والعبيد والرئيس والمرؤوس .

(١) تاريخ الطبري ١٢٣/٤-١٢٤ . وذكر خليفة بن خياط مشورة علي لعمر -رضي الله عنهما- بالبقاء ، تاريخ خليفة بن خياط ص ١٤٧ .

(٢) تاريخ الطبري ١٢٦/٤ .

(٣) طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي ، البطل الكرار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يضرب بشجاعته المثل ، أسلم سنة تسع ثم ارتد وتنبأ وحارب المسلمين ، ثم انهزم ولحق بالشام ، ثم تاب وحسن إسلامه، وشهد القادسية ونهاوند واستشهد بها سنة إحدى وعشرين. [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣١٦/١-٣١٧ . ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٤/٢] .

(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٥ .

(٥) تاريخ الطبري ١٢٩/٤-١٣٠ .

(٦) انظر مثلا تاريخ الطبري ٨٥/٤ .

شارك فيه رأس الدولة أمير المؤمنين بالاهتمام والتفكير والتدبير والتخطيط ، بل لم يكن يشغلهم عن ذلك شاغل ، فهذا أبو بكر وهو في مرض الموت يخطط لأمر حرب العراق فيقول لعمر رضي الله عنه : « إني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، ... وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق ؛ فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الضراوة منهم والجرأة عليهم »^(١) ، بل لقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخروج مرتين^(٢) .

أما مشاركة الرجال فهي الأصل وإنما قامت الحرب بهم ، فأحيانا تشارك في الحروب بعض القبائل ، وأحيانا أخرى يقوم الإمام لظروف معينة بندب جميع المسلمين القادرين غير المشغولين ، كما حصل عندما بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن فارس ملكوا يزدجرد فإنه كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل : « لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إليّ ، والعَجَل العَجَل »^(٣) .

ولقد شارك بجانب العرب رجال من مسلمي الفرس^(٤) ؛ فالجهاد الإسلامي لا يعرف فرقا بين الأجناس أو الألوان ، فإذا دخل الإسلام القلب وتغلغل في سويدائه بذل صاحبه النفس والنفيس .

(١) تاريخ الطبري ٤١٤/٣ .

(٢) المرة الأولى انظر تاريخ الطبري ٤٨٠/٣ . والثانية انظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٧٨/٣-٤٧٩ ، وإذا نظرنا إلى تفصيل أحمد ابن كمال لأعداد القبائل التي كانت مع سعد بن أبي وقاص في القادسية عرفنا كثرة القبائل المشتركة في تلك المعركة الفاصلة ، انظر القادسية ص ٣٤-٣٧ ، دار النفائس ، ط ٧ ، ١٤٠٣ هـ .

(٤) انظر مشاركة مسلمي الفرس في الدعوة ص ٤٥٢ وما بعدها من هذا البحث .

وبجانب الرجال الأحرار شارك العبيد^(١) .
كما شاركت المرأة في الجهاد بما يتناسب مع طبيعتها كما كانت
النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تشارك في الجهاد بمداواة
الجرحي والسقي ، فعن الرُّبِيع بنت معوذ - رضي الله عنها - قالت
:«كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى ونرد
القتلى إلى المدينة»^(٢) .

شاركت النساء بالتضحية براحتهن والخروج مع أهلهن^(٣) وتحمل
متاعب الأسفار ، كما قامت بمداواة الجرحى وسقيهم ، وقامت مع
الصبيان بحفر القبور للموتى^(٤) .

وقد فرحت المسلمة بذهاب ذويها إلى ميدان الجهاد الإسلامي ،
بل نجد منهن من تقوم بتشجيع الجيوش فقد قامت أزدة بنت الحارث^(٥)
بتحريض الناس على القتال عندما قاتل المسلمون أهل مدينة الفرات^(٦) .

وحضرت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد - رضي الله
عنها-^(٧) معركة القادسية ومعها بنوها الأربعة وهم رجال فقالت لهم

(١) تاريخ خليفة ص ١٤٠ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٢ .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٨٠/٦ ، كتاب الجهاد ، باب ٦٧ مداواة
النساء الجرحى في الغزو .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٥٢/٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٥٥٠/٣ . المسعودي ، مروج الذهب ٣١٧/٢ .

(٥) هي أزدة بنت الحارث بن كلدة زوجة عتبة بن غزوان ، مجاهدة خاضت ساحات
الوغي بكل بسالة ورباطة جأش ، وحازت النصر المبين على الأعداء ، ومن ذلك
أنها عقدت راية وقادت نساء المسلمين ولحقت بالمسلمين وهم مواجهون للمشركين
فظن المشركون أنه مدد للمسلمين فانهزموا وذلك بالمرغاب . [عمر بن رضا بن
كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ٤١/١-٤٢ ، مؤسسة الرسالة ، ط
٥ ، ١٤٠٤هـ ، بيروت] .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٣٨ .

(٧) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، شاعرة شهيرة وصحابية جلييلة
، قدمت على رسول الله ز مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم ، وكان النبي ز يعجبه

من أول الليل: « يابنيَّ أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى: { يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون }^(١) ، فإذا أصبحتم غدا -إن شاء الله -سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستبصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها واضطربت لظى على سياقها وحللت نارا على أرواقها - فتيّموا وطيسها^(٢) ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها^(٣) تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة». فلما فخرج أولادها مصممين على قولها وقاتلوا حتى استشهدوا ، فلما علمت بذلك قالت: « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»^(٤).

شعرها ، وتوفيت بالبادية في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٤ هـ [عمر بن رضا بن كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ١/٣٦٠-٣٧١] .

- (١) آية ٢٠٠ من سورة آل عمران .
(٢) الوطيس : حجارة مدورة فإذا حميت لم يمكن أحد الوطاء عليها ، يضرب مثلا للأمر إذا اشتد : قد حمي الوطيس. [ابن منظور ، لسان العرب ١٥/٣٣٦] .
(٣) الخميس : الجيش . [ابن منظور ، لسان العرب ٤/٢١٧] .
(٤) عمر بن رضا بن كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ١/٣٦٨-٣٧٠ ، مؤسسة الرسالة، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت . وقد أشار إلى هذه القصة مختصرة الزركلي في الإعلام ٢/٨٦ .

وينقل أن خنساء بنت عمرو النخعية^(١) حضت أولادها على قتال
الفرس والاستشهاد بالقادسية^(٢)، وكانت امرأة من النخع لها أربعة
أولاد حضروا القادسية فقالت لهم : «إنكم أسلمتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم
فلم تثوبوا ، ولم تنب بكم البلاد، ولم تقحمكم السنة ، ثم جئتم بأمكم
عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ، والله إنكم لبنو رجل
واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ،
انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره » فخرجوا وأحسنوا القتال^(٣) .

بل إن نساء المسلمين لديهن الشجاعة التي تجعلهن مستعدات
للدفاع عن أنفسهن إذا اقتضى الأمر ذلك ، فبعد وقعة البويب بعث
المسلمون أغذية إلى عيالات من جاء من المدينة المنورة وكانوا
أقاموهن بالقوادس^(٤)، فلما رأت النساء الخيل تصايحن وحسبها غارة
فنهضن دون الصبيان بالحجارة والعمد ، فقال عمرو بن عبدالمسيح
بن ببيعة^(٥): «هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش»^(٦) .

إن قلوب المسلمين تألفت على حب الله عزوجل والبذل في سبيله،
والمشاركة قدر المستطاع في إعلاء كلمته ونشر دينه .

(١) هي خنساء بنت عمرو النخعية ، عابدة من عابدات العرب وأهل البادية ، أورد لها
ابن الجوزي كلاما حضت به بنيتها لما اجتمع الناس بالقادسية على قتال العدو
والاستشهاد في ساحات الوغى . [عمر بن رضا بن كحالة ، أعلام النساء في
عالمي العرب والإسلام ٣٧١/١] .

(٢) كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ٣٧١/١ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٤٤/٣ .

(٤) القوادس : جمع القادسية التي عند الكوفة كأنها جمعت بما حولها . [الحموي ،
معجم البلدان ٤/٤١٠] .

(٥) هو عمرو بن عبدالمسيح بن قيس بن حيان بن الحارث ، وهو ببيعة سمي بذلك لأنه
خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا : ما أنت إلا ببيعة خضراء ، أحد زعماء
الحيرة ، وكان داهية ، كان له حوار مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد وقع
خالد معه ومع غيره من رؤساء الحيرة عهد الصلح . [تاريخ الطبري ٣/٣٦٠-٣٦٢ ،
٣٦٤ ، ٤٦٩ ، ٥٠٨] .

(٦) تاريخ الطبري ٣/٤٦٩ .

الفصل الخامس المسجد

للمساجد مكانتها السامية في الإسلام ، فهي البيوت التي أمر الله ببنائها ووصى برفعها.

قال الله تعالى : { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار }^(١).

ورفعها يشمل أموراً كثيرة منها: بناؤها ، وتنظيفها من نجاسات وأوساخ ، وحفظها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسات وعن الكافر ، وصونها عن اللغو ورفع الأصوات بغير ذكر الله ، ومما يشمله ذكر اسمه عز وجل الصلاة من فرض ونفل وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل ونحوهما ، وتعلم العلم وتعليمه ، والاعتكاف إلى غير ذلك من العبادات التي محلها المسجد^(٢).

(١) آيتي ٣٦-٣٧ من سورة النور .

(٢) ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٢٢/٥-٤٢٣ .

وبجانب القرآن الكريم تأتي السنة لتحت على بناء المساجد ، ففي الحديث: «من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة»^(١).
كما أن السنة العملية تظهر بوضوح منزلة المسجد ، ففي طريق الهجرة أسس

الرسول صلى الله عليه وسلم مسجد قباء مع أنه لم يبق بها إلا أربعة أيام^(٢) ، وكذلك عندما واصل سيره إلى المدينة كان أول ما قام به تخصيص أرض لبناء مسجده ، ثم الشروع في بنائه^(٣).
وليست الصلوات والذكر والتعليم هي المهمة الوحيدة للمسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل بجانب ذلك كان المسجد محلّ تشاور المسلمين ، وتناصحهم ، وعقد الألوية للجيوش ، ومأوى للمحتاجين ، ومكاناً لاستقبال الوفود ، وهو دار للفتوى ، ومحكمة للقضاء ، ومنبر لإعلان السياسة العامة للدولة^(٤).
وقد نهج الفاتحون منهاج النبوة فأول عمل للولاة هو بناء المساجد في البلاد التي يفتتحونها^(٥).

-
- (١) سنن الترمذي ٣/١٣٤-١٣٥ ، كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في فضل بنيان المسجد ، رقم الحديث ٣١٨ . وقال عنه : حسن صحيح .
(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية م١ ج٢/٨١ ، تحقيق : د. محمد بن فهمي السرجاني ، المكتبة التوفيقية . علي بن السيد الشريف شهاب الدين بن العباس السمهودي (ت ٩١١هـ) ، كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ١/١٧٨-١٧٩ ، مطبعة الآداب والمؤيد ، ١٣٢٦هـ ، مصر .
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية م١ ج٢/٨٢-٨٣ . أحمد بن عبد الحميد العباسي ، كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار ص ٣٩ ، تعليق ونشر : السيد أسعد طرابزونى .
(٤) تناول هذا الموضوع بالتفصيل عبدالله بن أحمد بن قادري في كتابه دور المسجد في التربية ص ٦٣-٩٠ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ . وعبد العزيز بن محمد اللميلم في كتابه رسالة المسجد في الإسلام ص ١٠٦ وما بعدها ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
(٥) د. عبدالعزیز اللميلم ، رسالة المسجد في الإسلام ص ١٨٦ .

وقد ساهم المسجد في بعض المهام الدعوية في تلك البلاد منها :
أولاً - إقامة الصلاة :

الصلاة المفروضة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وقد شرع الله أداءها جماعة .

وبجانب الصلوات الخمس أيضاً تؤدي صلاة الجمعة وما تتضمنه من خطبتين يعظ فيها الخطيب المسلمين ويذكرهم ، وكان يتولى إمامة الصلاة الوالي أو من ينوب عنه^(١) ، وكذا صلاة التراويح في رمضان ، ويُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بالقيام في شهر رمضان في المساجد بالمدينة ، وجمعهم على أبي بن كعب ر^(٢) وكتب إلى الأمصار بذلك^(٣) ، ويتبع الصلاة ذكر الله وتسبيحه ونحو ذلك .

ثانياً - تتبع أحوال المسلمين:

ويتبع إقامة الصلوات تتبع أحوال المسلمين ؛ ذلك أن المسجد يجمعهم خمس مرات في اليوم واللييلة ، فإذا افتقدوا أحدهم سارعوا

(١)الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٠٠ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ ، مصر. صحيح مسلم ٥٩٤/١ ، كتاب الجمعة ، باب ١٢ تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم الحديث العام ٨٦٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٢ . العمري ، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ص ٣٥٦ .

(٢)أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي النجاري الأنصاري ، كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا المنذر ، وكناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا الطفيل ، السيد القارئ ، شهد العقبة الثانية وبدرا وغيرها من المشاهد ، روي له مائة وأربعة وستون حديثاً . [أبو زكريا محي الدين شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٠٨-١١٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٤٠ .

إليه سائلين عن حاله ، مقدمين ما يناسب الظرف من إيناس لمريض وتذكير ووعظ لمتكاسل .

ثالثاً - التعليم :

يعتبر المسجد أحد ينباع التي يردّها الظامئون ؛ لتلقي العلم والنهل من معينه.

وقد توجه المسلمون القدماء إلى العلم للتزود منه ، كما أقبل المسلمون الجدد على العلم الإسلامي أيضاً^(١) ، يدفعهم لذلك أن الإسلام يناسب كل عقل ونفس ، ويصلح لكل مجتمع ، فهو يوازن بين الروح والمادة والفكر والعاطفة .

ومن الأمثلة على التعليم في المسجد ما كان يصنعه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في مسجد البصرة ، فقد كان يعقد حلقة علمية فيه^(٢) .

وروي أن عبدالله بن عباس ر^(٣) كان يعلم التفسير في مساجد البصرة ، وممن تلقى عنه ودرس عليه الحسن البصري - رحمه الله - ، وهذا يتضح في مرويات الحسن - رحمه الله - عن ابن عباس رضي

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١/١١٢ ، دار صادر ، بيروت . تاريخ خليفة ص ١٦٢ .
الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/١٨٢-١٨٣ . د. صالح بن أحمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، ط ٢ ، ١٩٦٩م ، بيروت . علي بن مختار ، دور المسجد في الإسلام ص ٥١-٥٢ ، رابطة العالم الإسلامي ، السنة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، العدد ١٤٤ .

(٢) أحمد بن عبدالله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/٢٥٦-٢٥٧، دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٠هـ، بيروت.

(٣) أبو العباس عبدالله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم القرشي الهاشمي ، حبر الأمة وفقه العصر وإمام التفسير ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين شهراً ، وحدث عنه وعن الصحابة ، وقرأ على أبي زيد ، وتتلّمذ على يديه كثيرون ، مسنده ألف وستمائيه وستون حديثاً ، قال ابن المديني : توفي سنة ثمان أو سبع وستين للهجرة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١-٣٥٩] .

الله عنه والتي ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره وابن الجوزي في زاد المسير^(١).

رابعاً- استنفار الوالي للمسلمين :

ومن مهام المسجد جمع المسلمين فيه واستنفارهم للجهاد في سبيل الله ، ومن

هذا ما حدث لما تحرك الفرس بالأهواز من تستر والسوس^(٢) ومناذر^(٣) وما وراء ذلك، فأرسل عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما- يأمره بالسير إليهم- حيث جمع أبو موسى رضي الله عنه الناس في المسجد وخطب فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظهم فأحسن ، وقرأ عليهم كتاب عمر ر، وحثهم على جهاد الفرس، ومن كلامه :

« أيها الناس ، إذا لقيتم العدو غدا فاصبروا على جهادهم ، واجعلوا حصونكم الصفائح^(٤) والحجف^(٥) والعوالي^(٦)، فإن كلت الرماح والصفائح فاعترضوهم بالسهام والجنذل^(٧)، وانظروا لا يكونن شيء مما خلق ربكم أهون عليكم من الدنيا ؛ فإنها دار الفتنة وسجن المؤمن ، ولا يكونن شيء أحب إليكم من لقاء ربكم ؛ فإن ما عند الله خير للأبرار، ألا وإني سائر فسيروا إلى لقاء ربكم؛ فإن ما عند الله

(١) أحمد بن إسماعيل البسيط ، الحسن البصري مفسراً ص ٦١ ، دار الفرقان ، عمان .

(٢) السوس : بلدة بخوزستان،فيها قبر النبي دانيال عليه السلام. [الحموي ، معجم البلدان ٢٨٠/٣].

(٣) مناذر : بلدتان بنواحي خوزستان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى. [الحموي ،معجم البلدان ١٩٩/٥].

(٤) الصفيحة : السيف العريض. [الجوهري ، الصحاح ٣٨٣/١].

(٥)الحَجَف : يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب حَجَفَة، والجمع حَجَف . [الجوهري ، الصحاح ١٣٤١/٤].

(٦) العوالي: مفرداها عالية ، وهي أعلى القناة. [ابن منظور ، لسان العرب ٣٧٩/٩].

(٧) الجنذل : الحجارة. [ابن منظور ، لسان العرب ٣٨٢/٢].

خير للأبرار ، ألا وإني سائر فسيروا إلى لقاء عدوكم غداً -إن شاء الله- ولا قوة إلا بالله» .ثم نزل عن المنبر ، وخرج بمن معه من الناس وتلاحق به الناس^(١) .

خامساً - المسجد مكان استراحة وإيواء للغرباء :

يعتبر المسجد مكاناً يجلس فيه الناس ويأوي إليه الغرباء ، فعن عبدالله الشكري^(٢) قال : « انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا فأتيت السوق ولم تقم، قال: قلت لصاحب لي: لو دخلنا المسجد وموضعه يومئذ في أصحاب التمر»^(٣)، فعندما وصل عبدالله الشكري إلى السوق ولم يجيء الناس بعد فإنه فكر بدخول المسجد ، وعرض ذلك على صاحبه فلم ينكر ذلك عليه ، مما يدل على أنه أمر معتاد، وبالفعل كان ذلك ، وعندما دخل وجد فيه ناسا^(٤) .

سادساً- تبادل الأحاديث :

وغالباً يتبع المكث في المسجد تبادل الأحاديث، ولعل أغلبها يكون له صلة بالدعوة إلى الله عزوجل ، فالمسجد له حرمة وقداسته في نفوس المسلمين ، كما في هذا الحديث السابق فإنه عندما ذهب إلى

(١) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٥-٣/٢ .

(٢) عبدالله بن عمرو الشكري ، كان اسمه الأعوس فقدم مع حيه بصدقتهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله عن اسمه ثم سماه عبدالله، روي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بهدية فقبلها ودعا لقبيلته في مرعاها. [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٤/١ و ٣٥٤/٢] .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٨٣/٦ . الإمام الطبراني ، المعجم الكبير ٢٠٩/١٩ . قال الهيثمي : في إسناده عبدالله بن أبي عقيل الشكري ولم أر أحداً روى عنه غير ابنه المغيرة بن عبدالله ، مجمع الزوائد ٤٣/١ . قال حمدي بن عبدالمجيد السلفي : قال الحافظ في تعجيل المنفعة : ليس بالمشهور . انظر الطبراني، المعجم الكبير، حقه وخرج أحاديثه : حمدي السلفي ٢٠٩/١٩ .

(٤) المصدرين السابقين .

المسجد إذا فيه رجل من قيس يقال له: ابن المنتفق^(١)، وهو يحدث الناس عن بحثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ولقياه إياه في عرفات وسؤاله إياه قائلاً: «ثنتان أسألك عنهما ، ما ينجيني من النار وما يدخلني الجنة ؟ قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل عليّ بوجهه قال: لئن كنت أوجزت المسألة لقد أعظمت وأطولت ! فاعقل عني ، إذاً اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة المكتوبة ، وأد الزكاة المفروضة ، وصم رمضان ، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعله بهم ، وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه ، ثم قال: خل سبيل الراحلة»^(٢).

وهذا عبدالله بن معقل يقول : سمعت كعب بن عجرة^(٣) يقول في هذا المسجد- يعني مسجد الكوفة-: «في نزلت هذه الآية^(٤)، خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهلينا بعمره فوق القمل في رأسي ولحيتي وحاجبي وشاربي ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليّ فدعاني فلما رأني قال: لقد أصابك بلاء ونحن لا نشعر ، ادع الحجام ، فلما جاءه أمره فحلقتني ، قال: أتقدر على نسك ؟ قلت : لا . قال: فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر»^(٥).

(١) عبدالله بن المنتفق اليشكري، يكنى أبا المنتفق، روى عنه ابنه المغيرة . [ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣٣٢/٢ . ابن حجر ، الإصابة ٣٧٣/٢-٣٧٤].

(٢) سبق تخريجه ص ١٩١ من هذا البحث .

(٣) كعب بن عجرة الأنصاري السالمي المدني الخزرجي ، له صحبة ، روى عنه عبدالرحمن بن أبي ليلى وابنه إسحاق . [أبو حاتم الرازي ، كتاب الجرح والتعديل ١٦٠/٧].

(٤) أي آية { فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك } ، آية ١٩٦ من سورة البقرة .

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٤٣/٤ . صحيح البخاري م ١ ج ٢/٢٠٨-٢٠٩ ، كتاب المحصر ، باب ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ولم يصرح البخاري بأن ذلك في الكوفة .

وعندما خرج الناس إلى الجَرَعَة^(١) ضد سعيد بن العاص رضي الله عنه كان أناس في مسجد الكوفة ، وكان أبو مسعود البدري رضي الله عنه^(٢) يقول للناس: بأنه سيحدث سفك للدماء ، فما كان من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلا أن أخبر بما علمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه لا يكون فيها سيل قطرة دم^(٣) .
 وحدّث أبو بكر^(٤) رضي الله عنه ابنه عبدالله في مسجد البصرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تتزلن طائفة من أمتي أرضا يقال لها: البصرة ، يكثر بها عددهم ويكثر بها نخلهم ، ثم يجيء بنو قنطوراء^(٥) عراض الوجوه صغار العيون حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له: دجلة، فيتفرق المسلمون ثلاث فرق ، فأما فرقة فيأخذون بأذنان الإبل وتلحق بالبادية وهلكت ، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها

- (١) موضع قرب الكوفة . [الحموي ، معجم البلدان ١٢٧/٢] .
 (٢) أبو مسعود البدري عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري ، شهد بيعة العقبة وكان شابا ، روي أحاديث كثيرة ، وهو معدود في علماء الصحابة ، نزل الكوفة ومات بها سنة أربعين هجرية ، وقيل: مات بالمدينة في آخر خلافة معاوية. [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٦/٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٩٣/٢-٤٩٦] .
 (٣) الطبراني ، المعجم الكبير ٢٥٤/١٧ ، رقم الحديث ٧٠٥ . قال الهيثمي: رجال هذه الرواية رجال الصحيح غير أبي ثور وهو ثقة ، مجمع الزوائد ٢٣٣/٧ .
 (٤) أبو بكر نفيح بن الحارث بن كلدة الثقفي ، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة ، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه ، وكان من فضلاء الصحابة ، وكان كثير العبادة حتى مات ، وكان أولاده أشرافا في البصرة ، توفي بالبصرة سنة إحدى وخمسين ، وقيل : اثنتين وخمسين. [ابن الأثير ، أسد الغابة ٢٨/٥] .
 (٥) بنو قنطوراء : اسم أبي الترك . [أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود ١٨٩/٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت . وهو حاشية لسنن أبي داود . خليل أحمد السهارنفوري = = (ت ١٣٤٦هـ) ، بذل المجهود في حل أبي داود ٢٢٠/١٧ ، دار العلوم للطباعة ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ . مع تعليق محمد بن زكريا بن يحيى الكاندهلوي .

فكفرت ، فهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون عيالهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ، ويفتح الله على بقيتها»^(١) .

سابعاً - المسجد حلقة وصل بين الراعي والرعية :

يعتبر المسجد حلقة اتصال بين الراعي والرعية ، فالوالي يؤم الناس في المسجد الكبير ، وعن طريق الخطبة أو الحديث قبل الصلاة أو بعدها يمكنه أن يحدثهم بما يشاء من معلومات سواء من قبله أو من قبل الخليفة .

كما أن إمامة الوالي للمسلمين خمس مرات في اليوم والليلة تيسر الاتصال بهم، فيقدم لهم ما يراه من ملاحظات ، ويستقبل ما لديهم من شكاوي أو اقتراحات .

كما أن الولاية قد يقومون بالتدريس في المسجد أو يحضرون تلك الحلقات التعليمية فيتيسر للناس الاتصال بهم^(٢) .
وقد يجمع الوالي الناس في المسجد في غير أوقات الصلاة ؛ وذلك عند الحاجة

إلى إبلاغ أمور جديدة وعاجلة ، أو وصل خطاب مهم من الخليفة^(٣) .

ثامناً- إعلان سياسة الوالي :

(١) مسند الإمام أحمد ٤٤/٥-٤٥ . سنن أبي داود ٤/٤٨٩ ، كتاب الملاحم ، باب ١٠ في ذكر البصرة، رقم الحديث ٤٣٠٦ ولم يصرح بأن هذا في مسجد البصرة . وحسنه الألباني ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٣/٨١١-٨١٢ ، رقم الحديث ٣٦١٨ ، ٤٣٠٦ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/٢٥٦-٢٥٧ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٠٠ . العمري ، الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ص ٤١٢-٤١٣ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢/٣-٥ ، أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/٢٥٦-٢٥٧ .

ومن المسجد يعلن الوالي سياسته فمثلا بعد أن شكا أهل الكوفة الوليد بن عقبة رضي الله عنه عزله عثمان رضي الله عنه وولى سعيد بن العاص رضي الله عنه فلما وصلها قصد المسجد الأعظم فدخله ، وبعد أن صلى فيه ركعتين صعد المنبر وقد جُمع له الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: « يا أهل الكوفة ، إن أحبكم إلي أقرؤكم لكتاب الله ، أفقهكم في دين الله ، فليكن أولئك الألفي وأخذاني ، وإن أبغضكم إلي المسرف على نفسه ، المصر على ذنبه ، الذي لا هم له إلا المضاحيك والأباطيل ، فلا يقربني أولئك »^(١) .

ومما لا يشك فيه أن وجود المساجد في البلاد المفتوحة مقترن بانتشار المسلمين في تلك البلاد ، ولقد انساح المسلمون في البلاد المفتوحة لضبط أمنها واستقرارها^(٢) .

ويمكن تقسيم المساجد في البلاد المفتوحة إلى قسمين^(٣) :

القسم الأول - مساجد عظيمة كثيرة المصلين ، معدة للصلوات المشهودة من الجمعة ونحوها ، ومن أمثلتها مسجدا الكوفة والبصرة^(٤) .

القسم الثاني- مساجد أقل من الأولى تختص بقوم أو محلة ، وليست للصلوات العامة .

ويوجد القسمان في الكوفة والبصرة ، فيوجد في كل منهما جامع واحد كبير جدا يتسع لكافة الرجال من السكان^(٥) ، وبجانب المسجد الجامع يوجد في البصرة

(١) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ١٦٩/٢ .

(٢) انظر فصل المخالطة من هذا البحث ص ٢١٢ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٦٢٦/٢ .

(٤) محمد بن يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ١٠١/٣ ، دار الباز ، دار المعرفة ، بيروت .

(٥) د. صالح بن أحمد العلي ، امتداد العرب في صدر الإسلام ص ٢٣ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، بيروت .

مساجد أخرى^(١) مثل مسجد الأحامرة^(٢)^(٣). وفي الكوفة نجد أيضا بجانب المسجد الجامع مساجد أخرى ، وهي تلك المساجد التي طيف بسعد بن أبي وقاصر عليها ليسأل عن سيرته بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحينا شكاه أهل الكوفة^(٤) ، ومنها مسجد بني عبس^(٥) ، ومسجد بني وادعة وإمامه عمرو بن

شرحبيل^(٦)^(٧) ومسجد جهين وإمامه عبدالله بن عكيم^(٨)^(١).

- (١) د. عبدالرزاق بن عباس بن حسين ، نشأة مدن العراق وتطورها ص ٣٨ .
(٢) الأحامرة : قوم من العجم نزلوا البصرة . [وكيع ، أخبار القضاة ٢٧٣/١ . ابن منظور ، لسان العرب ٣١٨] .
(٣) محمد بن خلف بن حيان الضبي القاضي المعروف بوكيع ، أخبار القضاة ٢٧٣/١ ، عالم الكتب ، بيروت .
(٤) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) ، كتاب تاريخ المدينة المنورة ٨١٦/٣ ، تحقيق: فهيم بن محمد بن شلتوت ، طبع على نفقة حبيب بن محمود بن أحمد . تاريخ الطبري ١٢١/٤ . أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ١٤٥/١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٤٥/١ .
(٦) عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الحمداني الكوفي ، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم ، من العباد الأولياء ، وحدث عنه أبو وائل والشعبي وغيرهم ، وثقه ابن معين . [الرازي ، كتاب الجرح والتعديل ٢٣٧-٢٣٨ . أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ) ، كتاب الطبقات ١٤٩/١ ، رواية أبي عمران موسى التستري ، تحقيق: أكرم بن ضياء العمري ، مطبعة العاني ، ط ١ ، ١٣٨٧هـ ، بغداد] .
(٧) أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ١٠٦/٦ .

(٨) عبدالله بن عكيم الجهني ويكنى أبا معبد ، قيل: له صحبة ، وقد أسلم بلا ريب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان كبيرا قد أدرك الجاهلية . روى عن عمر وعثمان وعبدالله ، توفي في ولاية الحجاج بن يوسف . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٣/٦-١١٥ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٥١٠-٥١٢] .

وأما بقية المدن سوى الكوفة والبصرة فكان يوجد فيها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسجد واحد جامع فقط ؛ لكتابة عمر لهم بذلك (٢).

ومما يلاحظ على البناء الإسلامي للمساجد في عهد الخلفاء الراشدين اليسر وعدم التكلف فيها^(٣)، لكن يقابل تلك السهولة في البناء العمق والقوة في الأهداف والمهام .
وسأحاول - إن شاء الله تعالى - إلقاء الضوء على بعض المساجد في العراق وفارس :

١ - مسجد البصرة:

يعتبر مسجد البصرة أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات الإسلامية^(٤) ؛ لأن البصرة كانت أول مدينة أحدثت في الإسلام خارج الجزيرة العربية سنة ١٤ هـ^(٥).

ويرجع بناء هذا المسجد إلى عتبة بن غزوان رضي الله عنه وقد بناه بقصب^(١) في وسط المدينة^(٢)، ويبدو أنه كان صحناً مربعاً مكشوفاً^(٣)، وقام بخطه محجن بن الأدرع الأسلمي من بني سهم^(٤).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ١١٤/٦ ، وقد ذكر البلاذري أسماء بعض المساجد في الكوفة غير أنني لم أثبتها لعدم يقيني من كونها بنيت في عهد الخلفاء الراشدين. انظر فتوح البلدان ص ٢٨٢-٢٨٤ .

(٢) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، كنز العمال في سنن الأ أقوال والأفعال ٢٥٩/٤ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣١٢ هـ ، حيدرآباد . وقد يوجد استثناء من ذلك كما في توج فقد ذكر البلاذري أن عثمان بن أبي العاص بنى بها مساجد وذلك في عهد عمر بن الخطاب ر، فتوح البلدان ص ٣٧٩ .

(٣) انظر مثلاً بناء مسجد البصرة والكوفة .
(٤) ذهب البلاذري إلى أن ترتيب بناء المساجد هكذا : مسجد المدائن أولاً ثم الكوفة ثم الأنبار ، فتوح البلدان ص ٢٨٨ .

(٥) د. عبدالعزيز بن محمد اللميلم ، رسالة المسجد في الإسلام ص ١٨٥ ، وقد ذكر الطبري بناء البصرة في أحداث سنة ١٤ هـ . انظر تاريخ الطبري ٥٩٠/٣ .

ثم إن الحريق شب في كل من الكوفة والبصرة وكانتا من القصب ، فاستأذن أهل الكوفة الخليفة عمر بن الخطاب فأتوا أهل الكوفة ، فقاموا بخراب المسجد وبنائه أولاً ، حيث قام رجل قوي فرمى في كل ناحية بسهم وأمر أن يبني ما بعد ذلك^(٥) ، وقد قام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بعد ذلك ببنائه ببلن وطين وسقفه بالعشب ووسعه^(٦) ، وقام ابن عامر بالزيادة في مسجد البصرة في أيامه وبناه بالبلن والطين^(٧) .

٢- مسجد الكوفة :

تعتبر الكوفة ثاني مدينة أحدثت في الإسلام بعد البصرة ، إذ يعود إنشاؤها إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي تحول إليها من المدائن^(٨) في سنة سبع عشرة للهجرة ، وكانت في البداية معسكراً ، ثم استأذنوا ببناء القصب ، ثم شب حريق فاستأذنوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء اللبن فأذن لهم ، فبدأوا أولاً بتخطيط المسجد وبنائه^(٩) وذلك في وسط المدينة^(١٠) . وكان المسجد مربع الشكل حيث

-
- (١) ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ص ٥٦٣ ، تحقيق : د. ثروت عكاشة، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر .
- (٢) شريف بن يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ص ٢٣٠ ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، السلسلة الفنية ٤٩ ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢م .
- (٣) د. عبدالعزيز اللميلم ، رسالة المسجد في الإسلام ص ٨٥ . شريف بن يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ص ٢٣٠ .
- (٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢/٧ . تاريخ خليفة ص ١٢٩ .
- (٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٨/٢-٣٦٩ .
- (٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٤٢ .
- (٧) العمري ، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ص ٢٢١-٢٢٢ .
- (٨) د. عبدالعزيز بن محمد اللميلم ، رسالة المسجد في الإسلام ص ١٩١ .
- (٩) تاريخ الطبري ٤٣/٤-٤٤ .
- (١٠) د. عبدالرزاق بن عباس بن حسين ، نشأة مدن العراق وتطورها ص ٣٨ .

قام رجل قوي في وسطه فرمى سهماً في جميع الجهات وأمر أن يبني خلف ذلك^(١)، وبنيت ظلة في مقدمته^(٢) كانت مائتي ذراع^(٣) على أساطين رخام من أبنية الأكاسرة في الحيرة ، وحسبت قيمتها من جزية أهل الحيرة^(٤)، ولم يكن للمقدمة مجنبات ولا مواخير^(٥)، كما أحاطوا الصحن بخندق حتى لا يقتحمه أحد ببنيان^(٦)، وهذا يدل على أنه لم يكن محاطاً ببناء ، وقد صرح بذلك شريف يوسف^(٧).

وقد كان مسجد الكوفة واسعاً، فقد اختطه سعد بن أبي وقاصر بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب على سعة أربعين ألف إنسان^(٨).

٣- مسجد العشار :

وهو المسجد الذي قتل في موضعه سبعون رجلاً عند فتح الأبله بقيادة عتبة بن غزوان ر^(٩)، وقد ورد فيه الحديث الضعيف الذي رواه صالح بن درهم قال: « انطلقنا حاجين فإذا رجل فقال لنا : إلى جنبكم قرية يقال لها: الأبله ؟ قلنا : نعم . قال: من يضمن لي منكم أن يصلي لي في مسجد العشار ركعتين أو أربعاً ويقول: هذا لأبي هريرة ؟ سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يبعث في مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم ».

-
- (١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٧٥ .
(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٦٩ .
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٥ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٦٩ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٨٤ إلا أنه ذكر أنها قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر .
(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٤ .
(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٥ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٦٩ .
(٧) تاريخ فن العمارة العراقية ص ٢٣١ .
(٨) حسن الدجيلي ، الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر ، مقال في مجلة الفيصل ، السنة الخامسة ، العدد ٥٦ ، ص ٣٨ . شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية ص ٢٣٦ .
(٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٢٨ .

وقال أبو داود : هذا المسجد مما يلي النهر^(١).

٤- مسجد أردبيل :

ولّى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأشعث بن قيس رضي الله عنه أذربيجان^(٢)، فلما جاءها وجد معظم أهلها دخلوا في الإسلام وقرأوا القرآن ، فأنزل أردبيل^(٣) جماعة من المسلمين ومصرها وبنى مسجدها ، وقد وسع فيما بعد^(٤).

٥- مسجد جزيرة بفارس :

بعث العلاء بن الحضرمي عرفجة بن هرثمة البارقي - رضي الله عنهما- ففتح جزيرة بفارس ، واتخذ فيها مسجداً^(٥).

٦- مساجد توج :

ولّى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنهما-

(١) سنن أبي داود ٤/٤٨٩ ، كتاب الملاحم ، باب ١٠ في ذكر البصرة ، رقم الحديث ٤٣٠٨ . وضعفه الألباني ، ضعيف سنن أبي داود ص ٤٢٨ ، رقم الحديث ٩٢٨-٤٣٠٨ .

(٢) أذربيجان : إقليم واسع حده من برذعة مشرقا إلى أرزنجان مغربا ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والطرمة ، ومن أشهر مدنها تبريز . [الحموي ، معجم البلدان ١/١٢٨] .

(٣) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت قبل الإسلام قصبته . [الحموي ، معجم البلدان ١/١٤٥] .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤/٣٦٢ .

البحرين^(١)، فلما علم بفتح الأهواز خرج وجنوده وتوغلوا في فارس حتى نزل تَوَجَّح^(٢) فاتخذة دار هجرة وبنى مسجداً جامعاً^(٣)، وعند البلاذري بنى المساجد^(٤)، ولا تعارض بين النصين فيجوز أنه بنى عدة مساجد أحدها مسجد جامع .

٧- مسجد اصطخر :

فتح ابن عامر رضي الله عنه فارس وعاد إلى البصرة ، وعين شريك بن الأعور الحارثي عاملاً على اصطخر^(٥)، فبنى شريك مسجد اصطخر^(٦).

٨- مسجد الربيع بن خثيم^(٧) :

بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الربيع بن خثيم الثوري -

-
- (١)البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان . [الحموي ، معجم البلدان ١/٣٤٦-٣٤٧] .
- (٢)توج : مدينة بفارس قريبة من كازكرون شديدة الحر؛ لأنها في أرض منخفضة ذات نخل. [الحموي ، معجم البلدان ٢/٥٦] .
- (٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٣ .
- (٤) فتوح البلدان ص ٣٧٩ .
- (٥) اصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها، وبها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك. [الحموي ، معجم البلدان ١/٢١١] .
- (٦) تاريخ الطبري ٤/٣٠١ .
- (٧) الربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه، كان قليل الرواية إلا أنه كان كبير الشأن ، وكان يعد من عقلاء الرجال . قال له ابن مسعود : لو رأك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ، وما رأيته إلا ذكرت المخبتين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦/١٨٢-١٩٣ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨-٢٦٢] .

رحمه الله - إلى الديلم^(١) على رأس جيش قوامه أربعة آلاف ، فبنى بقزوين^(٢) مسجداً وقد حمل اسمه^(٣) .

٩- مسجد المدائن:

حاصر سعد بن أبي وقاصر القصر الأبيض ، ودعاهم فنزلوا منه في اليوم الثالث ، فسكنه سعد واتخذ الإيوان مصلى ، وعندما دخله قرأ قول المولى عزوجل: { كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين }^(٤)، وصلى فيه ثمان ركعات صلاة الفتح ، وصلى صلاة الجمعة بالإيوان في صفر من سنة ستة عشرة للهجرة ، وتعتبر أولى جمعة جمعت بالعراق^(٥)، ويبدو أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قد بنى مسجداً آخر سوى الإيوان فقد ذكر البلاذري « أن أول مسجد جامع بني بالسواد مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه ، ثم وسع بعد وأحكم بناؤه وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان »^(٦) .

١٠- مسجد الأنبار :

وهو ثالث مسجد بني في السواد على حد ما ذكره البلاذري^(٧) .

١١- مسجد خشيمان :

(١) الديلم : جيل سموا بأرضهم، وهم في جبال قرب جيلان. [البغدادي ، مراصد الاطلاع ٥٨١/٢] .

(٢) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرّي سبعة وعشرون فرسخا ، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا . [الحموي ، معجم البلدان ٣٤٢/٤] .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣١٨ .

(٤) الآيات ٢٥-٢٨ من سورة الدخان .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦٦/٧ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٥٨/٢ .

(٦) فتوح البلدان ص ٢٨٨ .

(٧) المصدر السابق ص ٢٨٨ .

قام ببناؤه أبو خناس مولى عمر بن الخطاب ر^(١) زمن خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويعد أول مسجد كبير بني بأصبهان^(٢) على الصحيح^(٣) .

١٢ مسجد جي بأصبهان:

يقال: إن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه هو الذي تم علي يديه فتح مدينة

جَي^(٤) صلحا وبنى مسجدها ، وقيل فتحها صلحا عبدالله بن بُديل^(٥) والسائب ابن الأقرع - رضي الله عنهما-^(٦) وأقاما مسجدها^(٧) .

(١) - لم أجد له ترجمة.

(٢) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان اسم للإقليم بأسره ، وكانت مدينتها جيًا ثم صارت اليهودية وهي من نواحي الجبل . [الحموي ، معجم البلدان ٢٠٦/١] .

(٣) أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ١٧/١ .

(٤) جي: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة ، بينها وبين اليهودية ميلين ، وهي على شاطئ نهر زَنْدَرُوذ . [الحموي ، معجم البلدان ٢٠٢/٢] .

(٥) عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، أسلم يوم الفتح مع أبيه ، وشهد حنينًا والطائف وتبوك ، وكان هو وأخوه عبدالرحمن رسولي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، ثم شهد صفين مع علي رضي الله عنه وقتل بها، وكان على الرجال . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٠/٢ - ٢٨١] .

(٦) السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر الثقفي ، مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه وهو صبي ، شهد بعض فتوح فارس ، بعثه عمر مع النعمان بن مقرن لما وجهه إلى نهاوند قاسما ، واستعمله عمر على المدائن ، وكان من أعقل العرب . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٨/٢] .

(٧) أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ٢٨/١ .

١٣ - مسجد السهلة :

يقع مسجد السهلة بظاهر الكوفة ، ويبعد عن مسجدها الكبير كيلين في الجهة الشمالية الغربية منه ، ويعتقد أن بناءه تم قبل قدوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الكوفة أو في أثناء وجوده فيها^(١).

(١) شريف بن يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ص ٢٤٥-٢٤٦
حسن الدجيلي، الكوفة مدينة النحاة والقضاة . مقال في مجلة الفيصل ، السنة
الخامسة ، العدد ٥٦ ، ص ٤٢ .

الفصل السادس

المنزل

يعتبر المنزل أحد الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله عزوجل ، ويشترك الأبوان في مسؤولية تربية الأولاد وتنشئتهم التنشئة الصالحة ، وإذا كان الأولاد محتاجين إلى التربية المادية من أكل وشرب حتى لا يتعرضوا للمرض والهزال أو الموت - فهم أشد حاجة إلى التربية الدينية وغرس الإيمان في نفوسهم حتى لا تموت قلوبهم فيخسروا دينهم ودنياهم .

ولقد جاء الأمر الإلهي منبها على هذه القضية المهمة ، فقال عز من قائل: {ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة} (١).

فالقرآن يهيب «بالذين آمنوا ليؤدوا واجبهم في بيوتهم من التربية والتوجيه والتذكير فيقوا أنفسهم وأهليهم من النار» (٢).

وجاءت السنة تؤكد ذلك ، فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته. قال: فسمعت هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: والرجل في

مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (١).

(١) آية ٦ من سورة التحريم .

(٢) سيدبن قطب ، في ظلال القرآن ٣٦١٧/٦ ، دار الشروق ، ط ٥ ، ١٣٩٧هـ ، بيروت ، القاهرة .

وما من شك في أن هذا القرن الذي نتناوله بالدراسة هو خير من راعى شرع الله عزوجل ومن ذلك هذه المسألة ، والدليل على ذلك أنهم أنشأوا جيل التابعين وتابعي التابعين الذين يلونهم في الأفضلية .
ومما كان يقوم به الآباء تجاه أهليهم وأبنائهم في المنازل تعليمهم ما يهمهم من أمور دينهم ، وكذا تربيتهم على العبادات التي تقربهم من الله زلفى .

ومن أمثلة التعليم ما وقع لأبي المليح^(٢) حيث صلى العشاء الآخرة في مسجد البصرة والدنيا ممطرة ، فلما رجع إلى البيت واستفتح استغل والده ر^(٣) تلك المناسبة لتبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المطابق لهذه الواقعة فقال: « رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية مطرنا فلم تبل السماء أسفل نعالنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صلوا في رحالكم »^(٤) .

ومن أمثلة الحث على العبادات ما كان يصنعه علي بن أبي طالب رمن إيقاظ أهله لقيام الليل^(٥) .

كما أن المنازل كانت تستغل لتعليم دين الله عزوجل وتبليغه والدعوة إليه بالنسبة لغير الأهل ، ومن ذلك ما رواه وابصة الأسدي

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٨١/٥ ، كتاب العتق ، باب ١٩ العبد راع في مال سيده ونسب النبي صلى الله عليه وسلم المال إلى السيد ، رقم الحديث ٢٥٥٨ .

(٢) أبو المليح أسامة بن عمير أو عامر بن حنيف بن ناجية الهذلي ، اسمه عامر ، وقيل زيد ، وقيل زياد ، مات سنة ثمان وتسعين ، وقيل : ثمان ومائة ، وقيل : بعد ذلك . [أحمد بن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ٤٧٦/٢ ، حققه : عبد الوهاب بن عبداللطيف ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ، بيروت] .

(٣) هو أسامة الهذلي والد أبي المليح ، روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وأبو عوانه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم ، ولم يرو عنه إلا ولده . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣١/١-٣٢] .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٧٤/٥ . قال البنا: إسناده جيد ، بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ١٨٧/٥-١٨٨ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٦/٣ .

رضي الله عنه ^(١) قال : «إني بالكوفة في داري إذ سمعت على باب الدار: السلام عليكم الخ . فقلت : عليكم السلام، فلج فلما دخل فإذا هو عبدالله بن مسعود ، قلت : يا أبا عبد الرحمن، أية ساعة زيارة هذه! وذلك في نحر الظهر . قال : طال علي النهار فذكرت من أتحدث إليه . قال : فجعل يحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثه ، قال : ثم أنشأ يحدثني . قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع ، والمضطجع فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب ، والراكب خير من المجري ، قتلاها كلها في النار . قال : قلت: يارسول الله ، ومتى ذلك؟ قال: ذلك أيام الهرج . قلت : ومتى أيام الهرج ؟ قال: حين لا يأمن الرجل جليسه . قال: قلت :فما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال : اكفف نفسك ويدك وادخل دارك . قال: قلت: يارسول الله ، رأيت إن دخل علي داري ؟ قال: فادخل بيتك . قال: قلت: رأيت إن دخل علي بيتي ؟ قال: فادخل مسجدك، واصنع هكذا وقبض بيمينه على الكوع وقل ربي الله حتى تموت على ذلك» ^(٢)، فالوقت قد طال على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه والنفوس مجبولة على حب الاجتماع والاستئناس بالآخرين فنجده لا يبحث عن أي شخص كان ليتحدث معه ، لكنه ينتقي شخصا من إخوانه في الله عزوجل ، ثم نجد الحديث الدائر بينهم يتضمن تبليغاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجالسهم لا تخلوا من ذكر الله عزوجل ، وإن للمسلمين فيهم أسوة حسنة فيتركوا ما كره الله لهم من

(١)وابصة بن معبد بن الحارث بن مالك الأسدي ، يقال: أبو الشعثاء ، ويقال : أبو سعيد ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ، وروى عنه كثيرون ، وكان كثير القراءة للقرآن ، بكاء لا يملك دمة ، توفي بالرقّة . [المزي ، تهذيب الكمال ٣٠/٣٩٢-٣٩٣] .

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٨ . قال أحمد بن شاکر : إسناده ضعيف لجهالة شيخ معمر ولكنه عرف في الإسناد التالي أنه إسحاق بن راشد فصار صحيحاً ، المسند شرح وفهرسة أحمد شاکر ٦/١٤١-١٤٢ ، رقم الحديث ٤٢٨٦ .

قيل وقال: وكثرة السؤال عن أمور لا يستفيد منها الإنسان، ويشغلوا أنفسهم بما ينفعها .

وعن يسير بن جابر قال: «هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرا إلا^(١): يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة . قال : فقعده وكان متكئا وقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة ، ثم قال: بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام^(٢) ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت: الروم تعني؟ قال: نعم ، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة^(٣) فيشترط المسلمون شرطة^(٤) للموت لا ترجع إلا غالبية ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء^(٥) هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية ، فيقتتلون حتى يمسا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، فإذا كان اليوم الرابع نهذ^(٦) إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم^(٧)، فيقتلون مقتلة إما قال: لا يرى مثلها وإما قال: لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم^(٨) فما يخلفهم^(٩) حتى يخر ميتا ، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يفرح؟! وأي ميراث يُقاسم؟! فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك ،

(١) ليس له هجيرا : أي شأنه ودأبه ذلك [هامش صحيح مسلم ٢٢٢٣/٣] .

(٢) لأهل الإسلام: أي لقتالهم . [المرجع السابق ٢٢٢٣/٣] .

(٣) ردة شديدة : عطفة قوية . [المرجع السابق ٢٢٢٣/٣] .

(٤) شرطة : طائفة من الجيش تقدم للقتال. [المرجع السابق ٢٢٢٣/٣] .

(٥) يفئ : يرجع . [المرجع السابق ٢٢٢٣/٣] .

(٦) نهذ : نهض وتقدم . [هامش صحيح مسلم ٢٢٢٣/٣] .

(٧) فيجعل الله الدبرة عليهم : أي الهزيمة . [المرجع السابق ٢٢٢٣/٣] .

(٨) ججنباتهم : أي نواحيهم . [المرجع السابق ٢٢٢٤/٣] .

(٩) فما يخلفهم : يجاوزهم . [المرجع السابق ٢٢٢٤/٣] .

فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون^(١) ما في أيديهم ويقبلون ، فيبعثون عشرة فوارس طليعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم ، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ». وفي رواية أسير بن جابر: أن ذلك كان في بيت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه والبيت ملآن^(٢).

فوجد عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما سنحت هذه الفرصة وبيته ملآن بالناس استغلها لمصلحة الدعوة إلى الله عزوجل فبلغ شيئاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يناسب المقام، فعلى الدعاة استغلال المناسبات والوقائع وطرق القضايا الدعوية الملائمة لها ؛ فإن ذلك أحرى لقبول دعوتهم وسماع كلمتهم .

(١) فيرفضون : أي يتركون . [المرجع السابق ٣/٢٢٢٤] .
(٢) صحيح مسلم ٣/٢٢٢٣-٢٢٢٤ ، كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب ١١ إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال ، رقم الحديث العام ٢٨٩٩ .

الفصل السابع المخالطة

انطلق الجيش الإسلامي لفتح العراق بقيادة خالد بن الوليد ر. وكان من بين أفراده أعداد من أولئك الذين تشرفوا بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهلوا من معين النبوة الصافي ، وقد أراد خالد بن الوليد لما جاءه أمر أبي بكر بالخروج إلى الشام أن يستأثر بهم دون المثني^(١). كما نجد روايات أخرى تدل على وجود الصحابة في جيوش أخرى منطلقة نحو فتح مدن أو مناطق من بلاد العراق وفارس^(٢).
يضاف إلى هذا أن عددا آخر من الصحابة كان يذهب أو يرسل إلى المناطق المفتوحة لغرض تعليم الناس وتفقيهم في دينهم^(٣)، وهناك من الصحابة من كان يستوطن بعض المناطق، فقد استوطن الكوفة ألف وخمسمائة ، ونزل قرقيسياء ستمائة منهم^(٤).
ولئن كان الصحابة - رضوان الله عليهم- يتميزون عن غيرهم فإن هذا لا يعني إلغاء جوانب مشرقة عند غيرهم .

(١) تاريخ الطبري ٤١١/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١٩٠/٣ ، ٢٥/٤ ، ١١٥ . ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣٦٢/٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٨/٧ ، ١٥٤ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٦ ، ١٠/٧ . الذهبي ، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٣٨٥ ، ٣٨٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١ . أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢٥٧/١ . ابن عساكر ، تبیین كذب المفتری ص ٨٢ .

(٤) أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي (ت ٢٦١هـ) ، تاريخ الثقات ص ٥١٧ بترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي ، وتضمنيات الحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق: د. عبدالمعطي بن قلجعي ، دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أذن بالجهاد لمن ظهرت توبته من المرتدين فشاركوا في الجهاد مختلطين مع من سبقهم إلى ساحات الجهاد ممن عصمه الله عن الردة .

وهكذا تحصل المخالطة في السلم والحرب ، في القرى والمدن ، في المسجد والسوق ، في المنازل والطرقات ، وينتظم هذا الاختلاط ضروب من الدعوة إلى الله عزوجل المقصودة وغير المقصودة .

هذا عن المخالطة في جانب المسلمين الفاتحين بعضهم ببعض ، أما مخالطة المسلمين لمن أسلم من أهل البلاد المفتوحة أو بغير المسلمين فيبرز ذلك على عدة محاور:

أولاً - المخالطة في المدن والقرى :

إن الغاية التي جاءت بالمسلمين إلى هذه البلاد هي فتحها وإنقاذ أهلها من الظلمات ، وإخراجهم إلى النور ، ودك الحواجز التي تمنع من ذلك ، وهذا الأمر يحتاج إلى إخضاع تلك البلاد تحت لواء الأمة الإسلامية ، ثم محاولة نشر هذا الدين الرباني فيها .

ولتحقيق هذين الهدفين فإن المسلمين كانوا يولئون على كل بلدة يفتحونها واليا يدعمونه بمجموعة من الجند ، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه في بداية الانطلاقة المباركة للفتح الإسلامي للسواد وزع سواد الحيرة والأبلة على البارزين من رجاله منهم: بشير بن الخصاصية^(١)، وابن ذي العنق^(٢)، وأط^(١)، وضرار بن الخطاب^(٢)،

(١) بشير بن معبد ، ويقال : ابن نذير بن معبد بن حيل السدوسي المعروف بابن الخصاصية قال ابن سعد: وحديثه في الأدب المفرد للبخاري والسنن ، وكان اسمه زحما فغيره النبي صلى الله عليه وسلم . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٠/٦ . ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٩/١] .

(٢) الحجاج بن ذي العنق الأحمسي ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من قومه ، وشهد على أحد عهود خالد بن الوليد بالعراق سنة اثنتي عشرة للهجرة ، وكان في إمارة بعض نواحي الحيرة . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣١٢/١] .

وسويد بن مقرن^(٣)، وحسكة الحبطي - رضي الله عنهم ورحمهم - .
وعندما خرج من الحيرة استخلف القعقاع بن عمرو^(٤). ولما فرغ خالد
رضي الله عنه من الأنبار وخضعت

له استخلف عليها الزبرقان بن بدر^(٥)^(٦).
ويصرح خالد بن الوليد بأن من أهم الأمور التي يهدف إليها والتي
أوصى بها الخليفة أبوبكر رضي الله عنه قبل التوغل في بلاد فارس
فتح مسالح العراق وتوطين المسلمين بها^(٧).

(١) هو أط بن أبي أط رجل من بني سعد بن زيد مناة ، بعثه خالد بن الوليد عامل خراج
إلى رودستان فنزل منزلا على نهر سمي ذلك النهر به ، ويقال له: نهر أط . [تاريخ
الطبري ٣/٣٦٩ ، ٣٧٢] .

(٢) ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو القرشي الفهري ، قال ابن حبان :
له صحبة . وكان فارسا شاعرا ، وكان أبوه رئيس بني فهر في زمانه ، ولم يكن في
قريش أشعر منه ، أسلم يوم الفتح . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة
٢/٢٠٩-٢١٠] .

(٣) سويد بن مقرن بن عائذ المزني أبو عدي ، ويقال: أبو عمرو الكوفي ، أخو النعمان
بن مقرن ، له صحبة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه في مسلم والسنن
، روى عنه ابنه معاوية ومولاه أبو شعبة وهلال بن مسافر وغيرهم . [المزي ،
تهذيب الكمال ١٢/٢٧١-٢٧٢ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/١٠٠] .

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٧٢-٣٧٣ .

(٥) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي ، كان اسمه الحصين ولقب
الزبرقان لحسن وجهه، وهو من أسماء القمر ، كان من أشرف وفد تميم على رسول
الله (ز) ، وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فأداها في الردة لأبي
بكر فأقره ، ثم إلى عمر . [ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ١/٥٤٣-
٥٤٤] .

(٦) تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ .

(٧) المصدر السابق ٣/٣٧٣ .

ولما بعث خالد بن الوليد سعد بن عمرو الأنصاري^(١) في جمع من المسلمين إلى صندوداء^(٢) أقام بها في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم^(٣).

واستمر الاختلاط في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان المسلمون منتشرين في عهده في مدن السواد وقراها ، فلما ولت الفرس رستم وثار السواد خرج المسلمون إلى المثنى بالحيرة فقصدهم خفان^(٤).

وعندما دخل المسلمون المدائن وزع سعد بيوت المدائن بين المسلمين وسكنوها^(٥)، واختلطوا بمن بقي فيها أو تراجع إليها من أهلها^(٦)، واستقر سعد

بالمدائن سنة وشهرين^(٧). وقد هاجر إلى المدائن إبان ولاية سعد رضي الله عنه عليها وتوطن بها بعض القبائل العربية ، وهم التغلبيون ومن أطاعهم من النمر وإياد^(٨).

وبعد انتصار المسلمين في جلولاء ضم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ر^(٩) إلى جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه جنودا كثيرة

(١) سعد بن عمرو الأنصاري ، أخو الحارث بن عمرو ، كان ممن شهد صفين من الصحابة . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٢/٢] .

(٢) صندوداء : قرية كانت في غربي الفرات فوق الأنبار . [البغدادي ، مرصد الإطلاع ٨٥٣/٢] .

(٣) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ) ، الخراج ص ١٥٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٤٩/٣ .

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ١٥٩ .

(٦) تاريخ الطبري ١٤/٤ .

(٧) المصدر السابق ٤٢/٤ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٧/٢ .

(٩) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، ويعرف بالمرقال ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد اليرموك فذهبت عينه يومئذ ، وشهد فتوح دمشق وبعض فتوح العراق وفارس ، وكان معه راية الإمام علي يوم صفين فقتل يومئذ ، وكان موصوفا

ليقيم بجلولاء فيكون بين المسلمين والفرس^(١)، ثم تقدم المسلمون من العرب والفرس إلى حلوان فأقاموا تحت قيادة القعقاع بن عمرو^(٢)، واختلط المسلمون بمن لم يهرب من أهلها^(٣)، وعندما فتح المسلمون ماسبذان بقيادة ضرار بن الخطاب هرب أهلها فدعاهم المسلمون فرجعوا، واختلط بهم المسلمون، وأقام ضرار بها حتى انتقل سعد رضي الله عنه من المدائن فبعث إليه فنزل الكوفة، واستخلف ابن الهذيل الأسدي^(٤) على ماسبذان^(٥).

ولما انتقل سعد رضي الله عنه إلى الكوفة لم ينقل جميع المسلمين، وإنما خيرهم فمنهم من مضى معه ومنهم من بقي مخالطاً للفرس في المدائن^(٦).

وقد تقتضي بعض الظروف قوة التغلغل والاختلاط بوضع قوات مسلمة بين أهل الذمة الذين يُخشى انتقاضهم، مثل ما أشار به علي بن أبي طالب على عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - من أن يقسم أهل البصرة ثلاث فرق، فرقة منها في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، وقد قبل عمر هذا الرأي وأخذ به^(٧).

بالشجاعة والإقدام رحمه الله تعالى . [الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٨٦/٣ . ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٩٣/٣].

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٩٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٨/٤ .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٩٩ .

(٤) ابن الهذيل الأسدي الكاهلي، من السادات، وقد شارك في فتوح العراق وكان مقدماً فيها، فكان أميراً على إحدى الكتائب في معركة القادسية، وقد خطب بني معد وحثهم على الجهاد، وفي فتح ماسبذان كان على المقدمة . [تاريخ الطبري ٥٣٤/٣، ٥٧٠، و ٤٧/٤].

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣٦٦/٢ .

(٦) تاريخ الطبري ٤٣/٤ .

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣/٣ .

وحينما فتح المسلمون مدينة جي سكنها مجموعة من العرب ، فلما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نقض أهلها العهد وقتلوا من عندهم من المسلمين^(١).

وفي ولاية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على الكوفة وَجَّه المغيرة البراء بن عازب^(٢) - رضي الله عنهما- إلى قزوين ، فعندما وصلها كره أهلها الحرب وطلبوا الصلح ، فلما عرض عليهم الجزية أنفوا منها وأسلموا وبقوا في بلادهم فأسكن البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين وأقطعهم أرضين لا يملكها أحد^{(٣)(٤)}.

ولما بلغ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه فتح الأهواز سار وتوغل في فارس فنزل تَوَّج وجعلها دار هجرة ، وأسس مسجد جامعاً ، وأقام هناك عاماً ، ثم خَلَف أخاه الحكم بن أبي العاص على أصحابه^(٥)، وقيل : إن الحكم هو الذي فتح توج وأسكن المسلمين فيها^(٦).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه استمر الاختلاط في المدن والقرى مع ملاحظة زيادة الفتوحات ، وقد تنتقض بعض البلاد فيعاد فتحها ، وقد تُمَصَّر بعض الأماكن ، فهذا الوليد بن عقبة رضي الله عنه

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ٢٩/١ .
(٢) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري أبو عمارة ، استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده ، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة ، مات سنة إحدى وسبعين . [محمد بن حبان البستي ، كتاب مشاهير علماء الأمصار ص ٤٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩ هـ . محمد بن إسماعيل = البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، كتاب التاريخ الكبير ١١٧/٢ ، طبع تحت مراقبة: د. محمد عبد المعيدخان ، المكتبة الإسلامية ، تركيا] .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣١٧-٣١٨ . الحموي ، معجم البلدان ٣٤٣/٤ .
(٤) انظر أمثلة أخرى على تولية الولاة ودعمهم بالجند عند البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٤-٣١٤ . تاريخ الطبري ١٤١/٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢٢/٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ . تاريخ ابن خلدون ٩٧٩/٤ ، ٩٨٢ ، ٩٨٥ .
(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٣ .
(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٩ .

يعيد السيطرة على أذربيجان بواسطة قائده الأشعث بن قيس رضي الله عنه ويسكنها ناسا من المسلمين ، ويأمرهم بالدعوة إلى الله عزوجل^(١).

ولما نزلت العرب أذربيجان ذهبت إليها عشائرها من الكوفة والبصرة والشام^(٢). وحين ولي سعيد بن العاص رضي الله عنه الكوفة مصرّ قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها منازلهم^(٣).

وعندما قصد ابن عامر رضي الله عنه خراسان ولي مجاشعا كرمان ففتح بيمنذ^(٤) عنوة وأمن أهلها ، ثم فتح الشيرجان^(٥) وخلف بها رجلا ، ثم افتتح ما حولها ، وأتى القفص^(٦) فهزمهم ، وهرب كثير من أهل كرمان فقسمت منازلهم وأراضيهم على المسلمين فعمروها^(٧) وعلى ذلك خالطوا من بقي من أهلها .

ويسير الربيع بن زياد الحارثي رضي الله عنه^(٨) بولاية ابن عامر رضي الله عنه إلى سجستان، وبعد تحقيق بعض الفتوحات يعود فيقيم بزرنج^(٩)

(١) المصدر السابق ص ٣٢٤ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١٨ .

(٤) عند الحموي بيمنذ وقد سبق التعريف بها ص ١٧٦ من هذا البحث.

(٥) الشيرجان : ما أظنها إلا سيرجان قصبه كرمان . [الحموي ، معجم البلدان ٣/٣٨١] . وقد سبق التعريف بالسيرجان ص ١٠٩ من هذا البحث .

(٦) القفص: لغة في القفس ، والقفس جبل بكرمان في حياها كالأكراد ، يقال: لهم القفس والبلوص . وقيل : القفس جبل من جبال كرمان مما يلي البحر . [الحموي ، معجم البلدان ٤/٣٨٠] .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٣-٣٨٤ . تاريخ ابن خلدون ٤/١٠١٤ .

(٨) هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، قال أبو عمر: له صحبة . ولا أعرف له رواية ، وذكره البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان في التابعين ، وناه عبدالله بن عامر سجستان سنة تسع وعشرين ففتحت على يديه ، وقال عمر لأصحابه: دلوني على رجل إذا كان في القوم أمير فكأنه ليس بأمير ، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير ،

مدة سنتين^(٢).

وفي خراسان كان المسلمون يغزون من لم يكن صالح ، « فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة ، فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة »^(٣) بقتل عثمان ر.

وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان الاختلاط ماضيا مستمرا ، فوجد علياً رضي الله عنه بعد فراغه من وقمة الجمل يكتب لجرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه وكان واليا على همذان^(٤) ، وإلى الأشعث بن قيس رضي الله عنه وكان على أذربيجان ويأمرهما بأخذ البيعة له على من عندهما من الناس^(٥).

وعندما أعاد علي الأشعث بن قيس - رضي الله عنهما - إلى أذربيجان عاملا أنزل أردبيل^(٦) ناسا من المسلمين ومصرها^(٧) ، كما نجد في عين التمر ألف رجل مع مالك بن كعب^(٨)^(١) ، وفي الأنبار مسلحة

فدلوه على الربيع فصدقهم . [ابن حجر ، الإصابة ٥٠٤/١ . ابن الأثير ، أسد الغابة ٥٥-٥٤/٢] .

(١) زرنج: مدينة هي قسبة سجستان . [الحموي ، معجم البلدان ١٣٨/٣] .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٥-٣٨٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٣١٦/٤ .

(٤) همذان : ستمائة وستون قرية حدها من باب الكرج إلى سيسر طولا ، وعرضا من عقبة أسد اباذ إلى ساوه . [الحموي ، معجم البلدان ٤١٠/٥-٤١٥] .

(٥) تاريخ الطبري ٥٦١/٤ .

(٦) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت قبل الإسلام قسبة الناحية ، وهي مدينة كبيرة جداً . [الحموي ، معجم البلدان ١٤٥/١] .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

(٨) هو مالك بن كعب الهمداني ، اشترك في فتوح العراق ، وكان ممن انتدب لخوض دجلة لحماية الجهة الأخرى للمسلمين في فتح المدائن القسوى التي كان فيها منزل كسرى ، وكان مع علي رضي الله عنه في خلافته ومن أنصاره ، بعثه علي مع ألفين لاستدراك مصر لكن جاء عليا الخبر بفتحها فرده . [تاريخ الطبري ٩/٤ ، ٣٢٣ ، و ٥٤/٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٣٣] .

من خمسمائة رجل^(٢).
ولما أخرج أهل فارس سهل بن حنيف رضي الله عنه سير علي
بن أبي طالب زياد بن
أبيه- رضي الله عنهما - في جمع كثير فأخضع فارس وكرمان ونزل
اصطخر^(٣) وحصن قلعة تسمى قلعة زياد^(٤).
وما هذه إلا أمثلة على وجود الاختلاط في المدن والقرى ، ولا
تعني الحصر ونفي وجود المسلمين فيما عداها ، ومما يقوي ذلك أن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عودته من صفين دعا المقاتلة
فلم يستجب له أحد « فأمر مناديا في الناس لا يتخلفن أحد ، وأمر معقل
بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحدا من جنوده فيها إلا حشره
»^(٥)، وبصورة عامة نستطيع القول كان الولاة يُسكِنون في كل مدينة
أميرا من قبلهم سواء كانت معاهدة أو مفتوحة عنوة ويدعمونه
بالجند^(٦).

وبجانب الاستيطان الجماعي يوجد سكنى أو مرور الأفراد لوقت
محدود ، فممن استوطن قرقيسياء عدي بن حاتم^(٧) وجرير بن عبدالله
البجلي وحنظلة الكاتب^(٨) - رضي الله عنهم - وقد ذكر الخطيب

(١) تاريخ الطبري ١٣٣/٥ .

(٢) تاريخ الطبري ١٣٤/٥ .

(٣) اصطخر : من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها ، بينها وبين شيراز اثنا عشر
فرسخا وطول ولايتها اثنا عشر فرسخا في مثلها . [الحموي ، معجم البلدان
٢١١/١-٢١٢] .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٩٢/٣ .

(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢١٣ .

(٦) العمري ، الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٠٦ .

(٧) عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، الأمير الشريف أبو وهب وأبو طريف ،
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عليه في وسط سنة سبع فأكرمه ، وله
أحاديث ، شارك في الفتوح ، مات سنة سبع وستين وله مائة وعشرون سنة . [
الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٦٢/٣-١٦٥] .

(٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٩١/١ .

البغدادي مجموعة من الصحابة والتابعين ممن ورد المدائن^(١) منهم عبدالله بن مسعود^(٢) ^(٣) وعمار بن ياسر^(٤) ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب^(٥) ^(٦) ، وأبو عبد الرحمن السلمي^(٧) ^(٨) رضي الله عنهم ورحمه.

وقد دخل جرجان^(٩) من الصحابة - رضوان الله عليهم - الحسين بن

علي^(١)،

(١) قد ذكر أسماءهم وفصل في تراجمهم. انظر تاريخ بغداد ١/١٥٨ ، ١٨٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبدالرحمن ، الإمام الحبر فقيه الأمة كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن النجباء العالمين ، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين ، وكان يوم اليرموك على النفل ، ومناقبه غزيرة ، قيل: مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل: غير ذلك . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١-٥٠٠] .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١/١٤٧ .

(٤) المصدر السابق ١/١٥١ .

(٥) عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل أبو عبدالرحمن القرشي العدوي ، الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم ، روى علما كثيرا نافعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن كبار الصحابة ، وروى عنه كثيرون ، اشترك في فتوح العراق والشام وفارس ومصر ، قيل : مات سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : أربع وسبعين . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣-٢٣٢] .

(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١/١٧١ .

(٧) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي من أولاد الصحابة ، مولده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، قرأ القرآن وجوَّده ومهر فيه ، وعرض على عثمان وعلي وابن مسعود ، وحدث عن عمر وعثمان وطائفة ، وحدث عنه جماعة ، توفي زمن الحجاج . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٧-٢٧٢] .

(٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١/٢٠٢ .

(٩) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . [الحموي ، معجم البلدان ٢/١١٩] .

وعبدالله بن عمر ، وحذيفة بن اليمان ، وسعيد بن العاص وأبو هريرة^(٢) وغيرهم^(٣) رضوان الله عليهم .
وقدم أصبهان من الصحابة - رضوان الله عليهم- الحسن بن علي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله بن عامر بن كريز، وغيرهم^(٤) .
وممن جاء إلى قزوين البراء بن عازب بن الحارث^(٥)، وسعيد بن العاص^(٦)، وأبان

ابن سعيد بن العاص^(١)^(٢)، وسلمان الفارسي^(٣) وغيرهم^(٤) رضوان الله عليهم.

(١) أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا ومحبيه ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدث عن جده صلى الله عليه وسلم وأبويه وصهره عمر بن الخطاب وطائفة ، وحدث عنه جماعة ، قتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين فرضي الله عنه وأرضاه . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٣] .

(٢) أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي ، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد الحفاظ الأثبات ، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً ، مسنده خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً ، مات سنة سبع وخمسين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٦٢/٢-٣٦٤ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢-٦٣٢ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ٢٠٢/٤-٢١١] .

(٣) أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي السهمي (ت ٤٢٧هـ) ، تاريخ جرجان ص ٤٦ . مراقبة : د. محمد عبد المعيدخان ، عالم الكتب ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ ، بيروت . وقد عدَّ من دخلها .

(٤) أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصفهان ٤٣/١-٤٤ . وقد عد من قدمها وترجم لهم .

(٥) عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ٦٠/١ ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٤هـ ، الرياض .

(٦) المصدر السابق ٦٦/١ .

ويعتبر الاختلاط في الكوفة والبصرة أقوى من غيره ؛ ذلك أنهما قاعدتان عسكريتان جعلهما المسلمون مراكز لإدارة البلاد المفتوحة ، ومنها انطلقت الجيوش تجوب العراق وفارس ؛ ولذلك تدفقت عليهما الأموال وقوي اقتصادهما فانجذب إليهما عدد كبير من الأعاجم . وقد سكن البصرة بعض القوات الفارسية بعد أن استسلموا للمسلمين ، واتفقوا

معهم على القتال ، ومن هذه القوات الأساورة^(٥) الذين كانوا في الأصل قوة عسكرية ساسانية، ثم كاتبوا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فوانضموا إلى جيشه ونزلوا البصرة معه^(٦). وكان معهم مجموعة من الأصبهانيين^(٧)، وانضم إلى الأساورة

(١) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي أبو الوليد له صحبة ، كان يتجر إلى الشام ، وتأخر إسلامه ، وهو الذي أجاز عثمان يوم الحديبية ، قدم المدينة مسلما عام خيبر ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في آخر سنة تسع على البحرين . [الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٨٩-٩٠. القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ٦٠/١] .

(٢) القزويني ، التدوين في أخبار قزوين ٦٧/١

(٣) المصدر السابق ٧٠/١ .

(٤) المصدر السابق ٧٩/١ وما بعدها

(٥) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما كالأحامرة بالكوفة . [ابن منظور ، لسان العرب ٤٢٨/٦] .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٦ . د. صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٥٩ ، ويقال: إنهم قوم أسلموا وهاجروا إلى البصرة . [المصدر السابق ص ٣٥٩] .

السيابجة^(١) وكانوا قبل الإسلام بالسواحل ، وكذلك الزط^(٢) وكانوا بالطفوف^{(٣)(٤)}.

وممن سكن البصرة الأحباش ، كانت لهم خطة قرب هذيل ، ويقال: إنهم استوطنوا البصرة منذ زمن عمر بن الخطاب^(٥) ر. وأما الكوفة فإنه لما تحول سعد ربالمسلمين إليها انتقل معه من كان في المدائن من التغلبيين والنمروإياد^(٦)، كما سكنها من أسلم حديثاً من جند شهانشاه^(٧) وكان عددهم أربعة آلاف^(٨)، كما أن نصارى نجران واليهود الذين دخلوا معهم في الصلح قد جلاهم عمر بطلبهم فنزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة ، وقد حملت اسمهم^(٩). ولم يكن هذا الاختلاط عبثاً لا غاية له ، بل كانت الغاية معلومة منذ البداية وهي نشر الإسلام ، ولا شك أن خير القرون الذين نبحت في زمنهم هم أكثر الناس تيقظاً لهذا الأمر ، ويؤكدده ما ورد من

(١) السيابجة : كانوا قوة عسكرية في جند الفرس ممن سباهم الفرس من أهل السند، وأوكل المسلمون إليهم حراسة بيت المال بالبصرة والسجن بعد إسلامهم. [البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٨-٣٦٩. الجوهري ، الصحاح ٣٢١/١].

(٢) الزط : أيضاً كانوا قوة عسكرية في جند الفرس ممن سباهم الفرس من أهل السند . وقيل: هم جيل من أهل الهند . [البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٨ . ابن منظور ، لسان العرب ٤٢/٦].

(٣) يبدوا أنها جمع طف و «الطف » : هو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . وطفّ الفرات : شاطئها ، والطفّ أرض من ناحية الكوفة في طرف البرية . [البغدادي ، مراصد الاطلاع ٨٨٨/٢]. وقد بحثت عن الطفوف عند الحموي، معجم البلدان ، والبكري ، معجم ما استعجم ، والقزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، والحميري ، الروض المعطار فلم أجد لها ذكراً .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٧ .

(٥) د. صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٨٧ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٧/٢ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٥٩ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٥٩ .

(٩) المصدر السابق ص ٧٧-٧٨ .

إشارات لذلك في بعض النصوص مثل أمر الأشعث بن قيس للمسلمين الذين أسكنهم أذربيجان أن يدعوا الناس إلى الإسلام^(١). ولقد أُنعت ثمار هذه الدعوة وقطفها المسلمون بعد زمن قليل ، فما إن عاد الأشعث بن قيس بنفسه إلى أذربيجان في عهد علي بن أبي طالب إلا وجد أكثر أهلها قد دخلوا في دين الله وقرأوا القرآن الكريم^(٢).

كما أن الاختلاط بين المسلمين وغيرهم يؤدي إلى حدوث تعاملات شتى ، فمثلا نرى خالد بن الوليد يرسل رسالتين إلى الفرس مع رجلين من

أهل السواد^(٣) ، وبني روزبه بن بزر جُمهر بن سان^(٤) لسعد بن أبي وقاصر القصر والمسجد ، ومن خلال هذا الاحتكاك تظهر فعالية حسن التعامل الإسلامي في جذب الآخرين إليه ، فروزبه هذا قد أحس بذلك فأسلم^(٥).

وهذا رجل من المسلمين مات بدقوقاء^(٦) « ولم يجد أحداً من المسلمين يُشْهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب^(٧) ، فقدا الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته ...

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٩ .

(٤) هو روزبة بن بزر جمهر بن سان ، كان همذانيا ، وكان على فرج من فروج الروم فأدخل عليهم سلاحاً فأخافه الأكاسرة ؛ فلحق بالروم فلم يأمن حتى قدم سعد بن أبي وقاص الكوفة ، فبنى له القصر والمسجد ، ثم كتب معه إلى عمر وأخبره بحاله فأسلم ، وفرض له عمر وأعطاه وصرفه إلى سعد ، فمات في الطريق سنة سبع عشرة للهجرة . [تاريخ الطبري ٤/٤٨] .

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٨ .

(٦) دقوقاء: مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، كان بها وقعة للخوارج . [الحموي ، معجم البلدان ٢/٤٥٩] .

(٧) وهذا يدل على وجوده لوحده في هذه البلد ، وعليه فإن له علاقات بأهل هذه البلد كقدومه تاجراً عليهم مثلاً .

فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ولا غيرا
وإنها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما»^(١).

ومن ألوان التعامل أيضاً جباية الخراج ، ويضطلع بهذه الوظيفة
إما صغار الولاة التابعون لولاة الأقاليم أو عمال خاصون بالجباية
ينتقلون من بلد إلى آخر^(٢).

ومما يلاحظ في بعض عقود الصلح بين المسلمين وغيرهم
محاولتها إيجاد نوع من الاختلاط والتقارب ، فمن ذلك اشتراطها
النصح للمسلمين وأن يدلّوهم وأن يضيفوهم يوماً وليلة من أوسط
طعامهم^(٣) ، وفي صلح مرو الشاهجان أن يوسعوا للمسلمين في
منزلهم^(٤).

وبصورة إجمالية يمكن القول إن انتشار المسلمين مع إقامتهم
لشعائر دينهم وتفرغ بعضهم للدعوة كان له أثره الكبير ؛ لأن المسلمين
لا يظن أنهم سيعيشون منزوين في نطاق ضيق ولكن كانوا منتشرين
بشكل واسع ، ويفترض مشاركتهم في مجالات الحياة من منظور
إسلامي^(٥).

ومما يناسب ذكره في هذا المقام للاستدلال على تأثير الاختلاط
قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه فقد كان مجوسياً ثم رأى
النصارى فتأثر بهم ، وتنقل من مكان إلى آخر طلباً لأهل العلم والدين

(١) سنن أبي داود ٢٩/٤ ، كتاب الأفضية ، باب ١٩ شهادة أهل الذمة وفي الوصية في
السفر ، رقم الحديث ٣٦٠٥ . قال الألباني : صحيح الإسناد إن كان الشعبي سمعه من
أبي موسى ، صحيح سنن أبي داود ٦٨٧/٢ ، رقم الحديث ٣٠٧١-٣٦٠٥ . وكيع ،
أخبار القضاة ٢٨٧/١ .

(٢) العمري ، الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٠٦-٤٠٧ .

(٣) تاريخ الطبري ١٥١/٤ ، ١٥٢ ، ١٥٧ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٦ .

(٥) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢١١ .

من النصارى حتى استقر بالمدينة المنورة منتظراً بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بإيعاز من أحد علماء النصارى^(١).

فالاختلاط حدث في المدن والقرى ، في السلم والحرب ، في الحل والسفر ، والمسلمون إذ ذاك يجمعون بين القوة الروحية بإيمانهم العميق واتجاههم إلى ربهم ، والقوة الفكرية بدينهم القوي الواضح ، والقوة المادية العسكرية فيكون تأثيرهم قوياً ونفوذهم عميقاً ، ولا ننسى هنا « أن المغلوب مولع أبداً بالاقتراء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده »^(٢).

ومما يلفت الانتباه في الاختلاط في المدن ولواء الحلف بين قدماء المسلمين من العرب وبين حديثي العهد بالإسلام من الفرس ، فنجد أن جند شهانشاه يحالفون زهرة بن حوية^(٣)، وأساورة البصرة يحالفون بني تميم^(٤)، وهذا يشير إلى وجود لون من المؤاخاة بين العرب والفرس ، فإذا كانت جماعات من الفرس قد رغبت في ولاء تميم أو ربيعة أو تجيب أو همدان فمعنى ذلك أنها لمست من تلك القبائل محبة وحسن معاشرة فحبب ذلك إليهم الدخول في ولائهم^(٥).

كما نجد الاختلاط أيضاً في الأسفار وعند الجهاد بين المسلمين الفاتحين وحديثي الإسلام^(٦)، وبين المسلمين وغيرهم ممن يجيء للتجارة كفتية تغلب يوم البويب^(٧)، أو خدمة المجاهدين كالعلاج^(٨) الذي

(١) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، صفة الصفوة ٥٢٣/١-٥٣٢، حققه وعلق عليه: محمود بن فاخوري. خرج أحاديثه: د. محمد بن رواس بن قلعه جي ، دار المعرفة، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ ، بيروت.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥١٠/٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٦ .

(٥) د. حسين بن مؤنس ، الإسلام الفاتح ص ١١ ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

(٦) انظر مبحث مشاركتهم في الفتح ص ٤٥٢ وما بعدها من هذا البحث .

(٧) تاريخ الطبري ٤٦٦/٣ .

كان يخدم عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وابن الزبير^(٢) وعبدالله بن عمرو بن العاص^(٣) -رضوان الله عليهم-^(٤) أو الأدلاء مثل الذين أخذهم المثنى رليدلوه على سوق بغداد^(٥)، وكذا من يؤسر من الكفار في أثناء الإقامة في المعسكرات أو في أثناء طريق العودة ، وقد يسلم بسبب هذا الاختلاط كأسير طليحة الأسدي^(٦)، وقد يجمع السفر بين المسلمين وغيرهم كما جمع بين عبدالله بن مسعود روعلقمة بن قيس - رحمه الله-ومجوسي وهم خارجون من المدائن^(٧).

ثانياً - المخالطة بالزواج :

أباح الله عزوجل الزواج من حرائر أهل الكتاب المحصنات ، قال الله تعالى: { اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من

(١) العليج :بوزن العجل ، الواحد من كفار العجم ، والجمع علوج . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٤٤٩] .

(٢) عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو بكر وأبو خبيب القرشي الأسدي المكي ثم المدني ، أمير المؤمنين أحد الأعلام ، مسنده نحو من ثلاثة وثلاثين حديثاً ، عداه من صغار الصحابة وإن كان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة ، وجده لأمه الصديق ، كان فارس قریش في زمانه ، قتل سنة ثلاث وسبعين . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣-٣٨٠] .

(٣) أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي ، الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه ، كان أبوه أكبر منه بإحدى عشرة سنة أو نحوها ، أسلم قبل أبيه ، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل ، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما جما ، يبلغ ما أسنده سبعمائة حديث ، قال الإمام أحمد بن حنبل :مات سنة ثلاث وستين للهجرة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٧٩] .

(٤) تاريخ الطبري ٤/٢٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٠ .

(٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١/١٤٨ .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٣٩ .

الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين {^(١).

ولا يخفى ما تتضمنه العلاقة الزوجية من قرب وحب وتآلف وسكون نفسي واستقرار روحي، وما فيها من مودة ورحمة .

قال الله تعالى: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } ^(٢).

ومن غير شك أن تلك الأجواء تهيء ظروفاً جيدة للدعوة إلى الله عزوجل لاسيما الرجل سيد بيته وموجه دفته كما هو معروف .

وقد حصل هذا النوع من الاختلاط بين المسلمين وأهل الكتاب ، فقد تزوج المسلمون من الكتابيات من أهل السواد .

عن مسلم مولى حذيفتر قال : « تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد ، يعني في أهل الكتابين منهم » ^(٣).

وعن جابر قال: « شهدت القادسية مع سعد رضي الله عنه فتزوجنا نساء أهل الكتاب ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلما قفلنا فمنا من طلق

ومنا من أمسك » ^(٤)، وتزوج حذيفة بن اليمان ركتابية من أهل المدائن ^(٥).

ثالثاً - المخالطة بالسبي :

من يتعرض لتاريخ الفتوح في العراق وفارس في كتب التاريخ يجد هذه الظاهرة القوية ، وهي السبي الذي يعقب المعارك سواء أكان

(١) آية ٥ من سورة المائدة .

(٢) آية ٢١ من سورة الروم .

(٣) تاريخ الطبري ٥٨٨/٣ .

(٤) المصدر السابق ٥٨٨/٣ .

(٥) المصدر السابق ٥٨٨/٣ إلا أن عمر أرسل له يأمره بطلاقها قائلاً: « إن في نساء الأعاجم خلافة فإن أقبلكم عليهن غلبتكم على نسائكم » ، فطلقها حذيفة .

في بداية الفتح علي يد خالد بن الوليد رضي الله عنه أم كان فيما بعد ذلك^(١). وقد تذكر الروايات أسماء بعض المسيبيين مثل سيرين^(٢)(٣)، ويسار^(٤)(٥)، ونصير^(٦) من سبي عين التمر^(٧) وغيرهم^(٨).

وهؤلاء الأسرى منهم من يُذهب به إلى المدينة المنورة ، ونذكر هنا صنيع أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه رضي الله عنه حينما قدم سبي نهاوند حيث جعل يتحسّر لأنه من نهاوند^(٩). كما نذكر كلمة عمر بن الخطاب لابن عباس -رضي الله عنهما-: « قد كنت أنت وأبوك تتمنيان أن تكثر العلوج بالمدينة »، وكان العباس ر^(١٠) أكثرهم

(١) انظر على سبيل المثال:

تاريخ خليفة بن خياط ص ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ .
تاريخ الطبري ٣/٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٤١٥ ، ٤٧٠ ،
٥٩٤ و ٤٨/٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ .

(٢) هو أبو محمد بن سيرين ، وكان مُلكاً لأنس بن مالك فكتبه على عشرين ألفاً وأدى الكتابة ، ويكنى أبا عمرة ، وولده ثلاثة وعشرون ولداً من أمهات أولاد شتى . [ابن قتيبة ، المعارف ص ٤٤٢] .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ١١٨ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٨ .

(٤) هو جد محمد بن إسحاق ، مولى قيس بن مخرمه بن المطلب بن عبد مناف . [تاريخ الطبري ٣/٤١٥] .

(٥) تاريخ الطبري ٣/٣١٥ .

(٦) هو أبو موسى بن نصير صاحب المغرب . [تاريخ خليفة ص ١١٨] .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ص ١١٨ .

(٨) تاريخ خليفة ص ١٦٢ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٦٧ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٨ .
تاريخ الطبري ٣/٣٥٢ ، ٣٧٧ ، ٤١٥ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/١١٢ . تاريخ ابن خلدون ٤/٩٧٧ .

وانظر أمثلة أخرى على قدوم السبي من منطقة البحث إلى المدينة المنورة في

تاريخ الطبري ٣/٣٨٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨٥ ، ٤١٥ .

(١٠) العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، قيل : إنه أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، وخرج مع قومه إلى بدر فأسر يومئذ فادعى أنه مسلم فإله أعلم ، وليس هو في عداد الطلقاء فإنه قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ،

رقيقاً^(١)، ومنهم من يوزع على المشتركين في الجهاد القاطنين غالباً في بلاد العراق وفارس .

وكان عدد المسيبيين كبيراً فقد سبى المسلمون في المذار^(٢) (٣) والولجة^(٤) ذراري المقاتلة ومن أعانهم ، وفي عين التمر سبى كل من حوى الحصن^(٥) ، وسبى

المتنى ر أهل (زئد ورد) و (بسوسيا)^(٦) (٧) ، وأحياناً يصيب الرجل من الجيش خمسا من السبي^(٨) ، واصطفى المسلمون بعد فتح مدينة قه^(٩) بأصبهان نحو ألف رأس^(١٠) ، بل نجد أن الربيع بن زياد قد سبى في ولايته البالغة سنتان ونصف أربعين ألفاً^(١١) ويذهب بعض الباحثين إلى أن من المحتمل أن نسبة العبيد في البصرة والكوفة متقارب حيث كانوا يبلغون ثمن سكان العرب^(١٢) .

-
- وكان شريفاً مهيباً عاقلاً جميلاً أبيض معتدل القامة، مات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وله ست وثمانون سنة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٧٨/٢ - ١٠٠] .
- (١) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٢٠٥ ، كتاب فضائل الأصحاب ، باب ٨ .
- (٢) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . [الحموي ، معجم البلدان ٨٨/٥] .
- (٣) تاريخ الطبري ٣/٣٥٢ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣ .
- (٤) تاريخ الطبري ٣/٣٥٤ .
- (٥) المصدر السابق ٣/٣٧٧ .
- (٦) عند الحموي بسوسا : وهي موضع قرب الكوفة . [الحموي ، معجم البلدان ٤٢٣/١] .
- (٧) تاريخ الطبري ٣/٤٥١ .
- (٨) المصدر السابق ٣/٤٧٦ .
- (٩) لم أجد لها ترجمة .
- (١٠) أبو نعيم الأصبهاني ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ١/٢٨ .
- (١١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٦ .
- (١٢) د. صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ص ٧٣ .

ومخالطة هؤلاء تختلف عن غيرهم من الناس ، فهؤلاء غالبا يكون اختلاطهم عن طريق الخدمة في المنازل ، وقد يحصل أعظم من هذا وهو ما يسمى بالتسري والإنجاب، فقد اشترى علي بن أبي طالب بنت ربيعة بن بجير التغلبي فاتخذها فولدت له عمر ورقية^(١). وأم الشعبي من سبي جلولاء وقد ملكها رجل من بني عبس فولدت له فمات عنها، فخلف عليها شراحيل فأنجبت له عامرا ،وقد ترعرع في بني عبس^(٢)، وأمر أبو بكر رلجندل من بني عجل بجارية من سبي أليس فولدت له^(٣)، كما أن سبايا تستر ولدن لبعض المسلمين^(٤)، ولعل أقوى نص يدل على مدى تغلغل تسري السبايا في المجتمع المسلم قول دينار^(٥) لأهل الكوفة: «يامعشر الكوفة، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك زمن عمر وعثمان ،ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بخل ، وخب ، وغدر ، وضيق ،ولم يكن فيكم واحدة منهن ، فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم ، فعلمت من أين أتيتم ، فإذا الخب من النبط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق من قبل الأهواز»^(٦). وهذا الاختلاط القوي سيؤدي إلى دعوة المسلمين لمن تحت أيديهم من السبي ولا شك .

قال أبو يوسف : « ويعرض الإسلام على السبايا من المجوسيات وعبدة الأوثان واليهوديات والنصارى »^(٧) .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٧٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٥٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٢٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/٣٥٨ .

(٤) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٥) هو من أسرة آل قارن إحدى الأسر الفارسية المشهورة ، وكان من ملوك الماهين ،

وقد صالح حذيفة عليها ، وكان يختلف إلى الكوفة . [تاريخ الطبري ٤/١٣٤ ، ١٣٦ ،

].

(٦) تاريخ الطبري ٤/١٣٦ . وكانت قولته هذه في مقامه بالكوفة إبان إمارة معاوية .

(٧) كتاب الخراج ص ٢٢٤ .

وقد نجم عن هذه الدعوة استجابة من المسيبيين؛ ولذلك نجد عمر بن الخطاب يقول عن المسيبيين في المدينة^(١): «إنهم تكلموا بلسان المسلمين ، وصلّوا إلى قبلتهم ، وحجوا حجهم»^(٢)، ولما خيرت بعض المسيبات بين الرد إلى أهلن وبلادهن وبين الإسلام والبقاء مع أصحابهن رغب بعضهن في الإسلام فأقمن مع أصحابهن^(٣).
ومما يرغب المسيبين في الإسلام الحقوق التي أغدقها الإسلام على الأرقاء والمملوكين^(٤).

(١) ومنهم من قدم من العراق وفارس .

(٢) صحيح البخاري م ٢ ج ٢٠٥/٤ ، كتاب فضائل الأصحاب ، باب ٨ .

(٣) ابن أعم الكوفي ، كتاب الفتوح ١٢/٢ .

(٤) انظر ذلك مفصلا في موقف الإسلام من الأرقاء ص ٤٧٨ وما بعدها من هذا البحث .

الباب الثالث أساليب الدعوة

الباب الثالث أساليب الدعوة

تمهيد :

الأسلوب في اللغة : الطريق ، والوجه ، والمذهب ، يقال: أنتم في أسلوب سوء ، ويجمع أساليب . والأسلوب الطريق تأخذ فيه ، والأسلوب الفن ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه^(١).

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٤٧٣/١ .

وفي الاصطلاح : أساليب الدعوة الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته^(١). أو هي صيغ التبليغ في دعوة الناس^(٢).

وكما استغل المسلمون وسائل الدعوة التي سبق الحديث عنها فكذلك اختاروا الأساليب المناسبة فاستخدموها لإيصال الدعوة إلى المدعويين ، وسأعرض إن شاء الله تعالى لأهم الأساليب التي استخدمها المسلمون في الدعوة إلى الله عز وجل وفق الفصول التالية :

الفصل الأول - الدعوة بالكلمة.

الفصل الثاني- التعليم .

الفصل الثالث - القدوة.

الفصل الرابع - الدعوة بالعمل .

الفصل الخامس - الترغيب والترهيب .

الفصل السادس- المعاملة الحسنة.

الفصل السابع - الاحتساب .

(١) محمد البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ص ٤٧ .
(٢) د. سيد بن محمد بن ساداتي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ص ٨٤

الفصل الأول الدعوة بالكلمة^(١)

الكلمة هي الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ،
فالقرآن وفيه معاني الدعوة هو كلام الله عزوجل نزل به جبريل -
عليه السلام - على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون به التبليغ^(٢) .
وتبرز أهمية الكلمة من عدة وجوه^(٣) :
أ - أنها وسيلة موجودة عند جميع الناس إلا النادر كأخرس ونحوه

ب- عناية القرآن الكريم بها فقد جاءت كلمة « قل » المرادفة لتكلم
في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة آية ، كما وردت مشتقاتها
وتصريفاتها في أكثر من ألفي آية .
ج- ما من رسول من الرسل إلا وقد استخدمها فتكلم مع قومه
بشيء ما ، قال الله تعالى: { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم }^(٤) .

(١) عدها البيانوني في المدخل إلى علم الدعوة من الوسائل ص ٣١١ كما عدها من
الوسائل عبدالكريم زيدان في أصول الدعوة ص ٤٧٠ ، وإنما ذكرتها في الأساليب
لما تضمنته من أساليب الكلمة من الجدل بالتي هي أحسن والخطبة وغير ذلك .
(٢) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة ص ٤٧٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة
البشائر ، عمان ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .
(٣) البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ص ٣١١-٣١٢ .
(٤) آية ٤ من سورة إبراهيم .

د - ما نلاحظه في كتب السنة النبوية من كثرة أقواله وكلامه صلى الله عليه وسلم ، وذلك يمثل السنة القولية الشريفة .
ولقد وجدت الدعوة بالكلمة منذ انطلاقة الفتح المباركة ، سواء أكانت بقراءة القرآن الكريم في الصلوات الجهرية أم كانت خارج الصلوات ، أم كانت بتبليغ السنة النبوية ، أم كانت بغير ذلك من ضروب الدعوة إلى الله عزوجل المبنية على هذين الأصلين .
لقد رافقت أعداد من الصحابة -رضوان الله عليهم- الجيوش المنطلقة للفتح ومنها تلك المتجهة إلى بلاد العراق وفارس ، وهذا بلا شك له تأثيره في مسيرة الدعوة .

كما وجد تأثير الصحابة -رضوان الله عليهم- في حالات السلم والاستقرار ، وكان الولاة يدركون تأثير الصحابة في سير الدعوة وضبط الأمور فكانوا يستعينون بهم ، فعندما أراد عمر رضي الله عنه توجيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إلى البصرة واليا قال: « أعني بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ؛ فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملاح لا يصلح الطعام إلا به »^(١) ، فوافق عمر فاستعان بتسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك^(٢) وعمران بن حصين^(٣)

(١) تاريخ الطبري ٧١/٤ .

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ، الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلميذه وتبعه وآخر أصحابه موتا ، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة المال والولد فكان كذلك ، مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون ، مات سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : غير ذلك . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥-٤٠٦] .

(٣) عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف أبو نجيد الخزاعي ، أسلم سنة سبع وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة ، ولي قضاء البصرة ، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم ، مسنده مائة وثمانون حديثا ، واعتزل حرب علي ومعوية ، توفي سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنه . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤/٢٨٧-١٩٢] .
الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٨-٥١٢] .

وهشام بن عامر^(١) -رضوان الله عليهم-^(٢)، وسكن بالبصرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ستون رجلا^(٣)، ونزل بالكوفة من الصحابة ألف وخمسمائة صحابي منهم حوالي سبعين بدريا وثلاثمائة من أصحاب الشجرة غير من سكن بها ونشر العلم فيها ثم ارتحل إلى بلد آخر^(٤)، ومن أشهر من قطن الكوفة عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه صاحب النعلين والوساد والمطهرة، والذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: «وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه»^(٦)، ومنهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مجاب الدعوة^(٧)، وأبو مسعود البدري رضي الله عنه وكان من

(١) هشام بن عامر بن أمية الأنصاري، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه عند مسلم، روى عنه سعيد بن جبير وحמיד بن هلال وآخرون، له مواقف محمودية في كابل، يقال: كان اسمه شهابا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم هشاما وكان نزل البصرة وعاش إلى زمن زياد. [ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠٥/٣].

(٢) تاريخ الطبري ٧١/٤. الدينوري، الأخبار الطوال ص ١١٨ غير أنه ذكر توجيه عشرة من الأنصار معه فقط.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٤٦/٢.

(٤) محمد بن زاهد الكوثري، فقه أهل العراق وحديثهم ص ٤٢، حققه: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١، ١٣٩٠ هـ. ابن سعد، الطبقات الكبرى ٩/٦.

(٥) صحيح البخاري م ٢ ج ٢١٥/٤، كتاب فضائل الأصحاب، باب ٢٠، و م ٢ ج ٢١٨-٢١٩، كتاب فضائل الأصحاب، باب ٢٧، وم ٣ ج ١٣٩/٧، كتاب الاستئذان باب ٣٨. صحيح مسلم ٥٦٦/١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ٥٠، رقم الحديث ٢٨٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٤٩/٦.

(٦) الألباني، صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٢٢٩/٣، أبواب المناقب، مناقب عمار بن ياسر، رقم الحديث ٢٩٨٨-٤٠٦٩.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٤٩٣.

الفقهاء^(١)، وكذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ذلك ، كما وجد الصحابة -رضوان الله عليهم - في غيرها من بلدان العراق وفارس^(٢).

وتمييزنا للصحابة -رضوان الله عليهم- ودورهم في الدعوة لا يعني إلغاء غيرهم، فقد وجدت جوانب مشرقة مضيئة عند غيرهم ، فقد كان بالكوفة أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذين نوروا حتى قال سعيد بن جبير - رحمه الله-: « كان أصحاب ابن مسعود سرج هذه القرية ». وقال فيهم الشاعر:
وابن مسعود الذي سرج القرية أصحابه ذوو الأحلام^(٣).

وكان بالبصرة أصحاب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، كما يوجد سوى أصحاب ابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما^(٤).

ومما يميز الدعوة في ذلك العصر عمق الإيمان ، ووفرة الإخلاص ، وصدق اللهجة، وقلة التكلف . وكان الدعوة حريصين على الدعوة كما هو المعتاد فإذا ما سنحت فرصة للدعوة استغلوها ، أو حدثت حادثة انتهزوها ، وإذا رأوا داعياً وحاجة لها قاموا بها خير قيام .
فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قدم إليه قوم من الدهاقين ، فعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم فقال عبدالله رضي الله عنه :« إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمرضه قلباً ، وتلقون المؤمن

(١)المصدر السابق ص ٦٥٨ .

(٢)انظر فصل المخالطة من هذا البحث ص ٢١٢ وما بعدها .

(٣)د. علي بن حسن بن عبدالقادر ، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٥٤ ، دار الكتب الحديثة ، ط ٣ ، ١٩٦٥م ، القاهرة .

(٤)ابن سعد ، الطبقات الكبرى . فقد ذكر عددا كبيرا من أهل الصلاح من التابعين .
الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٥٦ .

من أصح الناس قلباً وأمراضه جسماً ، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان»^(١) ، فعبداً لله بن مسعود رضي الله عنه لما رأى الحاجة هنا تدعو إلى إظهار زيف هذه الصحة الظاهرة حتى لا يغتر بها الناس وينخدعوا بها أسرع إلى ذلك ، بل إن الدعاة لا يتركون الدعوة في أصعب المواقف إذا رأوا الحاجة ماسة لذلك ، فهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فبكت عليه فلم يقدر أن يكلمها فلما أفاق قال: « أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة^(٢) والخالقة^(٣) والشاقة^(٤)»^(٥).

وفي العراق وفارس تعددت أساليب الكلام وضروبه ، ويمكننا تقسيمها كما يلي:

أولاً - المجادلة بالتي هي أحسن .

ثانياً - الخطبة .

ثالثاً - حلق الذكر .

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/١٣٥ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٤١٧ ، وهذا الخبر وإن لم يصرح بأنه في الكوفة إلا أن في النص دلالة على أنه هناك ، حيث أن الدهاقين هم رؤساء القرى في فارس ، كما أن ابن مسعود قد أرسله عمر لتعليم أهل الكوفة، وكان الخليفة من الأمراء إذا غابوا . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٦ . أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ١٢٧/٣٩ ، تحقيق: سكيينة الشهابي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق] .

(٢) الصالقة : التي ترفع صوتها بالبكاء ، وعن ابن الأعرابي : الصلق ضرب الوجه، حكاه صاحب المحكم، والأول أشهر . [ابن حجر ، فتح الباري ٣/١٦٥-١٦٦] .

(٣) الخالقة : التي تطلق رأسها عند المصيبة . [ابن حجر ، فتح الباري ٣/١٦٦] .

(٤) الشاقة : التي تشق ثوبها عند المصيبة . [ابن حجر ، فتح الباري ٣/١٦٦] .

(٥) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٣/١٦٥ . وقد وقع هذا حيث كان أبو موسى الأشعري أميراً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . [ابن حجر ، فتح الباري ٣/٥٦٢] .

- رابعاً - الدعوة بذكر أخبار الصالحين .
- خامساً - وصايا عند الموت .
- سادساً - الدعوة الخاصة .
- سابعاً - دعوة الكفار قبل القتال .

أولاً - المجادلة بالتي هي أحسن :

جادلته : خاصمه ، والاسم الجدل وهو شدة الخصومة^(١) .
والجدل والجدال : « المحاوره على سبيل المغالبة ؛ لإلزام الخصم وإفحامه ، أصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ، فكأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه »^(٢) .
لقد أمر الله عزوجل بالمجادلة لكن بالتي هي أحسن حيث يقول: { وجادلهم بالتي هي أحسن }^(٣) .
ونلاحظ تقييد الجدل هنا بالتي هي أحسن ؛ لتمييز عن الجدال المذموم ولإظهار خلوه من التنقص والترذيل ، ليستريح المدعو للداعي ، ويعلم أن غايته ليست الانتصار في الجدل ، وإنما غايته الحق ، فالإنسان له كبرياؤه ولا ينزل عن رأيه إلا بالرفق حتى لا يشعر بالهزيمة^(٤) .

ويمكن تقسيم المجادلات التي وقعت إلى قسمين:

- ١ - مجادلة الكفار بالتي هي أحسن .
 - ٢ - مجادلة من ضل من المسلمين أو أخطأ عين الحقيقة .
- وسألقي الضوء - إن شاء الله تعالى- على هذين القسمين :

(١) الرازي ، مختار الصحاح ص ٩٦ .
(٢) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ص ٢٩٨ ، مكتبة المعارف ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ، الرياض .
(٣) آية ١٢٥ من سورة النحل .
(٤) د. علي بن جريشة ، أدب الحوار والمناظرة ص ٢٣ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .

١ - مجادلة الكفار بالتي هي أحسن :

لقد سبق ذكر نماذج من المجادلات بالتي هي أحسن في مبحث الرسل ، ونورد هنا نماذج أخرى لغير الرسل .

أ- بين أسير من المسلمين ورستم :

لما سار رستم متوجهاً نحو القادسية وقبل أن يصلها نزل بكوثي^(١) ، وطلب أن يؤتى برجل من العرب فأسر له أحد المسلمين ، ودار بينهما الحوار التالي :

« رستم : ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟

قال : جننا نطلب موعود الله .

قال : وما هو ؟

قال : أرضكم وأبناؤكم ودمائكم إن أبيتم أن تسلموا .

قال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك ؟

قال : في موعود الله أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة ، وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك ، فنحن على يقين .

فقال رستم : قد وضعنا إذا في أيديكم !؟

قال : ويحك يارستم ! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا يغرنك ما ترى حولك ؛ فإنك لست تحاول الإنس ، إنما تحاول القضاء والقدر^(٢) .

ونلاحظ هنا أن الذي دار معه هذا لم يرسله المسلمون من أنفسهم فينتقونه انتقاء ، ولعل مثل هذا لا يغيب عن رستم بل لعله قصده ، وإلا

(١) كوثي : تقع بسواد العراق في أرض بابل . [الحموي ، معجم البلدان ٤/٤٨٧] .
(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٠٨ . وذكر بعضه ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٤/١٦٤ .

فإنه بمقدوره أن يطلب من المسلمين أن يرسلوا له رسولا ، لكنه عزف عن ذلك إلى أن يأسر رجلا خبط عشواء دون أن يصطفيه المسلمون . ولما كانت غاية المسلمين واضحة كل الوضوح للصغير والكبير والرئيس والمرؤوس فإن ذلك الأسير لم يتلجج أو يتلعثم ، بل خرجت منه العبارات القوية التي تناسب الموقف ، فهو أسير لدى الفرس فيقتضي إظهار العزة الإسلامية ومحاولة غرس الرعب في قلوب الأعداء .

ولقد كان لكلمات ذلك المسلم أعظم التأثير على رستم حتى قال: لما عاث جنده فسادا ، والله لقد صدق العربي ، والله ما أسلمنا إلا أعمالنا^(١) .

ب - بين زهرة بن حوية ورستم :

أرسل رستم إلى زهرة بن حوية « قال له : كنتم جيراننا ، وكنا نحسن إليكم ونحفظكم ، ويخبره عن صنيعهم مع العرب . فقال له زهرة : ليس أمرنا أمر أولئك ، ولا طلبتنا طلبتهم ، إنما لم نأتكم لطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة ، وقد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا فدعانا إلى ربه فأجبناه ، فقال لرسوله: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني ، فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به ، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز . قال رستم: ما هو ؟

قال : أما عموده الذي لا يصلح إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله .

قال : ما أحسن هذا ! وأي شيء أيضاً ؟

قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله .

(١) تاريخ الطبري ٥٠٨/٣ .

قال : حسن ، وأي شيء أيضاً ؟

قال : والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم .

قال : ما أحسن هذا !

ثم قال رستم: أرأيت إن أجبت إلى هذا ومعى قومي كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟

قال: أي والله ، ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة .قال: صدقتني والله ، أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة ، وكانوا يقولون: إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم .

فقال له زهرة :نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ، بل نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا»^(١) .

يبين زهرة في هذا الحوار لرستم أن أمر العرب ليس كالسابق ، فهممهم اليوم الآخرة ؛ فقد أرسل الله إليهم رسولا استنقذهم مما هم فيه من الظلام ونقلهم إلى الهدى ، وفي هذا ضربٌ مَثَلٌ لرستم بالعرب لعل فارس تسلك مسلكها فتخرج مما هي فيه من الظلام إلى النور ، وحاول إغراءه بهذا الأمر فجمع له بين الترغيب والترهيب ، ترغيب بالعز والغلبة إن دخل هذا الدين ، وذلة وهوان إن تركه ، ثم شرع في إيضاح بعض جوانب الإسلام المشرقة التي امتلكت نفس رستم، ولم يستطع إلا الإقرار بحسنها وروعيتها ، لكنه خشي على منصبه فلم يَبْتَ في الأمر فيعلن إسلامه وينحاز للمسلمين ، وإنما رجع إلى قومه « ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا»^(٢) فلم يفارقهم ، فبئس المنصب الذي يصد عن سبيل الله !.

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٩/٢-٣٢٠ . وذكره ابن خلدون مختصرا في تاريخه ٩٢٤/٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٠/٢ .

٢ - مجادلة من ضل من المسلمين أو أخطأ عين الحقيقة :

وجد من بين المسلمين من ندّ عن طريق الحق وابتعد عن جادة الصواب كالخوارج ، كما وجد آخرون اجتهدوا في أمر من الأمور لكنهم لم يوفقوا في إصابة الحق .

وقد قام المسلمون بمجادلة هؤلاء وأولئك ، جادلوا الفريق الأول لردهم إلى الحق، كما ناظروا الفريق الثاني لإظهار ما التبس عليهم .
وهذه نماذج لتلك المجادلات والتي هي أحسن :

١- بين (عائشة أم المؤمنين والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله)- رضوان الله عليهم - من جانب والقعقاع بن عمرو رضي الله عنه من جانب آخر :

قبل وقعة الجمل حرصا على جمع كلمة المسلمين ورأب الصدع والإصلاح أرسل عليّ بن أبي طالب القعقاع بن عمرو إلى عائشة وطلحة والزبير-رضي الله عنهم- بالبصرة يدعوهم إلى الطاعة والجماعة ، ويعظم عليهم النزاع ، فذهب القعقاع رضي الله عنه إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.
« فقال: أي أماه ، ما أقدمك هذا البلد ؟

فقلت : أي بني ، الإصلاح بين الناس . فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا .
فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ؟ فقلت: إنما جئت للإصلاح بين الناس .
فقالا: ونحن كذلك .

قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكرناه لا نصطلحن .

قالا : قتلة عثمان ، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن .
فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة ، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من

بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير^(١) فمنعه ستة آلاف ، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأدبلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير؛ لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخرج قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ؛ فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة ، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع . فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت ؟

قال : أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فاتثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا ، ولا تعرضونا للبلاء فنتعرضوا له ، فيصر عنا الله وإياكم، وأيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة القبيلة .

(١) هو حرقوص بن زهير السعدي ، له ذكر في فتوح العراق ، وزعم أبو عمر أنه ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج المقتول بالنهروان ، وذكر الطبري أن عمر أمد عتبة بن غزوان به ، وكانت له صحبة ، وأمّره على القتال على ما غلب عليه ففتح سوق الأهواز ، وذكر بعض من جمع المعجزات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل النار أحد شهد الحديبية إلا واحد فكان هو حرقوص بن زهير والله أعلم . [ابن حجر ، الإصابة ١/٣٢٠].

فقالوا : قد أصبت وأحسننت ، فارجع فإن قدم علي وهو على رأيك صلح الأمر .»

فرجع القعقاع رضي الله عنه إلى علي رفاً خبره الخبر ففسره ذلك ، وأشرف الفريقان على الوفاق والصلح ^(١) .

فانظر إلى هذا الحوار الهادئ الذي قد تبودل فيه الوقار والاحترام والمحبة ، وقصد كلا الطرفين الوصول إلى الحق ، فرغم اختلاف وجهات النظر في البداية إلا أننا نجد المناداة بألفاظ تأسر القلوب « ياأماه » ، « أي بني » ، ثم سؤال القعقاع الطرف الآخر عن سبب المفارقة لعلي بن أبي طالب ر ، ولما تبين السبب بين القعقاع لهم أن ما يسعون له مصلحة لكنه يترتب عليها مفسدة أكبر منها ، ووضح وجه ذلك ، ولما كان الجميع يعنيه الحق اصطلحوا وائتلفت القلوب بسبب هذا الحوار الهادئ .

بيد أن أعداء الله عزوجل ممن يكيدون للمسلمين في الخفاء ويطعنونهم في الظهر لما سمعوا بهذا علموا علم اليقين أن مصيرهم إلى الهلاك ، فأجمعوا رأيهم على إيقاظ نار الفتنة ، واختلطوا بالناس وأشعلوا نار الحرب ، وكانت وقعة الجمل فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ^(٢) .

ولذلك فإن من الواجب على المسلمين إذا حذروا من أعدائهم الظاهرين مرة واحدة أن يحذروا من مشاقيهم في الباطن ألف مرة ، وأن يسعوا لكشف مخططاتهم وفضح سوءاتهم وإبطالها .

ب - مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه للخوارج :

عندما خرجت الخوارج جاء عبدالله بن عباس إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب منه أن يذهب إلى الخوارج ^(٣) ، فلبس ابن

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٣٨/٧ .

(٢) ابن العربي ، العواصم من القواصم ص ١٥٦-١٥٧ .

(٣) عند أبي نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ٣١٨/١ . والمحِب الطبري في الرياض النضرة ٢٢٦/٣ . والذهبي في تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٨٨ أن

عباس - رضي الله عنهما - أحسن ما يكون من الثياب فاجتمع جمال الثياب، مع جمال الخلقة ، فقد كان ابن عباس - رضي الله عنهما- جميلا جهور الصوت ، وما أن يصل ابن عباس - رضي الله عنهما- حتى يبادره الخوارج بقولهم : مرحبا بك يا ابن عباس^(١). ما هذه الحلة ؟

قال : « ما تعيبون عليّ؟! لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل ، ثم تلا قوله تعالى : { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده }^(٢) »^(٣).
« قالوا : ما جاء بك ؟

قال : جئتم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله ، جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم .

وقال: ماذا نقمتم عليه ؟
قالوا : ثلاثا .

ابن عباس هو الذي عرض على علي بن أبي طالب الذهاب إلى الخوارج ، وأن علياً تخوف عليه فطمأنه ابن عباس فأذن له .
(١) في مسند الإمام أحمد ٨٦/١ أن ابن الكواء حذرهم من محاجته لكنهم أبوا فاستمعوا ، كما استمع ابن الكواء أيضاً بعد ذلك ، وكان ممن رجع . قال أحمد بن شاکر : إسناده صحيح ، مسند الإمام أحمد شرح وفهرسة: أحمد بن شاکر ٦٦/٢ ، رقم الحديث ٦٥٦ . وهذا الترحيب لم يذكره أبو عمر يوسف ابن عبدالبر النمري القرطبي الأندلسي (ت ٤٦٣هـ) في جامع بيان العلم وفضله ١٠٣/١ ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر . كما لم يذكره أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في كتابه الإعتصام ٣٥/٣ ، مطبعة المنار ، ط ١ ، ١٣٣٢هـ ، مصر . بل ذكر اعتراض بعضهم على محاجته لأن الله يقول في قریش : { بل هم قوم خصمون } آية ٥٨ من سورة الزخرف .
(٢) آية ٣٢ من سورة الأعراف .
(٣) سنن أبي داود ٣١٧/٤-٣١٨ ، كتاب اللباس ، باب ٨ . قال الألباني: حسن الإسناد ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٧٦٢/٢ ، رقم الحديث ٣٤٠٦-٤٣٧ .

قال : ما هي ؟

قالوا : حَكَّم الرجال في أمر الله ، وقال الله : { إن الحكم إلا لله } ^(١) .

قال : قلت هذه واحدة ، وماذا أيضاً ؟

قالوا : فإنه قاتل ولم يَسْب ولم يغنم ، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم ، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم .

قال : قلت وماذا أيضاً ؟

قالوا : ومحا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قال : قلت : أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون ؟

قالوا : وما لنا لا نرجع !

قال : قلت أما حَكَّم الرجال في أمر الله ، فإن الله قال في كتابه : { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم } ^(٢) ، وقال في المرأة وزوجها : { وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها } ^(٣) ، فصير الله ذلك إلى حكم الرجال ، فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة ؟

قالوا : بلى هذا أفضل .

قال : أخرجت من هذه ؟

قالوا : نعم .

قال : فأما قولكم قاتل فلم يسب ولم يغنم ، أفنتسبون أمكم عائشة؟! فإن قلتم نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، وإن قلتم

(١) آية ٥٧ من سورة الأنعام .

(٢) آية ٩٥ من سورة المائدة .

(٣) آية ٣٥ من سورة النساء .

ليست بأمناء فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضاللتين ، أخرجت من هذه ؟

قالوا : بلى .

قال : وأما قولكم محا نفسه من إمرة المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو سفيان وسهيل بن^(١)

عمرو^(٢) : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنك تعلم أنني رسولك ، امح يا علي واكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو^(٣)»^(١) ، فرسول الله كان أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، رأس قريش وقائدهم يوم أحد والخندق ، وله هنات وأمور صعبة لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف ، ثم بعد أيام صلح إسلامه ، كان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم ، وكان يحب الرياسة والذكر ، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٢] .

(٢) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري يكنى أبا يزيد ، أحد أشرف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم ، أسلم يوم الفتح ، ولما كانت الردة ارتجت مكة واختفى أميرها للنبي صلى الله عليه وسلم فقام فيهم سهيل وأمرهم بالثبات على الإسلام فثبتوا ، قيل : استشهد باليرموك ، وقيل : سنة أربع عشرة ، وقيل : سنة ثمان عشرة ، والله أعلم . [ابن الأثير ، أسد الغابة ٣٢٨/٢-٣٢٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٤/١] .

(٣) صلح الرسول صلى الله عليه وسلم مع قريش يوم الحديبية أخرجه البخاري في صحيحه م ١٧٨/٣-١٨٤ ، كتاب الشروط ، باب ١٥ الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة والشروط .

قالوا : اللهم نعم^(٢).

في بداية اللقاء نبههم ابن عباس- رضي الله عنهما- إلى أمر مهم وهو خلوهم من الصحابة - رضوان الله عليهم- الذين نزل القرآن عليهم ؛ ولذلك كانوا أعلم الناس بتفسيره ، وفي هذا شيء من التعنيف لهم على عدم أخذ العلم من مصادره الموثوقة ، وحث لهم على التراجع إلى الصف الممتلئ بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ناظرهم وسلك معهم رضي الله عنه طريقا عقليا مفحما ، وفي الوقت نفسه مرضيا للخصم ، فهو قد استوضح منهم الاشكالات التي جعلتهم يخرجون على علي ر ، ثم استوثق منهم أنه إن نقض شبهاتهم يرجعون ، بعدها تناول قضاياهم واحدة تلو أخرى مفندا لها .

ولقد أثمرت هذه المناظرة فكان من نتيجتها أن رجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء^(٣) ^(٤) ، وقيل رجع منهم عشرون ألفاً وبقي

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ١٠٣/٢-١٠٤ . أبونعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٣١٨/١-٣٢٠ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٨٨ . الشاطبي ، كتاب الاعتصام ٣٥/٣-٣٨ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٣١٩/١-٣٢٠ . المحب الطبري ، الرياض النضرة ٢٢٧/٣-٢٢٨ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٩٠ .

(٣) عبدالله بن أوفى بن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جُثَم أبو عمرو المعروف بابن الكوا ، من رؤساء الخوارج ، له محاورات مع معاوية قبل فتنة مقتل عثمان ، وله محاورات مع علي رضي الله عنه بعد الفتنة . [محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٣/١٢-٤٠ ، تحقيق: سكيئة الشهابي ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، دمشق . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٦٤٠ .]

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٨٧/١ . صحح إسناده أحمد بن شاكر ، مسند الإمام أحمد شرح وفهرسة : أحمد بن شاكر ٦٦/٢ ، رقم الحديث ٦٥٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٨١/٧ .

أربعة آلاف فقتلوا^(١)، وعند المحب الطبري والذهبي أن من رجع يعدل ثلثهم كما أنه انصرف ثلثهم، وقتل سائرهم على الضلالة^(٢).

ج - علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج:^(٣)
لما كاتب علي معاوية - رضي الله عنهما - وحكم الحكمين خرج عليه ثمانية

آلاف من قراء الناس فنزلوا حروراء^(٤)، وعتبوا عليه « فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى واسم سماك الله تعالى به ، ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى ، فلما أن بلغ عليا رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذنا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس .

فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما تسأل عنه ، إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما رويانا منه ، فماذا تريد ؟

قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : { وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما }^(٥)، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا علي أن كاتبت معاوية كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٣٢٠/١ .

(٢) الرياض النضرة ٢٢٨/٣ . تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥٩٠ .

(٣) وهذا جدل مع غياب المجادل لكنه مفيد لكي لا يعتر بمذهبهم أحد .

(٤) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل: موضع على ميلين منها . [الحموي ، معجم البلدان ٢/٢٤٥] .

(٥) آية ٣٥ من سورة النساء .

سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال : سهيل لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال : كيف نكتب ؟

فقال : اكتب باسمك اللهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاكتب محمد رسول الله .

فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح

محمد بن عبدالله قريشا ، يقول الله تعالى في كتابه : { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر } ^(١) «^(٢) .

فقد بين علي رضي الله عنه أن ما وافق عليه من التحكيم مع معاوية رضي الله عنه لا يضره في شيء ، واستدل بأية من كتاب الله عزوجل ، كما أن كتابته في العقد مع معاوية رضي الله عنه «علي بن أبي طالب» ولم يكتب علي أمير المؤمنين لا يضره في شيء ، واستدل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وبهذا أبطل شبة الخوارج .

د- محاورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع منجم :

مما هو معروف أن التنجيم لا يجوز ، وقد كذب الشرع المنجمين ونهى عن تصديقهم وإتيانهم ^(٣) ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) آية ٢١ من سورة الأحزاب .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٨٦/١ . قال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، مسند الإمام أحمد شرح وفهرسة أحمد شاكر ٦٦/٢ ، رقم الحديث ٦٥٦ .
(٣) محمد بن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ) ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٥٠٩/٤ ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط ٣ .

« من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»
(١)

لما عزم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على الخروج إلى الخوارج في النهروان قال له: مسافر بن عوف بن الأحمر^(٢): «يا أمير المؤمنين، لا تسر في هذه الساعة وسره في ثلاث ساعات يمضين من النهار .

قال علي : ولم ؟

قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت وطلبت .

فقال علي : ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ، ولا لنا من بعده ، فهل تعلم ما في بطن فرسي هذه ؟
قال : إن حسبت علمت .

قال : من صدقك بهذا القول كذب القرآن ، قال الله تعالى: { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام }^(٣) ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعي ما ادعيت علمه ، تزعم أنك تهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها ؟
قال : نعم .

قال : من صدقك بهذا القول استغنى عن الله تعالى في صرف المكروه عنه ، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليئك لأمر دون الله ربه ؛ لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي تنجو من السوء من سافر فيها

(١) سنن أبي داود ٢٢٦/٤-٢٢٧ ، كتاب الطب ، باب ٢٢ في النجوم ، رقم الحديث ٣٩٠٥ . قال النووي : إسناده صحيح ، رياض الصالحين ص ٦٠٨ ، أوضح معانيه : مصطفى بن محمد بن عماره ، مكتبة الغزالي ، دمشق، بيروت . وقال الألباني : حسن ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٧٣٩/٢ ، رقم الحديث ٣٣٠٥ ، ٣٩٠٥ .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) آية ٣٤ من سورة لقمان .

، فمن آمن بهذا القول لن آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا ، وضدا ، اللهم لا طائر إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ، نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها .

ثم ^(١) أقبل على الناس يحذرهم من التنجيم فقال : يا أيها الناس، إياكم وتعلم هذه النجوم إلا ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر ، إنما المنجم كالكافر ، والكافر في النار ، ثم حذر المنجم من النظر في النجوم ، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل النهروان فقتلهم ، ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل : سار في الساعة التي أمر بها المنجم ، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ، ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ، أيها الناس ، توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ما سواه ^(٢) .

لم يكتف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزجر المنجم عن قوله وإنما بين خطاه من عدة أوجه :

١ - أن التنجيم لا خير فيه ولو كان فيه خيراً لاتخذ محمد صلى الله عليه وسلم منجماً .

٢ - سؤاله له عن أمر غيبي وهو علم ما في بطن فرس علي رضي الله عنه فزعم المنجم أنه يعلم لو حسب ، فبين علي كذبه مستدلاً بآية من القرآن الكريم .

٣ - أن محمداً صلى الله عليه وسلم مع سمو مكانته ودنو منزلته من الله عزوجل لم يدع ما ادعاه هذا المنجم من علم الساعة التي يحصل فيها الضرر لمن سافر فيها .

٤ - أن من سار على قول المنجم فإنه يتوكل على كلام المنجم ويترك التوكل على الله عزوجل في صرف المكروه ؛ ولذلك لا يؤمن عليه أن يكون مثل من اتخذ مع الله ندا .

(١) من هنا خارج نطاق المناظرة غير أنني سفته هنا لإتمام القصة حتى لا تكون مبتورة ، وحتى يتبين كيف عالج الخليفة علي بن أبي طالب هذا الأمر من كل جهة .

(٢) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، كنز العمال ٢٣٥/٥ .

ثم تحدث مع الناس حديثاً عاماً ينهاهم فيه عن التنجيم ويحذرهم منه ، كما أنه لتعميق الرد تعمّد السير في الوقت الذي حذره المنجم من السير فيه ، ولما انتصر أعاد الكرة على مسألة التنجيم محذراً منها حاثاً على التوكل على الله عزوجل .

هـ- مناظرة بين بعض أصحاب علي رضي الله عنه والخوارج :
لما توجه علي رضي الله عنه إلى الخوارج نزل على بعد فرسخ منهم ، وبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة^(١) وأبا أيوب الأنصاري - رضي الله عنهم-^(٢) فقدموا عليهم فقالوا : « عباد الله ، إنكم ارتكبتم أمراً عظيماً باستعراضكم الناس تقتلونهم ، وشهادتكم علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم .
فأجابهما عبدالله بن السّخبر^(٣) فقال : إيكما عنا فإن الحق قد أضاء لنا كالصبح ، ولسنا بمتابعيكم ولا راجعين إليكم أو تأتوا بمثل عمر بن الخطاب .

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي، مختلف في كنيته فقيل: أبو الفضل وأبو عبدالله وأبو عبدالملك وأبو القاسم ، كان ضخماً حسناً طويلاً سخياً كريماً داهية شجاعاً ، وكان سيد قومه، وكان قيس من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، شهد المشاهد كلها ، مات في آخر خلافة معاوية بالمدينة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠٢/٣-١١٢ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٤٩/٣] .

(٢) أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي النجاري البصري ، السيد الكبير الذي خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت حجرة أم المؤمنين سودة ، له في مسند بقي مائة وخمسة وخمسون حديثاً ، شهد المشاهد كلها . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٢-٤١٣] .

(٣) عبدالله بن السّخبر أحد رؤوس الخوارج والمقدمين فيهم ، وكان متكلماً ومن ذلك أن الخوارج لما بايعوا عبدالله الراسبي خطب فيهم فقال وقد استعبر باكياً: « محي الله امرءاً لا يكون تسريح ما بين عظمه ولحمه وعصبه أيسر عنده من سخط الله عليه في لحظة يسعى بها على مقتته » . [الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧] .

فقال قيس بن سعد : ما نعرفه فينا إلا علي بن أبي طالب ، فهل تعرفونه فيكم ؟

قال : لا .

قال : فأنشدكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإنني أرى الفتنة قد دخلت قلوبكم .

ثم تكلم أبو أيوب بنحو هذا .

فقالوا : يا أبا أيوب ، إنا إن بايعناكم اليوم حكمتم غداً آخر .

قال : فإننا ننشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما تأتي به في قابل .

قالوا : إليكما عنا فقد نابذناكم على سواء .

وعند ذلك انصرف قيس وأبو أيوب -رضي الله عنهما - إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فأخبراه الخبر^(١).

استهل قيس بن سعد وأبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنهم -

خطابهما بعبارات لطيفة جذابة تحمل الشفقة والرحمة بالمخاطبين ،

لكنها ووجهت بالعناد من قبل الخوارج وإثارة شبهة عدم الرجوع معهم

حتى يجيئوا بمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأجاب قيس بن

سعد -رضي الله عنهما- بما يدحض هذه الشبهة وهو أن أقرب الناس

الأحياء من عمر رضي الله عنه هو صاحبهم وأميرهم علي بن أبي

طالب رضي الله عنه ، ثم بكتهم بأن هذا لا يوجد فيهم لكنه لم يلقه

بشكل إخباري ، وإنما ألقاه مستفهما ليخرج الإجابة منهم ، وبالفعل

جاءت الإجابة بالنفي لكنهم لم يتعرضوا لمسألة الرجوع معهم ، وهنا

استخدم قيس رضي الله عنه أسلوب الترهيب لعلمهم ينزجروا عن

غيهم ويرعوا عن باطلهم، ونفس الأسلوب استخدمه أبو أيوب رضي

الله عنه ، وتلمس لين كلمة الخوارج بعد ذلك ، ولين طرف قيس وأبي

أيوب -رضي الله عنهما- أيضاً ، لكن سرعان ما عاد الخوارج إلى

الإصرار على باطلهم ، وهنا يلمس قيس وصاحبه -رضي الله عنهما-

(١)الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢٠٧ .

عدم جدوى الاستمرار في المناظرة فيريا أن من الأحسن أن يذهب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فيخبراه الخبر ليفعل ما يراه مناسباً .
ورأى علي رضي الله عنه أن يذهب إليهم بنفسه مادام أنه لم تجد معهم الوفادة ، وهذا ما نراه في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

و- مناظرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج :

لما لم تنجح وفادة قيس بن سعد بن عبادة وأبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنهم - السابقة ذهب إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه واصطحب معه الجيش ترهيباً لهم حتى وقف عليهم بحيث يسمعون كلامه فنادى : « أيتها العصاة التي أخرجتها اللجاجة ، وصدتها عن الحق الهوى فأصبحت في لبس وخطأ ، إنني نذير لكم أن تتمادوا في ضلالكم فتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان ، ألم تعلموا أنني شرطت على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله ؟ وأخبرتكم أن طلب القوم الحكومة مكيدة ، فلما أبيتم إلا الحكومة شرطت عليهم أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن ، فخالفا الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى فنبدنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول ، فأين يتاه بكم ، ومن أين أتيتم ؟

فقالوا : إنا كفرنا حين رضينا بالحكمين ، وقد تبنا إلى الله من ذلك ، فإن تبنا فنحن معك ، وإلا فائذن بحرب فإننا منابدوك على سواء .

فقال لهم علي : أشهد على نفسي بالكفر !! قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين .

ثم قال : يخرج إلي رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول ، فإن وجبت عليّ الحجة أقررت لكم وتبنا إلى الله ، وإن وجبت عليكم فاتقوا الذي مردكم إليه .

فقالوا لعبدالله بن الكواء وكان من كبرائهم: اخرج إليه حتى تحاجه ، فخرج إليه .

فقال علي: هل رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد، فكفى بك شهيدا.

فقال علي رضي الله عنه: يا ابن الكواء، ما الذي نقمتم عليّ بعد رضاكم بولايتي وجهادكم معي وطاعتكم لي؟ فهلا برئتم مني يوم الجمل؟

قال ابن الكواء: لم يكن هناك تحكيم.

فقال علي: يا ابن الكواء أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال ابن الكواء: بل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فما سمعت قول الله عزوجل: { فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم }^(١)، أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون؟

قال: إن ذلك احتجاج عليهم وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين، فنحن أحرى أن نشك فيك.

قال: وإن الله تعالى يقول: {فأنتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه}^(٢).

قال ابن الكواء: إن ذلك أيضا احتجاج منه عليهم.

فلم يزل - عليه السلام - يحاج ابن الكواء بهذا وشبهه.

فقال ابن الكواء: أنت صادق في جميع ما تقول غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين.

قال علي: ويحك يا ابن الكواء، إني إنما حكمت أبا موسى وحده وحكم معاوية عمرا.

قال ابن الكواء: فإن أبا موسى كان كافرا.

فقال علي: ويحك متى كفر أحين بعثته أم حين حكم؟

قال: لا بل حين حكم.

(١) آية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) آية ٤٩ من سورة القصص.

قال: أفلا ترى أنني إنما بعثته مسلماً فكفر في قولك بعد أن بعثته ؟
أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من المسلمين
إلى أناس من الكافرين ليدعوهم إلى الله فدعاهم إلى غيره ، هل كان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ؟
قال : لا .

قال : ويحك فما كان عليّ إن ضل أبو موسى ؟ أفيجل لكم بضلالة أبي
موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس ؟
فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء : انصرف ودع
مخاطبة الرجل، فانصرف إلى أصحابه وأبى القوم إلا التماسي في الغي
« (١) .

ونلاحظ هنا قوة العبارات في بداية لقاء علي رضي الله عنه مع
الخوارج، وفي الوقت نفسه كان معه الجيش ، كما أنه ألمح لهم
بالترهيب وذلك أنهم إن استمروا في غيهم فسوف يقاتلهم ؛ لأن هذا
اللقاء ليس أول حوار معهم ، ثم وضح أنه لا حجة لهم في غضبهم
عليه في قضية التحكيم ، ولما لم يُجد ذلك طلب منهم أن يخرجوا له
رجلاً يرضونه فيحتاج وإياه ، ومن تلزمه الحجة يتوب إلى الله
عزوجل ويلزم الحق ، وهو حينما قال هذا قاله وهو يعتقد خطأهم
وانحرافهم لكنه قاله من باب إلزامهم بالتوبة والرجوع إذا بين لهم
البرهان .

وأخرج الخوارج ابن الكواء فاستوثق علي رضي الله عنه من
رضاهم به، ثم أخذ في مناظرته وألزمه وإياهم الحجة ودحض كلامهم
، لكن ذلك لم يزدهم إلا لجاجة وعتوا .
ولما لم تجد المناظرة تحوّل عليّ إلى ترهيبهم بالجهاد والقتال،
وبجانب ذلك فتح لهم باب التوبة حيث رفع لهم راية أمان ، وبالفعل

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢٠٧-٢٠٩ .

نجحت تلك الطريقة فانصرف بعضهم ، وأصر بعضهم الآخر فقاتله علي رضي الله عنه وهزمه^(١).

كما نلاحظ دقة عبارات علي رضي الله عنه في قوله : « أفلا ترى أني بعثته مسلماً فكفر في قولك بعد أن بعثته »، فينبغي للدعاة إذا ناظروا إنساناً ورأوا إلزامه الحجة ببعض كلامه الباطل أن يتنبهوا لتعبيرهم بحيث لا يؤخذ عليهم مدخلا.

ثانياً - الخطبة :

الخطابة في اللغة : « خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وخطب على المنبر حُطبة وخطابة »^(٢).

وفي الاصطلاح : « فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة »^(٣).

وقد كان الخليفة نفسه هو الذي يقوم بالخطبة في الناس في الجمعة والأعياد والمناسبات الأخر طوال عهد الخلفاء الراشدين ، وكان نوابه يقومون بهذه المهمة في أمصارهم^(٤).

ويمكن تقسيم الخطب الدعوية في ذلك العصر إلى قسمين :

أولاً - خطب السلم .

ثانياً - خطب الحرب .

(١) المصدر السابق ص ٢١٠ .

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ص ١٨٠ .

(٣) هذا التعريف اختاره الدكتور عبدالجليل بن عبده بن شلبي وقال عنه : إنه أوضح وأدق ما عرفت به الخطابة ، ثم شرحه ، الخطابة وإعداد الخطيب ص ١٣ ، دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .

(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٠٠ ، صحيح مسلم ٥٩٤/١ ، كتاب الجمعة ، باب ١٣ تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم الحديث العام ٨٦٩ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٢ . العمري ، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ص ٣٥٦ .

وسأحاول - إن شاء الله تعالى- إلقاء الضوء على هذين القسمين :

أولاً - خطب السلم:

لا نجد للخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - خطبا تدخل في إطار البحث سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ لأنه لم يقدم العراق وفارس غيره ، وبجانب خطب الخليفة علي رضي الله عنه نجد خطبا أخرى للولاية ، وهذه نماذج لذلك .

١- خطبة علي بن أبي طالب أول جمعة صلى بالكوفة :

« الحمد لله ، أحمدته وأستعينه وأستهديه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأعوذ بالله من الضلالة والردى ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، انتخبه لرسالته ، واختصه لتبليغ أمره ، أكرم خلقه عليه ، وأحبهم إليه ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وأدى الذي عليه صلى الله عليه وسلم ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن تقوى الله خير ما توأصى به عباد الله ، وأقربه لرضوان الله ، وأفضله في عواقب الأمور عند الله، وبتقوى الله أمرتم ، وللإحسان خلقتم ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ، فإنه حذر بأساً شديداً ، واخشوا الله خشية ليس بتعذير ، واعملوا من غير رياء ولا سمعة ؛ فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل ، ومن عمل مخلصاً له تولاه الله ، وأعطاه أفضل نيته ، وأشفقوا من عذاب الله ؛ فإنه لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمي آثاركم ، وعلم أسراركم ، وأحصى أعمالكم ، وكتب آجالكم ، فلا تغرنكم الدنيا ؛ فإنها غرارة لأهلها ، والمغرور من اغتر بها ، وإلى فناء ما هي ، وإن الآخرة هي دار

القرار ، نسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن به وله»^(١).

فأول ما بدأهم به في هذه الخطبة أمرهم بتقوى الله عزوجل مبينا أنها خير ما توأصى به عباد الله ، فهي جماع الدين ووصية الله عزوجل للأولين والآخرين .

قال الله تعالى : { ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله }^(٢).

ثم خص بعض أفراد التقوى بالذكر من شدة خشية الله عزوجل والإخلاص له والبعد عن الرياء ، وجمع في هذه الخطبة بين الترغيب والترهيب ، كما أنه علل لذلك ليكون أدعى للقبول وأكد للانقياد ، فحذر من العمل لغير الله ، فمغبة الرياء أن يكله الله إلى عمله ، وحذر من الاغترار بالدنيا فهي فانية ، ورجب في الإخلاص؛ فإن الله يتولى صاحبه ، ورجب في الآخرة لأنها باقية ، وقرن بين التحذير من عذاب الله وبين سعة علمه وإحاطته .

٢- خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه :

قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة خطيباً فقال :

« كنت إن لم أسأل النبي صلى الله عليه وسلم ابتدأني ، وإن سألته عن الخير أنبأني ، وإنه حدثني عن ربه عزوجل قال : يقول الله عزوجل : وارتفاعي فوق عرشي ، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي ، وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من

(١)الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢)آية ١٣١ من سورة النساء .

معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي»^(١).

وفي هذه الخطبة ركّز على موضوع مهم ألا وهو التوبة إلى الله عزوجل والثبات على الطاعة ، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة^(٢)، وقد جمع بين الترغيب والترهيب ، فرغبهم في التوبة وحذرهم من التحول إلى المعصية .

٣-خطبة علي رضي الله عنه بالكوفة بعد فراغه من النهروان :

صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه منبر الكوفة بعد انتهائه من وقعة النهروان ، فحمد الله ، وخنقته العبرة ، فبكى حتى ابتلت لحيته بدموعه ثم قال: « ياأيها الناس ، لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ، ويعمل فيها عمل الراغبين ، إن أعطي منها لم يشبع ، وإن مُنِعَ منها لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ويأمر ولا يأتي ، وينهى ولا ينتهي ، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، إن استغنى فتن ، وإن مرض حزن ، وإن افتقر قنط ووهن ، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعاقى فلا يشكر ، ويبتلى فلا يصبر ، كأن المحذر من الموت سواه ، وكأن من وعد وزجر غيره ، يا أعراض المنايا ، يا رهائن الموت ، ويا فاكهة الزمان ، ويا نور الحدثان ، ويا أخرس عند الحجج ، ويا من غمرته الفتن ، وحيل بينه وبين معرفة العبر ، بحق أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة

(١) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، كنز العمال ٢٠٣/٨ وعزاه لابن مردويه .

(٢) النووي ، رياض الصالحين ص ١٨ .

نفسه ، وما هلك من هلك إلا من تحت يده ، قال الله تعالى: { ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا }^(١) ، جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل ، ودعي إلى العمل فعمل^(٢) .
وعلي رضي الله عنه هنا يغوص إلى أعماق النفس البشرية ، ويفضح عوارها ، ويحذر من شرورها من التمني دون بذل وعمل ، وتسوية للتوبة ، ومخالفة العمل للقول ، وعدم القناعة ، وانعدام الشكر ... ثم بين سبب ذلك وهو أنه نسي أو تناسى أنه المخاطب بنصوص الوعد والوعيد لا غيره ، ثم بين أن الإنسان هو الذي يهلك نفسه كما سبق ، أو ينجيها وذلك بمعرفة الإنسان نفسه بإلزامها طريق الحق والبعد عن طريق الردى .

٤ خطبة عتبة بن غزوان رضي الله عنه :

خطب عتبة بن غزوان رضي الله عنه أهل البصرة ابان إمارته عليها فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : « أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت^(٣) بصُرم^(٤) وولت حذاء^(٥) ، ولم يبق منها إلا صبابة^(٦) كصبابة الإناء يتصابها^(٧) صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لازوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ؛ فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عاما لا يدرك

(١) آية ٦ من سورة التحريم .

(٢) علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٦/٣٢٥-٣٢٦ ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ، وهو هامش لمسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٣) آذنت : أي أعلمت . [النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٢/٨] .

(٤) بصرم : الصرم الانقطاع والذهاب . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٥) حذاء : مسرعه الانقطاع . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٦) صبابة : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٧) يتصابها : يشربها . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

لها قعرا^(١)، ووالله لتملأن ، أفعجبتنم ؟! لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ^(٢) من الزحام ، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت^(٣) أشداقنا ، فالتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك^(٤)، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكاً ، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا»^(٥).

وفي هذه الخطبة زهدهم عتبة بن غزوان رضي الله عنه في الدنيا ، وعلل هذا بسرعة زوالها ، ورجبهم في الآخرة معللاً ذلك ببقائها ، كما حذرهم من عذاب الآخرة ورجبهم في نعيمها ، ثم ضرب لهم من نفسه وأصحابه - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - مثلاً في عدم اغترارهم بالدنيا وإن انفتحت عليهم ، كما نبه إلى تغير أحوال الأمراء بعد زمانه .

٥- خطبة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

عن أبي عبدالرحمن السلمي - رحمه الله - قال: خطب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الجمعة في المدائن وكنت حاضراً مع أبي فقال : « ألا إن الله يقول: { اقتربت الساعة وانشق القمر }^(٦)، ألا وإن

(١) قعرا : قعر الشيء أسفله . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٢) كظيظ : أي ممتلئ . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٣) قرحت : أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي يأكلونه وحرارته . [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٤) سعد بن مالك : هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [المصدر السابق ١٠٢/٨] .

(٥) صحيح مسلم ٢٢٧٨/٣-٢٢٧٩ ، كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم ١٤ ، الرقم العام للحديث ٢٩٦٧ .

(٦) آية ١ من سورة القمر .

الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق . فقلت لأبي : أتستبق الناس غداً ؟ فقال : يا بني إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال»^(١) .
ونلاحظ هنا أن الجانب الذي ركّز عليه حذيفة رضي الله عنه هو الدعوة إلى صالح العمل والتسابق في ذلك ، والتحذير من الغرور بالدنيا التي آذنت بالزوال واقتربت من الرّحيل .

٦- خطبة ثانية لحذيفة رضي الله عنه :

خطب حذيفة رضي الله عنه بالمدائن فقال :
« أيها الناس ، تعاهدوا ضرائب غلمانكم ، فإن كانت من حلال فكلوها ، وإن كانت من غير ذلك فافرضوها ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه ليس لحم ينبت من سحت فيدخل الجنة»^(٢)»^(٣) .
وهنا يحذر حذيفة رضي الله عنه من أكل الحرام ؛ فالجنة تلفظ جسداً لم يئم من حلال .

٧-خطبة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :

خطب أبو موسى رضي الله عنه بالبصرة فقال :

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ٥٤٥/١١-٥٤٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٢هـ .

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في سننه من طريق جابر بن عبدالله ص ٧١٤ ، كتاب الرقاق ، باب ٦٠ في أكل السحت .

(٣) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢٨١/١ .

« يا أيها الناس ، ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ؛ فإن أهل النار سيكون الدموع حتى تنقطع ، ثم سيكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت »^(١) .

وهنا نلاحظ أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قد حثهم على البكاء من خشية الله ، وحذر الناس من مصير أولئك الذين يستنزفون دموعهم لتجري دماً بعد ذلك؛ لما فرطوا في جنب الله .

٨- خطبة لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما :

اعتلى ابن عباس -رضي الله عنهما- منبر البصرة فقال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لم يكن نبي إلا له دعوة تنجزها في الدنيا ، وإني

اختبأت دعوتي شفاعاة لأمتي ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تتشق عنه الأرض ولا فخر ، ويبيدي لواء الحمد ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائي، قال : ويطول يوم القيامة على الناس حتى يقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربه عزوجل فليقض بيننا ، فيأتون آدم - عليه السلام- فيقولون : يا آدم ، أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد له ملائكته فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فيقول : إني لست هناك ؛ إني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن اتتوا نوحا رأس النبيين ، فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فيقول: إني لست هناك ؛ إني قد دعوت دعوة غرقت أهل الأرض ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن اتتوا إبراهيم خليل الله - عليه السلام - قال: فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فيقول : إني لست هناك ؛ إني قد كذبت في الإسلام ثلاث كذبات ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي . فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤/ ١١٠ . أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/ ٢٦١ .

وسلم : إن حاول بهن إلا عن دين الله ، قوله: إني سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لامرأته : إنها أختي ، ولكن انتوا موسى - عليه السلام - الذي اصطفاه الله برسالته وكلامه ، فيأتون موسى فيقولون : ياموسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فيقول: إني لست هناكم ؛ إني قتلت نفساً بغير نفس ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن انتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت روح الله وكلمته فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فيقول: إني لست هناكم ؛ قد اتُّخِذْتُ إليها من دون الله ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ثم قال : أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون : لا . فيقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا . فأقول : نعم أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فإذا أراد الله عزوجل أن يصدع بين خلقه نادى مناد : أين أحمد وأمه ؟ فنحن الآخرون الأولون ، فنحن آخر الأمم وأول من يحاسب - فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من أثر الطهور ، وتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها . قال : ثم آتى باب الجنة فأخذ بحلقة باب الجنة فأقرع الباب ، فيقال : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيفتح لي فأرى ربي عزوجل وهو على كرسيه أو سريره ، فأخر له ساجداً وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي ولا يحمده بها أحد بعدي ، فيقال : ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع . قال : فأرفع رأسي فأقول: أي رب ، أمتي أمتي . فيقال لي : أخرج من النار من كان في قلبه مثقال كذا وكذا ، فأخرجهم ، ثم أعود فأخر ساجداً وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي ولا يحمده بها أحد بعدي ، فقال لي : ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أي رب ، أمتي أمتي . فيقال:

أخرج من النار من كان في قلبه مثقال كذا وكذا ، فأخرجهم ، قال :
وقال في الثالثة مثل هذا أيضاً»^(١).

وفي هذه الخطبة لابن عباس -رضي الله عنهما - بلغ حديثاً عن
المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه ترهيب بذكر موقف من مواقف يوم
القيامة ، وكيف أن عظماء الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كل
منهم لا يهمله إلا نفسه ؛ وذلك يدل على شدة الموقف وعظمته ، كما أن
فيه بيان لمكانة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته .

٩- خطبة أخرى لابن عباس رضي الله عنهما :

وقف ابن عباس على منبر أهل البصرة فقال : « إن نبي الله صلى
الله عليه وسلم كان يتعوذ في دبر صلاته من أربع يقول : أعوذ بالله من
عذاب القبر ، وأعوذ بالله من عذاب النار ، وأعوذ بالله من الفتن ما
ظهر منها وما بطن ، وأعوذ بالله من فتنة الأعور الكذاب»^(٢).

وفي هذه الخطبة تبليغ لحديث عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
يستعيذ فيه من بعض ألوان العذاب ومن الفتن .

إن الطابع العام لكل هذه الخطب - وبعضها خطب الجمعة - هو
قصرها وعدم التطويل فيها ؛ وذلك تمسكا بسنة المصطفى صلى الله
عليه وسلم حيث أمر بتقصير الخطبة .

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة^(٣)
من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، وإن

(١) مسند الإمام أحمد ٢٩٥/١-٢٩٦ ، قال البنا : أورده الهيئتي في مجمع الزوائد ونسبه
لأحمد وبعضه لأبي يعلي وقال : وفيه علي بن زيد وقد وثق على ضعفه وبقية
رجالهما رجال الصحيح ، بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ١٢١/٢٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٢/١-٢٩٣ . وقال أحمد بن شاكر : إسناده صحيح ،
مسند الإمام أحمد شرحه ووضع فهرسه أحمد بن محمد بن شاكر ٢٣١/٣ ، رقم
الحديث ٢٦٦٧ .

(٣) مئنة : أي علامة . [هامش صحيح مسلم ٥٩٤/١] .

من البيان سحراً^(١)»^(٢).

وإنها لفرصة يُوجّه فيها نداء إلى أئمة المساجد بأن يلتزموا بهذا الهدى النبوي الذي سار عليه سلفنا الصالح .

ثانياً - خطب الحرب :

يحرص قادة المسلمين على رفع الروح المعنوية لجنودهم ، ويسلكون لذلك سبلاً منها إلقاء خطب حماسية عليهم ، وكان لهذه الوسيلة مقام كبير عند القادة ، فمثلاً في القادسية نجد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يجمع الذين انتهى إليهم رأي الناس وأصحاب النجدة وأهل الفضل والشعراء ويقول لهم : « انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطبائهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس فذكروهم وحرصوهم على القتال »^(٣).

ومن نماذج الخطب الحربية ما يلي :

١ - خطبة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في القادسية :

(١) إن من البيان سحراً : قال أبو عبيد هو من الفهم وذكاء القلب . قال القاضي : فيه تأويلان : الأول - أنه ذم لأنه إمالة للقلوب وصرافها بمقاطع الكلام إليه حتى تكتسب من الإثم به كما يكتسب بالسحر . وأدخله مالك في الموطأ في (باب ما يكره من الكلام) ، وهو مذهبه في تأويل الحديث . والثاني - أنه مدح لأن الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان ، وشبهه بالسحر لميل القلوب إليه . وأصل السحر الصرف ، فالبيان يصرف القلوب ويميلها إلى ما ندعو إليه ، هذا كلام القاضي . وهذا التأويل الثاني هو الصحيح المختار . [المرجع السابق ٥٩٤/١] .

(٢) صحيح مسلم ٥٩٤/١ ، كتاب الجمعة ، باب ١٣ تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم الحديث العام ٨٦٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٣/٣ .

في يوم الإثنين من شهر المحرم سنة أربع عشرة للهجرة خطب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فيمن يليه فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه: { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون }^(١)، إن هذا ميراثكم ، وموعود ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم ، فإن ترهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم »^(٢) .

فبيّن سعد رضي الله عنه في هذه الخطبة أن الأرض لله يورثها عباده الصالحين ، وفي هذا تذكير للجنود بأن النصر بيد الله عزوجل ليرتبطوا به ، وضرب لهم مثلا بمن نصرهم الله عزوجل على الفرس الذين هم يواجهونهم الآن بالمسلمين الذين سبقوهم من أهل الأيام^(٣)، ثم بين لهم كيفية تحصيل نصر الله عزوجل وذلك بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، وحذرهم من خلفه فتذهب دنياهم وأخرتهم.

٢ - خطبة بسر بن أبي رهم الجهني بالقادسية :

تنفيذاً لأمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خطب بسر بن أبي رهم كغيره من الأعيان فقال :

« احمدا الله وصدقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له، ووحدتموه ولا إله غيره وكبرتموه ، وأمنتكم بنبيه ورسله فلا تموتن

(١) آية ٥ من سورة الأنبياء .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٣١-٥٣٢ .

(٣) أي الأيام التي سبقت القادسية .

إلا وأنتم مسلمون، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا فإنها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم ، انصروا الله ينصركم»^(١).

وهكذا تلتقي هذه الخطبة مع سابقتها في الحث على نصره الله عزوجل لينصرهم ، ومن نصره الله تعالى الزهد في الدنيا .

٣- خطبة النعمان بن مقرن رضي الله عنه بنهاوند :

جعل النعمان رضي الله عنه يوم نهاوند يسير في الناس ، ويقف على كل راية ، ويحمد الله ويثني عليه ويقول:

« قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هوادي^(٢) ما وعدكم وصدوره ، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه^(٣) ، والله منجز وعده ، ومتبع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه ، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم ، وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم ، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم ، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة^(٤) وما ترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتكم لهم فدينكم وبيضتكم ، ولا سواء ما أخطرتكم وما أخطروا ، فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم ، واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء ؛ فإنكم بين خيرين منتظرين - إحدى الحسينيين - من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب

(١) تاريخ الطبري ٥٣٤/٣ . وقد ذكر نماذج أخرى من الخطب لمجموعة من الأعيان ٥٣٥-٥٣٣/٣ .

(٢) الهوادي : الأوائل . [ابن منظور ، لسان العرب ٦١/١٥] .

(٣) الكراع من الإنسان : ما دون الركبة إلى الكعب ، ومن الدواب ما دون الكعب . [ابن منظور ، لسان العرب ٧١/١٢] .

(٤) الرثة : الخلق الخسيس البالي من كل شيء . [ابن منظور ، لسان العرب ١٣٥/٥]

وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه ، وذلك من الملامة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهياً من لم يكن تهيأ ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل - إن شاء الله- فاحملوا معاً، اللهم أعز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك» (١).

فقد ذكر لهم النعمان رضي الله عنه ما أنجز الله سبحانه وتعالى لهم سابقاً، وأن الله عزوجل متم وعده فيما أمامهم ، وبين الفارق الكبير بين استعداد الفرس واستعداد المسلمين ، فإن كان استعداد الفرس مادياً فالمسلمون يدافعون عن دينهم وحماهم ؛ ولذلك أتبع ذلك باستجاشة حماسهم بأن لا يكون الفرس على دنياهم أعظم دفاعاً من المسلمين عن دينهم وحماهم ، كما أن المسلم يرجو إحدى الحسنين، فهو على خير في كل حال من الشهادة أو الظفر .

ثالثاً - حلق الذكر:

لحلق الذكر فضل عظيم ، وقد ورد الشرع بالحث عليها^(٢)، ففي الحديث « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم^(٣) الملائكة ، وغشيتهم^(٤) الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة^(٥)، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

(١) تاريخ الطبري ١٣١/٤-١٣٢ .

(٢) عقد الإمام النووي باباً في فضل حلق الذكر ، رياض الصالحين ص ٥٢٠ وما بعدها

(٣) حفتهم : أحدقت بهم . [هامش رياض الصالحين ص ٥٢٢] .

(٤) غشيتهم : عمتهم . [المرجع السابق ص ٥٢٢] .

(٥) السكينة : ما تسكن به أنفسهم من آثار فيض الله وفضله . [المرجع السابق ص

٥٢٢] .

وكانت حلق الذكر أحد ألوان الدعوة بالكلمة ، فعندما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجيش إلى فارس بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جعل داعية الناس وقاصهم سلمان الفارسي ر^(٢) .
 وكان أهل الكوفة يجتمعون في حلقة فيُذَكِّرون الله تعالى^(٣) .
^(٤) وهناك من خصص أوقاتا معينة لتلك الحلق ، فكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يذكر كل يوم اثنين^(٥) ، وكان من نهجه قصر الكلام والسكوت والناس يشتهون الزيادة^(٦) ، ويعلل ذلك قائلا : « أكره أن أملككم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا^(٧) بالموعظة كراهية السامة علينا »^(٨) . وذكرت بعض المصادر أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقص كل يوم خميس واثنين^(٩) . ومن كلامه في تلك المجالس ما روي أنه قال : « الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه ، وأستعديه^(١٠) وأستنصره ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد

(١) صحيح مسلم ٢٠٧٤/٣ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ١١ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم الحديث العام ٢٧٠٠ ، رقم حديث الباب ٣٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٧/٧ .

(٣) معنى يُذَكِّرون الله : هو بتشديد الكاف من التذكير ولفظ الجلالة منصوب ، والمعنى نُخَوِّفُ الناس الله ، أي عقاب الله وعذابه . [البنا ، بلوغ الأمانى ٤٤٥/٢٢] .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٩/١ . البنا ، الفتح الرباني ٤٤٥/٢٢ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥٧/٣ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٤٠٨/١-٤٠٩ . وقد روى الكلام عبدالله بن مرداس وهو كوفي . انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٩٨/٦ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥٧/٣ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٤٠٨/١ .

(٧) يتخولنا : يراعي الأوقات في تذكيرنا . [ابن حجر ، فتح الباري ١٦٢/١] .

(٨) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٦٣/١ ، كتاب العلم ، باب ١٢ من جعل لأهل العلم أياما معلومة . مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٢٧/١ .

(٩) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ١٢٧/٣٩ .

(١٠) أستعديه : أستنصره وأستعينه . [ابن منظور ، لسان العرب ٩٧/٩] .

أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى بشيراً ونذيراً ، من أطاعه
 رشد ، ومن عصاه غوى ، وأسأل الله الإيمان واليقين ، وأعوذ به من
 شر عاقبة الأمور ، ورأس الحكمة طاعة الله ، وأصدق القول وأنصح
 النصيح وأبلغ الموعدة وأحسن القصص كتاب الله ، وأوثق العرى
 إيمان بالله ، وخير الملة ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنن الأنبياء ،
 وأشرف الذكر ذكر الله ، وأحسن القصص القرآن ، وخير الأمور
 عزائمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى محمد ،
 وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأغر الضلالة ضلالة بعد الهدى ،
 وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ،
 واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وأهوى ،
 ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ، وشر عدلة عدلة عند حضرة
 الموت ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي
 الجمعة إلا دبراً^(١) ، ولا يذكر الله إلا هجراً ، وأعظم الخطايا اللسان
 الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس
 الحكمة مخافة الله عزوجل ، وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والريب
 من الكفر ، والنوح من أمر الجاهلية ، والغلول من خمر جهنم ، والكبر
 كي من النار ، والشعر مزامير إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء
 حبائل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب
 الربا ، وشر المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي
 من شقي في بطن أمه ، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه ، وإنما
 يصير إلى موضع أربع أذرع من الأرض ، والأمر بأخيه ، وأملك
 العمل به خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ،
 وسباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ،
 وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن تأل على الله يكذبه ، ومن غالبه يغلبه ،
 ومن يعف الله عنه ، ومن يغفر الله له ، ومن يصبر على

(١) دبراً: يقال فلان لا يصلي الصلاة إلا دبرياً ، أي في آخر وقتها . [الرازي ، مختار
 الصحاح ص ١٩٧] .

الأذى يأجره الله ، ومن يكظم الغيظ يرضه الله ، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكر ، ومن يستكبر يضعه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ، ومن ينو الدنيا تعجز عنه ، ومن يطع الشيطان يعص الله ، ومن يعص الله يغرر بنفسه ، والله مألوا عن أعلاها ذا فوق^(١) ، فلم يدع حتى خرج من الكوفة»^(٢).

وهذه موعظة عامة حث فيها على مجموعة من الأمور : من طاعة الله عزوجل، والشهادة في سبيله ، والتزام هدي رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبين حسن ذلك ليكون أدعى للقبول وأقوى للالتزام ، فطاعة الله رأس الحكمة ، والشهادة أشرف الموت، وهدي الرسول ز أحسن الهدى . كما حذر من أمور أخرى : من البدعة ، والنوح ، والغلول، ووضح عوارها لينفر منها ، فالبدعة شر الأمور ، والنوح من أفعال الجاهلية، والغلول خمر جهنم . كما لفت الأنظار إلى بعض الأمور : من الاهتمام بكتاب الله، واعتبار الإنسان بغيره ، وعلل لذلك . ورغب في مجموعة من الأخلاق الحسنة وأبرز حسناتها؛ ليقبل الناس عليها من العفو وكظم الغيظ ، والصبر . وفي المقابل حذر من أخلاق أخرى : من الكبر ، وطلب السمعة ، وبين ما تؤدي إليه من مخاطر ليشدد نفور الخلق منها ، ونلاحظ هنا أمرا هاما في هذه الموعظة وهو عدم تجريح شخص بعينه ، وإنما تنسب إلى بعض الناس دون تحديد

(١) الفوق من السهم موضع الوتر، والجمع أفواق وفُوق وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف أبابكر رضي الله عنه :كنت أخفضهم صوتا وأعلا فوقا، أي أكثرهم حظا ونصييا من الدين ،وهو مستعار من فُوق السهم موضع الوتر منه ،وفي حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا عثمان ولم نأل عن خيرنا ذا فوق، أي ولينا أعلننا سهما ذا فوق، أراد خيرنا وأكملنا تماما في الإسلام والسابقة والفضل . [ابن منظور ، لسان العرب ٣٥٣/١٠] .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ١٢٧/٣٩-١٢٨ .

لأعيانهم ، وهذا هو الأصل في النصيحة ، وهو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في أمور كثيرة (١) .

وقد تميز أناس من التابعين في هذا الفن وبتأثيرهم في الناس ؛ وماذا لك إلا لقوة يقينهم وعظيم إيمانهم ، منهم أويس القرني - رحمه الله - (٢) في الكوفة .

عن أسير بن جابر قال : « كان يحدث بالكوفة يحدثنا فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ، ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم كلامه فأحبيته ، ففقدته فقلت لأصحابي : هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا ؟ فقال رجل من القوم : نعم أنا أعرفه ، ذاك أويس القرني » (٣) . وعند الإمام أحمد في المسند في أويس - رحمه الله - « فكان إذا ذكّر وقع حديثه من قلوبنا موقعا لا يقع حديث غيره » (٤) .

وفي البصرة أيضا مجالس ذكر ، فقد كان صفوان بن محرز المازني - رحمه الله - (٥) يجتمع هو وإخوان له فيذكر

(١) صحيح مسلم ١٠٢٠/٢ ، كتاب النكاح ، باب ١ استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم ، رقم الحديث العام ١٤٠١ و ١١٤٢-١١٤١/٢ ، كتاب العتق ، باب ٢ إنما الولاء لمن أعتق ، رقم الحديث العام الذي قبله ١٥٠٤ و ١٨٢٩/٢ ، كتاب الفضائل ، باب ٣٥ علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ، رقم الحديث العام ٢٣٥٦ .

(٢) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني من مراد من اليمن ، قال عنه صلى الله عليه وسلم : « إنه خير التابعين ، وأنه برّ بوالدته ، لو أقسم على الله لأبره ، فمروه فليستغفر لكم » . [صحيح مسلم ١٩٦٨/٣-١٩٦٩ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٦١/٦-١٦٥] .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٦١/٦ . أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٧٩/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٩/١ . البنا ، الفتح الرباني ٤٤٥/٢٢ .

(٥) صفوان بن محرز المازني بن زياد المازني البصري ، روى عن ابن مسعود وأبو موسى الأشعري وابن عباس وابن عمر وغيرهم ، وروى عنه جماعة ، قال ابن سعد : ثقة وله فضل وورع . وقال ابن حبان : كان من العباد . [المزي ، تهذيب الكمال ٢١١/٣-٢١٣ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٤] .

بعضهم بعضاً^(١)، لكن كان صفوان بن محرز - رحمه الله- يتميز عنهم ، فكانوا إذا تحدثوا لا يجدون ذلك الخشوع الذي يرونه عند حديث صفوان - رحمه الله-؛ ولذلك كانوا يطلبون منه أن يحدثهم ، فإذا فعل رقت قلوبهم وذرفت دموعهم بغزارة شديدة^(٢).

رابعاً- الدعوة بذكر أخبار الصالحين :

أخبار الصالحين وذكر ما حدث لهم يشد الانتباه ويجذب المستمعين ؛ ذلك أن النفس تتلهف لاستكمال الخبر لما غرز فيها من حب الاستطلاع واستظهار ما خفي.

كما أن القصة تجعل الإنسان كأنه يعيش مع من يُتحدث عنهم ويرى حركاتهم وسكناتهم ، فتأتي الأمور المراد غرسها في صورة حية تحرك الوجدان^(٣). والقصة تبقى عالقة في الذهن يجمع العقل أطرافها ويستذكرها بسهولة فيزداد تأثيرها .

يضاف إلى هذا أن مجيء الأمر المراد غرسه في تضاعيف خبر لأناس لهم مكانة عند السامع يعطي مزيداً من التمسك والحب والقبول لذلك الأمر .

ولذلك نجد في القرآن الكريم الكثير من أخبار الرسل السابقين مع أممهم ، وكذا قصص غيرهم .

قال الله تعالى : { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب }^(٤). ولقد استخدم هذا الفن في الدعوة في العراق وفارس ومن أمثلته:

١ - ما حكاه علي رضي الله عنه على أهل العراق حيث يقول:
« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلاً^(١) ووسادة من أدم^(٢) حشوها ليف ، ورحيين وسقاءً^(٣)

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢/٢١٤ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٤ .

(٣) البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ص ٤٥ ، مكتبة الفلاح ، ط ٦ ، ١٣٩٩ هـ ، الكويت .

(٤) آية ١١١ من سورة يوسف .

وجرتين^(٤)، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوتُ^(٥) حتى لقد اشتكيت صدري ، قال : وقد جاء الله أباك بسبي ، فاذهبي فاستخدميه . فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مجلت^(٦) يداي ، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحييت أن تسأله ، ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتيناه جميعاً، فقال علي: يارسول الله ، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري. وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطوئهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم ، فرجعا ، فأتاها النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فثارا ، فقال : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالوا: بلى . فقال : كلمات علمنيهن جبريل- عليه السلام - ، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمداً ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله

(١) خميلة : القطيفة ، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان ، وقيل الخميل الأسود . والخمل هذب القطيفة . [البنا ، بلوغ الأمانى ١٧٦/١٦ . ابن منظور ، لسان العرب ٢٢٢/٤] .

(٢) الأدم : الجلد المدبوغ . [البنا ، بلوغ الأمانى ١٧٦/١٦] .

(٣) السقاء : ظرف الماء من الجلد . [المصدر السابق ١٧٦/١٦] .

(٤) جرتين: تننية جرة ، وهو الإناء المعروف من الفخار . [المصدر السابق ١٧٧-١٧٦/١٦] .

(٥) سنوت: أي استقيت ، ومنه السانية: وهي الناقة التي يستقى عليها . [المصدر السابق ٤٥-٤٤/٢١] .

(٦) مجلت : نفطت من العمل فمرنت وصلبت وثنخ جلدها وتعجّر، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة . [ابن منظور، لسان العرب ٣٢/١٣] .

عليه وسلم ، قال : فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟! فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق! نعم ، ولا ليلة صفين»^(١) .

لقد اشتمل هذا الخبر على جملة من الأمور الحسنة التي يراد غرسها في المدعوين منها : الصبر على مشاق الحياة ، والتعاون بين الزوجين ، وحب الراعي للرعية ، واهتمامه بأهل الحاجة منهم ، وترتيب الأولويات ، ومحاولة الوالد حل المشكلات التي يتعرض لها بيت ابنته ، وتعويض السائل شيئاً آخر سوى ما سأله إذا تعذر تحقيق مسألته ، والتمسك بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقها .

٢- صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر ، ومكث في مصلاه يبدو عليه الحزن ، فلما ارتفعت الشمس ، وصارت على حائط المسجد قيد رمح ، صلى ركعتين ثم قلب يده فقال : « والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يترأفون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا^(٢) كما يمد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تتبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين «، ثم نهض فما روى بعد ذلك يضحك حتى قتل ر^(٣) .

وهنا يتحسر علي - رضي الله تعالى عنه - على عدم وجود ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يذكر ذلك ليحفز الهمم للتأسي بالصحابة في خشية الله عزوجل ، وقيام الليل وإحيائه بالصلاة وقراءة القرآن .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٨٣٨-٨٣٩ ، رقم الحديث ٨٣٨ ، قال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح ، شرحه وصنع فهرسه : أحمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٣٧٧هـ .

(٢) ماد : تحرك ومال . [ابن منظور ، لسان العرب ١٣/٢٣٠] .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٨ ، وقوله حتى قتل يدل على أنه بالعراق .

٣- حدّث سعيد بن زيد رضي الله عنه في مسجد الكوفة فقال : «
والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام ، أنا وأخته قبل أن يسلم
عمر»^(١) ، وفي رواية: أنا وأمي ، يعني أم سعيد بن زيد رضي الله
عنه^(٢) .

٤- ما حكاه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الكوفة حيث قال
: « والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ،
وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويًا^(٣) ، ثم التفت إلينا
فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ يشترط له رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه يرجع ، أدخله الله الجنة ! فما قام رجل ، ثم
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا
فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ يشترط له رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرجعة ، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة!
فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما
لم يقدّم أحد دعائي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من
القيام حين دعائي ، فقال : يا حذيفة ، فاذهب فادخل في القوم فانظر ما
يفعلون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم ،
والريح وجنود الله تفعل ما تفعل ، لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء ،
فقام أبوسفیان بن حرب فقال : يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جلسه .
فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال:
أنا فلان بن فلان . ثم قال أبوسفیان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما
أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع^(٤) ، وأخلفتنا بنو قريظة ، بلغنا

(١)المحب الطبري ، الرياض النضرة م ٢ ج ٤/٣٣٩ . صحيح البخاري ٤/٢٤٣ ، كتاب
مناقب الأنصار، باب ٣٥ إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يصرح أن ذلك
في الكوفة .

(٢)الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ٣/٤٤٠ .

(٣)هويًا : الهوي الحين الطويل من الزمان ، وقيل: هو مختص بالليل . [البنا ، بلوغ
الأمانی من أسرار الفتح الرباني ٢١/٨٠] .

(٤) الكراع : اسم لجميع الخيل . [البنا ، بلوغ الأمانی ٢١/٨٠] .

منهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم ، قال حذيفة : ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط^(١) لبعض نساءه مُرَجَّل^(٢) فلما رأني أدخلني إلى رحله وطرح علي طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنه لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا^(٣) إلى بلادهم^(٤).

وفي هذين الخبرين حث على التضحية في سبيل الإسلام بذكر نماذج من التضحيات لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - . كما أن في القصة الأخيرة بيان مراعاة الإسلام لأحوال الناس وعذرهم ، فإن الرواية لم تذكر أي تعنيف أو لفت نظر أو تلميح صادر من الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة عندما لم يستجيبوا لما عرض عليهم، مع عظم شخصية العارض وهو النبي -صلوات الله وسلامه عليه- وجزيل الثواب مقابل تنفيذ العرض ، بيد أنه ينبغي التنبيه إلى أن ذلك العرض منه صلى الله عليه وسلم لم يكن على سبيل التكليف ، وإنما على سبيل الإغراء والندب .

أما إذا صدرت الأوامر منه صلى الله عليه وسلم على سبيل التكليف فإن الصحابة يتبادرون تنفيذها دون تردد أو تلوؤ ، ولعلنا نلاحظ سرعة استجابة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه للأمر ، على

(١) مرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلف المرأة، به والجمع مروط. [المصدر السابق ٨١/٢١].

(٢) مرجل : فيه أرقام وخطوط. [المصدر السابق ٨١/٢١].

(٣) انشمروا : أي قصدوا وصمموا وأرسلوا بلهم إلى بلادهم . [المصدر السابق ٨١/٢١].

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٩٢/٥ . صحيح مسلم ١٤١٤/٢ ، رقم الحديث العام ١٧٨٨ ولم يصرح بأن السائل من أهل الكوفة .

الرغم من كل الظروف المحيطة بالموقف من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد .

كما أن حذيفة رضي الله عنه التزم بتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذهابه ، فمع عظيم الإغراء الذي تعرض له في مشواره من تيسر قتل رأس قريش وقائدها إلا أنه أعرض عن ذلك لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم له بأن لا يحدث شيئاً .

٥- عن ابن حذيفة قال : كنت أحدث حديثاً عن عدي بن حاتم ر ، ثم رغبت سماعه منه لقربه ، فهو في ناحية الكوفة ، فجننته فأخبرته برغبتني فقال : « لما بعث الله عزوجل النبي صلى الله عليه وسلم فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم ، قال: فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت له أشد كراهية له مني من حيث جئت ، قال : قلت : لآتين هذا الرجل ، فوالله إن كان صادقاً فلاسمعن منه ، وإن كان كاذباً ما هو بضائري ، قال : فأتيتته ، واستشرفني الناس وقالوا : عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ، قال : أظنه قال ثلاث مرار ، قال : فقال لي : يا عدي بن حاتم ، أسلم تسلم . قال : قلت : إني من أهل دين . قال : يا عدي بن حاتم ، أسلم تسلم . قال : قلت : إني من أهل دين ، قالها ثلاثاً . قال : أنا أعلم بدينك منك . قال : قلت : أعلم بديني مني ! قال : نعم ، قال : أليس ترأس قومك؟ قال : قلت : بلى . قال : فذكر محمد^(١) الركوسية^(٢) ، قال : كلمة التمسها يقيمها فتركها . قال : فإنه لا يحل في دينك المربع^(٣) . قال : فلما قالها تواضعت مني هنية . قال : وإني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها ممن حولي ، وإن الناس علينا إلبا واحدا ، هل تعلم مكان الحيرة ؟ قال : قلت : قد سمعت بها

(١) أحد أفراد السند .

(٢) الركوسية : هو دين بين النصارى والصابئين . [البنا ، بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ١٩١/٢١] .

(٣) هو ربع الغنيمة ، كان الرئيس في الجاهلية يأخذه خالصاً له . [المصدر السابق ١٩١/٢١] .

ولم آتھا . قال : لتوشكن الطعنفة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز أن تفتح . قال : قلت : كسرى بن هرمز ؟ !! قال : كسرى بن هرمز . قال : قلت : كسرى بن هرمز ؟ !! قال : كسرى بن هرمز . ثلاث مرات ، وليوشكن الرجل أن يبتغي من يقبل ماله منه صدقه فلا يجد . قال : فلقد رأيت ثنتين ، قد رأيت الطعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، وكنت في الخيل التي أغارت على المدائن ، وأيم الله لتكونن الثالثة ، إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني»^(١) .

اهتم عدي بن حاتم رضي الله عنه في هذه القصة بإبراز علامات صدق النبوة ، حيث ذكر ثلاث نبوءات ، وتحقق اثنتين منها ، ثم أقسم على تحقق الثالثة ، وأبرزت القصة ضرورة أن يكون الداعية عالما بدين المدعويين حتى يكون أدعى للتأثير عليهم، كما بينت القصة أهمية معرفة الداعية بنفسية المدعويين وما يصدهم عن قبول الدعوة، ومحاولة معالجة ذلك ، وأوضحت القصة ضرورة أن لا يعادي الإنسان ما يجله بل عليه التعرف عليه وإعمال الرأي والفكر فيه فلربما كان هو الحق .

وهذه القصة إن كان عدي بن حاتم رضي الله عنه ذكرها لابن حذيفة مرة واحدة كما تبين الرواية ، فإن الرواية تثبت قص ابن حذيفة لها مرارا .

٦- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بالبصرة : « أنا أول من أتى عمر رضي الله عنه حين طعن فقال : احفظ عني ثلاثا ؛ فإني أخاف أن لا يدركني الناس ، أما أنا فلم أقض في الكلالة قضاء ، ولم أستخلف على الناس خليفة ، وكل مملوك له عتيق . فقال له الناس : استخلف . فقال : أي ذلك أفعل فقد فعله من هو خير مني ، إن أدع إلى

(١) مسند الإمام أحمد ٣٧٨/٤ . قال ابن كثير في تفسيره: قد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها . [البنا ، بلوغ الأمان ١٢/١٩١] . وقد أخرج البخاري بعضه ، انظر ص ٦٠ وما بعدها من هذا البحث .

الناس أمرهم فقد تركه نبي الله - عليه الصلاة والسلام- ، وإن استخلف
فقد استخلف من هو خير مني أبوبكر رضي الله عنه . فقلت له :
أبشر بالجنة ، صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلت صحبتته
، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة . فقال : أما تبشيرك إياي
بالجنة فوالله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من
هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر ، وأما قولك في أمر المؤمنين فوالله
لوددت أن ذلك كفافالالي ولا علي ، وأما ما ذكرت من صحبة نبي الله
صلى الله عليه وسلم فذلك «^(١) .

وقد أبرز هذا الخبر أخلاقاً حميدة عند الخليفة الراشد الثاني عمر
بن الخطاب رضي الله عنه هي محل للقدوة ، أولاها - التآسي بمن
سبق من أهل الخير ، والثانية- شدة خشيته وخوفه من الله تعالى ،
وثالثتها - تواضعه وعدم إدلائه ومنه بعمله .

٧- جاء الحسن البصري - رحمه الله-^(٢) مجلساً في جامع البصرة
، فوجد فيه بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذكرون
زهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما- وحسن سيرتهما ، وكان فيهم
الأحنف بن قيس التميمي رضي الله عنه فسمعه يقول : « أخرجنا عمر
بن الخطاب في سرية إلى العراق ، ففتح الله علينا العراق وبلد فارس ،
فأصبنا فيها من بياض فارس وخراسان ، فجعلناه معنا واكتسبنا منها ،
فلما قدمنا على عمر أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا ، فاشتد ذلك
على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا ابنه عبدالله بن عمر
- رضي الله عنهما - وهو جالس في المسجد ، فشكونا إليه ما نزل بنا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٦/١ . قال أحمد بن شاکر : إسناده صحيح ، مسند
الإمام أحمد شرحه وصنع فهارسه : أحمد بن محمد بن شاکر ٢٩٥/١ ، رقم الحديث
٣٢٢ .

(٢) الحسن البصري أدرك عهد الخلفاء الراشدين في البصرة . انظر مصطفى بن أحمد
بن عيسى ، الحسن البصري ص ٩ ، بحث مكمل للماجستير بقسم الدعوة ، كلية
الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

من الجفاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ فقال عبدالله إن أمير المؤمنين رأى عليكم لباسا لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه ولا الخليفة من بعده أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، فأتينا منازلنا فنزعا ما كان علينا وأتينا في البزة^(١) التي كان يعهدنا فيها ، فقام يسلم علينا على رجل رجل ، ويعانق منا رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا قبل ذلك ، فقدمنا إليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية ، فعرض عليه في الغنائم سلال من أنواع الخبيص^(٢) من أصفر وأحمر فذاقه عمر فوجده طيب الطعم طيب الريح ، فأقبل علينا بوجهه وقال : والله يامعشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام ! ثم أمر به فحمل إلى أولاد من قتلوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، ثم إن عمر قام منصرفا فمشى وراءه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره فقالوا : ما ترون يامعشر المهاجرين والأنصار إلى زهد هذا الرجل وإلى حليته ؟ لقد تقاصرت إلينا أنفسنا منذ فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر ، وطرفي المشرق والمغرب ، ووفود العرب والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجبة قد رقعا اثنتي عشرة رقعة ، فلو سألتكم معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم الكبراء من أهل المواقف والمشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسابقين من المهاجرين والأنصار - يغير هذه الجبة بثوب لين يهاب فيه منظره ، ويغدى عليه جفنة من الطعام ، ويراح عليه جفنة ، يأكله ومن حضره من المهاجرين والأنصار . فقال القوم بأجمعهم : ليس لهذا القول إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فإنه أجرأ الناس عليه وصهره على ابنته ، أو ابنته حفصة ؛ فإنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موجب لها لموضعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلموا عليا ، فقال علي : لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البز : الثياب . [ابن منظور ، لسان العرب ٣٩٨/١] .

(٢) الخبيص : الحلوى المخبوصة . [ابن منظور ، لسان العرب ١٥/٤] .

؛ فإنهن أمهات المؤمنين يجترئن عليه . قال الأحنف بن قيس: فسألوا عائشة وحفصة -رضي الله عنهما - وكانتا مجتمعتين . فقالت عائشة : إني سألت أمير المؤمنين ذلك . وقالت حفصة : ما أراه يفعل وسيبين لك ذلك . فدخلتا على أمير المؤمنين فقربهما وأدناهما ، فقالت عائشة : يا أمير المؤمنين ، أتأذن أكلمك ؟ قال : تكلمي يأم المؤمنين . قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى لسبيله إلى جنته ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وكذلك مضى أبوبكر رضي الله عنه على أثره لسبيله بعد إحياء سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل المكذبين ، وأدحض حجة المبطلين ، بعد عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وإرضاء رب البرية، فقبضه الله إلى رحمته ورضوانه ، وألحقه بنبيه صلى الله عليه وسلم بالرفيع الأعلى لم يرد الدنيا ولم ترده ، وقد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر وديارهما ، وحمل إليك أموالهما ، ودانت لك أطراف المشرق والمغرب ، ونرجو من الله المزيد ، وفي الإسلام التأييد ، ورسل العجم يأتونك ، ووفود العرب يردون عليك ، وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة ! فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك ، ويغدى عليك بجفنة من الطعام ، ويراح عليك بجفنة ، تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار ؛ فبكى عمر عند ذلك بكاء شديدا ، ثم قال : سألتك بالله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز بر عشرة أيام أو خمسة أو ثلاثة ؟ أو جمع بين عشاء

وغداء حتى لحق بالله ؟ فقالت : لا^(١) . فأقبل على عائشة فقال : هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب إليه طعام على مائدة

(١) الأحاديث الدالة على زهده صلى الله عليه وسلم في الطعام كثيرة ، انظر مثلا صحيح البخاري م٣ج٧/١٧٩-١٨١ كتاب الرقاق ، باب ١٧ كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا . وصحيح مسلم ٢٢٧٢/٣ وما بعدها ، كتاب الزهد والرقائق ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام

في ارتفاع شبر من الأرض ؟ كان يأمر بالطعام فيوضع على الأرض ، ويأمر بالمائدة فترفع . قالتا : اللهم نعم^(١) . فقال لهما : أنتما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمهات المؤمنين ، ولكما على المؤمنين حق وعليّ خاصة ، ولكن أتيتما ترغباني في الدنيا ، وإني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف ، وربما حك جلده من خشونتها ، أتعلمان ذلك ؟ قالتا : اللهم نعم . فقال : هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة ، وكان مسحاً في بيتك يا عائشة ، تكون بالنهار بساطاً وبالليل فراشا ، فندخل عليه فنرى أثر الحصير على جنبه^(٢)، ألا يا حفصة ، أنت حدثتيني أنك ثبتت له

بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض .» انظر صحيح البخاري م ٣ج ٧/١٨٠ . وصحيح مسلم ٣/٢٢٨١ ، كتاب = = الزهد والرقائق ، الرقم العام للحديث ٢٩٧٠ ، رقم الحديث بالباب ٢٠ . وحديث عائشة -رضي الله عنها- أيضاً : «لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين» ، صحيح مسلم ٣/٢٢٨٣ ، كتاب الزهد والرقائق ، الرقم العام للحديث ٢٩٧٤ ، رقم الحديث بالباب ٢٩ .

(١) أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : « ما علمت النبي صلى الله عليه وسلم أكل على سُكْرُجَةٍ قط، ولا خُبْزَ له مرقق قط، ولا أكل على خوان قط . قيل لفتادة: فعلى ما كانوا يأكلون؟ . قال: على السُّفْرِ» ، انظر صحيح البخاري م ٢ج ٦/١٩٨-١٩٩ ، كتاب الأطعمة ، باب ٨ الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة . والسكرجة :قصاع صغار يؤكل فيها ، ومنها كبيرة وصغيرة ،فالكبيرة تحمل قدر ست أواق . وقيل: ما بين ثلثي أوقية إلى أوقية . والخوان: طبق كبير من نحاس تحته كرسي من نحاس ملزوق به طوله قدر ذراع، يرص فيه الزبادي ويوضع بين يدي كبير من المترفين، ولا يحمله إلا اثنان فما فوقهما . والسفرة: الطعام يتخذه المسافر، وأكثر ما يحمله في جلد مستدير حوله حلق من حديد يضم به ويعلق، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسمي به ، انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (ت ٨٥٥هـ) ، م ١١ج ٢١/٣٥-٣٦ ، دار الفكر .

(٢) رؤية عمر رضي الله عنه لأثر الحصير في جنب الرسول صلى الله عليه وسلم أخرجها البخاري في صحيحه م ٢ج ٧/٤٧ ، كتاب اللباس ، باب ٣١ ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس .

ذات ليلة فوجد لينها فرقد فلم يستيقظ إلا بأذان بلال فقال لك: يا حفصة، ماذا صنعت؟ أثنت المهاد ليلتي حتى ذهب بي النوم إلى الصباح؟ مالي وللدنيا! ومالي شغلتموني بلبين الفراش^(١)! يا حفصة، أما تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٢)، أمسى جائعا، ورقد ساجدا، ولم يزل راکعا وساجداً وباكيا ومتضرعا في آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله برحمته ورضوانه^(٣)، لا أكل عمر طيبا، ولا لبس لنا، فله أسوة بصاحبيه، ولا جمع بين أدمين إلا الملح والزيت، ولا أكل لحما إلا في كل شهر ينقض ما انقضى من القوم، فخرجنا فخيرنا بذلك أصحاب

(١) الأحاديث الدالة على زهده صلى الله عليه وسلم في لباسه منها ما رواه أبو بردة قال: «دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من التي يسمونها الملبدة. قال: فأقسمت بالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين». انظر صحيح مسلم ١٦٤٩/٢، كتاب اللباس والزينة، باب ٦ التواضع في اللباس والاقتصاد على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر، وما فيه أعلام، حديث رقم ٣٤، الرقم العام ٢٠٨٠. ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود»، المصدر السابق، الرقم العام للحديث ٢٠٨١. والملبد: المرقع، والمرط: كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز، والمرحل: عليه صورة رحال الإبل، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٥٧/١٤.

(٢) انظر آية ٢ من سورة الفتح.

(٣) الأحاديث الدالة على اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العبادة كثيرة، انظر مثلا صحيح البخاري م١ ج٢/٤١ ومابعدا، كتاب التهجد ومن ذلك ما رواه المغيرة رضي الله عنه قال: «إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له، فيقول أفلا أكون عبداً شكورا». انظر صحيح البخاري م١ ج٢/٤٤، كتاب التهجد، باب ٦ قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه. وقالت عائشة رضي الله عنها -حتى تظفر قدماه، والظفور الشقوق، وانفطرت انشقت.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزوجل»^(١).

وقد أبرزت هذه القصة زهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أن السامع لها كأنه يعايش عمر رضي الله عنه ويراه . وأشارت لزهد النبي صلى الله عليه وسلم وزهد صاحبه أبي بكر رضي الله عنه . كما ألمحت لمكانة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما لهن من حق وتعظيم .

خامساً - وصايا عند الموت :

إن عمق اهتمام المسلمين بالدعوة إلى الله عزوجل يتجسد في اهتمامهم به حتى في لحظة الاحتضار ، فهو قد استقر في سويداء قلوبهم وامتزج بنفوسهم فلا ينفك عنها . وتكمن قوة تأثير الوصية عند الموت في انبعائها من أعماق النفس، وما يخرج من القلب يصل إلى القلب فيفيض عند المدعو شعور بقبول الوصية ومحاولة تنفيذها ، كما أن الوصية عصارة تجربة خاضها الموصي طوال حياته فيقدمها ليستفيد منها الموصى ، ومن الأمثلة على ذلك :

١-وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه للحسن والحسين وغيرهم ممن بلغه كتابه رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن

(١) علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، منتخب كنز العمال ٤/٤٠٨-٤١١ .

بلغه كتابي ، بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ؛ فإني سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»^(١) ، انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوا ليهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام فلا تعفو أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم ؛ فإنه إن ترك لم تناظروا ، والله الله في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم ، والله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بهم^(٢) ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمنكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمنكم»^(٣) ، الصلاة الصلاة^(١) لا تخافن

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء بلفظ قال رسول الله: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا : بلى ، قال : صلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» قال الترمذي : هذا حديث صحيح ، سنن الترمذي ٦٦٣/٤-٦٦٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب ٥٦ ، رقم الحديث ٢٥٠٩ .

(٢) مما ورد من توصية الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه ما أخرجه الترمذي عن عمر وفيه : «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقه وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . سنن الترمذي ٤٦٥-٤٦٦ ، كتاب الفتن ، باب ٧ ما جاء في لزوم الجماعة ، رقم الحديث ٢١٦٥ .

(٣) أن من آخر ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم ما ملكت الأيمان أخرجه الإمام أحمد عن علي قال : أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أتية بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه ، قال : قلت : إني أحفظ وأعي ،

في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والنقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ثم لم يتكلم إلا بلا إله إلا الله حتى مات في شهر رمضان سنة أربعين (٢) .

٢- وصية علي لأولاده رضي الله عنه :

وبجانب الوصية السابقة المكتوبة أوصى ولديه الحسن والحسين - رضي الله عنهما- فقال : « أوصيكمما بتقوى الله وحده ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيينا الضعيف ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى ابن الحنفية (٣) فقال : هل سمعت ما

قال : أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم»، مسند الإمام أحمد ٩٠/١ . قال أحمد بن شاكر : إسناده حسن. انظر المسند بفهرسة أحمد بن شاكر ٨٤/٢ ، رقم الحديث ٦٩٣ كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنساء بلفظ: «واستوصوا بالنساء خيراً»، صحيح البخاري ١٤٥/٦ ، كتاب النكاح ، باب ٨٠ الوصاة بالنساء . صحيح مسلم ١٠٩١/٢ ، كتاب الرضاع ، باب ١٨ الوصية بالنساء ، رقم الحديث بالكتاب ٦٠ ، الرقم العام للحديث ١٤٦٨ .

(١) لعلها الله الله .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٢٨/٧-٣٢٩ ، وانظر تاريخ الطبري ١٤٧/٥-١٤٨ مع اختلاف يسير جداً .

(٣) محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب القرشي ، الهاشمي ، المدني ، أخو الحسن والحسين ، وأمّه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق ، وهي خولة بنت جعفر الحنفية ، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر ، روى عن جماعة من الصحابة ، وروى عنه بنوه وآخرون ، قيل : مات سنة ثمانين ، وقيل : إحدى وثمانين ، وقيل :

أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم . قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطعن أمرًا دونهما ، ثم قال لهما : أوصيكما به ؛ فإنه سيفكما وابن أبيكما ، فأكرماه واعرفا حقه »^(١) .

٣- وصية سلمان الفارسي لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما :
لما احتضر سلمان رضي الله عنه بالمدائن طلب منه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يوصيه فقال : « اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت »^(٢) .

٤- وصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :
عندما قتل عثمان رضي الله عنه جاء جماعة إلى حذيفة رضي الله عنه وهو بالموت ، فطلبوا منه أن يأمرهم بما يراه مناسباً فقال : « أما إذا أبيتم فأجلسوني ، وأسند إلى صدر رجل فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أبو اليقظان^(٣) على الفطرة ولا يدعها حتى يموت أو ينسيه الهرم »^(٤) »^(٥) .

ثلاث وثمانين . [الرازي ، كتاب الجرح والتعديل ٢٦/٨ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١١٠/٤-١٢٩] .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٤١٣/٢ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ص ١٤٠ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٦٢/٤ .

(٣) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من طريق عائشة موقوفاً بلفظ « انظروا عمار بن ياسر فإنه يموت على الفطرة إلا أن تدركه هفوة من كبر » ، المستدرك على الصحيحين ٣٩٤/٣ . وأخرجه الحاكم عن حذيفة موقوفاً قال : « دوروا مع كتاب الله حيث ما دار ، انظروا الفئة التي فيها ابن سمية فاتبعوها فإنه يدور مع كتاب الله حيث ما دار » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، المستدرك على الصحيحين ٣٩١/٣ .

(٥) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) ، كتاب تاريخ المدينة المنورة ١٢٤٩/٤-١٢٥٠ .

ونلاحظ أن الوصايا الثلاث الأولى وإن اختلفت مضامينها فهي تدور حول الأمر بتقوى الله عزوجل ، والارتباط به ، وذكره في الأمور سواء المتعلقة بحقوق الله عزوجل أو بحقوق المخلوقين ، فهي وصايا عامة لكل الأمور ، والوصية الرابعة تدور حول موضوع معين وهو قضية الفتنة فربطهم بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا عانقت الوصية الرابعة سابقتها من الوصايا في قضية الارتباط بشرع الله عزوجل ، وإن افرقت عنهن في كونها خاصة بموضوع معين .

سادساً- الدعوة الخاصة :

قد تُوجَّه الدعوة لشخص بعينه ، أو لأشخاص تجمعهم صفة واحدة ، ومن ميزاتها مراعاة الفروق الفردية لدى المدعوين ، فيراعي الداعية أحوال المدعو كحالته النفسية ، وصفاته الشخصية ، ومكانته الاجتماعية ، ويختار الداعية الوقت المناسب له ، ويناقش قضايا خاصة به .

ومن أمثلة هذا اللون من الدعوة دعوة رسل المسلمين لكسرى يزدجرد ولرستم قائد الفرس في معركة القادسية، ومنها دعوة خالد لهند بنت النعمان حيث قال لها : « أسلمي أزوجك رجلا شريفا من المسلمين » فأبت فلم يمنعه ذلك من الإحسان إليها ووصلها^(١).

ومن ذلك مارواه نافع الطاحي قال: « مررت بأبي ذر فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال: أتعرف عبدالله بن عامر ؟ قلت : نعم . قال : فإنه كان يتقرأ معي ويلزمني ، ثم طلب الإمارة ، فإذا قدمت البصرة فترايا له فإنه سيقول: لك حاجة ؟ فقل له : أخلصني ، أنا

(١) أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/٦٠٤-٦٠٥ ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٦٤ هـ ، القاهرة .

رسول أبي ذر إليك ، وهو يقرئك السلام ، ويقول لك : إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش . فلما قدمت تراءيت له فقال : ألك حاجة ؟ فقلت : أخلني أصلحك الله . فقلت : أنا رسول أبي ذر إليك - فلما قلتها خشع لها قلبه - وهو يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش . قال: فحلل إزاره ، ثم أدخل رأسه في جيبه ، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء»^(١) .

لقد روعيت في هذه الدعوة المكانة الاجتماعية لعبدالله بن عامر فلم يوجه له النصيح أمام الناس ، كما أن الداعية كان بإمكانه أن يسوق الموعدة على لسانه ، لكنه لم يفعل وإنما ساقها على لسان من له مكانة عند المدعو ، وقد تضمنت الدعوة وعظا يمس قضية مهمة عند المدعو بأسلوب مؤثر ، فاجتمعت كل هذه العوامل فعملت عملها في المدعو وأثرت فيه .

وأرسل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى قراء أهل البصرة ، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال : « أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم ، فاتلوه ، ولا يطولنَّ عليكم الأمر فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها ، غير أنني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها ، غير أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة »^(٢) .

إن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه هنا يحذر قراء أهل البصرة من أمور تعترض طريق أهل العلم وتودي بهم وهي : قسوة القلوب مع

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٥٩٤ .
(٢) صحيح مسلم ١/٧٢٦ ، كتاب الزكاة ، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا ، حديث ١١٩ ، رقم الحديث العام ١٠٥٠ .

مرور الزمن ، وما يترتب على ذلك من آثار سيئة ، وترك العمل بالعلم ، وكذا التهافت على الدنيا وجعلها أكبر هم الإنسان .

سابعاً- دعوة الكفار قبل القتال :

إن « من بلغته الدعوة من الكفار يجوز قتاله من غير دعاء ، ومن لم تبلغه الدعوة يدعى قبل القتال ، ولا يجوز قتالهم قبل الدعاء ... فإن دعا من بلغته الدعوة فحسن »^(١).

وقد قام المسلمون في العراق وفارس بالدعوة إلى الإسلام قبل القتال ، وربما فاجأوا العدو ممن بلغته الدعوة لمصلحة القتال .

فهذا أبوبكر الصديق ريحث أول جيش يوجهه إلى العراق على الدعوة إلى الله قبل القتال ، وأن يتألف الناس^(٢)، وأن يبشر وينذر ويخوف من النار ، فمن استجاب فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم^(٣).

وفي الكرة الأخرى للجيش الإسلامية كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص --- رضي الله عنهما- بإرسال رسل إلى الفرس يدعونهم إلى الإسلام^(٤)، والأمثلة على دعاء المسلمين للكفار قبل القتال يطول حصرها منها دعوة خالد بن الوليد رضي الله عنه لزعماء الحيرة عبدالمسيح بن ببيعة وإياس بن قبيصة الطائي حيث قال لهم : « أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم

(١)المقدسي ، الشرح الكبير ٥/٥٢٧ . أبو يعلي الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ٤١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٢ .

(٣) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٥ .

(٤)تاريخ الطبري ٣/٤٩٥ .

ما عليهم ، وإن أبيتم فأعطوا الجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم
أحرص على الموت منكم على الحياة»^(١).

ومنها دعوة سلمان الفارسي رضي الله عنه لحصن من حصون
فارس حيث قال لهم: «إني رجل منكم أسلمت ، فقد ترون إكرام العرب
إياي ، وإنكم إن أسلمتم كان لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وإن
أبيتم فعليكم الجزية ، فإن أبيتم قاتلناكم»^(٢) ، إلى غير ذلك من
الأمثلة^(٣).

ويلحق بهذا دعوة المرتدين ، كدعوة معقل بن قيس لقوم نصارى
ارتدوا ، فرجعوا إلى الإسلام بحمد الله ومنته إلا شيخا أبي فقتله^(٤).
وقد جاء الترغيب والترهيب سمة بارزة في دعوة الكفار كما رأينا .

(١) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٤ . تاريخ الطبري ٣/٣٤٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٤٤٤ . أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٣٣٠ . أبو نعيم
الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/٨٩ .

(٣) انظر مثلا البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٩ . تاريخ الطبري ٤/١١ ، ١٤ . ابن
الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ . ابن كثير ، البداية
والنهاية ٧/٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٥/١٢٨ .

الفصل الثاني التعليم

إذا تحدثنا عن التعليم كوسيلة دعوية فإننا نعني تعليم المصدرين الأساسيين للإسلام ، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويأتي تبعا لهما العلوم المساندة .

والتعلم والتعليم في الإسلام لهما منزلتهما السامية .

قال الله تعالى : { إنما يخشى الله من عباده العلماء }^(١) .

وقال تعالى : { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب }^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم: « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »^(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم في الحث على تبليغ أحاديثه ونقلها للآخرين : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »^(٤) .

(١) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٢) آية ٩ من سورة الزمر .

(٣) سنن أبي داود ٥٧/٤-٥٨ ، كتاب العلم ، باب ١ الحث على طلب العلم ، رقم الحديث ٣٦٤١ . قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٦٩٤/٢ ، رقم الحديث ٣٠٩٦-٣٦٤١ .

(٤) سنن أبي داود ٦٨/٤-٦٩ ، كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ، رقم الحديث ٣٦٦٠ . قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٦٩٧/٢ ، رقم الحديث ٣١٠٨-٣٦٦٠ .

كيف لا يكون للمتعلم هذه المكانة وهو الأساس في تبليغ الدين ونشر الإسلام؛ ولذلك نجد الاهتمام القوي بهذا المضمار من لدن القادة المسلمين ، فوجود الصحابة في الجيوش أولاً ، وإرسال العلماء النابغين إلى الأمصار المكتنزة بالمسلمين ثانياً ، والتشجيع لأهل العلم ثالثاً إلى غير ذلك .

وقد كانت مدرسة الكوفة والبصرة الركيزتين الأساسيتين للتعليم . أما مدرسة الكوفة فكان أستاذها الكبير هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وكان من المشهورين ، فهو المقصود في قوله تعالى: {حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا} (١) (٢) .

وقد ورد من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على سعة علمه رضي الله عنه فمن ذلك . ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقرئوا

القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة (٣) ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل (١) » (٢) .

(١) آية ١٦ من سورة محمد .
(٢) هو قول عبدالله بن بريدة قال في الآية : هو عبدالله بن مسعود . [أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت ٧٥١هـ) ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ١٧/١ ، راجعه وقدم له وعلق عليه : طه بن عبدالرؤوف بن سعد ، دار الجيل ، ١٩٧٣م ، بيروت] .

(٣) سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين ، وكان مولى امرأة من الأنصار يقال لها : فاطمة بنت يعامر ، أعتقته سائبة فوالى أبا حذيفة ، وكان حسن الصوت بالقرآن . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٧-٦/٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم: « من سرّه أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه من ابن أم عبد»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: « وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه »^(٤).

ومن كلام ابن مسعود رضي الله عنه عن نفسه: « والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، وإلا أنا أعلم فيما نزلت »^(٥).

وأما ثناء الصحابة عليه فكثير فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنه:
«كُنَيْفٌ^(٦) ملئ علما»^(٧).

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي الأنصاري الخزرجي ، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، شهد المشاهد كلها ، وأمّره النبي (ز) على اليمن، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها ، وعاش أربعة وثلاثين سنة. [ابن حجر ، الإصابة ٤٢٦/٣-٤٢٧] .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٠٢/٧ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٢٧ مناقب عبدالله بن مسعود ر ، رقم الحديث ٣٧٦٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٨/١ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ٣١٨/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) أحمد البنا ، الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٨٨/٢٢ .

(٥) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٤٠٢/١ .

(٦) الكنيف : حظيرة من خشب أو شجر تتخذ للابل ، قيل : وللغنم [ابن منظور ، لسان العرب ١٧٠/١٢] .

(٧) أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ) ، كتاب المعرفة والتاريخ ٥٤٣/٢ ، تحقيق: أكرم بن ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ، بيروت . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٩٧/٣٩ .

وقال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما»^(١).

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : « لا تسألوني عن شيء مادام هذا الحبر فيكم ، يعني ابن مسعود»^(٢).
ولما بلغ نعي عبدالله أبا الدرداء رضي الله عنه قال : « ما ترك بعده مثله»^(٣).

وقال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه : « والله ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ترك أحداً أعلم بكتاب الله من هذا ، يريد عبدالله بن مسعود»^(٤).

ولما حضر معاذ بن جبل رضي الله عنه الموت أوصى بالتماس العلم عند أربعة منهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه^(٥).

كما أثنى عليه التابعون .

قال علقمة -رحمه الله- : « وهل أحد منهم (يعني الصحابة) أثبت من عبدالله بن مسعود»^(٦).

وقال مسروق -رحمه الله- : « شامت^(٧) أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم ينتهي إلى ستة» ، وذكر منهم ابن مسعود رضي الله عنه^(٨).

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٤٠١ .

(٢) المصدر السابق ١/٤٠٢ .

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٣٨٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨٩ .

(٥) البنا ، الفتح الرباني ٢٢/١٨٨ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٥١٦ .

(٦) الدهلوي ، حجة الله البالغة ١/١٤٤ .

(٧) شَامَمَت الرجل : إذا قاربته وذنوت منه . [الجوهري ، الصحاح ٥/١٩٦١] .

(٨) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٣٩/١٠٤ . ابن القيم ، أعلام الموقعين ١/١٦ .

ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٤٠٣ .

وقال مسروق - رحمه الله - أيضاً : « جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا كالإخاذا^(١) ، الإخاذا تروي الراكب ، والإخاذا تروي الراكبين ، والإخاذا تروي العشرة ، والإخاذا لو نزل بها أهل الأرض لأصدرتهم ، وإن عبد الله من تلك الإخاذا^(٢) .
وقال الشعبي- رحمه الله:-«يؤخذ العلم عن ستة» وذكر منهم ابن مسعود^(٣) .

ومما مكنه من هذا العلم هو شدة التصاقه وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو

«صاحب النعلين والوساد والمطهرة»^(٤) وهذا يكون في السفر^(٥) .
ومن شدة ذلك الالتصاق ظن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عندما قدم من اليمن أن ابن مسعود رضي الله عنه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكث على ذلك حيناً^(٦) .
وقال أبو موسى رضي الله عنه أيضاً : « إنه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل »^(٧) .

-
- (١) الإخاذا : الغدر . [ابن منظور ، لسان العرب ١/٨٥] .
(٢) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٣٩/١٠٧ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٤٠٣-٤٠٤ . ابن القيم ، أعلام الموقعين ١/١٦٠ .
(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩ .
(٤) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٧/١٠٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٢٧ مناقب عبد الله بن مسعود ر ، رقم الحديث ٣٧٦١ . وانظر آثاراً أخرى تدل على قوة التصاقه بالرسول (ز) عند ابن الجوزي صفة الصفوة ١/٣٩٧ .
(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٣٨٢ .
(٦) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٧/١٠٢-١٠٣ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٢٧ مناقب عبد الله بن مسعود ر ، رقم الحديث ٣٧٦٣ .
(٧) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١/١٧٠ .

وأثنى عليه العلماء.

قال الذهبي : « تلقن من في رسول الله سبعين سورة »^(١).

وعده ابن القيم من المكثرين من الفتيا من الصحابة^(٢).

وقال الإمام النووي : « له ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستين حديثاً ، وانفرد البخاري بواحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين »^(٣).

ويقول علي بن المديني : « لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له أصحاب يقولون بقوله في الفقه إلا ثلاثة » وذكر منهم ابن مسعود^(٤).

وكان مع سعة علمه حريصاً على طلب العلم فقد قال : « لو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطي لأتيته »^(٥).
ولسعة علمه كان عمر يرغب فيه ، ولولا أنه رأى المصلحة في إرساله إلى الكوفة لأبقاه ، لكنه آثرهم به على نفسه فبعثه إليهم ليعلمهم^(٦).

وكان يذكر هذا الإيثار في بعض المناسبات ، فعندما قدم عليه أهل الكوفة أجازهم ، وفضل أهل الشام عليهم في الجائزة ، فحصل في أنفسهم شيئاً من ذلك فذكروه له ؛ فقال : « يا أهل الكوفة ، أجزعتم أن فضلت أهل الشام عليكم لبعث شقتهم وقد آثرتكم بآبن أم عبد »^(٧).

(١) تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٣٨٠.

(٢) أعلام الموقعين ١٢/١ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٨/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) ، مقدمة ابن الصلاح ، ص ١٤٨ ، دار الحكمة ، دمشق .

(٥) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٤٠٢/١ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٣٨٠ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٣٨٥ ، ٣٨٩ .

(٧) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٧/١ .

وبالجملة فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه فقيهاً قارئاً ، ومع ذلك فقد كان شديد التثبت يتراجع عن فتواه إذا ظهر له غيرها ، فقد استُفتي وهو بالكوفة عن نكاح الأم بعد الابنة إذا لم تكن الابنة مست فأرخص في ذلك ، ثم إن ابن مسعود رضي الله عنه قدم المدينة فسأل عن ذلك فأخبر أنه ليس كما قال ، وإنما الشرط في الربائب ، فرجع ابن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة فلم يصل إلى منزله حتى أتى الرجل الذي أفتاه بذلك فأمره أن يفارق امرأته^(١).

ولقد كان عمر رضي الله عنه موفقاً في اختياره ، فإن ابن مسعود رضي الله عنه منذ أن بعثه عمر رضي الله عنه قد اهتم بتعليم أهل الكوفة وتفقيهم إلى أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه اهتماماً بالغاً^(٢).

وقد أتى ذلك ثماره حيث خرجت مدرسة كاملة يتفياً الدارسون ظلالتها ، وكان ابن مسعود ركماً قال الشعبي - رحمه الله-: « ما دخل الكوفة أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفع علماً ولا أفقه صاحباً منه » يعني ابن مسعود^(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أصحاب عبدالله رضي الله عنه: « أصحاب عبدالله سُرُج هذه القرية »^(٤) ، ونجد ابن القيم يعد أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه أحد الطرق الأربعة التي انتشر منها الدين والفقهاء والعلم^(٥) ، ولم يكن عبدالله بن مسعود رضي الله

(١) الإمام مالك بن أنس ، الموطأ م ١ ج ١/٥٣٣ ، كتاب النكاح ، باب ٩ مالا يجوز من نكاح الرجل أم امرأته ، حديث رقم ٢٣ .

(٢) محمد بن زاهد الكوثري ، مقدمة نصب الراية ص ٣٠ ، المطبوعة مع نصب الراية لأبي محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) في المجلد الأول ، المجلس العلمي ، ط ٢ ، جنوب افريقيا ، باكستان ، الهند ، مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١/٦ .

(٤) المصدر السابق ١٠/٦ .

(٥) ابن القيم ، أعلام الموقعين ٢١/١ .

عنه هو الوحيد في الساحة - وإن كان هو فارسها الأول - فقد كان بجانبه آخرون ، كالعشرة الذين وجههم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة ليعلموا الناس، منهم قرظة بن كعب الأنصاري رضي الله عنه (١) (٢) ، وممن دخل الكوفة من الصحابة سعد بن أبي وقاص وكان من المتوسطين في الفتيا (٣).

ومنهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقد مدحه علي بن أبي طالب بعلمه الخاص فقال: «أعلم أصحاب محمد بالمنافقين» (٤)، وكان ذا علم بالفتن ، يسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معروفاً عند أهل الكوفة ، وكان يبلغهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن سبيع بن خالد (٥) قال : « أتيت الكوفة في زمن فتحت تستر أجلب منها بغالا، فإذا صدع من الرجال (٦) ، وإذا رجل جالس تعرف إذا رأته أنه من رجال أهل الحجاز ، قال : قلت: من هذا ؟ فتجهمني (٧) القوم وقالوا : أما تعرف هذا ؟ هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة : إن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأحذقه (٨) القوم

(١) قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عمر، شهد أحداً ومابعدهما، وكان ممن وجهه عمر إلى الكوفة يفتحه الناس، فتح الري سنة ثلاث وعشرين، مات بالكوفة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. [الذهبي ، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٦٦١-٦٦٢ . ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٣٢/٣].

(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٦٦٢ . ابن حجر ، الإصابة ٢٣٢/٣ ولم يذكر عدد المرسلين .

(٣) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٢/١ .

(٤) المصدر السابق ١٥/١ .

(٥) سبيع بن خالد اليشكري البصري ، روي عن حذيفة بن اليمان ر في الفتن ، وروي عنه صخر بن العجلي وعلي بن جدعان وقتادة ونصر الليثي ، ذكره ابن حبان في الثقات . [المزي ، تهذيب الكمال ١٠/٢٠٤-٢٠٥].

(٦) الصدع من الرجال : هو الشاب المعتدل القناة . [هامش سنن أبي داود ٤/٤٤٤].

(٧) تجهمني القوم : أظهروا آثار الكراهة . [المرجع السابق ٤/٤٤٥].

(٨) أحذقه القوم : رموه بأحذاقهم ووقفوا النظر إليه . [المرجع السابق ٤/٤٤٥].

بأبصارهم، فقال : إني قد أرى الذي تتكرون ، إني قلت : يارسول الله ، رأيت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله ؟ قال : نعم . قلت : فما العصمة^(١) من ذلك ؟ قال : السيف . قلت : يارسول الله ، ثم ماذا يكون ؟ قال : إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه ، وإلا قُمتُ عاضاً بجذل شجرة^(٢) . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم يخرج الدجال معه نهر ونار ، فمن وقع في ناره وجب أجره وحُطَّ وزره ، ومن وقع في نهريه وجب وزره وحُطَّ أجره . قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم هي قيام الساعة^(٣) .

ومنهم أبو مسعود البدرى الأنصاري رضي الله عنه وهو من الفقهاء^(٤) .

وممن جاء إلى الكوفة أيضاً الصحابي الجليل والعالم البحر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد قال عن نفسه : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً^(٥) .

وقد مدحه الصحابة وأثنوا على علمه فمن ذلك أن عمر بن الخطاب ركان يقول : « أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن^(٦) . وقال : « علي أقضانا^(٧) .

(١) العصمة : الوقاية والملجأ . [المرجع السابق ٤/٤٤٥] .

(٢) أراد أنه يكون بعيداً عن الناس مكابداً لحال نفسه . [المرجع السابق ٤/٤٤٦] .

(٣) سنن أبي داود ٤/٤٤٤-٤٤٦ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ١ ذكر الفتن ودلائلها ، رقم الحديث ٤٢٤٤ . وحسنه الألباني ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٧٩٨/٣ ، رقم الحديث ٣٥٦٩ ، ٤٢٤٤ .

(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٦٥٧-٦٥٨ .

(٥) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ص ١٨٥ ، تحقيق : محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٣٧٨هـ .

(٦) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١/١٦ .

(٧) المصدر السابق ١/١٦ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « كنا نتحدث أن من أفضى أهل المدينة ابن أبي طالب »^(١).

وقالت عائشة - رضي الله عنها- : « أما إنه أعلم من بقي بالسنة »^(٢).

وقال ابن عباس ر: : « إذا حدثنا ثقه عن علي بفتيا لا نعدوها »^(٣).

كما أثنى عليه التابعون فمن ذلك قول سعيد بن المسيب: «لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا علي»^(٤).

وقال مسروق : « انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر وعلي وعبدالله »^(٥).

ومدحه أحد أصحابه أمام معاوية فقال: « كان يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه »^(٦). وعده ابن القيم من المكثرين من الفتيا^(٧).

وكان علي رضي الله عنه يحث الناس على سؤاله ليخرج هذا الموج المتلاطم من العلم ببيان منزلته العلمية فيقول : « سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفي سهل أم في جبل »^(٨).

وكان علي ريبغ العلم حتى في أخص أحواله وشؤونه إذا كان لها علاقة بالعلم ، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه وهو يذكر حجة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : «وقدم علي ببدن النبي

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢ .

(٢) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٦٣٨ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢ .

(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٦٣٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٣٨ .

(٦) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٣١٥/١ . والقائل هو ضرار بن ضمرة .

(٧) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٢/١ .

(٨) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ١٨٥ .

صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة ممن حلَّ ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها علي فقالت: أمرني أبي بهذا ، فكان علي يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرّشا^(١) على فاطمة في الذي صنعتة مستفتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي ذكرت عنه وأنكرت ذلك عليها . فقال : صدقت، صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك صلى الله عليه وسلم . قال : فإن معي الهدى فلا تحلّ .. الحديث «^(٢) .
وقد اهتم علي رضي الله عنه بتعليم أهل العراق مثل عناية ابن مسعود رضي الله عنه بهم ، فواصل تفتيهم حتى صارت الكوفة لا نظير لها في بلدان المسلمين في الفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة^(٣) .

واستفاد أهل العراق من أفضيته وآرائه ، مثل أن المرأة إن جاءت ببيّنة من بطانة أهلها ممن يرضى دينه وأمانته يشهدون أنها حاضت في شهر ثلاثا قبل ذلك منها وصدّقت^(٤) ، وغير ذلك^(٥) .
وبجانب استفادة أهل العراق من علي رضي الله عنه فقد رحل إليه من خارج العراق^(١) .

-
- (١) التحريش: الإغراء ، والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها. [صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/٨] .
(٢) صحيح مسلم ٨٨٨/١ ، كتاب الحج ، باب (١٩) حجة النبي (ز) ، رقم الحديث ٢١٤٧ ، الرقم العام للحديث ١٢١٨ . سنن ابن ماجه ١٠٢٤/٢ ، كتاب المناسك ، باب ٨٤ حجة النبي (ز) ، رقم الحديث ٣٠٧٤ . مسند الإمام أحمد ٣٢٠/٣ .
(٣) محمد بن زاهد الكوثري ، مقدمة نصب الراية ص ٣٠ المطبوعة مع نصب الراية للزيلعي في المجلد الأول .
(٤) محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٧٢هـ) ، شرح الزركشي على مختصر الخرقى ٤١٢/١ ، تحقيق: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، ط ١ ، طبع على نفقة عبدالعزيز محمد عبدالله الجميح .
(٥) انظر أمثلة أخرى في أخبار القضاة لوكيع ١٩٧/٢ ، ٣٩٩ . مسند الإمام أحمد ٣٠٥/٣ . صحيح البخاري ١١٢/١ كتاب الصلاة ، باب ٥٢ و ٧٠/٣ ، كتاب الحرث والزراعة ، باب ١٥ .

وكان علي رضي الله عنه قد أزعجه ما رآه من اللحن بالعراق فكلف أبا الأسود الدؤلي^(٢) بوضع علم النحو ، وأرشده ووضع يده على بداية الطريق وأمره بتتبع

ذلك^(٣).

ولكن الشيعة أفسدوا كثيراً من علمه بالافتراء عليه ؛ وبسبب ذلك نرى أهل الحديث من أهل الصحيح لا يعتمدون من حديثه وفتواه إلا ما جاء من طريق أهل بيته وأصحاب عبدالله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه متضايقاً من انعدام طلاب بررة صادقين يحملون العلم الذي عنده^(٤).

ومنهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أستاذ البصرة ، وقدم إلى الكوفة عندما جاء به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البصرة وولاه الكوفة بعد عمار بن ياسر رضي الله عنه فبقى سنة ،

(١) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ٢٠٤/٣ .
(٢) أبو الأسود الدؤلي ، العلامة الفاضل ، قاضي البصرة ، واسمه ظالم بن عمرو على الأشهر ، ولد في أيام النبوة ، كان من وجوه شيعة علي وأكملهم عقلاً ورأياً ، وبعد مقتل علي ر وفد على معاوية فأدنى مجلسه وأعظم جائزته ، قال ابن معين: مات سنة تسع وستين . [أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ، طبقات النحويين واللغويين ص ٢١ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٨١/٤ ، ٨٦ .]

(٣) عبدالواحد أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) ، مراتب النحويين ص ٢٤ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة . أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ، طبقات النحويين واللغويين ص ٢١ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ١٨١ .

(٤) ابن القيم ، أعلام الموقعين ٢١/١ . د. علي بن حسن بن عبدالقادر ، نظرة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ٧٨ ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، ١٩٦٥ م ، القاهرة .

ثم عزله عنها ووجهه إلى البصرة ، ثم عاد إلى الكوفة مرة أخرى في السنة التاسعة والعشرين عندما عزله عثمان رضي الله عنه عن البصرة^(١).

ولما قدم أبو موسى رضي الله عنه الكوفة تفرغ للتعليم ، وصارت له حلقة في مسجدها الجامع يعلم فيها القرآن الكريم والحديث الشريف ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم، فكان خير خلف لأستاذهم الكبير عبدالله بن مسعود^(٢). حتى قال أحد تلاميذه وهو الأسود بن يزيد- رحمه الله:- « لم أر بالكوفة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم من علي بن أبي طالب والأشعري رضي الله عنهما»^(٣).

وغير هؤلاء من الصحابة ، فقد نزل الكوفة ألف وخمسمائة صحابي^(٤)، منهم ثلاثمائة من أصحاب بيعة الرضوان وسبعون بدرياً^(٥)، غير من سكنها وبث العلم فيها ثم رحل عنها^(٦). وقد تلقى العلم عن عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة -رضوان الله عليهم- خلق كثير^(٧)، وممن

(١) سليمان بن عبدالله أبا الخليل ، أبو موسى الأشعري ودوره في العلم والدعوة ص ٤٨ ، بحث مكمل للماجستير بقسم الدعوة ، كلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٢ .

(٤) أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي (ت ٢٦١هـ) ، تاريخ الثقات ص ٥١٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩/٦ .

(٦) محمد بن زاهد الكوثري ، فقه أهل العراق وحديثهم ص ٤٢ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ ، بيروت .

(٧) محمد بن زاهد الكوثري ، فقه أهل العراق وحديثهم ص ٤١ . د. ناصر بن عقيل الطريفي ، تاريخ الفقه الإسلامي ص ٧٦ ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، الرياض .

خرجته مدرسة الكوفة ، وكان من المفتين فيها علقمة بن قيس النخعي^(١)، والأسود بن يزيد النخعي^(٢)، وعمرو بن

شريحيل الهمداني ، ومسروق بن الأجدع الهمداني^(٣)، وعبيدة السلماني^(٤) وشريح بن الحارث القاضي^(٥)، وزيد بن صوحان^(٦)، وسويد بن

(١) علقمة بن قيس النخعي ، روى عن كثير من الصحابة منهم أبوبكر وعثمان وعلي ، وروى عنه كثيرون ، وكان أشبه الناس بعبدا لله بن مسعود هديا ودلا وسمتا ، وثقه العلماء . قال خليفة بن خياط : مات سنة خمس وستين ، وقيل : غير ذلك . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٢-٨٦/٦ . المزي ، تهذيب الكمال ٣٠٨-٣٠٠/٢٠] .

(٢) الأسود بن يزيد أبو عمرو النخعي الكوفي ، من بيت فيهم من رؤوس العلم والعمل ، وكان مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام ، حدث عن معاذ بن جبل وبلال وابن مسعود وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، وكان يضرب به وبمسروق المثل في عبادتهما ، مات سنة خمس وسبعين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧٥-٧٠/٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٣-٥٠/٤] .

(٣) مسروق بن الأجدع الهمداني أبو عائشة الكوفي ، قال الشعبي : ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه ، كان أحد أصحاب عبدالله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ، شهد القادسية وجرح بها ، واعتزل الحرب بين علي وغيره ، مات سنة اثنتين ، وقيل : ثلاث وستين سنة ، وله ثلاث وستون سنة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧٦/٦-٨٤ . جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) ، طبقات الحفاظ ٢١-٢٢ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت] .

(٤) عبيدة بن قيس السلماني من مراد ، أسلم قبل وفاة الرسول (ز) ولم يره ، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود روى عن عمر وعلي وابن مسعود ، مات سنة اثنتين وسبعين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٩٣/٦-٩٥] .

(٥) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي القاضي ، أدرك النبي (ز) ولم يلقه على الصحيح ، استقضاه عمر على الكوفة وأقره علي ، وأقام على القضاء بها ستين سنة ، روى عن عدد من الصحابة ، وروى عنه كثيرون ، وكان ثقة ، قيل : توفي سنة ثمانين ، وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : غير ذلك . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣١/٦-١٤٥ . المزي ، تهذيب الكمال ٤٣٥-٤٤٥/١٢] .

(٦) زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي الكوفي ، كنيته أبو سليمان ، وقيل : أبو عائشة ، كان من العلماء العباد ، ذكروه في كتب معرفة الصحابة ولا صحبة له لكنه أسلم في حياة النبي (ز) ، وكان له منزلة عند عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي

غفلة^(١)، والحارث بن قيس الجعفي^(٢)، وعبدالرحمن بن يزيد النخعي^(٣)، وعبدالله بن عتبة بن مسعود القاضي^(٤)، وخيثمة بن عبدالرحمن^(٥)، ومالك بن عامر^(٦)، وعبدالله بن سخبرة^(٧)، وزر بن

-
- ، وكان ثقة قليل الحديث . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢٣/٦-١٢٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥٢٥/٣-٥٢٨] .
- (١) أبو أمية سويد بن غفلة بن عوسجة من مذحج، أدرك النبي (ز) ، ووفد عليه فوجده قد قبض ، فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، وشهد معه صفين ، توفي بالكوفة سنة إحدى أو اثنتين وثمانين للهجرة وهو ابن مائة وثمان وعشرين سنة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦٨/٦-٧٠] .
- (٢) الحارث بن قيس الجعفي الكوفي ، روى عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب ، وروى عنه خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي ونفيع الأعمى ويحيى بن هانئ المرادي ، أحد كبار أصحاب عبدالله ، قال علي بن المديني : قتل الحارث مع علي بصفين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٦٧/٦ . المزي ، تهذيب الكمال ٢٧٢/٥-٢٧٥] .
- (٣) عبدالرحمن بن يزيد بن قيس النخعي أبوبكر الكوفي ، أخو الأسود بن يزيد ، روى عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وسلمان وغيرهم ، وروى عنه كثيرون ، وهو ثقة ، قيل توفي سنة ثلاث وسبعين ، وقيل ثلاث وثمانين ، وقيل غير ذلك . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢١/٦-١٢٢ . المزي ، تهذيب الكمال ١٢/١٨-١٤] .
- (٤) عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبدالله المدني ، ويقال : الكوفي ، ابن أخي عبدالله بن مسعود ، أدرك النبي (ز) ورآه ، وروى عنه وروى عن ابن مسعود وعمار وعمر بن الخطاب وغيرهم ، وروى عنه جماعة وهو ثقة كثير الحديث والفتيا ، مات سنة أربع وسبعين . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢٠/٦ . المزي ، تهذيب الكمال ٢٦٩/١٥-٢٧١] .
- (٥) خيثمة بن عبدالرحمن ابن أبي سبرة يزيد بن مالك المذحجي ثم الجعفي الكوفي الفقيه ، لأبيه وجده صحبة ، وكان من العلماء العباد ، وحديثه في دواوين الإسلام ، وكان سخيا جوادا يركب الخيل ويغزو ، وأدرك ثلاثة عشر من الصحابة . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٢٠/٤-٣٢١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٨٦/٦-٢٨٧] .
- (٦) أبو عطية مالك بن عامر وهو أبو حمزة الحمداني ، روى عن عمر وعبدالله ، توفي بالكوفة في ولاية مصعب بن الزبير ، وكان ثقة له أحاديث . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢١/٦] .
- (٧) عبدالله بن سخبرة الأزدي أبو معمر الكوفي ، روى عن خباب بن الأرت وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وغيرهم ، وروى عنه جماعة ، وهو ثقة روى له

حبّيش^(١)، وخلّاس بن عمرو^(٢)، وعمرو بن ميمون الأودي^(٣)، وهمام بن الحارث^(٤)، والحارث بن سويد^(٥)، ويزيد بن معاوية النخعي^(٦)، والربيع بن خثيم، وصلة بن زُفر^(٧)، وشريك بن

الجماعة، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٠٣/٦ المزي، تهذيب الكمال ٨-٦/١٥].

(١) زرّ بن حبّيش أبو مريم الأسدي، روى عن عمر وعلي وعبدالله وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم، وكان أعرب الناس، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية، مات وله اثنتان وعشرين ومائة سنة. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٠٤/٦-١٠٥].

(٢) خلاص بن عمرو الهجري، بصري ثقة، خرّجوا له في الصحاح، حدّث عن علي وعمار وعائشة وأبي هريرة، وعنه قتادة وعوف وداود بن أبي هند وآخرون، وثقه أحمد وغيره. [الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٩١/٤. المزي، تهذيب الكمال ٣٦٧-٣٦٤/٨].

(٣) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبدالله الكوفي من مذحج، أدرك الجاهلية ولم يلق النبي (ز)، روى عن جمع من الصحابة، وروى عنه كثيرون، وهو ثقة، مات سنة أربع أو خمس وسبعين، وقيل: غير ذلك. [المزي، تهذيب الكمال ٢٦١/٢٢-٢٦٧].

(٤) همام بن الحارث النخعي، روى عن عمر وعبدالله وأبي مسعود الأنصاري وأبي الدرداء وعدي بن حاتم وجريير بن عبدالله وعائشة، توفي بالكوفة في ولاية الحجاج. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١١٨/٦-١١٩].

(٥) الحارث بن سويد التميمي أبو عائشة الكوفي، روى عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعمرو بن ميمون الأودي، وروى عنه جماعة، وثقه ابن معين، وكان الإمام أحمد يعظم شأنه، توفي في آخر خلافة عبدالله بن الزبير. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٦٧/٦. المزي، تهذيب الكمال ٢٣٥/٥-٢٣٧].

(٦) يزيد بن معاوية النخعي الكوفي، أحد عباد الكوفة، روى عن عبدالله بن مسعود، وذكره ابن حبان في الثقات، وقتل غازيا بفارس. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢٠٥/٦. المزي، تهذيب الكمال ٢٤٦/٣٢].

(٧) صلة بن زُفر أبو العلاء العبسي، روى عن عبدالله وحذيفة وعمار، وكان برأ ثقة وله أحاديث، توفي بالكوفة في زمن مصعب بن الزبير. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٩٥/٦].

حنبل^(١)، وأبو وائل شقيق بن سلمة^(٢)، وعبيد بن نضلة^(٣)، وهؤلاء -
رحمة الله عليهم- من أصحاب علي وابن مسعود رضي الله
عنهما^(٤).

وممن عرض علي ابن مسعود رضي الله عنه القرآن الأسود بن
يزيد، وتميم بن حذلم^(٥)، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش، وعبيد
بن قيس^(٦)، وعبيد بن نضلة،
وعلقمة، وعبيدة السلماني، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبدالرحمن

(١) شريك بن حنبل العبسي الكوفي، روى عن النبي (ز) وعن علي بن أبي طالب،
وروى عنه أبو إسحاق عمر بن عبدالله السبيعي وعمير التغلبي، وذكره ابن حبان في
كتاب الثقات. [المزي، تهذيب الكمال ٤٥٩/١٢-٤٦٠].

(٢) أبو وائل شقيق بن سلمة الأسيدي، أدرك النبي (ز) وهو غلام ولم يره، روى عن
عمر وعلي وعبدالله وحذيفة وغيرهم، وكان ثقة كثير الحديث زاهداً، مات زمن
الحجاج بعد سنة ٨٣هـ. [ابن سعد، الطبقات الكبرى ١٠٢/٦].

(٣) عبيد بن نضلة أبو معاوية الخزاعي الكوفي، تابعي ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن
ابن مسعود ر، وعرض أيضاً على علقمة بن قيس، روى القراءة عنه عرضاً يحيى
بن وثاب وحرمان بن أعين، وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، مات في حدود سنة
خمس وسبعين. [أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية
في طبقات القراء ٤٩٧/١-٤٩٨، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٠هـ، بيروت].

(٤) ابن القيم، أعلام الموقعين ٢٥/١. الذهبي، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء
الراشدين» ص ٣٨٠. الكوثري، فقه أهل العراق وحديثهم ص ٤٣.

(٥) تميم بن حذلم أبو أسلم الضبي، قرأ على عبدالله بن مسعود ر فلم يغير عليه شيئاً
إلا هذا الحرف « وكل اتوه داخرين »، مده تميم وقصره ابن مسعود رو و « وظنوا
أنهم قد كذبوا » قرأ ابن مسعود بالتخفيف، ذكره الطبراني بإسناد جيد. [أبو الخير
محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ١٨٧/١].

(٦) عبيد بن قيس أبو مسلم الكلابي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً عن ابن مسعود، وأخذ
القراءة عنه عرضاً يحيى بن وثاب، ذكره الحافظ أبو عمرو الداني. [ابن الجزري
، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٩٧/١].

السلمي^(١)، وأبو عمرو الشيباني^(٢)، وزيد بن وهب^(٣)، ومسروق رحمهم الله تعالى^(٤).

وهؤلاء نماذج من تلاميذ علي وابن مسعود رضي الله عنه وإلا فإن استقصاء كبار تلاميذهما أمر يطول جداً ، فلو دونت تراجمهم في كتاب خاص لكان كبيراً ، فضلاً عن استقصاء جميع التلاميذ^(٥).

وقد قام هؤلاء التلاميذ بمهمة التعليم فتخرج بعدهم طبقة لم تدرك علياً ولا ابن مسعود ---- رضي الله عنهما - وجمعوا علوم الأمصار مع علومهم^(٦).

ولقد شهد لأصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بنشر العلم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: « أصحاب عبدالله سُرِّج هذه القرية »^(٧)، يعني الكوفة .

(١) أبو عبدالرحمن السلمى عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي مقرئ الكوفة ، من أولاد الصحابة ، ولد في حياة النبي (ز) ، عرض القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود ، وحديثه مخرج في الكتب الستة، توفي سنة أربع وسبعين ، وقيل: غير ذلك . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٧٢/٦-١٧٥ . الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤-٢٧٢] .

(٢) أبو عمرو سعد بن إياس الشيباني ، سمع بالرسول (ز) ، وروى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم ، وكان ثقة له أحاديث ، شهد القادسية وهو ابن أربعين سنة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٤/٦] .

(٣) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي ، رحل إلى النبي (ز) فقبض وهو في الطريق ، روى عن الخلفاء الراشدين سوى أبي بكر وغيرهم ، وروى عنه كثيرون ، وهو من الثقات ، مات سنة ست وتسعين ، وقيل : غير ذلك . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٢/٦-١٠٣ . المزي ، تهذيب الكمال ١١١/١٠-١١٥] .

(٤) أبو الخير بن محمد بن محمد بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٥٨/١ .
(٥) محمد بن زاهد الكوثري، مقدمة نصب الراية ص ٣٠ المطبوعة مع نصب الراية للزيلعي في المجلد الأول.

(٦) الكوثري ، فقه أهل العراق وحديثهم ص ٤٦ . ولمزيد من التفصيل عن مدرسة الكوفة يراجع الكوثري ، فقه أهل العراق وحديثهم . مناع القطان ، التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ص ١٥٤ ومابعدھا ، مكتبة وهبه ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠/٦ .

وقال الشعبي - رحمه الله-: « ما كنت أعرف فقهاء الكوفة إلا أصحاب عبدالله »^(١).

وقد فرَّغ أحدهم وهو أبو عبدالرحمن السلمي - رحمه الله- نفسه لتعليم القرآن لأهل الكوفة بمسجدها الأعظم أربعين عاماً^(٢).
ولقد أبلغ بعض ثقات أهل العلم عدد من تفقه على ابن مسعود وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف عالم^(٣).
وميزة هذه المدرسة :

- ١ - كثرة تشقيقهم لفروع المسائل الفقهية .
 - ٢ - استخراج علل الأقيسة وضبطها والتفريع عليها بتطبيق تلك العلل على الفروع المختلفة .
 - ٣ - قلة روايتهم للحديث ؛ لشدتهم في الرواية خشية الأحاديث المكذوبة والموضوعة ؛ لكثرة الحاقدين على الإسلام في العراق ، كما أن الأحاديث لم تدون وتجمع بعد^(٤).
- والبصرة أيضاً قد نزلها عدد كبير من الصحابة ، ومن أشهر من ذهب إليها من الصحابة أبو موسى الأشعري رضي الله عنه^(٥)، وأبو موسى رضي الله عنه قارئٌ مُجيد وهبه الله صوتاً جميلاً^(٦)، بالإضافة إلى ما يحويه قلب أبي موسى رضي الله عنه من عواطف إيمانية جياشة ، فيجتمع هذا إلى ذاك فيجذبان القلوب ، ويمتلكان

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١/٨٣ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ٤ ، ١٣٨٨ هـ ، حيدرآباد الدكن ، الهند .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٨ .

(٣) عن الكوثري ، مقدمة نصب الراية ص ٣٠ المطبوعة مع نصب الراية للزيلعي في المجلد الأول .

(٤) الطريفي ، تاريخ الفقه الإسلامي ص ٧٦ . د. علي بن حسن بن عبدالقادر ، نظرة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٥٨ .

(٥) مناع القطان ، التشريع في الفقه الإسلامي - تاريخاً ومنهجاً - ص ١٥٤ .

(٦) الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/٣٧ ، تحقيق : محمد بن سيد بن جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، ط ١ ، مصر .

الأنفس ، ولقد بلغ في ذلك درجة عالية جعلته يشتهر بذلك فقد أثنى على صوته المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أبا موسى ، لقد أوتيت زمماراً^(١) من مزامير آل داود »^(٢)، وكان صلى الله عليه وسلم يستمع إلى قراءته وكذا نساؤه وكذلك الصحابة^(٣).

إن حسن صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه جعل الناس يتعلقون به ، ويستمعون إليه ، ويودون استمراره في القراءة ، فهاهو أبو عثمان النهدي أحد البصريين يقول : « ما سمعت زمماراً ولا طنبوراً^(٤) ولا صنجاً^(٥) أحسن من صوت

أبي موسى الأشعري ، إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته »^(٦).

ويحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول : « قدمنا البصرة مع أبي موسى فقام من الليل يتهدد ، فلما أصبح قيل له : أصلح الله الأمير ، لو رأيت إلى نسوتك وقرابتك وهم يستمعون لقراءتك . فقال : لو علمت لزيّنت كتاب الله بصوتي ولحبرته تحبيراً »^(٧).

(١)المزامير: مأخوذة من زَمَرَ يَزْمُرُ زَمْرًا وزميراً وزمرانا غنى في القصب ، ومزامير داود- عليه السلام-: ماكان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء . [ابن منظور ، لسان العرب ٧٩/٦] . وقال ابن حجر: المراد بالمزممار :الصوت الحسن، وأصله الآلة وأطلق اسمه على الصوت للمشابهة.[فتح الباري ٩٣/٩] .

(٢)صحيح البخاري ١١٢/٦ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٣٢ حسن الصوت بالقراءة .

(٣)سليمان أبا الخيل،أبو موسى الأشعري ودوره في العلم والدعوة ص ٣٤-٣٨وقد أورد آثارا في ذلك.

(٤)الطنبور والطنبار : معروف ، فارسي معرب ، وقيل: أصله دُنْبَه بَرَه أي يشبه إلية الحَمَل فقيل: طنبور ، وهو الذي يلعب به [ابن منظور ، لسان العرب ٢٠٧/٨] .

(٥)الصنج : شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها معرب . [مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ٨١/٢ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجيل ، بيروت] .

(٦)الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٢/٢ .

(٧)المصدر السابق ٣٩٢/٢ .

وكان بجانب حسن القراءة وتجويدها عالماً فقيهاً ، أثنى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: « صبغ من العلم صبغة ثم خرج منه »^(١).

وقال الأسود بن يزيد -رحمه الله-: «لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى»^(٢).

وقال الشعبي -رحمه الله-: «يؤخذ العلم عن ستة»، وذكر منهم أبا موسى الأشعري^(٣).

ومن قوة علمه كان أحد الذين يفتون في المسجد زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

ولفطنته وذكائه كان من القضاة المذكورين من الصحابة^(٥).
ولهذه المنزلة العلمية بعثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة

ليعلمهم ، فأعلن هذا حال وصوله^(٦)، وقام رضي الله عنه بتعليمهم وتفقيهم^(٧).

ويصف أبو عطاء العطاردي حلقاته العلمية فيقول: « كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد - مسجد البصرة - يعقد

(١) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٦/١ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٢ .

(٣) ابن عساكر ، تبیین كذب المفتری فیما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ص ٨١ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٢ .

(٥) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٦/١ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٢ .

(٦) أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ) ، سنن الدارمي ، دار الدعوة . ابن عساكر ، تبیین كذب المفتری ص ٨٢ .

(٧) أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٤٩/١٥

، تحقيق : د. بشار بن عواد بن معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ،

بيروت . ابن حجر ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة ٣٦٠/٢ .

حلقا ، فكأنني أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ، ومنه أخذت هذه السورة { اقرأ باسم ربك الذي خلق }^(١) «^(٢) .

وقال ابن شونب : « كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم »^(٣) .

ومما يدل على اجتهاده في التعليم أنه لم يمض عليه شهران في البصرة حتى ختم سبعة منهم القرآن^(٤) .

وكان أبو موسى مغتبطا بعمله هذا راجياً ثواب الله عزوجل ، فعندما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً : « أيسرك أن عمالك الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلص لك ، وأنت خرجت من عمالك كفافاً خيره بشره وشره بخيره كفافاً لا لك ولا عليك ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، والله قدمت البصرة وإن الجفاء فيهم لفاش ، فعلمتهم القرآن والسنة ، وغزوت بهم في سبيل الله ، وإني لأرجو بذلك فضله »^(٥) .

وقد شهد له بهذا العمل الجليل الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه عند عمر بن الخطاب ولما سأله كيف تركت الأشعري ؟ فقال : « تركته يعلم الناس القرآن . فقال عمر : إنه الكيس ولا تسمعها إياه »^(٦) .

ولذلك نجد الحسن البصري يقول عنه : « ما أتأها - يعني البصرة - راكب خير لأهلها منه ، يعني من أبي موسى »^(٧) .

ومن أبرز تلاميذ أبي موسى الأشعري ربالبصرة أبو عثمان النهدي^(١) ، ومطرف بن عبدالله^(٢) ، وصفوان بن محرز^(٣) وأبو

(١) آية ١ من سورة العلق .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢٥٦/١ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٢ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢٢/٧ .

(٥) المتقي الهندي ، منتخب كنز العمال ٤٠١/٤ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٢ .

(٧) ابن حجر ، الإصابة ٣٦٠/٢ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٢ .

رجاء
العطاردي^(٤)^(٥).

وقد بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عشرة من المعلمين وعلى رأسهم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك ر^(٦)، ومنهم عمران بن الحصين رضي الله عنه^(٧) الذي بعثه عمر رضي الله عنه إلى البصرة ليعلم الناس الفقه والقرآن ، ويكون خليفة لأبي موسى رضي الله عنه إذا خرج من البصرة^(٨)، وعنه يقول هلال بن يساف : « قدمت البصرة فدخلت المسجد ، فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية مستند إلى أسطوانة في حلقة يحدثهم ، قال : فسألت من هذا ؟ فقالوا : عمران بن الحصين »^(٩).

(١) هو عبدالرحمن بن مدّ بن عمرو بن عدي بن وهب بن ربيعة بن سعد بن جذيمة ابن قضاة ، أدرك النبي (ز) ولم يره، روى عن عمر وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وسلمان وأسامة وأبي هريرة، توفي أول ولاية الحجاج بن يوسف على العراق بالبصرة . [ابن سعد، الطبقات الكبرى ٩٧/٧-٩٨].

(٢) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير ، الإمام القدوة الحجة أبو عبدالله الحريثي العامري البصري ، حدث عن أبيه وعلي وعمار وأبي ذر وعثمان وعائشة ، وحدث عنه الحسن البصري وثابت البناني وغيرهم ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي سنة ٨٦ هـ . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧-١٩٥].

(٣) سليمان أبا الخيل ، أبو موسى الأشعري ودوره في العلم والدعوة ص ٥٩ .

(٤) أبو رجاء العطاردي الإمام الكبير شيخ الإسلام عمران بن ملحان التميمي البصري من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي (ز) ، حدث عن جماعة من الصحابة، وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري ، وحدث عنه جماعة ، مات سنة خمس ومائة وله أكثر من مائة وعشرين سنة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/١٣٨-١٤٠ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٣-٢٥٧].

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٨١ .

(٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٨ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/١٠ .

(٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٠ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/١١ .

وممن قدم البصرة عبدالله بن عباس رضي الله عنه وذلك عندما ولاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه والياً عليها ، وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: « اللهم علمه الحكمة»^(١)، وكان ذا علم واسع ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)، وعدّه ابن القيم من المكثرين من الفتيا^(٣)، وأثنى عليه علماء الصحابة والتابعين .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عسره^(٤) منا رجل»^(٥).

وقال عطاء بن أبي رباح -رحمه الله- : « ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقها وأعظم ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن وأصحاب الشعر عنده ، يُصَدِّرهم كلهم في واد واسع»^(٦).

وقال مجاهد : « كان ابن عباس يُسمَى البَحْر من كثرة علمه»^(٧).
وقال طاوس: « أدركت نحواً من خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ابن عباس شيئاً فخالفوه لم يزل بهم حتى يقررهم»^(٨).

(١) سنن الترمذي ٦٨٠/٥ ، كتاب المناقب ، باب ٤٣ مناقب عبدالله بن عباس ر ، رقم الحديث ٣٨٢٤ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٢٣٣/٣ . رقم الحديث ٤٠٩٥-٣٠٠٤ .

(٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين ٢٩٣/١ .

(٣) المصدر السابق ١٢/١ .

(٤) ما عسره: أي ما خالفه . [ابن منظور ، لسان العرب ٢٠٢/٩] .

(٥) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٩/١ .

(٦) المصدر السابق ١٩/١ .

(٧) المصدر السابق ١٩/١ .

(٨) المصدر السابق ١٩/١ .

وممن قدم البصرة عبدالله بن المغفل رضي الله عنه (١) ، وهو ممن بعثهم عمر لتفقيه أهلها (٢) ، وممن أتى البصرة من الفقهاء سعد بن هشام رحمه الله (٣) (٤) .

وقد تخرج بفضل هذه الجهود الموفقة تلاميذ بررة استوعبوا ما تعلموه ، بل كان بعضهم لا يكتفي بما يسمع في بلده ، ويرحل إلى خارجها ليشبع نهمه العلمي وشغفه الثقافي ، فعن أبي العالية - رحمه الله - قال: « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعنا من أفواههم » (٥) ، وهذا يدل على مدى حرصهم على طلب العلم ، ورغبتهم في علو السند ، وخرج مسروق بن الأجدع - رحمه الله - إلى البصرة يطلب رجلا ليسأله عن آية فلم يجده عنده فيها علما ، فأخبر عن رجل من أهل الشام فخرج إلى ذلك الرجل في طلبها (٦) .

كما أن أناسا من أهل العراق وفارس يسألون عما أشكل عليهم خارج العراق

(١) هو عبدالله بن المغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب ابن مزينة ، ممن بايع رسول الله (ز) تحت الشجرة يوم الحديبية ، ولم يزل بالمدينة ، ثم تحول إلى البصرة فنزلها حتى مات بها في آخر خلافة معاوية . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣/٧-١٤] .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٤/٧ .

(٣) هو سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني ، روى عن أبيه وأنس بن مالك وسمرة بن جندب وابن عباس وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وروى عنه الحسن البصري وحميد بن عبدالرحمن وزرارة ابن أوفى وغيرهم ، قتل بأرض مكران على أحسن أحواله . [أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ، كتاب الجرح والتعديل ٩٦/٤ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ، الهند . المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٠٧/١٠-٣٠٨] .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٩٧/٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٣/٧ .

(٦) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٩٥/٢ .

وفارس فيكونون بذلك رافدا من روافد العلم والرواية . فعن عبدالله بن شقيق^(١) قال : « كنت شاكيا بفارس فكنت أصلي قاعدا ، فسألت عن ذلك عائشة فقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليلا طويلا قائما ، وليلا طويلا قاعدا ، فإذا قرأ قائما ركع وخشع قائما وإذا قرأ قاعدا ركع قاعدا »^(٢). وجاء نسوة من أهل الكوفة إلى صفية بنت حيي - رضي الله عنها - فاستفتيتها في أشياء من أمر المرأة وزوجها ومن أمر الحيض ، ثم سألت عن نبيذ الجر^(٣). فقالت : « أكثرتم علينا يا أهل العراق في نبيذ الجرّ ، وما على إحداكن أن تطبخ تمرها ثم تدلكه ثم تصفيه فتجعله في سقائها وتوكي عليه ، فإذا طاب شربت وسقت زوجها »^(٤). ولما فتح المسلمون الكوفة والبصرة جاءوا إلى عمر رضي الله عنه فقالوا : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّ لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَا وَهُوَ جُورٌ مِنْ طَرِيقِنَا ، وَإِنْ أَرَدْنَا قَرْنَا شَقَّ عَلَيْنَا . قَالَ : فَانظُرُوا حَذْوَهَا مِنْ طَرِيقِكُمْ ، فَحَدَّ لَهُمْ ذَاتَ عَرَقٍ »^(٥).

ويعتبر الحج أحد الروافد المغذية للعلم ، ففيه وفي الطريق إليه يلتقي أهل العراق بغيرهم من أهل العلم فيسألونهم ، فعن شقيق بن

(١) عبدالله بن شقيق العقيلي أبو عبدالرحمن، روى عن أقرع مؤذن عمر بن الخطاب ورجاء الباهلي وعثمان وعلي وغيرهم ، وروى عنه جماعة وكان ثقة في الحديث، وكان عثمانيا، قال محمد بن سعد: توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. وقيل: غير ذلك. [المزي ، تهذيب الكمال ١٥/٨٩-٩٢] .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/١٠٠ . صحيح مسلم ١/٥٠٤ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ١٦ جواز النافلة قائما وقاعدا وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا ، رقم الحديث العام ٧٣٠ ولم يذكر كون شقيق شاكيا بفارس .

(٣) الجر: جمع جرّة ، وقال ابن عباس : الجرّ كل شيء يصنع من المدر وهو التراب والطين. [البنا ، بلوغ الأمان ١٧/١١٧] .

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/٣٣٧ ، قال البنا: أورده الهيثمي ثم قال : وصهيرة لم يرو عنها غير يعلي بن حكيم فيما وقفت عليه وبقية رجاله رجال الصحيح ، بلوغ الأمان ١١٧/١٧ .

(٥) صحيح البخاري ٢/١٤٣ ، كتاب الحج ، باب ١٣ .

سلمه قال : « سمعت الصَّبِي بن معبد يقول : كنت رجلاً نصرانيا فأسلمت ، فأهللت بالحج والعمرة ، فسمعني سليمان بن ربيعة وزيد بن صوحان وأنا أهلُّ بهما جميعاً بالقادسية فقالا: لهذا أضل من بعيره . فكأنما حملاً عليَّ جبلاً بكلمتهما ، فقدمت على عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له ، فأقبل عليهما فلامهما ، ثم أقبل عليَّ فقال : هديت لسنة النبي صلى الله عليه وسلم هديت لسنة النبي صلى الله عليه وسلم »^(١).

ولقي أبو هريرة رضي الله عنه ركبا من أهل العراق محرمين ، فاستفتوه عن لحم صيد وجدوه عند أهل الرَبْدَة^(٢) فأفتاهم بجواز أكله ، فلما قدم أبو موسى رضي الله عنه المدينة أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتواه فوافقه عليها^(٣).

وكتبَ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العراق أن رجلاً قال لامرأته : حبلك على غاربك ، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامله أن يأمر الرجل بأن يوافيه بمكة في الموسم ، ففعل الرجل ، فاستخبره عمر رضي الله عنه عن نيته في قوله ، فأعلمه بأنه يريد الفراق فقال له عمر : هو ما أردت^(٤).

ولئن كانت البصرة والكوفة محط ثقل العلم فإنهما لم يكونا الوحيدتين ، فهناك التعليم في الأمصار الأخرى ، حيث كان من مهمة الولاية تعليم الناس أمور دينهم وسنة نبيهم ، كما صرح به عمر بن

(١) سنن ابن ماجه ٩٨٩/٢ ، كتاب المناسك ، باب ٣٨ من قرن الحج والعمرة ، الحديث رقم ٢٩٧٠ ، قال الألباني: صحيح ، صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند ١٦٤/٢ - ١٦٥ .

(٢) الربذة : من قرى المدينة المنورة على ثلاثة أيام . قريبة من ذات عرق. [الحموي ، معجم البلدان ٢٤/٣] .

(٣) الإمام مالك بن أنس ، الموطأ م ١ ج ١/٣٥١-٣٥٢ ، كتاب الحج ، باب ٢٤ ما يجوز للمحرم أكله من الصيد ، رقم الحديث ٨٠ .

(٤) المصدر السابق م ١ ج ١/٥٥١ ، كتاب الطلاق ، باب ٢ ما جاء في الخلية والبرية وأشبه ذلك ، رقم الحديث ٥ .

الخطاب رضي الله عنه مراراً^(١) وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لأحد عماله^(٢).

ومن الولاة سلمان الفارسي رضي الله عنه ولاه عمر المدائن^(٣) فقام بتعليمهم ، وله باع طويل في العلم ففي قوله تعالى: { ومن عنده علم الكتاب }^(٤) قال قتادة - رحمه الله - : هو سلمان^(٥).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن سلمان ر: « من لكم بمثل لقمان الحكيم، ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت ، أدرك العلم الأول والعلم الآخر وقرأ الكتاب الأول والآخر ، بحر لا ينزف »^(٦).

وأوصى معاذ بن جبل رجلاً أن يطلب العلم من أربعة سلمان أحدهم^(٧) وعدّه ابن القيم من المتوسطين في الفتيا^(٨). ومما يذكر من مواقف العلمية في مجال

الترجمة أنه ترجم معاني الفاتحة إلى الفارسية^(٩).

وممن قدم المدائن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فاستفاد أهلها من علمه^(١٠).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٥/١ . قال أحمد بن شاکر : إسناده صحيح ، المسند شرح وفهرسة: أحمد بن شاکر ١٩٢/١-١٩٣ ، رقم الحديث ٨٩ . سنن الدارمي ١٣٩/١ . تاريخ الطبري ٢٠٤/٤ . أبو نعیم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢٥٧ / ١ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٠٢/٢ .

(٣) ابن أعمش الكوفي ، كتاب الفتوح ٢٨٦/١ .

(٤) آية ٤٣ من سورة الرعد .

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٥١٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٥١٦ .

(٧) البنا ، الفتح الرباني ١٨٨/٢٢ . ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ٥٤٦/١ .

(٨) ابن القيم ، أعلام الموقعين ١٢/١ .

(٩) أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ) ، كتاب المبسوط ٣٧/١ ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٤هـ ، مصر .

(١٠) قد تقدم شيء من الحديث عنه فيمن قدم الكوفة ص ٣١٦ وما بعدها من هذا البحث . وانظر بعض خطبه في المدائن ص ٢٧٢ وما بعدها من هذا البحث .

وقد ارتبط المسلمون في التعليم بمناهج منها الاهتمام بالقرآن الكريم فقد كان عمر رضي الله عنه يوصي من يذهب من الصحابة إلى البلدان بذلك ، فعن قرظة بن كعب رضي الله عنه قال : « بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وشيئنا فمشى إلى موضع يقال له صرار^(١) فقال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال : قلنا لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق الأنصار . قال : لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أهدتكم به فأردت أن تحفظوه لِمِشاي معكم ، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزير كهزير المرجل^(٢) فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحاب محمد ، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنا شريككم »^(٣).

فيلاحظ هنا اهتمام عمر رضي الله عنه بهذا الأمر ، ومسيره معهم ، ثم محاولة إثارة انتباههم للسبب الذي حمله على المسير ، ثم بيان ذلك وهو أن يجرّدوا القرآن الكريم، ولا يتصور أن عمر رضي الله عنه ينهى الصحابة عن بيان ما يجب على الناس وما يسن لهم مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعل معناه النهي عن « الحديث عن أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس السنن والفرائض »^(٤).

ومن مناهجهم الربط بين العلم والعمل فمن كلام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه « ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَفَ بليته إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكاؤه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . [الحموي، معجم البلدان ٣/٣٩٨].

(٢) المرجل : الإناء الذي يغلي فيه الماء سواء كان من حديد أو صفر أو حجارة أو خزف. [ابن منظور، لسان العرب ١٣/٦٧].

(٣) سنن ابن ماجه ١/١٢ ، المقدمة ، باب ٣ ، حديث ٢٨ . قال الألباني : صحيح بإسناد الحاكم ووافقه الذهبي ، صحيح سنن ابن ماجه ١/١١ ، رقم الأثر ٢٦-٢٨ . سنن الدارمي ١/٨٥ .

(٤) سنن الدرّامي ١/٨٥ .

إذا الناس يختالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً
حكيماً حليماً عليماً سكيناً ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا
غافلاً ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً» (١) .

ومن كلامه أيضاً : « ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكن العلم
الخشية» (٢) . وقال : « تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا » (٣) .

وقال : « ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه ، وويل لمن يعلم ثم لا
يعمل سبع مرات » (٤) .

ووعظ أبو موسى الأشعري قراء البصرة ، فكان مما قال : « وكنا
نقرأ سورة كنا نشبها بإحدى المسبحات فأنسيتها ، غير أنني حفظت
منها { يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون } (٥) ، فتكتب شهادة في
أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» (٦) . وقال مسروق : « كفى بالمرء
علماً أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله» (٧) .

ومن مناهجهم الاهتمام بالمفيد النافع وترك ما سواه ، فعن أبي
البخري قال : « صحب سلمان - رضي الله تعالى عنه - رجل من بني
عبس قال : فشرب من دجلة شربة ، فقال له سلمان : عد فاشرب . قال
: قد رويت . قال : أترى شربتك هذه نقصت منها ؟ قال : وما ينقص

(١) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ١/١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ١/١٣١ .

(٣) المصدر السابق ١/١٣١ .

(٤) المصدر السابق ١/١٣١ .

(٥) آية ٢ من سورة الصف .

(٦) صحيح مسلم ١/٧٢٦ ، كتاب الزكاة ، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ،
حديث ١١٩ ، رقم الحديث العام ١٠٥٠ . أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٢٥٦-٢٥٧ ، تحقيق وتعليق
: د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .

(٧) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢/٩٥ .

منها شربة شربتها . قال : كذلك العلم لا ينقص ، فخذ من العلم ما ينفعك»^(١).

وقد سلك المسلمون عدة أساليب في التعليم منها المشافهة بالحديث وهو كثير ، ومنها المساءلة من التلاميذ للأستاذ ليتضح لهم ما خفي عليهم ، والعكس ليتأكد الأستاذ من فهم الطالب واستيعابه ، ومن أمثلة ذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قدم الكوفة اجتمع عليه أصحاب عبدالله رضي الله عنه وأخذوا يسألونه وعلي رضي الله عنه يجيبهم ، ثم سأله شريح -رحمه الله- عن مثل ما سأله عنه وأكثر ، فلما انتهى سأله علي رضي الله عنه عن حفظه لما سأل عنه فأخبر أنه حفظه ، فطالب علي رضي الله عنه منه أن يعيده فأعاده عليه ، فقال له علي ر: « اذهب فأنت أفضى العرب»^(٢) . وجمع علي رضي الله عنه القراء لإحساسه بدنو مفارقتهم فجعل يسألهم وهم يجيبون^(٣) .

وتنقل بعض الروايات شيئاً من مضمون المساءلات مثل سؤال علي رضي الله عنه لشريح عن رجل طلق امرأته فحاضت في شهر ثلاثاً ، فقال شريح : « إن شهد أربعة من نساءها بذلك فقد بان» فحسن علي حكمه^(٤) . ومنها المدارس ومن ذلك أن عبدالله بن مسعود رطلب من تلميذه علقمة بن قيس -رحمه الله- أن يمسك عليه سورة البقرة فلما أتمها سأله قائلاً: هل تركت منها شيئاً؟ فقال علقمة: حرفاً واحداً . فقال عبدالله: كذا وكذا؟ فقال علقمة: نعم^(٥) .

(١) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٥٤٤ .

(٢) وكيع ، أخبار القضاة ٢/١٩٥ .

(٣) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلکان (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان

وأبناء أبناء الزمان ٢/٤٦٢ ، تحقيق : د. إحسان بن عباس ، دار صادر ، بيروت .

(٤) وكيع ، أخبار القضاة ٢/١٩٤ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦/٩٠ .

ولعل تركه للحرف متعمداً بدليل قوله: كذا وكذا فهو يعرفه؛ ولعل ذلك لاختبار تلميذه.

ومنها الكتابة فقد خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس فقال: من يشتري علماً بدرهم؟ فاشترى الحارث الأعور صحفاً بدرهم ثم أحضرها إلى علي رضي الله عنه فكتب له فيه علماً كثيراً^(١).

كما أن الرسائل كانت أحد أساليب التعليم ومن ذلك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشريح - رحمه الله - وفيه: «اقرأ في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة»، وفي الأخيرين بفاتحة الكتاب»^(٢)، وكتب عمر لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - يوجهه في القضاء^(٣)، وغير ذلك من الأمثلة^(٤).

وبجانب اهتمام المسلمين بمناهج التعليم وأساليبه فقد اهتموا بالوسط العلمي، بحيث لا يحدث فيه تشويش بإثارة الشبه، وتأديب من يفعل ذلك، ويعتبر تأديب صبيغ الحنظلي^(٥) بالعراق دليلاً على ذلك، فقد كان يسأل عن أشياء من متشابه القرآن في أجناد المسلمين، فأرسل إلى عمر وبعد مساءلته قام بضربه وسجنه عدة مرات حتى أظهر التوبة، فبعث به إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأمره أن لا

(١) المصدر السابق ١٦٨/٦.

(٢) وكيع، أخبار القضاة ١٩٢/٢.

(٣) ابن القيم، أعلام الموقعين ٨٥/١-٨٦.

(٤) انظر مجموعة من الأمثلة في أخبار القضاة لوكيع ١٩١/٢-١٩٤.

(٥) هو صبيغ بن عسل بن سهل الحنظلي، وكان كبيراً في قومه سيدياً فيهم، ثم صار وضعياً بعد سؤاله عن المتشابه وتأديب عمر له. [ابن حجر، الإصابة ١٩٨/٢-١٩٩.

[١٩٩

يجالسه أحد، فلما حسنت سيرته راجع فيه أبو موسى عمر - رضي الله عنهما- فأذن في مجالسته^(١).

كما لم يكن القيام بمهمة التعليم مرتعا هملا من شاء دخل إليه ورتع ، بل كانت الرقابة قائمة من قبل الخلافة على هذا الأمر يشاركها في ذلك المسلمون ، فعن علقمة -رحمه الله- قال : « جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فقال :جئت ياأمير المؤمنين من الكوفة ، وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه ، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل ، فقال: من هو ويحك ؟ قال: عبدالله بن مسعود ، فما زال يطفأ ويسرى^(٢) عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ، ثم قال : ويحك ! والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه»^(٣).

وكان المسلمون يشجعون طلاب العلم مادياً ومعنوياً فمن ذلك قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما قرأ عليه علقمة -رحمه الله- : « رتل فداك أبي وأمي فإنه زين القرآن »^(٤). ففي هذا تشجيع معنوي بالاستماع له والاعتباط بذلك حتى فداه بأبيه وأمه. وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذا دخل عليه الربيع بن خيثم -رحمه الله- لم يأذن لأحد حتى يقضي كل واحد منهما من صاحبه حاجته^(٥) ، وهذا يدل على نوع من التشجيع وهو تلك الوشيجة القوية التي كانت تربط بين طالب العلم وأستاذه ، رابطة في الله وطلب العلم له لا شيء سوى ذلك .

(١)عبدالقادر بن بدران (ت ١٣٤٦هـ) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٣٨٧/٦ ، دار المسيرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ، بيروت .

(٢)يسرى عنه: يكشف عنه . [الرازاي ، مختار الصحاح ص ٢٩٧] .

(٣) مسند الإمام أحمد ١/٢٥-٢٦ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ١/٣٩٨ .

(٤)ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦/٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٥)المصدر السابق ٦/١٨٢ .

ومن تشجيعهم والاهتمام بهم الكتابة إلى الخليفة بعددهم ، فقد جاء إلى عمر رضي الله عنه كتابا فيه أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فكبر رضي الله عنه (١).

وكان عمر ريوصي بهم خيراً فمن ذلك كتابه لأبي موسى وهو بالبصرة قائلاً: « بلغني أنك تأذن للناس جمعا غفيرا ، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة» (٢).

وبجانب التشجيع المعنوي يأتي التشجيع المادي ، فعندما ختم القرآن سبعة من أهل البصرة بعثهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما وصلوا إليه فرض لهم ألفين ألفين (٣).

ولم تكن استفادة العلم في الحضر فقط ، بل كانت أيضا في السفر وفي ميادين القتال ، ومن الأمثلة على ذلك قصر عبدالله بن عمر ومن معه الصلاة بأذربيجان

أربعة أشهر أو شهرين (٤)، ومنها صلاة الأمراء بالجيش صلاة الخوف كما صلى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بمن معه فتعلموا ذلك

(١) الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ٥٤٠/٣.

(٢) ابن الجوزي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٣٠.

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢٣/٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ٨٣/٢ ، ١٥٤ . قال البنا: هذا الأثر ذكره الحافظ في التلخيص ولم يتكلم عليه وأخرجه البيهقي بسند قال الحافظ صحيح بلفظ: « إن ابن عمر أقام بأذربيجان ستة أشهر يقصر = الصلاة . قلت : هذا الأثر أورده الهيثمي بلفظه كما في الباب وقال: لابن عمر أحاديث في الصحيح وغيره بغير هذا السياق رواه أحمد ورجاله ثقات ، بلوغ الأمان ١١٢/٥ .

منه^(١). وكصلاة حذيفة بن اليمان بطبرستان بأمر من الأمير سعيد بن العاص^(٢). ومنها عفو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن أبي محجن ولم يُقِم عليه حد الخمر؛ نظراً لحسن بلائه في القادسية ، وهو بهذا اتبع شرع الله عزوجل ؛ لأن ما جاء به أبو محجن من الحسنات في ذلك قد غمر سيئة الخمر الواحدة وجعلها كقطرة من النجاسة اختلطت بماء البحر ، يضاف إلى هذا أنه قد رأى منه علامات التوبة الصادقة إذ لا يظن بمسلم الإصرار في ذلك الزمن الذي يغلب على ظن المرء قدومه على ربه عزوجل ، كما أنه قد سلم نفسه لسعد روأعاد نفسه للقيد طوعاً ، وهو بهذا استحق أن يوهب له حده^(٣).

وبهذا يتبين أن التعليم كان مما حظى بعناية المسلمين واهتمامهم ، من حيث جعله أحد المهام التي تضطلع بها الدولة الإسلامية ، عن طريق إسناده للولاة الأكفاء أو أحد كبار العلماء ، ورسم المنهج له ، وإبعاد كل ما من شأنه أن يشوش عليه ، وتشجيع طلابه ، وحثهم على تحصيله ، كما كان المسلمون من الطلاب حريصون كل الحرص على تحصيل العلم واكتسابه ولو تجشموا الصعاب والسفر في سبيله.

(١) الإمام عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) ، كتاب الجهاد ص ١٨١-١٨٢ ، تحقيق : د. نزيه حماد ، المكتبة العصرية ، ١٣٩٨ .

(٢) سنن أبي داود ٣٨/٢ ، كتاب الصلاة ، باب ٢٨٧ من قال: يصلي بكل طائفة ركعة ولا يقضون ، رقم الحديث ١٢٤٦ . سنن النسائي ١٦٧/٣-١٦٨ ، كتاب صلاة الخوف ، رقم الحديث ١ ، ٢ . قال الألباني عن كل منهما: صحيح ، انظر صحيح سنن النسائي ٣٣٤/١ ، رقم الحديث ١٤٣٨ .

(٣) ابن القيم ، أعلام الموقعين ٧١/٣ . وانظر مثالا في صحيح البخاري ٢٢٧/٤ ، كتاب صلاة الخوف ، باب ٤ الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو ، حيث لم يصلوا الفجر إلا بعد ارتفاع النهار .

الفصل الرابع الدعوة بالعمل

لقد اهتم الإسلام بالناحية العملية وأكد عليها تأكيداً عظيماً من حيث آثارها في الحياة الدنيا ، وما تعود به في الآخرة ، وقد رَبَّت الآيات التي تقرن العمل بالإيمان على سبعين آية ^(١) منها قول الله تعالى : { والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } ^(٢) .
ومن ألوان الدعوة بالعمل ما يلي :

أولاً- جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه :

اتسعت البلاد الإسلامية في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتشر المسلمون في الأمصار ، وخرج جيل جديد بحاجة إلى تعلم القرآن ، وبَعُد عهد الناس بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والوحي ، وكان كل بلد من البلاد الإسلامية يقرأ بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة ، فمثلاً أهل الكوفة يقرؤون بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأهل الشام بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه وهكذا غيرهم يقرأ بقراءة من اشتهر من الصحابة عندهم . فحصل بينهم اختلاف ، واتسع نطاق الشقاق والنزاع فوصل إلى أن كَفَّر بعضهم بعضاً ، ولم تسلم بلد من هذا الداء حتى عم الحجاز والمدينة ^(٣) .
ولاحظ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وجود هذا الاختلاف عندما كان مع الجيش الإسلامي في غزو أذربيجان وأرمينية ، كما لاحظ

(١) د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ص ٢٠٤ .

(٢) سورة العصر كلها .

(٣) محمد بن عبدالعظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٢٤٨-٢٤٩ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

تمسك كل بقراءته وتكفير بعضهم لبعض ففرع من ذلك ، وجاء إلى عثمان رضي الله عنه فأخبره بذلك ، وأكبر الصحابة - رضي الله عنهم - هذا الأمر وأجمعوا على أن يجمعوا الناس على الصحف التي كانت عند أبي بكر رضي الله عنه ، فأحضرها عثمان رضي الله عنه وكلف زيد بن ثابت الأنصاري^(١) ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام^(٢) القرشيين - رضي الله عنهم - بنسخ المصاحف ، وأمرهم إن وُجد اختلاف بين القرشيين والأنصاري أن يكتبوه بلسان قريش ؛ لأن القرآن نزل بلسان قريش ثم أرسل عثمان رضي الله عنه إلى كل أفق بمصحف وأمر بحرق ما سواه^(٣) .

ولقد أبعدهم هذا العمل شبح فتنة عمياء كادت تعصف بالمسلمين في كل مكان، ومنها العراق وفارس ، « فإن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية فإذا قرأها قال : فإني أكفر بهذه ، ففشى ذلك في الناس واختلفوا في القراءة ، فكلّم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك فأمر بجمع المصاحف فأحرقها ، وكتب مصاحف ثم بثها في الأجناد»^(٤) .

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي أبوسعيد ، استصغر يوم بدر ، ويقال : شهد أحداً، ويقال : أول مشاهده الخندق ، وكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض ، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين . [ابن حجر ، الإصابة ١/٥٦١-٥٦٢] .

(٢) عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي أبو محمد المدني ، ابن عم عكرمة بن أبي جهل، ولد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وراه ، ولم يحفظ عنه شيئاً ، روى عن بعض الصحابة ، وروى عنه بعض التابعين ، وهو مدني ثقة ، مات سنة ثلاث وأربعين . [المزي ، تهذيب الكمال ١٧/٣٩-٤٤] .

(٣) صحيح البخاري ٦/٩٩ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٣ جمع القرآن . السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ١/١٠٢ ، مطبعة حجازي ، ط ٣ ، ١٣٦٠ هـ ، القاهرة .

(٤) ابن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ٣/٩٩٩ .

ثانياً - تطبيق الأحكام الشرعية:

ومن طرق الدعوة العملية تطبيق بعض الأفراد المعروفين بالعلم والمكانة الرفيعة بعض الأحكام الشرعية فيستفيد منها من يراهم .
ومن ذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه شرب قائماً في رحبة الكوفة ثم قال: « إن ناسا يكرهون الشرب قائماً ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل الذي صنعت»^(١).
كان بإمكان علي رضي الله عنه تبليغ حديث شرب النبي صلى الله عليه وسلم قائماً ، لكنه لم يفعل ذلك، ولعل الحامل له على هذا عمق كراهية الشرب قائماً ورسوخها عند بعض الناس ، فأراد أن يزيلها عن طريق التنفيذ العملي بجانب التبليغ الشفوي .

وجلس علي رضي الله عنه بعدما صلى الفجر في الرحبة ، ثم قال لغلامه : انتني بطهور ، فأتاه الغلام بإناء فيه ماء ، « فأخذ بيمينه الإناء فأكفأه على يده اليسرى ثم غسل كفيه ، ثم أخذ بيده اليمنى الإناء فأفرغ على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه ، فعله ثلاث مرار كل ذلك لا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى في الإناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى في الإناء فغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق ، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات إلى المرفق ، ثم أدخل يده اليمنى في الإناء حتى غمرها الماء ، ثم رفعها بما حملت من الماء ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم مسح رأسه بيديه كلتيهما مرة ، ثم صب بيده اليمنى ثلاث مرات على قدمه اليمنى ثم غسلها بيده اليسرى ، ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليسرى ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب ، ثم

(١) صحيح البخاري م ٢ ج ٢٤٨/٦ ، كتاب الأشربة ، باب ١٦ الشرب قائماً .

قال هذا طهور نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أحب أن ينظر إلى طهور نبي الله صلى الله عليه وسلم فهذا طهوره»^(١).

ونلاحظ هنا أن علياً رقد قام بالتطبيق العملي لطهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بيّن أن هذا طهوره صلى الله عليه وسلم ، وابتعد عن الشرح النظري المجرد ؛ لأن التنفيذ المشاهد أرسخ في الذهن ، وأيسر للفهم ، وأقرب إلى النفس .

ورأى ابن عمر سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما - يمسح على خفيه بالعراق حين يتوضأ فأنكر عليه ، ثم اجتمعوا عند عمر بن الخطاب فسأل ابن عمر أباه -رضي الله عنهما - عن ذلك بتوجيه من سعد فأيد عمر سعداً رضي الله عنه وقال : « إذا حدثك سعد بشيء فلا ترد عليه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسح على الخفين»^(٢). ومع أن ابن عمر رضي الله عنه قد تشكك في الحكم ابتداءً إلا أنه قد استفاده أخيراً .

ولئن كان ابن عمر رضي الله عنه بهذه الصفة من التثبّت فإن غيره يستفيد من التطبيق رأساً إذا كان المطبق من الثقات ، بل ينقل ذلك إلى غيره ؛ لتعم الفائدة كما فعل كعب بن عبد الله قال : « رأيت علياً قام فبال ، ثم توضأ ومسح على جوربيه ونعليه ، ثم قام فصلى لنا الظهر»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد ١/١٣٥ ، قال أحمد بن شاکر : إسناده صحيح ، مسند الإمام أحمد شرح وفهرسة : أحمد بن شاکر ٢/٢٦١ ، رقم الحديث ١١٣٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد شرح وفهرسة : أحمد بن شاکر ١/١٩١ ، رقم الحديث ٨٧ وقال أحمد بن شاکر : إسناده صحيح . صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١/٣٠٥ ، كتاب الوضوء ، باب ٤٨ ، المسح على الخفين ، رقم الحديث العام ٢٠٢ إلا أن البخاري لم يذكر أن الإنكار في العراق .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٦/٢٣٢ ، وهذا الأثر وإن لم يصرح أنه في الكوفة إلا أن راويه هو كعب بن عبد الله ، وهو من أهل الكوفة كما أن قوله في الأثر فصلى بنا يدل على أنه في زمن خلافته؛ إذ أن الخلفاء ؛ والولاية هم الذين يؤمنون الناس في ذلك العصر .

وسافر علي رفقصر الصلاة وهو يرى البيوت فلما رجع قيل له
هذه الكوفة قال : « لا حتى ندخلها »^(١).

وعن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق قال : « قلت لأبي : ياأبت
، إنك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
وعثمان وعلي ها هنا بالكوفة نحواً من خمس سنين فكانوا يقتنون في
الفجر ؟ فقال : أي بني ، محدث »^(٢).

فقد حكم طارق رضي الله عنه بكون القنوت في الفجر دائماً
محدث من خلال صلاته خلف المذكورين في الحديث ومنهم علي بن
أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة فكان التطبيق العملي هو مناط
الاستفادة .

ولما سار علي رضي الله عنه إلى الخوارج لقيه في مسيره منجم
فأشار عليه بالسير في زمن معين وحذره من السير في غيره وإلا
أصابه ضر شديد فما كان من علي إلا أن خالفه وسار في الزمن الذي
نهاه عن السير فيه ، فلما انتهى من حرب الخوارج حمد الله وأثنى عليه
وقال : « لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين
لا يعلمون : سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر »^(٣) . وهكذا
أبطل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرية المنجم وأبطل مصدوقيته
بالعمل ، كما أبطلها بالمحاجة والمنطق بالإضافة إلى زجره للمنجم
وتحذير الناس منه .

ولو أن علياً رأمسك بكلام المنجم ففنده تفنيدياً مفصلاً وألف في ذلك
كتاباً منمقاً لكنه سار في الوقت الذي حدده له المنجم لشك الناس في
مصدوقية كلام علي رضي الله عنه وضعفت حجته وخفتت كلمته ، لكن

(١) صحيح البخاري م ١ ج ٣٦/٢ ، كتاب تقصير الصلاة ، باب ٥ .
(٢) سنن ابن ماجه ٣٩٣/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ١٤٥ ما جاء في
القنوت في صلاة الفجر ، رقم الحديث ١٢٤١ . قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن
ابن ماجه باختصار السند ٢٠٨/١ ، رقم الحديث ١٠٢٦-١٢٤١ .
(٣) تاريخ الطبري ٨٣/٥ .

علياً ريدرك كل هذا فما كان منه إلا أن سارع إلى المخالفة؛ لينزع من النفوس أي لون من ألوان الشك والريبة .

ثالثاً - تطبيق العقوبات والحدود :

كان السلف - رضوان الله عليهم - يبادرون إلى إقامة الحدود وإيقاع العقوبات ؛ ليرتدع الجاني ويعتبر غيره ، ويعم الرخاء والأمن ربوع البلاد الإسلامية، وهناك أمثلة على ذلك منها:

أن شباباً من أهل الكوفة تكاتفوا على ابن الحيسمان الخزاعي وقتلوه ، وقامت البيعة عليهم ، فكتب الوالي إلى عثمان رضي الله عنه في ذلك فأمره بقتلهم ، فقتلهم الأمير على باب القصر في الرحبة^(١).

وعلم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بأن مسجد بني حنيفة مسجد عبدالله بن النواحة^(٢) يؤذن فيه بأن مسيلمة الكذاب رسول الله ، وأن أهل المسجد على ذلك ، فاستحضرهم ابن مسعود رضي الله عنه واستجوب ابن النواحة فأقر بذلك ، واستتابه فأبى؛ فأمر أمير الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري ، فأخرجه إلى السوق فضرب رأسه ، واستتاب البقية فتابوا فكفلهم عشائرهم^(٣).

وجيء إلى الوليد بن عقبة رضي الله عنه بساحر فأرسل إلى ابن مسعود رضي الله عنه يسأله عن حده ، فجاء ابن مسعود رضي الله

(١) تاريخ الطبري ٢٧١/٤-٢٧٢ .

(٢) ابن النواحة هو أحد الرسولين اللذين أرسلهما مسيلمة الكذاب إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وشهد أمام الرسول بأن مسيلمة رسول الله ، والآخر هو ابن أثال وقد أسلم . [ابن كثير ، البداية والنهاية ٥/٥٢] .

(٣) البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ٢٠٦/٨ . المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، جامع الأصول ٤٨٥/٣ . قال عبدالقادر الأرناؤوط : إسناده حسن . تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ .

عنه فاستجوبه وتأكد أنه ساحر فحكم بقتله ، وعزم الوليد رضي الله عنه على تنفيذ ذلك ، بيّد أن أحد المسلمين استعجل فقتله ، فكتبوا فيه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بتعزيره ، ونهى الناس عن إقامة الحدود دون السلطان^(١).

وبلغ عثمان بن عفان رضي الله عنه أن ابن ذي الحبة النهدي يعالج نيرجا^(٢) فبعث إلى واليه ليتأكد من ذلك ثم يعاقبه ، فدعا به فسأله فأخبره أنما يفعله إنما هو أمر يعجب منه فعزّره وأخبر الناس أمره ، وقرأ عليهم كتاب عثمان رضي الله عنه « إنه قد جدّ بكم فعليكم بالجد وإياكم والهزّال »^(٣).

وكان علي رضي الله عنه حريصاً على إقامة الحدود ، فمن كلامه : « لا أوتى بأحد يُفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفترى »^(٤).

واعترفت امرأة من أهل الكوفة^(٥) بالزنا عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجلدها يوم الخميس مائة ، ورجمها يوم الجمعة ، وحفر لها إلى السرة ، ثم قال : « إن الرجم سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان شهد على هذه أحد لكان أول من يرمي الشاهد ، يشهد ثم يتبع شهادته حجره ، ولكنها أقرت فأنا أول من رماها » ، فرماها بحجر ثم تبعه الناس في الرمي^(٦).

(١) تاريخ الطبري ٢٧٥/٤ .

(٢) النيرج : أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته . [ابن منظور ، لسان العرب ١٠٢/١٤] .

(٣) تاريخ الطبري ٤٠١/٤ .

(٤) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، كتاب التوبة ص ٥٧ ، دار ابن حزم ، مؤسسة الريان ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ ، بيروت .

(٥) مسند الإمام أحمد ٩٣/١ .

(٦) البنا ، الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٩٤/١٦-٩٥ . قال البنا : سنده جيد وأصله في الصحيحين .

ولما خرجت الخوارج قام علي رضي الله عنه بقتالهم وانتصر عليهم^(١) وبشّر من قاتلهم بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة^(٢) فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة »^(٣).

وارتد مجموعة من النصارى في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد وجه إليهم معقل بن قيس ، فعرض عليهم الإسلام فرجعوا إلا رجلاً مسناً يقال: له الرماحس بن منصور أبي فقتله^(٤) تنفيذاً لحد الردة .

الفصل الخامس الترغيب والترهيب

من الأساليب الرائعة في الدعوة إلى الله عزوجل أسلوب الترغيب والترهيب ؛ فالترغيب يجذب المدعو ويقربه ، والترهيب يزجره

(١) ابن حجر ، فتح الباري ٢٨٤/١٢ .

(٢) الرميّة: الشيء الذي يرمى به . [ابن حجر ، فتح الباري ٢٨٨/١٢] .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ٢٨٣/١٢ ، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب ٦ قتل الخوارج والملحدّين بعد إقامة الحجة عليهم ، رقم الحديث ٩٦٣٠ .

(٤) تاريخ الطبري ١٢٨/٥ .

ويبعده « وللرغبة والرغبة تأثير عظيم في معاونة الاعتقاد ، كما أن للاعتقاد تأثيراً عظيماً في الفعل والترك »^(١).

ولقد أخذ هذا الأسلوب من القرآن الكريم ، فهو معلّم من معالمه ، فهو بشير ونذير يجمع بين الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ؛ ذلك أن مُنزلَه سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان لا يحركه إلى الخير ولا يزرجه عن الشر إلا رجاء ونفع ومصلحة أو خشية ضرر ومفسده ، كما أخذ هذا الأسلوب من السنة النبوية فنصوصها زاخرة بهذا^(٢).

والترغيب : هو كل ما يدفع المدعو إلى قبول الحق ولزومه والثبات عليه^(٣).

والترهيب : هو كل ما يخيف المدعو من رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٤).

ولقد استخدم المسلمون الفاتحون هذا الأسلوب ، ويظهر أسلوب الترغيب فيمايلي :

- أولاً - إسقاط الجزية .
- ثانياً - المساواة بين قدماء المسلمين ومسلمي الفرس .
- ثالثاً - منحهم العطاء .
- رابعاً - إبقاء من له سلطة على سلطته أو وعده بذلك .
- خامساً- إسناد بعض المناصب إليهم .

أولاً - إسقاط الجزية :

(١) شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن يتيمة ، كتاب التوبة ص ٣٣ .
(٢) ألف الإمام ابن حجر كتاب في هذا الفن بعنوان الترغيب والترهيب . وكذا عبدالعظيم المنذري .
(٣) عبدالكريم بن زيدان ، أصول الدعوة ص ٤٢١ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٢١ .

من ألوان الترغيب إسقاط الجزية عن دخل في الإسلام^(١)، وقد حرص المسلمون على تطبيق ذلك في عصر الخلفاء الراشدين ، وممن أسقطت عنه الجزية لإسلامه مجموعه من دهاقين السواد مثل جميل بن بصبهري^(٢)، وبسطام بن نرسي^(٣)، وغيرهم^(٤).
وليس من شك أن إسقاط الجزية عن أسلم يعد عاملاً قوياً في نشر الإسلام وإقبال الشعوب عليه^(٥).

ثانياً - المساواة بين قدماء المسلمين ومسلمي الفرس:

لم يقف الترغيب عند حد إسقاط الجزية عن أسلم ، بل إن من ألوان الترغيب عدم التفرقة بين من أسلم من الفرس وبين المسلمين ، فالجميع عباد الله يتفاضلون بالتقوى^(٦).

ومن التطبيقات العملية لهذا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم بإلحاق من أسلم من العجم ممن أعتقوا بمواليهم ، لهم ما لهم وعليهم ، ما عليهم وإن رغبوا أن يكونوا قبيلة مستقلة أن يجعلوهم اسوتهم في العطاء والمعروف^(٧).

(١) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٦٠

(٢) هو جميل بصبهري دهقان الفلاليح والنهرين. [البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٦٥] .

(٣) هو بسطام بن نرسي دهقان بابل. [المصدر السابق ص ٢٦٥] .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٦٥ . وانظر أمثلة أخرى عند أبي عبيد ، كتاب الأموال ص ٥٩ ، ٦٠ . حمد بن زنجويه (ت ٢٥١هـ) ، كتاب الأموال ١/١٧٣ ، ١٧٤ .

(٥) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢١٠ .

(٦) تاريخ الطبري ٤/٣١١ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣/١٨ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٤٤ . ابن زنجويه ، الأموال ٢/٥٢٣ . أبو عبيد ، الأموال ص ٣٠٠ .

وعندما بلغ عمر رضي الله عنه أن أحد ولاته لما قدم عليه قوم من العرب والموالي أعطى العرب وترك الموالي كتب إليه : « أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، وفي رواية كتب إليه : « ألا سويت بينهم »^(١) . وعندما أسلم الهرمزان فرح أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بإسلامه وقربه وخالطه المسلمون^(٢) . ولما أسلمت المرأة صاحبة حصن المرأة^(٣) تزوجها المعنى بن حارثة^(٤) ، وزوج أنس بن مالك رضي الله عنه أبا محمد بن سيرين ابنة أخيه البراء بن مالك رضي الله عنه^(٥) .

ولذلك فقد رغب في الدين الإسلامي ، ورحب به ، واعتنقه عدد كبير من

الفرس لاسيما الصناع وأرباب الحرف وأهل الطبقة العاملة^(٦) ، « وهم الذين كان يُنظر إليهم أمام القانون باحتقار وازدراء ، ولما في اعتناقهم الإسلام من تركهم في الحال أحرارا ، ومساواتهم في المذهب الديني »^(٧) .

ولعل مما يحسن ذكره هنا ما رآه الفرس من المسلمين من كسر للامتيازات التي كان الأكاسرة قد وضعوها لأنفسهم ، ولعل ما حدث بعد وقعة السقاطية بكسكر يشير إلى ذلك ، فقد كان في جملة الغنائم التي غنمها المسلمون النرسيان وهو نوع من التمر يحميه أمير كسكر

(١) أبو عبيد ، الأموال ص ٣٠٠ .

(٢) ابن أعم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢/٢٥ .

(٣) هكذا سماه ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢/٢٦٣ ، ولم أجد له ترجمة ، ويفهم من سياق الطبري أنه قريب من نهر المرأة وهذا النهر بالبصرة . [الحموي ، معجم البلدان ٥/٣٢٣] .

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٥٠ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/١٢١ .

(٦) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٧ ، ترجمة : د. حسن بن إبراهيم بن حسن وأخران ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م ، القاهرة .

(٧) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٧ .

، ولا يأكله إلا كسرى أو من أكرموه بشيء منه ، ويمنع غيرهم من غرسه فما كان من المسلمين إلا أن قاموا بإطعامه للفلاحين^(١).

ثالثاً - منحهم العطاء :

ومن ألوان الترغيب بذل العطاء للفرس فقد أمر عمر رضي الله عنه بمنح مسلمي الفرس من العطاء^(٢). وممن فرض له العطاء من الفرس الهرمزان فرض له عمر في ألفين^(٣)، كما فرض لغيره من أشرف الأعاجم مثله ألفين^(٤). بل إن بعض الفرس يشترط لإسلامه أن يفرض له ولولده كما فعل ذلك رجل مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في فتح تستر^(٥).

وبعضهم لا يكتفي باشتراط العطاء فقط بل يزيد على ذلك شروطاً أخرى كما في جند شهانشاه ، وكانوا أربعة آلاف مع رستم في القادسية فاستأمنوا واشترطوا أن ينزلوا أينما رغبوا ، ويحالفوا من يشاءوا ، ويفرض لهم في العطاء ، فأعطوا كل ذلك^(٦). وكما في سياه وأصحابه فإنهم اشترطوا لإسلامهم أن يقاتلوا مع المسلمين العجم ، ولا يقاتلوا العرب ، وإن اعتدى أحد من العرب عليهم منعوهم منه ، وأن ينزلوا أينما أحبوا ، ويكونوا فيمن رغبوا ، وأن يلحقوا بأشرف العطاء فأعطاهم عمر رضي الله عنه كل ذلك^(٧). وهؤلاء وإن اشترطوا لإسلامهم في البداية إلا أنه قد حسن إسلامهم فيما بعد^(٨).

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٣٠٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٠١ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٣ . ابن زنجويه ، الأموال ٢/٥٠٣ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٣ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٧٩ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٦ ، تاريخ الطبري ٤/٩٠ .

(٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٦ .

ولما سمع السياجة والزط والاندغار^(١) وكانوا في جند الفرس بأمر الأساورة أسلموا^(٢)؛ ولعلمهم سمعوا بما أعطاهم المسلمون ، إضافة إلى عامل الاتباع والتأسي.

وبعض الفرس يستأمن ولا يسلم ، ثم يسلم بعد ذلك ؛ ويرى أن من سبقه إلى الإسلام كان أصوب منه فلا فلاح للفرس بعد رستم^(٣) ، فهو إذن يرغب في الفلاح عند المسلمين.

رابعاً - إبقاء من له سلطة على سلطته أو وعده بذلك :

ومن ألوان الترغيب إبقاء الأمراء على إمارتهم أو وعدهم بذلك ، ومنه وعد الرسول صلى الله عليه وسلم لبازان إن أسلم أن يقره على ما تحت يده ويملكه على قومه^(٤)، وعندما أسلم جابان ولاه أبو عبيد على أرضه^(٥).

ولما اعتنق الإسلام مجموعة من دهاقين السواد أقرهم عمر بن الخطاب ر على إمارتهم على بلادهم^(٦).

وقال المغيرة بن شعبه رضي الله عنه لرستم : « فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله وتدخل في ديننا، فإن آمنت كان لك بلادك لا ندخلها عليك إلا بإذناك»^(٧).

خامساً - إسناد بعض المناصب إليهم :

(١)الاندغار: قوة كانت في جند الفرس ممن سبوه من أهل السند.[البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٨].

(٢)البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٨ .

(٣)تاريخ الطبري ٥٦٦/٣ .

(٤)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٤٦/٢ .

(٥)ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ١٦٦/١ .

(٦)تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢ .

(٧)مطهر بن طاهر المقدسي ، كتاب البدء والتاريخ ١٧٣/٥ ، مكتبة الأسد ، ١٩٦٢م ، طهران .

ومن أوجه الترغيب إسناد بعض المناصب إليهم إذا رأوا فيهم أهلية لذلك ، وفي ذلك إعلان لامتزاجهم بالمسلمين ، والثقة بهم وزوال أي شك فيهم ، كما أنه يلفت أنظار الفرس إلى رفع الإسلام لصاحبه ، ويستطيع هذا الوالي من الفرس أن ينشر الإسلام بينهم أكثر من غيره ، ويكون مثلاً يتأسى به الفرس .

ومن أمثلة ذلك أن جماعة من السياجة وكل المسلمون إليهم حماية بيت مال البصرة يقال : إن عددهم أربعون ، ويقال: أربعائة^(١). وأمر سعد بن أبي وقاص القعقاع بن عمرو -رضي الله عنهما- أن يخلف على الناس بجولاء قباذ^(٢)/^(٣)، كما كتب سعد إلى عبدالله بن المُعتمِّم -رضي الله عنهما-^(٤) أن يخلف مسلم بن عبدالله^(٥) أميراً على الموصل^(٦) ويجعل بعض الباحثين ذلك بالغادر الكثرة^(٧).
ومن ألوان الترغيب ما أوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الموت من إعتاق من كان مسلماً من رقيق الإمارة^(٨).

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٦٩ .

(٢) هو قباذ بن عبدالله الخراساني ، أحد كبار الفرس شهد لجولاء مسلماً ، ثم خرج مع القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، فلما فتحها القعقاع أنزلها المسلمين من الفرس وولى قباذ عليهم. [تاريخ الطبري ٢٨/٤ ، ٣٤ ، ٤٢] .

(٣) تاريخ الطبري ٤٢/٤ .

(٤) هو عبدالله بن المُعتمِّم العبسي ، أحد قادة المسلمين ، وهو الذي فتح الموصل وكان على مقدمة سعد بن أبي وقاص من القادسية إلى المدائن ، وسيره سعد من العراق إلى تكريت ومعه عرفجة بن هرثمة وربيعي بن الأفكل ففتح تكريت . [ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧١/٢-٣٧٢] .

(٥) هو مسلم بن عبدالله ، من أبطال الفرس وشجعانهم ، أسره طليحة بن خويلد ثم أسلم وسماه سعد بن أبي وقاص مسلماً ، وشهد القادسية وأبلى فيها بلاء حسناً ، وهو أحد الذين أخبروا سعد بمقاتل الفيلة. [تاريخ الطبري ٥١٢/٣-٥١٤ ، ٥٥٥] .

(٦) تاريخ الطبري ٤٢/٤ .

(٧) العمري ، الولاية على البلدان ص ١٥٢ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣٥٩/٣ .

كما أن الترهيب له أثره ، فإذا كان الإغراء لا يفيد في بعض الناس
فربما أفاد التخويف ، وللتخويف أثره في جذب الإنسان أو على الأقل
زرع الرعب في قلبه لتضعف عزيمته وبأسه .

وقد حاول المسلمون زرع الرعب في قلوب قادة الفرس راجين أن
يؤثر ذلك على موازين المعارك على أقل تقدير ، وهو ما صرح به
المغيرة بن شعبة حيث قال : « ففقت [يعني من عند الفرس] وقد
والله أرعبت العجج جهدي »^(١)، ومن أمثلة ذلك ما كان من أحد
المسلمين وقد أسره الفرس حيث قال لرستم لما سأله عن سبب مجيئهم
وما طلبتهم ؟ : « جننا نطلب موعود الله » ، ثم بين موعود الله بأنه
أرض الفرس وأبناؤهم ودمائهم إن أبو أن يسلموا . وقال : « فلا
يغرنك ما ترى حولك؛ فإنك لست تحاول الإنس إنما تحاول القضاء
والقدر »^(٢).

وقال زهرة لرستم : « قال الله لرسوله : إني قد سلطت هذه
الطائفة [يعني المسلمين] على من لم يدن بديني ، فأنا منتقم بهم منهم،
وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد
إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز »^(٣).

وهذا المعنى الذي قاله زهرة لرستم يظهر بوضوح في كلام رسل
المسلمين إلى الفرس .

ويعتبر الجهاد في سبيل الله وقتل المناوئين للمسلمين ممن يقف في
وجه الدعوة الإسلامية التي تنير البلاد أحد معالم الترهيب التي تقمع
شوكة الرؤساء والقبائل ، وتزيل عنهم غشاء الكبر والغطرسة ،
وتجعلهم يفكرون فيما جاء به المسلمون من دين ، ثم قد يشرح الله
صدورهم له ، فمثلا لما بلغ المرأة صاحبة حصن المرأة ما فعله المثني

(١) تاريخ الطبري ١١٨/٤ .

(٢) المصدر السابق ٥٠٨/٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٩/٢ .

رضي الله عنه ببعض الفرس من قتلهم وأخذ أموالهم صالحته وأسلمت^(١).

وفي فتح تكريت هرب الروم وتركوا أمراءهم لما رأوا انتصار المسلمين ، فبعثت القبائل العربية إلى قائد المسلمين عبدالله بن المعتم رضي الله عنه بالخبر ، وسأله الأمان وأخبروه بأنهم معه ، فأرسل إليهم: « إن كنتم صادقين بذلك فأسلموا » فأسلموا^(٢).

فانظر كيف لم يرسل إليهم عبدالله رضي الله عنه بالأمان مباشرة ، بل أغراهم بالأمان إن أسلموا فخافوا القتال فدخلوا في الإسلام . ومن ألوان الترهيب إلزام العدو بدفع الجزية عن يد وهو صاغر ، فبعض الناس يأنف من الجزية ويرهب ذلها فيدخل الإسلام ، فهذا الهرمزان لما بين بعض الصحابة لعمر رضي الله عنه أنه ليس له قتله بعد أن أعطاه الأمان ، وإنما له أخذ الجزية منه- قال الهرمزان : « إنه لا توضع الجزية على مثلي ، وأنا ملك وابن ملك غير أنني داخل في دين الإسلام طائعا غير مكره »^(٣).

وهؤلاء أشرف من أصبحن أنفوا من الجزية فأسلموا^(٤).

الفصل السادس المعاملة الحسنة

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٠ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٦٥ . تاريخ ابن خلدون ٤/٩٥١ .

(٣) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢/٢٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣١٠ .

إن الجيوش الإسلامية عندما توجهت لفتح البلاد المجاورة لم تكن
كغيرها من الجيوش الأخرى التي كان أكبر همها امتصاص خيرات
البلاد وإذلال أهلها واستعبادهم، وإنما كان الهدف هو تحرير هذه البلاد
من وطأة سلاطينها وجبابرتها حتى يفتح الباب لمن شاء أن يدخل في
الإسلام ؛ ولذلك حاولوا امتلاك قلوب أهالي البلاد بكل وسيلة ممكنة
من البر والإحسان ، ودينهم يحضهم على هذا .

قال الله تعالى : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم
يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين
. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم
وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون }
(١)

فالبر والقسط يؤمر المسلم بهما تجاه كل الناس حتى ولو كانوا غير
مسلمين ما لم يحاربوا دينه (٢)، « والإحسان لأهل الذمة مطلوب » (٣)؛
ولذلك لم يكن غريباً أن تكون المعاملة الحسنة إحدى المعالم الظاهرة
للعيان في تاريخ الفتوح ، وتحتل مكانة عالية عند أكبر شخصيات
الدولة فهذا عمر رضي الله عنه يوصي أهل العراق بأهل الذمة ، ويبين
أنهم عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٤)، كما أوصى عمر رضي الله

(١) آيتي ٨ ، ٩ من سورة الممتحنة .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٦ .

(٣) أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي المشهور بالقرافي (ت ٦٨٤هـ) ، الفروق ١٤/٣ ،
دار المعرفة ، بيروت وبذيل الصفحة إدراج الشروق على أنوار الفروق لابن الشاط
، وبهامش الصفحة تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية للشيخ محمد
بن علي .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥١/١ . صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري
٢٦٧/٦ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ٣ الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، غير أنه لم يذكر توجيه الكلام لأهل العراق .

عنه الخليفة من بعده بأهل الذمة خيراً، « وأن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم »^(١).

وكان أول كتاب لعثمان رضي الله عنه إلى عماله عقب مبايعته : « أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا حباة »^(٢)، وأول كتاب له لعمال الخراج جاء فيه : « والوفاء الوفاء ، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم »^(٣).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عماله بالرفق بأهل الذمة^(٤) وعدم ظلمهم^(٥).

وكان المسلمون ينصرون الذمي إذا ظلم ، فقد مرَّ عامر بن عبدالله^(٦) في الرحبة

فرأى ذمياً يظلم فلم يسكت وهبَّ لمساعدته وقال : « لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حي »^(٧).

فالمسلمون في فتوحاتهم الأولى تمسكوا بسننهم في تحرير الناس ، وأمانهم الذي شمل الأنفس والعقائد والأموال ، ولقد كانت تنتظم

(١) يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ) ، كتاب الخراج ص ٧٤ ، صححه وشرحه ووضع فهرسه: أحمد بن محمد بن شاكر ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧هـ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٤٤/٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٤٥/٤ .

(٤) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ٣٦/١ ، حققه وعلق عليه : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ، بيروت .

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢٠٠/٢ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٨٥/٣ .

(٦) عامر بن عبدالله بن عبدالقيس العنبري ويكنى أبا عمرو ، ويقال : أبا عبدالله من بني تميم ، كان رجلاً صالحاً عابداً تقياً كريماً ، كان يأخذ عطاءه من عمر ألفين فلا يمر بسائل إلا أعطاه ثم يأتي أهله فيلقيه إليهم فيعدونه فيجدونه لم ينقص منه شيء . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٣/٧-١١٢] .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٠٤/٧ . أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٩١/٢ .

المجاهدين وأهل البلاد المفتوحة مجموعة من الواجبات والحقوق تجعل الإنسان يتمتع بالحرية والكرامة^(١).

والحديث عن حسن المعاملة يوقفنا على الرد العملي على دعاة الحضارة والإنسانية ، فالإسلام قد سبق بل وفاق ما يوجد من ومضات إنسانية يسيرة في القوانين الوضعية الحالية ، وما من شك في أن مثل هذا التعامل سيؤدي إلى شيء من الود والتقدير للفاتحين وما يحملونه من دين ، وكما يقول ول ديورانت: « وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون ، أو بسبب هذه الخطة اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين ، وجميع الزردشتيين والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم ، وكثير من اليهود في آسيه ومصر وشمالى افريقية »^(٢).

ومن ألوان حسن المعاملة مايلي:

- أولاً - حرية التدين .
- ثانياً - حماية الأنفس والأبدان .
- ثالثاً - حماية الأعراض .
- رابعاً - حماية الأموال وحرية كسبها .
- خامساً- التسامح في الجزية .
- سادساً - حسن معاملة الأسرى .
- سابعاً - مراعاة منزلة عظمائهم .
- ثامناً - إجراء الصدقات عليهم .

أولاً - حرية التدين :

(١) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية ص ٢٠٢ .

(٢) قصة الحضارة ١٣/١٣٣ .

لقد أعطى الإسلام لأهل الذمة حرية التدين ، قال الله تعالى: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي }^(١).
وقد طبق المسلمون ذلك فأعطوا الأهالي حرية التدين ، ففي عهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لأهل ماه بهراذان^(٢)، وكذا عهده لأهل ماه دينار^(٣) «لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم»^(٤). وفي عهد سويد بن مقرن ر^(٥) لأهل قومس^(٦) أنهم آمنون على ملتهم^(٧)، وكذا في عهد عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان^(٨). وفي عهد حذيفة بن اليمان لأهل أذربيجان بأن لا يهدم لهم بيت نار^(٩).
وفي ظل هذا التسامح في الإسلام تخلص المواطنون من أشد ما كانوا يلقونه من معاناة ، وأثقل عبء يرزحون تحته وهو الاضطهاد الديني ، والذي يعتبر سمة ظاهرة في دولة الفرس قبيل ظهور الإسلام^(١٠).

(١) آية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٢) ماه بهراذان : في الناحية التي فيها حلوان . [الحموي ، معجم البلدان ٤٩/٥] .

(٣) ماه دينار : هي مدينة نهاوند . [الحموي ، معجم البلدان ٤٩/٥] . وقد سبق التعريف بنهاوند .

(٤) تاريخ الطبري ١٣٦/٤-١٣٧ .

(٥) سويد بن مقرن بن عائذ المزني أبو عدي الكوفي ، أخو النعمان بن مقرن ووالد معاوية بن سويد ، له صحبة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة منهم ابنه معاوية . [أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، كتاب التاريخ الكبير ١٤٠/٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . المزي ، تهذيب الكمال ٢٧٢/١٢] .

(٦) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع في ذيل جبال هيرستان . [الحموي ، معجم البلدان ٤١٤/٤] .

(٧) تاريخ الطبري ١٥٢/٤ .

(٨) المصدر السابق ١٥٥/٤ .

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢١ .

(١٠) د. محمد الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ١٦٤ ، دار الأنصار ، ط ٤ ، ١٩٧٧م .

وكان هذا التسامح من الوضوح بمكان حتى أشاد به بعض المستشرقين ، فيذكر توماس آرنولد أن من أسباب ترحيب الفرس بالمسلمين أملمهم» في تمتعهم بالحرية الدينية ؛ وذلك أن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين ... أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا للمسلمين الجزية «^(١) ويقول موريس لومبار: «نجد أن الفاتحين لم يمارسوا الاضطهاد أو القهر لحمل هذه الشعوب على اعتناق الدين الإسلامي»^(٢).

ومما يعزز هذا الترحيب ما كان يوجد من اضطهاد ديني في فارس لغير الزرادشتيين^(٣).

ولم يكن التسامح الديني هو المبدول فقط ، بل كان المسلمون يمنعون أهل الفرق الدينية من أن يتعرض بعضهم لبعض بشر^(٤). وإن نظرة يسيرة إلى هذا التسامح الديني الإسلامي لرعايا المسلمين تدحض شبهة أن الإسلام إنما انتشر بقوة السيف^(٥).

ثانياً - حماية الأنفس والأبدان :

ومن حسن معاملة المسلمين لمن يقاتلونهم أنهم لا يتعرضون لمن لا يحاربهم من الصبيان والنساء والرهبان والشيخ الفاني والأعمى الذين لا يدلون برأي حربي إلا أن يقاتلوا^(٦)، وكذا العبيد^(٧) والفلاحين^(٨). وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٦ .
(٢) الإسلام في مجده الأول ص ١٣ ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

(٣) توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٥ . الرئيس ، الخراج ص ١٦٦ .

(٤) توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٨٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٦) ابن قدامة المقدسي ، الشرح الكبير ٥/٥١١ .

(٧) المصدر السابق ٥/٥١٢ .

الأجناد بعدم مقاتلة المسالمين ، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان ، وأمرهم أن لا يقتلوا إلا من جرت عليه الموسى^(٢) .

ولذلك لم يتعرض المسلمون لهذه الفئات^(٣) ونجد أن من أدلة عدم التعرض

للفلاحين غير المقاتلين عدم قتل الصحابة الفاتحين لهم^(٤) . ويقوم المسلمون بدعوة من هرب عن بلده ممن لم يقاتل وتأمينه^(٥) ، بل قد يتسامح المسلمون فيعاملون من فتحت أرضه عنوة معاملة من صالح^(٦) .

وأما أهل العهود ممن أعطى الجزية فنجد العقود تؤمنهم على أنفسهم^(٧) ، وبجانب هذا يأتي الوعيد الشديد لمن يعبث بدمائهم ففي الحديث «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٨) ؛ وبسبب الوعيد السابق في الحديث أجمع فقهاء المسلمين على أن قتل الذمي كبيرة من الكبائر^(٩) .

(١) المصدر السابق ٥١٣/٥ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ص ٤٥ .

(٣) انظر مثلا تاريخ الطبري ٣/٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٦٣-٢٦٤ . تاريخ ابن خلدون ٤/٨٨٩ ذكروا فئة الفلاحين ولعل السبب في عدم ذكر البقية هو قتلهم وأما الأولاد والنساء فيسبون .

(٤) ابن قدامة المقدسي ، الشرح الكبير ٥١٣/٥ .

(٥) تاريخ الطبري ٤/٣٧ .

(٦) المصدر السابق ٤/١٤٠ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٩ . تاريخ الطبري ٤/١٣٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٨) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٦٥ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ٥ اثم من قتل معاهدا بغير جرم .

(٩) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ١٢ .

بل إن المسلمين مطالبون بالدفاع عن الذمي وإن تطلب ذلك منهم الخروج بالسلاح وإراقة دمائهم في سبيل ذلك^(١)، ويلاحظ هنا بذل المسلمين لدمائهم وأموالهم في سبيل صون دم الذمي وحفظه ، وهذا يدل على مدى محافظة المسلمين على دماء أهل الذمة .

وبجانب حماية الإسلام للأنفس من القتل فقد حمى الأبدان من التعذيب ، فيحرم تعريض أجسامهم للأذى والتعذيب حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الحقوق المالية عليهم كالجزية والخراج ، ولا يجوز في حق المتأخرين والمانعين أكثر من حبسهم دون تعذيب أو أعمال شاقة^(٢) .

ثالثاً - حماية الأعراض :

وذلك حق من حقوقهم التي أوجبها عقد الذمة لهم ، فمن تعرض لهم واعتدى عليهم ولو بسبب أو غيبة فقد ضيع ذمة الله عزوجل وذمة رسوله - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - وذمة دين الإسلام^(٣) .

رابعاً - حماية الأموال وحرية كسبها :

ومما قدمه المسلمون لأهل البلاد حماية الأموال^(٤) فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - : « ولا يدخل قرى أهل الصلح أحد من أصحابك إلا من تثق به ، ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً »^(٥) .

(١) القرافي ، الفروق ١٤/٣ .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ١٣-١٤ .

(٣) القرافي ، الفروق ١٤/٣ . د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ١٥ .

(٤) تاريخ الطبري ١٣٧/٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٥) ابن عبدربه ، العقد الفريد ١١٧/١-١١٨ .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودمائهم كدمائنا »^(١)، وبلغ من رعاية الإسلام لأموالهم أن عمر رضي الله عنه لما كتب إلى العمال يأمرهم بقتل الخنازير أمرهم أن تقتص أثمانها لأهل الجزية من جزيتهم^(٢)، فقد احترم عمر رضي الله عنه هذا اللون من ألوان المال مع أنه « لا يكون مالا للمسلمين»^(٣).

كما أن النظام المالي في الإسلام لا يوجد فيه تسخير لأهل الذمة بدون أجر ، فإذا دعت الحاجة المسلمين للاستعانة بأهل الذمة أعطوهم أجرتهم وافية غير منقوصة^(٤).

وأما كسب المال فلاهل الذمة الحرية في مباشرة التجارات والصناعات والحرف المختلفة ماعدا عقد الربا ، وبيع الخمر والخنازير في أمصار المسلمين ، وفتح الحانات فيها لشرب الخمر ، أو إدخالها إلى أمصار المسلمين على وجه الشهرة والظهور ، ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص ؛ سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الفتنة^(٥).

وهذه الحرية جعلتهم يعيشون حالة رفاهية ، يقول توماس أرنولد : « ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ، ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة»^(٦).

(١) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، المغني ٢٥٠/١٣ ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ود. عبدالفتاح بن محمد الحلو ، دار هجر ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ، القاهرة.

(٢) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٤) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ١٩٨ .

(٥) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٢١-٢٢ .

(٦) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٨١ .

خامساً - التسامح في الجزية :

الدين الإسلامي دين السماحة واليسر ، ومن سماحته ما ظهر في قضية الجزية ، ويبرز التسامح فيها على عدة محاور وهي :

- ١ - أهل الجزية .
 - ٢ - مراعاة المستوى الاقتصادي لأهل الذمة .
 - ٣ - أخذ العروض في الجزية .
- وهذه نبذة يسيرة عن هذه النقاط :

١ - أهل الجزية :

يظهر التسامح في الجزية فيمن فرضت عليه ، فهي إنما تجب على الرجال الأحرار العقلاء ، فلا جزية على صبي ولا زائل عقل ولا امرأة^(١) ، ولا على فقير عاجز عن أدائها ، ولا شيخ فان ، ولا زمن ولا أعمى ، ومن في معناهم ممن به داء لا يستطيع معه القتال ولا يرجى برؤه^(٢) .

وفي صلح خالد رضي الله عنه لأهل الحيرة « وإني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف ، ثم ميزتهم فوجدت من كان به زمانة ألف رجل ، فأخرجتهم من العدد ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف »^(٣) .

(١) ابن زنجويه ، الأموال ١٥١/١ . ولم يذكر زائل عقل . أبو يعلى الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ١٥٤ .

(٢) أبو يعلى الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ١٦٠ ولم يذكر الأعمى . ابن قدامة ، المغني ٢١٩/١٣ .

(٣) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٥ .

كما يعفى من دفع الجزية من قاتل أعداء المسلمين معهم^(١).

٢ - مراعاة المستوى الاقتصادي لأهل الذمة :

ومن التسامح مراعاة المستوى الاقتصادي للناس عند فرض الجزية ، فلا تكون مرهقة لهم بل مناسبة لأحوالهم وهذا ما فعله المسلمون ، ففي صلح خالد بن الوليد رضي الله عنه وصلوبا بن نسطونا^(٢) وقومه «القوي على قدر قوته ، والمقل على قدر إقلاله»^(٣)، ونجد ذكر الطاقة في الجزية في كتب الصلح^(٤)، ونال هذا الموضوع أهمية كبرى عند الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما وجه عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - لمسح السواد أمرهما أن لا يحملا أحدا فوق طاقته^(٥).

وأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمال كثير لعله من الجزية فقال : « إني لأظنكم قد أهلكتم الناس . قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفو صفا . قال : فلا سوط ولا نوط^(٦) . قالوا : نعم . قال : الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني^(٧) .»

(١) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٣٥ . د. عبدالكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص ١٥٥ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت .

(٢) هو صلوبا بن نسطونا صاحب قسّ الناطف ، جاء إلى خالد بن الوليد في عسكره فصالحه على بانقيا وبسما وكتب له خالد كتابا فوفى ولم يغدر في حال غلبة فارس على المسلمين . [تاريخ الطبري ٣/٣٦٧-٣٦٨] .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧-٣٦٨ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٤١ . تاريخ الطبري ٤/١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ . أحمد بن زكي بن صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ١/٢٤٥-٢٤٧ ، المكتبة العلمية ، بيروت .

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٢ .

(٦) ناط الشيء : علقه . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٦٨٥] .

(٧) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٥٤ .

ووقف رضي الله عنه قبل موته بأيام على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف -رضي الله عنهما- فقال : « كيف فعلتما ؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض مالا تطيق ؟ قالوا : حملناها أمراً هي له مطيقة ، ما فيها كبير فضل. قال : انظرا أن تكونا حملتما الأرض مالا تطيق ؟ قالوا : لا «^(١). وفي وصيته للخليفة من بعده أن لا يكلف أهل الذمة إلا طاقتهم^(٢).

فعمر رضي الله عنه يوصي بعدم تحميل أحد فوق طاقتة عند الإرسال ، وعند ورود مال كثير يخشى من تحميل الناس فوق طاقتهم ، وقبل موته يتابع هذا الموضوع مع من أرسلهم ، كما يوصي الخليفة من بعده بذلك ، فأى اهتمام وراء ذلك؟! وأين نجد هذا في أي حضارة من الحضارات!؟

وكان الخلفاء ينصحون من يوجهونهم لأخذ الجزية باللين والرفق بأهل الذمة ، فمن توجيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأحد عماله : « لا تضربن رجلاً منهم بسوط في طلب درهم ، ولا تقمه قائماً ، ولا تأخذوا منهم شاة ولا بقرة ، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، أتدري ما العفو ؟ الطاقة »^(٣).

وهذا له تأثيره لاسيما إذا ما قارناه بما هو موجود قبل ذلك ، فقد كانت الفرس تستخدم ألوانا من التعذيب للحصول على الجزية من إيقاف في الشمس أو صب للزيت على الرؤوس ، بالإضافة إلى أن ضريبة الفرس كانت سبعة أضعاف الجزية التي أخذها المسلمون على أهل العراق^(٤).

(١) صحيح البخاري م ٢ ج ٢٠٤/٤ ، كتاب فضائل الأصحاب ، باب ٨ قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان .

(٢) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ص ٧٤ . علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، منتخب كنز العمال ٤٣٩/٤ .

(٣) علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، كنز العمال ١٦٦/٣ .

(٤) توفيق اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٤٢ .

٣- أخذ العروض في الجزية :

ومن ألوان التسامح عدم إلزام أهل الذمة عند دفع الجزية بالمال النقدي ، وقبول العروض الموجودة عندهم ، فكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يأخذ الجزية من كل صاحب صنعة ما يتيسر له ، فصاحب الأبر يأخذ منه إبرا ، وصاحب الحبال يأخذ منه حبالا وهكذا . ومقصود علي رضي الله عنه من هذا الرفق بهم ، والإحسان إليهم ، والتخفيف عليهم^(١) .

بل لم تترحم نفوس المسلمين لأخذ الهدايا من أهل الذمة إلا أن يحسبوا لهم من الجزية^(٢) ، وفي هذا عدم كسر لخاطرهم في رد هديتهم ، وعدم إحفاقهم بعدم حسابها .

سادساً - حسن معاملة الأسرى :

كما شملت حسن المعاملة الأسرى ، فلا يفرق في البيع بين الأم وولدها الطفل بالإجماع^(٣) ، ولا بين الأب وولده^(٤) ، ولا بين الأخوة^(٥) . قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لشهاب أبي حبيب وقد جعله على حفظ سبي تستر : « لا تفرق بين المرأة وولدها »^(٦) .

(١) عبدالله بن محمد بن أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ) ، المصنف في الأحاديث والآثار ١٨١/٣ ، تحقيق : عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية . ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ٣٦/١ . وفعل علي رضي الله عنه له أصل من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حين كتب لأهل اليمن إن على كل حالم ديناراً أو عدله من المعافر ، انظر الأموال لأبي عبيد ص ٥٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٨٤ . تاريخ الطبري ٣٦٢/٣ .

(٣) المقدسي ، الشرح الكبير ٥٢٠/٥ .

(٤) المصدر السابق ٥٢٠/٥ .

(٥) المصدر السابق ٥٢١/٥ .

(٦) تاريخ خليفة ص ١٤٦ .

بل نجد أن حسن المعاملة يصل إلى شرائهم ، وتحمل الحملات بسبب ذلك وإعتاقهم فعندما أسر معقل بن قيس قائد علي بن أبي طالب رضي الله عنه خمسمائة من النصارى فمرَّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني من المسلمين فاستنجد به الرجال وبكت النساء والصبيان - قال مصقلة : « أقسم بالله لأتصدقن عليهم إن الله يجزي المتصدقين » ، ثم اشتراهم بألف ألف وأعتقهم ، ولم يطلب منهم مالا يعينه على سداد قيمتهم^(١).

سابعاً - مراعاة منزلة عظمائهم :

ومن حسن المعاملة مراعاة المسلمين من له مكانة وعزة ، فإنهم يرحمونه ، ويعطونه ما يليق بمنزلته ، فنجد خالد بن الوليد رضي الله عنه عند فتحه للحيرة يطلب من هند بنت النعمان أن تسأله حاجتها ، ويأمر لها بمعونة ومال وكسوة ، كما عرض عليها الإسلام فإن أسلمت زوّجها رجلاً شريفاً من المسلمين^(٢).

وهذا خلود بن كاس^(٣) أحد قادة علي رضي الله عنه يقترب من خراسان ، فيعلم أن أهل نيسابور قد نقضوا العهد ، وأنه قد وصلت إليهم بنت لكسرى فمالو معها فلقبهم خلود فهزمهم ، وأخذ ابنة كسرى بأمان ، وأرسلها إلى علي رضي الله عنه فلما وصلت إليه قال لها : « أتحبين أن أزوجك من ابني هذا ؟ يعني الحسن . قالت : لا أتزوج أحداً على رأسه أحد ، فإن أنت أحببت رضيت بك . قال : إني شيخ ، وابني هذا من فضله كذا وكذا . قالت : قد أعطيتك الجملة . فقام رجل من عظماء دهاقين العراق يسمى نرس فقال : يا أمير المؤمنين ، قد بلغك

(١) تاريخ الطبري ١٢٩/٥ .

(٢) أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/٦٠٤-٦٠٥ .

(٣) لم أجد له ترجمة .

أني من سنح^(١) المملكة وأنا قرابتها فزوجنيها . فقال : هي أملك بنفسها . ثم قال لها : انطلقى حيث شئت وانكحي من أحببت لا بأس عليك»^(٢) .

فعلى الرغم من نقض أهل نيسابور لعهدهم ، والتفافهم حول هذه البنت إلا أن أمير المؤمنين رضي الله عنه منَّ عليها ، وراعى مكانتها تأليفاً لقلبها ولشعبها لعل ذلك يكون سبباً في تقريب قلوبهم لدين الله عزوجل .

وأصاب خليد بن قرّة اليربوعي^(٣) قائد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاريتين من بنات الملوك نزلتا بأمان ، فأرسلهما إلى علي رضي الله عنه فدعاهما إلى الإسلام وعرض عليهما الزواج ، فطلبتا ابنيه فرفض رضي الله عنه فطلب أحد الدهاقين من علي رضي الله عنه أن يدفعهما إليه إكراماً له ، فوافق علي رضي الله عنه فأكرمهما ذلك الدهقان أيما إكرام ، فكان يفرش لهما الديباج ويطعمهما في الذهب ، ثم بعد ذلك عادتا إلى خراسان^(٤) .

ثامناً- إجراء الصدقات على الفقراء والعاجزين من أهل الذمة :

ويبلغ التسامح ذروته ، وتصل حسن المعاملة أوجها في أن المسلمين لم يقفوا عند ما تقدم من حسن المعاملة بل زادوا عليه

(١)السنح: السين والنون والحاء أصل واحد يحمل على ظهور الشيء من مكان بعينه . [أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)] ، معجم مقاييس اللغة ١٠٤/٣ ، تحقيق : عبدالسلام بن هارون ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، مصر] .

(٢)الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٥٤ .

(٣)هو خليد بن قرّة اليربوعي ، أحد الفرسان الذين يثق بهم علي رضي الله عنه فعندما كفر أهل خراسان وامتنعوا بعث إليهم خليد فأخضعهم ، وقيل : إنه كان على ولاية خراسان لعلي بن أبي طالب سنة ثمان وثلاثين . [تاريخ الطبري ٥٥٨/٤ و ٦٤/٥ ، ٩٢ ، ١٣٢] .

(٤)تاريخ الطبري ٦٤/٥ .

بالتصدق على الفقير والعاجز من الذميين ، ففي كتاب الأمان الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الحيرة : «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»^(١).

وهذا حدث في زمن الصديق رضي الله عنه وبوجود جمع كبير من الصحابة - رضي الله عنهم - ، كما أن خالد رضي الله عنه أرسل رسالة إلى أبي بكر رضي الله عنه بذلك فلم ينكره عليه أحد ، ومثل هذا يعد إجماعاً^(٢).

إن المجتمع الإسلامي مجتمع رحيم ينبغي أن لا يوجد فيه إنسان محروم من الطعام أو المأوى أو العلاج ؛ لأن دفع الضرر عنه واجب شرعي سواء كان مسلماً أو ذمياً^(٣).

شهادة الفرس والمستشرقين بحسن معاملة المسلمين:

إن حسن معاملة المسلمين لأهل الذمة كانت من الواضوح والظهور بمكان فأنطقت السنة غير المسلمين بالشهادة لهم بذلك ، وإن تتبع كل الأقوال في هذا الصدد يطول ؛ ولذلك نجتزئ شيئاً منها .
لما استطال جند رستم في أموال الناس وأعراضهم وشربوا الخمر ضج الناس إلى رستم فقال : «والله للعرَب في هؤلاء - وهم لهم ولنا حرب - أحسن سيرة منكم»^(٤).

(١) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٥-١٥٦ .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٥٠٨/٣ .

وقال توماس آرنولد : « لم تكن القوة أو العنف السبب في اتساع نطاق تحويل الناس إلى الإسلام بدليل هذه المعاملة التي عامل بها العرب من ظل من الفرس على تمسكه بدينه القديم »^(١).

وفي كتاب تاريخ الحضارات العام : « فمن لم يكن عربيا من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط ، فاليهود والنصارى الذين هم أيضا من أهل الكتاب حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا ، وكان لابد من الوقوف هذا الموقف نفسه من الزرادشتية والمانوية والبوذية وصابئة حران »^(٢).

ويقول جوستاف لوبون : « الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا مثل دينهم »^(٣).
ويقول كايثاني : « قبل السكان عن ارتياح واضح تغيير الحكومة ، وذلك بمجرد أن علموا أن العرب المسلمين سيحترمون حقوقهم الشخصية ، وسيتركون لهم الحرية العامة في إقامة شعائرهم الدينية »^(٤).

ويقول باروتولد : « إن النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين ؛ إذ أن المسلمين - كما يذكر جولد تسيهر- اتبعوا في معاملاتهم المدنية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل »^(٥).
ويذكر (شد) أن العرب عاملوا النصارى واليهود معاملة تمتاز بالتسامح^(١).

(١) توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣٨ .

(٢) ادوار بروي بالتعاون مع آخرين، تاريخ الحضارات العام «القرن الوسطى» ١١٦/٣، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: يوسف بن فريد بن داغر، منشورات عويدات، ط ١٩٨٦، ٢م، بيروت، باريس.

(٣) د. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ص ٦٠٥ ترجمة : عادل بن زُعَيْر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٤) عن د. علي بن حسني الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمة ص ١٠٣ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، ١٣٨٩ هـ .

(٥) عن المرجع السابق ص ١٠٧ .

الفرق بين الموالاتة والمعاملة الحسنة:

لقد أمر الشارع ببر أهل الذمة وحسن معاملتهم ، وفي الوقت نفسه نهى عن موالاتة الكفار وموادتهم .

فالمسلم يبر أهل الذمة ويحسن إليهم بكل أنواع الإحسان من إعطائهم حقوقهم، ودفع الأذى عنهم ، بل والصبر على إذاية الجيران منهم ، وكل هذا يفعل من باب الإحسان والرفق لاعلى سبيل الذلة والهوان ، ومع ذلك فعلى المسلم أن يكون نصب عينيه تكذيبهم بديننا ، وبغضهم لنا ، وتمنيهم أن يقدروا علينا فيفعلوا الأفاعيل بنا ؛ حتى يحول ذلك بينه وبين مودتهم لكن لا يؤثر ذلك على سلوكنا معهم ، فهو إنما يفعل ذلك الإحسان امتثالاً لشرع الله عزوجل وتطبيقاً لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما أن المسلم يجتنب موادة أهل الكفر وتعظيمهم من قيام لهم ، وتقديمهم في المجالس ، وإيثارهم بأفضل الطريق إذا التقى معهم ، ونحو ذلك مما يعمله عادة الصغير مع الكبير ، والمرؤوس مع الرئيس ، والحقير مع الأمير ، ومن ذلك تمكينهم من الولايات التي فيها قهر لمن تحتها^(٢) .

الفصل السابع

(١) عن المرجع السابق ص ١٠٦-١٠٧ .
(٢) القرافي ، الفروق ٣/١٤-١٦ . محمد بن سعيد القحطاني ، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص ٣٥٠-٣٥٣ ، تقديم: فضيلة الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي ، دار طيبة ، ط ١ ، الرياض . وقد فصل القحطاني هذه القضية في كتابه تفصيلاً طيباً فيحسن الرجوع إليه .

الاحتساب

الحسبة: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»^(١).

وتظهر أهمية الاحتساب في صيانة المجتمع من الانحراف والفساد ؛ لأن المنكر إذا ظهر كان سببا في انتشاره ، ولهذا عمم المصطفى صلى الله عليه وسلم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي المجاهرين .

قال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »^(٢).

وقد قام بالاحتساب الخلفاء الراشدون وأمرؤا به ، كما قام غيرهم بذلك وهذه نماذج من احتسابهم .

أولاً - احتساب الخلفاء :

كان الخلفاء الراشدون من أقوى الناس تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك أنه بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا سواديا قد اغتنى من بيع الخمر فأرسل : « أن اكسروا كل شيء قدرتم له عليه ، وسيروا كل ماشية له ، ولا يؤوين أحد له شيئا » ، وقد تم ذلك^(٣). وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١)الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٢٤٠ . أبو يعلى الحنبلي ، الأحكام السلطانية ص ٢٨٤ . وهذا هو التعريف الراجح للحسبة . [د. فضل إلهي ، الحسبة ص ١٦ ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ] .

(٢)صحيح مسلم ٦٩/١ ، كتاب الإيمان ، باب ٢٠ بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، رقم الحديث العام ٤٩ .

(٣)أبو عبيد ، الأموال ص ١٢٥ .

لجزء بن معاوية قبل موته بسنة : « فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس »^(١). ونمى إلى عمر رضي الله عنه أن عمالا له يأخذون ثمن الخنزير والخمر فقال عمر: «وَأُوْهُم بِيْعَهَا فَإِن الْيَهُود حُرِّمَتْ عَلَيْهِم الشَّحُوم فَبَاعَوْهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا»^(٢).

وكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار يحرضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد سكن الكوفة من العراق ؛ ولذلك نجد أمثلة كثيرة على احتسابه في العراق بخلاف سائر الخلفاء ،ومن ذلك ما حكاه أبو مطر قال : « خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي : ارفع إزارك ؛ فإنه أبقى لثوبك ، وأتقى لك ، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً ، فمشيت خلفه وهو مؤتزر بإزار ومرتد برداء ومعه الدرهم كأنه أعرابي بدوي ، فقلت : من هذا ؟ فقال لي رجل : أراك غريباً بهذا البلد . فقلت : أجل ، أنا رجل من أهل البصرة^(٤) . فقال : هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهو بسوق الإبل فقال : بيعوا ولا تحلفوا ؛ فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ... ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك^(٥) فقال : لا يباع في سوقنا طافي »^(١).

(١) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٦٢ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

(٢) أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، المصنف ٢٣/٦ ، ٣٦٩/١٠ ، حقه وخرج أحاديثه وعلق عليه : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ، ومعه كتاب الجامع للإمام معجر الأزدي . ابن زنجوية ، الأموال ١٧٩/١ وقد أخرجه بإسنادين قال عنهما د . شاکر : إسناداهما صحيحان .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٩١-٩٢ .

(٤) يوحى أن ذلك بالكوفة إذ لو كان بالمدينة لقال من أهل العراق .

(٥) وهذا أيضا يوحى أنه بالعراق لتوفر السمك به دون المدينة لبعدها عن البحر .

وكان علي رضي الله عنه يخرج من القصر^(٢) ومعه درته يسير في الأسواق ، ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول: « أوفوا الكيل والميزان » ، ويقول : « لا تنفخوا اللحم »^(٣) ، وكان من عادة علي رأنه لا يصطحب معه الجند والأعوان بل كان يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة ، فيرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالباعة فيقرأ { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا }^(٤) ، ثم بين أنها نزلت في أهل العدل والتواضع من العمال وأهل القدرة من سواهم من الناس^(٥) .

وخرج رضي الله عنه مرة إلى سوق الكوفة مع شريح القاضي - رحمه الله- وفي يده الدرة وهو يقول : « يامعشر التجار ، خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا ، لا تمنعوا قليل الربح فتحرموا كثيرا »^(٦) . وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالكوفة يخرج فجر كل يوم وينادي: « أيها الناس ، الصلاة الصلاة » ، ومعه درته ينبه الناس من النوم^(٧) .

وبلغ علي رضي الله عنه وهو بالبصرة أن رجلين يقعان في عائشة- رضي الله عنها- فأمر عليّ القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما^(٨) .

(١) في النص ايماءات أخرى توحى أنه بالعراق منها قوله :ثم أتى دار فرات، ولعله نسبة إلى نهر الفرات بالعراق وقوله :وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة، وقد اشتهرت الرحبة بالكوفة . انظر النص كاملا عند ابن كثير ، البداية والنهاية ٤/٨ .

(٢) يوحى أنه بالكوفة فإنما يعرف القصر بها ولا يعرف بالمدينة ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٥/٧ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٩/٢ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣/٨ .

(٤) آية ٨٣ من سورة القصص .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٥/٨ .

(٦) وكيع ، أخبار القضاة ١٩٦/٢ .

(٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٦٥٠ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٤٦/٧ .

وبلغ علي رضي الله عنه أن قرية زرارة^(١) يباع فيها الخمر ، فانطلق إليها ومعه جماعة، فلما وصلها قال: «عليّ بالنيران ، أضرموها فيها ؛ فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً» فاحترقت^(٢) .
وأخبر علي رضي الله عنه أن قوما يزعمون أنه ربهم فدعاهم وقال لهم : «ويلكم ما تقولون؟! قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا . فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، أكل الطعام كما تأكلون وأشرب مما تشربون ، إن أطعته أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا ، فطردهم ، فلما كان من الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال : والله رجعوا يقولون ذلك الكلام . فقال : أدخلهم عليّ ، فقالوا له مثل ما قالوا ، وقال لهم مثل ما قال إلا أنه قال : إنكم ضالون مفتونون ، فأبوا ، فلما أن كان اليوم الثالث أتوه فقالوا له مثل ذلك القول ، فقال: والله لئن قلتم لأقتلنكم بأخبث قتلة ، فأبوا إلا أن يتموا على قولهم ، فخذّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر ، وأوقد فيه ناراً وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعون ، فأبوا ، فقذف بهم فيها»^(٣) .

ثانياً- احتساب غير الخلفاء :

(١) زرارة : محلة بالكوفة . [الحموي ، معجم البلدان ١٣٥/٣] .
(٢) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ١٢٥ . ابن زنجوية ، الأموال ٢٧٣/١ . وقد بين أبو عبيد أن هذا من عمل أهل الذمة وأن وجه منعهم من الخمر لأنها أمصار المسلمين خاصة ثم نقل عن ابن عباس: «أيما مصر مصرتة العرب فليس لأحد من أهل الذمة أن يبني فيه بيعة ولا يبيع خمرا ولا يقتني خنزيرا ولا يضرب فيه بناقوس» . [أبو عبيد ، الأموال ص ١٢٦] .
(٣) المحب الطبري ، الرياض النضرة م ٢ ج ١٩٥/٣ . ابن حجر ، فتح الباري ٢٧٠/١٢ ، وأشار إليه البخاري في صحيحه ، صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٢٦٧/١٢ ، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ٢ حكم المرتد والمرتدة ، وقد اختلف في مسألة التعذيب بالنار والتحرير فكره ذلك عمر وابن عباس وغيرهما مطلقا ، وأجازه علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما ، وقد فصل ابن حجر في ذلك ، فتح الباري ١٥٠/٦ و ٢٧١/١٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

كما وجد الاحتساب عند الخلفاء فقد وجد عند غيرهم ، ومن أمثلة ذلك أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صلى بالناس بالمدائن على دكان^(١) فحبذه أبو مسعود البديري رضي الله عنه بقميصه فلما انتهت الصلاة قال: « ألم تعلم أنهم كانوا يnehون عن ذلك ؟ قال : بلى قد ذكرت حين مددتني»^(٢).

وكان حذيفة رضي الله عنه بالمدائن وطلب ماء للشرب فأحضر له دهقان ماء في إناء من فضة فرماه به ، وبين أنه لم يفعل ذلك إلا لأنه قد سبق له نهيه فلم يمتثل ، وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الذهب والفضة والحريير والديباج هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة »^(٣).

وقدم رجل من أهل العراق على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر له أن شهادات الزور قد انتشرت في العراق فقال عمر رضي الله عنه : « أوقد كان ذلك !؟ قال: نعم . فقال عمر : والله لا يوسر رجل في الإسلام بغير العدول»^(٤).

وسمع عمار بن ياسر رضي الله عنه في الكوفة رجلا يسب عائشة - رضي الله عنها- فقال : « اسكت مقبوحا منبوحا ، والله إنها لزوج

(١) الدُّكَّان : الدكة ، وهي المكان المرتفع يجلس عليه . [أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ص ٧٥ ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م ، بيروت] .

(٢) سنن أبي داود ٣٩٩/١ ، كتاب الصلاة ، باب ٦٧ الإمام يقوم مكانا أرفع من مكان القوم ، رقم الحديث ٥٩٧ ، وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود باختصار السند ١١٩/١ . وعند الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٨٠/١ أن الذي جذبته سلمان وعنده أيضاً ١٥١/١ أن الذي كان يصلي عمار بن ياسر وأن حذيفة هو الذي جذبته ولا مانع من تعدد الحادثة .

(٣) صحيح البخاري ٤٤/٧ ، كتاب اللباس ، باب ٢٥ وم ٢ ج ٢٥١/٦ ، كتاب الأشربة ، باب ٢٧ الشرب في أنية الذهب . صحيح مسلم ١٦٣٧/٢ ، كتاب اللباس والزينة ، رقم الحديث ٢٠٦٧ . مسند الإمام أحمد ٣٩٦-٣٩٧ .

(٤) موطأ مالك ١ م ج ٢/٧٢٠ ، كتاب الأفضية ، باب ما جاء في الشهادات ، رقم الحديث ٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها
ليعلم أطيعوه أو إياها»^(١).

ولما ثقل حذيفة رضي الله عنه أتاه ناس من بني عبس وهو
بالمدائن يعودونه ، فذكر عثمان رضي الله عنه وقتله فقال : « اللهم
لم أشهد ولم أمر ولم أرض »^(٢).

وجاء ربعي بن حراش إلى حذيفة رضي الله عنه بالمدائن فسأله
حذيفة رضي الله عنه عن خرج من قومه إلى عثمان رضي الله عنه
فأخبره بهم فقال حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: « من خرج من الجماعة واستذل الإمارة لقي الله عزوجل
ولا وجه له عنده»^(٣).

وقدم عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤) البصرة فتزوج امرأة
من بني جشم فقالوا له: «بالرفاء والبنين . فقال : لا تقولوا ذلك ؛ إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك، وأمرنا أن نقول : بارك
الله لك وبارك عليك»^(٥).

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٣٧/٧ وذلك عندما ذهب عمار والحسن ليستنقرا أهل
الكوفة لعلي بن أبي طالب .

(٢) ابن شبة ، تاريخ المدينة ١٢٤٧/٤-١٢٤٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٤٠٦/٥ . قال البنا : أخرجه الحاكم بسنده وفيه « لقي الله عزوجل
ولا حجة له»، وصححه الذهبي ، بلوغ الأمان ٤٨/٢٣ .

(٤) عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، أبو يزيد ، أخو علي بن أبي
طالب ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلم قبل الحديبية ، وشهد غزوة مؤتة ،
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة ، مات في خلافة معاوية .
[المزي ، تهذيب الكمال ٢٣٥/٢٠-٢٣٦] .

(٥) سنن الدارمي ٥٣٠/١ ، كتاب النكاح ، باب إذا تزوج الرجل ما يقال له . سنن
النسائي ١٢٨/٦ ، كتاب النكاح ، باب ٧٣ كيف يُدعى للرجل إذا تزوج بلفظ : «قولوا
كما قال ز : بارك الله فيكم وبارك لكم»، لكن لم تصرح الرواية بأن ذلك في الكوفة .
قال الألباني : صحيح ، صحيح سنن النسائي باختصار السند ٧٠٩/٢ ، رقم الحديث
٣١٥٦ .

الباب الثالث

آثار الدعوة وعوامل نجاحها

ويشمل :

الفصل الأول : آثار الدعوة .

الفصل الثاني : عوامل نجاح الدعوة .

الفصل الأول

آثار الدعوة

لم يكن ذهاب المسلمين إلى بلاد العراق وفارس غفلا من الأهداف ، وإنما كان يحمل غايات سامية حاول المسلمون تحقيقها بشتى الوسائل والأساليب وسيجد القارئ - إن شاء الله تعالى- في هذا الفصل أهم تلك النتائج التي حققها المسلمون بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بجهودهم رضي الله عنهم ورحمهم .

وتتمثل أهم هذه النتائج فيما يلي:

- ١ - الإثخان في العدو وكسر شوكته .
- ٢ - انتشار الإسلام .
- ٣ - مشاركة مسلمي الفرس في الدعوة .
- ٤ - اتساع بلاد الإسلام .
- ٥ - انتشار اللغة العربية .
- ٦ - الأموال .

المبحث الأول - الإثخان في العدو وكسر شوكته :

ما من معركة التقى فيها المسلمون بالعدو إلا وقتلوا منهم ، وغالبا ما يكون عدد القتلى كثيرا ، وقد نجد عبارات متعددة تصف ذلك مثل : « فُقِّتِلَ من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يُقْتَلوا مثلها قبلها »^(١) ، أو « فقتلهم وأخذن فيهم »^(٢) ، ومثل « فقتلوا من المشركين جمعا كثيرا وجمعا غفيرا لا يحصون كثرة »^(٣) .

ويبهر القارئ تلك الأعداد العظيمة التي تذكر أعداد المقتولين من أعداء المسلمين ، ففي وقعة الثني بلغ قتلى الفرس ثلاثين ألفا سوى من غرق^(٤) ، وفي وقعة أليس سبعين ألفا^(١) ، وكانت قتلى البويب مائة

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٧٧/٢ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٩٨٨/٤ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٨٢/٧-٨٣ ، ١٢١ .

(٤) غزوات ابن حبيش ٢٣/٢ .

ألف^(٢)، وفي القادسية كان عدد المقتربين بالسلاسل وهلكوا ثلاثين ألفاً^(٣)، وفي يوم جلولاء قتل مائة ألف^(٤)، وقتل الله منهم يوم نهاوند أكثر من مائة ألف^(٥).

ومثل هذا الإثخان يكسر شوكة العدو ، ويخضع قوته ، ويضعف مقاومته، ويحطم كبراءه ، وفي النهاية يخضع البلد لحكم المسلمين بإذن الله تعالى ، فتسهل الدعوة ويتيسر طريقها ، فتصل إلى كل الناس .

المبحث الثاني - انتشار الإسلام :

كان الأساس الذي لا يُنسى للانطلاقة الإسلامية المباركة إلى بلاد العراق وفارس هو نشر الدين الإسلامي وإيصاله إلى قلوب الناس . ولكي يكون إيمان الناس عميقاً قويا ابتعد المسلمون عن الإكراه « ولم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام ، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي»^(٦).

ولقد نجح المسلمون في تحقيق غايتهم ، ومن أقوى الدلائل على كثرة الأعداد الداخلة في الدين الإسلامي هبوط إيراد الجزية مع مرور الزمن ، فقد كان إيراد الجزية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتراوح بين مائة ألف ألف و مائة وعشرين ألف ألف درهم ونزل في عهد عبدالملك بن مروان أي بعد خمسين سنة إلى أربعين ألف ألف درهم ، وهذا يرجع بالدرجة الأولى وقبل كل شيء إلى دخول أعداد كبيرة من السكان في الإسلام ومن ثم سقوط الجزية عنهم^(٧).

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٨ .

(٢) المصدر السابق ٣/٤٦٧ .

(٣) المصدر السابق ٣/٥٦٤ .

(٤) المصدر السابق ٤/٢٦ .

(٥) غزوات ابن حبيش ٢/٣٤٤ .

(٦) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٩٨-٩٩ .

(٧) المرجع السابق ص ١٠١ .

وتذكر لنا كتب التاريخ بعض النماذج لمن أسلم من أهل العراق وفارس مثل: المرأة التي حاصر المسلمون حصنها فصالحتهم وأسلمت^(١)، وسيرين^(٢)، وحران بن

أبان الفارسي^(٣)، وأبو الحسن^(٤)، وحماد بن أبي سليمان الكوفي^(٥)، والهرمزان^(٦).

وبجانب إسلام الأفراد نجد إسلام الجماعات ، فقد أسلم أناس من أهل (صندوداء) وفيها قوم من كندة ومن إياد نصارى^(٧). وحضر معركة القادسية أناس من الفرس استجابوا للمسلمين ، أسلم بعضهم قبل القتال وأسلم بعضهم بعده^(٨).

(١) تاريخ الطبري ٣٥٠/٣ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٢١/٧ .

(٣) هو حران بن أبان الفارسي الفقيه ، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، حدث عن عثمان ومعاوية، وروى عنه عطاء بن يزيد الليثي وعروة وزيد بن أسلم وغيرهم ، وكان من سبي عين التمر ، توفي سنة نيف وثمانين . [الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٢/٤-١٨٣] .

(٤) هو أبو الحسن يسار ، يقال إنه من سبي ميسان وقع إلى المدينة فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك فأعتقته ، وولده الحسن بن أبي الحسن، وكان عالما عاليا رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا فصيحا . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧-١٧٨] .

(٥) هو حماد بن أبي سليمان الكوفي ، أحد أئمة الفقهاء ، سمع أنس بن مالك وتفقه على إبراهيم النخعي ، روى عنه سفيان وشعبة وأبو حنيفة وخلق ، نُكِّم فيه للإرجاء وثقه ابن معين وغيره ، وقال أبو حاتم : صدوق لا يحتج به ، مستقيم في الفقه فإذا جاء الأثر شوش ، مات سنة عشرين ومائة. [الذهبي ، ميزان الاعتدال ٥٩٥/١-٥٩٦] .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٨٨/٧ .

(٧) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٧-١٥٨ .

(٨) تاريخ الطبري ٥١٢/٣ .

وفي تكريت أرسل عبدالله بن المعتم رضي الله عنه إلى من هنالك من الأعراب فأسلموا^(١)، وفي عهد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخذ الأعاجم يسكنون البصرة ويعتقون الإسلام^(٢)، إلى غير هؤلاء ممن أسلم^(٣)، بيد أن المؤرخين لم يتابعوا لنا ذكر من أسلم من الأفراد والجماعات ، حيث يرد ذكر بعض من أسلم في ثنايا أحداث لو لم ترد لما ذكروا إسلامهم مثل ذكرهم ارتداد نصارى كثيرين في فتنة الخريت بن راشد^(٤) وهذا يدل على أنهم أسلموا قبل ذلك ولا شك أن من أسلم سيقبل على تعلم الإسلام ليزداد له فهما ، كما أن المسلمين حريصون على بث العلم وتعميقه في نفوس حديثي الإسلام .

وبجانب ذلك فقد كان نشر العلم وتعميقه بين صفوف عامة المسلمين من أهم ما تضطلع به الخلافة الراشدة وتحرص أشد الحرص عليه .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٢/٧ .
(٢) د. صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ص ٤١ .
(٣) انظر ص ٤١ وما بعدها من هذا البحث . وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٦٠ ، ٣٦٩ . وتاريخ الطبري ٣١٠/٤ و ١١٧/٥ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٨٣/٣ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١٨٥/٣ .

المبحث الثالث - مشاركة مسلمي الفرس في الدعوة :

إن الدين الإسلامي دين يقنع العقل ، ويرضي النفس ، ويُطمئن القلب ، فيرتاح له الإنسان ويسكن إليه، ويضحى من أجله ويقدم النفس والنفيس في سبيله.

ولذلك نجد أن من اعتنق الإسلام من أهل العراق وفارس لم يقنع بالإسلام والمسالمة ، ولكنهم انضموا إلى جنود الدعوة فشاركوهم فيها ، فمثلا نرى أسير طليحة الأسدي رضي الله عنه الذي أسلم قبيل القادسية كان من أهل البلاء فيها^(١)، كما شارك في فتوح الموصل ، واطمأن المسلمون له حتى استعمله عبدالله بن المعتم رضي الله عنه أمير الموصل خليفة له على الموصل حين انضم إلى سعد رضي الله عنه بالكوفة^(٢).

وحضر معركة القادسية أناس من مسلمة الفرس فأعانوا المسلمين^(٣)، كما اشترك مسلمة الفرس في موقعة جلولاء ، وعندما خرج القعقاع بن عمرو في آثار الفرس إلى (خانقين) كان في جنده أناس من الفرس^(٤)، ولما نزل القعقاع بطلوان كان الفرس يشكلون جزء أمن جيشه^(٥)، وفي تكريت أسلم مجموعة من العرب من إياد

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣١٩/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤٢/٤ .

(٣) المصدر السابق ٥١٢/٣ .

(٤) المصدر السابق ٣٤/٤ .

(٥) المصدر السابق ٢٨/٤ .

وتغلب والنمر واشتركوا مع المسلمين في المعركة^(١)، وفي إحدى المعارك التي يقودها الأحنف بن قيس كان معه ألف من مسلمي العجم^(٢)، إلى غير ذلك من المشاركات.

ومن المشاركات ما تكون بالرأي ، ففي وقعة القادسية يوم أرماث - أول أيام القادسية - بعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى بعض مسلمة الفرس فسألهم عن مقاتل الفيلة ، فقالوا : « المشافر^(٣) والعيون لا ينتفع بها بعدها »^(٤)، وشاور عمر رضي الله عنه الهرمزان في فتح أصبهان وفارس وأذربيجان بأيتهن يبدأ ؟ فقال الهرمزان : «أصبهان الرأس ، وفارس وأذربيجان الجناحان ، فإن قطعت أحد الجناحين مال الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان»^(٥).

وبعض مسلمة البلاد المفتوحة يتجه إلى العلم وطلبه ، وتكون مشاركته في هذا الميدان ، فهذا حمران بن أبان الفارسي الفقيه مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ركان يصلي وراء عثمان فإذا أخطأ فتح عليه^(٦)، والحسن بن يسار كان عالما كثير العلم فقيها ثقة مأمونا عابدا فصيحاً^(٧)، ومن سبي أصبهان حماد بن أبي سليمان الكوفي وكان فقيها^(٨).

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٢/٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٧-٣٩٨ .

(٣) المشافر : جمع مشفر وهو شفة البعير الغليظة [فيظهر أن المقصود به هنا الخراطيم] . [الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٧٢٩/٢ . مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٤٨٧/١] .

(٤) تاريخ الطبري ٥٥٥/٣ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٤٨ . الذهبي ، تاريخ الإسلام « عهد الخلفاء الراشدين » ص ٢٢٥ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٨٢/٤-١٨٣ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١١٢/١ .

(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٢ .

المبحث الرابع - اتساع بلاد الإسلام :

بعد الفتح الإسلامي تحولت أرض العراق وفارس تلك الأراضي المتلطخة بحمأة الكفر والفسق إلى أراض خاضعة للمسلمين ، تنعم بوارف الأمان وعدل الأحكام .

يقول الطبري بعدما ساق شيئاً من الصلح بين المسلمين ومن كان ساكناً غربي دجلة : « فلم يبق في غربي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا أمن واغتبط بملك الإسلام »^(١).

انضمت هذه البلاد إلى بلاد الأمة الإسلامية لتزداد اتساعاً ، ولتمتد الأرض التي ترفرف عليها كلمة التوحيد ، وصارت هذه البلاد قاعدة للمسلمين تنطلق منها جيوشهم لما وراءها بدلاً من كونها عقبة كأداء في وجه الدعوة الإسلامية .

وإذا عرفنا مدى اتساع بلاد العراق وفارس وترامي أطرافها تبين مدى الفوز الذي حققه المسلمون ، حيث حرروا هذه البلاد الواسعة من نير العبودية والاسترقاق، ونقلوها إلى نسيم الحرية حيث يتاح لهم التعرف على الإسلام ، ومن ثم يهتدي من يشاء الله له الهداية .

كما أن المسلمين أنشأوا في بلاد العراق مدينتي البصرة والكوفة ، ومن أهم شروط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيهما عدم وجود عراقيل مائية تحول بينه وبين المسلمين القاطنين بها^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٥/٤ ، ١٤١ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٧/٢-٣٦٨ . محمد بن ابراهيم الصبحي ، الفن والعمارة عند العرب ص ٤٢ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

وتعتبر مدينتا الكوفة والبصرة ضمن سلسلة المدن التي أقامها المسلمون في البلاد التي فتحوها .
وهذه المدن في الحقيقة قواعد عسكرية يسكنها المجاهدون وعوائلهم^(١)، ومنها انطلقهم ، كما أنها مراكز إدارية للبلاد التي فتحوها^(٢)، وواسطة لاستقبال الامدادات القادمة من الجزيرة العربية إلى المناطق المفتوحة أو التي ستفتح ، بالإضافة إلى أنها كانت منارا ومركزا للعلم .
وأول ما يقام في مدن الإسلام الأولى كالبصرة والكوفة المسجد الجامع ودار الإمارة وبيت المال^(٣).

المبحث الخامس - انتشار اللغة العربية:

-
- (١) شريف بن يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ص ٢٣٠ .
محمد بن سعيد بن فارس ، مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية ، ٥٦/١ ، جامعة أم القرى ، كلية العمارة الإسلامية ، ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ ، مكة المكرمة .
(٢) د. صالح العلي ، امتداد العرب في صدر الإسلام ص ٢٣ .
(٣) محمد بن سعيد بن فارس ، مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية ٥٦/١ .

انتشر الإسلام بحمد الله ومنتته في أوساط العراقيين والفارسيين ، وما من شك أن هناك علاقة وطيدة بين اعتناق الإسلام وتعلم اللغة العربية ؛ فالإسلام يحث على تعلم اللغة العربية ، فالصلوات التي تؤدي في اليوم والليلة خمس مرات وغيرها من الشعائر التي تؤدي باللغة العربية ما أمكن أكبر حافز ودافع على تعلمها .

يضاف إلى هذا ذلك الحماس والاندفاع لدى المسلم الجديد في تعلم لغة دينه الحديث ، ومحبته مشاركة إخوانه المسلمين في لغتهم .

كما أن اللغة العربية لقيت رواجاً عن طريق بعض الطبقات التي كانت تلي للعرب أمور الإدارة ، فهي تمثل حلقة الوصل بين المسلمين العرب من جهة وبين المواطنين من جهة أخرى ، وهي بسبب هذا العمل تعلمت شيئاً من العربية ليبسر لها أن تقوم بهذه المهمة^(١) .

ولم تكن صلة المسلمين العرب والفرس منحصرة في هذه الطبقات ، ولكنها أوسع من ذلك بكثير ، فقد حصل الاختلاط الكبير بين المسلمين العرب وغيرهم من أهل فارس والعراق وقد سبق تفصيل ذلك .

ويتحدث ول ديورانت عن انتشار اللغة العربية بين الشعوب المفتوحة فيقول: « واتخذ غير المسلمين على مر الزمن اللغة العربية لساناً لهم ولبسوا الثياب العربية، ثم انتهى الأمر باتباعهم شريعة القرآن واعتناق الإسلام»^(٢) .

المبحث السادس - الأموال :

تعتبر الأموال محركاً قوياً يدفع عجلة الحياة ، فيها تُمَصَّرُ الأمصار ، وتشحن الثغور ، وتتجزأ المشاريع ، وتؤلف القلوب ،

(١) شكري بن فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢١٦ .

(٢) قصة الحضارة ١٣/١٣٣ .

وتقضى الحوائج والمصالح ، فهي بعبارة القرآن الموجزة الفياضة قوام الحياة .

قال الله تعالى : { ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما }^(١).

قال ابن كثير : « ينهى الله سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله سبحانه للناس قياما ، أي تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها »^(٢).

وقد سمي الله المال خيرا فقال : { وإنه لحب الخير لشديد }^(٣) .
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »^(٤).

ومن نتائج الدعوة الإسلامية في أرض العراق وفارس أن فتح الله على المسلمين أموالا طائلة ، ونفائس نادرة ، تحدث عنها المؤرخون وغيرهم .

فمن ذلك الغنائم^(١) التي حصل المسلمون عليها بعد المعارك التي انتصروا فيها،

(١) آية ٥ من سورة النساء .

(٢) إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٢ ، دار المعرفة ، ١٣٨٨هـ ، بيروت .

(٣) آية ٧ من سورة العاديات . وانظر تفسير الخير بالمال في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٤٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/١٩٧ ، ٢٠٢ وقال أحمد البنا : « الحديث رواه أيضا أبو يعلى والطبراني في الأوسط والكبير ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح أفاده الهيثمي في مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه . وحسن ابن حجر سند أحمد في الإصابة » ، بلوغ الأمان ٢٢/٣٤٠ .

وقد أحلها الله لنا ففي الحديث « ثم أحل الله لنا الغنائم »^(٢)، وتتفاوت هذه الغنائم بتفاوت المعارك والمدن المفتوحة ، إلا أنها قد أثرت العرب ، « وأصبحوا في رغد من العيش بعد أن امتلكوا كنوز الفرس »^(٣)، وقد ألمحت للغنائم الكتب التي تطرقت للفتح^(٤)، بيد أنه من الصعوبة بمكان تتبع ذلك كله، لكن نشير إلى بعض الغنائم الكبيرة ، منها أن المسلمين بقيادة المثنى رضي الله عنه أغاروا على سوقين كبيرين من أسواق السواد ، الأول - الخنافس ، ويأتيه التجار ومعهم أموال كبيت الأموال ، فامتلك المسلمون كل ما فيه ، والثاني - سوق بغداد ، وقد أخذ المسلمون منه شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والحسن من كل شيء^(٥).

وفي وقعة القادسية جمع المسلمون من الغنائم شيئاً كثيراً ، فقد « جمعوا من الأموال مثل الأطم^(٦) والتلال »^(٧)، وبعبارة ابن كثير « ما

(١) الغنيمة : الأموال أي المنقولات التي أخذت من المشركين بالقتال. [محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ١١٣ . وقد ناقش التعريفات الأخرى للغنيمة وبين ما عليها من ملاحظات] .

(٢) صحيح البخاري م ٢ ج ٤/٥١، كتاب فرض الخمس، باب ٨ قول النبي صلى الله عليه وسلم « أحلت لكم الغنائم ».

(٣) د. حسن بن إبراهيم بن حسن ، تاريخ الإسلام ٢٢١/١ ، ط ٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال تاريخ خليفة بن خياط ١٣٧ ، ١٦٤ . تاريخ الطبري ٣٥٠/٣ ، ٣٥٢ . ابن أعم ، كتاب الفتوح ٢١١/١ ، ٢٧٧ ، ٢٧١ و٢٣/٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٧ . الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٧ . تاريخ الطبري ٤٧٣/٣ .

(٦) الأطم : القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح ، والجمع أطم وأطوم . [الزاوي، ترتيب القاموس المحيط ١٥٧/١] .

(٧) المقدسي ، البدء والتاريخ ٤٧١/٥ .

لا يحد ولا يوصف كثرة»^(١)، وأصبح المسلمون بعد معركة القادسية كلهم فرسانا بسبب ما غنموه من سلاح وكراع^(٢) ومال من الفرس^(٣).
ويصف أحد الجنود الذين مع عتبة بن غزوان رضي الله عنه في جبهة البصرة حال المسلمين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: «انتالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة»^(٤).
وكان في بيت مال المدائن ثلاثة آلاف ألف قبيل القادسية، فأنفقوا نصفها على القادسية، وبقي نصفها امتلكه المسلمون عند الفتح^(٥).

وبجانب ما غنمه المسلمون من بيت مال المدائن فقد غنموا ما خلفه الفرس من الثياب والمتاع والآنية والألطف والأدهان الشيء الكثير حتى أنه لا يُدرى ما قيمته، كما غنم المسلمون ما أعده الفرس للحصار من أنعام وأطعمة وشراب^(٦). ومن لطائف ما يذكر حول غنائم المدائن أن المسلمين قد غنموا كثيرا من آنية الذهب حتى أن الرجل ليشرى آنية الذهب بالفضة^(٧). وبلغت غنائم موقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف^(٨). وأفاء الله على المسلمين بالري مثلما كان بالمدائن^(٩).

وما هذه إلا إشارات عاجلة لبعض الغنائم التي حازها المسلمون وامتلكوها.

(١) البداية والنهاية ٤٤/٧ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح . [ابن منظور ، لسان العرب ٧٢/١٢] .

(٣) تاريخ الطبري ٦١٩/٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧/٧ .

(٥) تاريخ الطبري ١١/٤ .

(٦) تاريخ الطبري ١٣/٤-١٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٥٧/٢ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٣٣ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٠/٧ .

(٩) تاريخ ابن خلدون ٩٨٠/٤ .

ومن الأموال التي حازها المسلمون الخراج ، ويشمل خراج البلاد المفتوحة عنوة وتركت في أيدي أصحابها مثل السواد وهذا هو الأكثر ، ويجري مجراه خراج الأرض التي صالح المسلمون سكانها على أن يكونوا ذمة ويقدموا خراجاً^(١).

والخراج أحد الروافد المالية الضخمة في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ، فخراج العراق وحده في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصل مائة ألف ألف درهم^(٢)، ومازال صاعداً حتى بلغ عام ٣٠هـ مائة وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم^(٣). هذا خراج العراق وحده فما بالك إذا انضم إليه خراج البلاد الأخرى من بلاد فارس التي لم تحدد المصادر خراجها^(٤).

ومنها الجزية : وهي الموضوعة على رؤوس الرجال^(٥)، وهي تتفاوت على حسب يسر الموضوعة عليه وغناه أو فقره .

ومنها العشور: وهي « ما يؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام »^(٦). فيأخذ المسلمون من أهل الحرب العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر^(٧).

(١) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ٢٥-٢٩ ، ٧٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٠ .

(٣) محمد الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ١٥٧ .

(٤) محمد الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ١٥٧ .

(٥) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٤٢ . د. عبد الخالق النواوي ، النظام المالي في

الإسلام ص ١٥١ ، المكتبة العصرية ، ط ٢ ، ١٩٧٣م ، بيروت - صيدا . محمود

المرسي لاشين ، التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية ص ١٢٠-

١٢٢ ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ودار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٧م

(٦) الرئيس ، الخراج والنظم المالية ص ١٢٧ .

(٧) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٤٣

ومنها الصوافي : وهي الأراضي التي لم يعد لها مالك سواء أكانت لكسرى ، أو لأهله ، أو لرجل قتل في الحرب ، أو هرب إلى أرض الحرب ، أو مغيض ماء ، أو ديربريد^(١)، فهذه الأراضي رأى عمر رضي الله عنه استصفاءها وإدخالها إلى بيت مال المسلمين ، وقد قام عمر رضي الله عنه باستثمارها^(٢)، وقد بلغت غلتها في عهده سبعة آلاف ألف درهم^(٣).

الفصل الثاني عوامل نجاح الدعوة

عندما انطلقت الدعوة الإسلامية إلى العراق وفارس يسّر الله لها تخطي الصعاب والمعوقات ، وهياً لها مناخاً مناسباً لقبول الدعوة ، ووجدت عوامل ساعدت على نجاح الدعوة بعضها يتعلق بالداعي ،

(١) لم أجد له تعريفاً.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٣) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ٦٣ . قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ص ٢١٧ ، شرح وتعليق : د. محمد بن حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م.

- والآخر يتعلق بالمدعو ، بالإضافة إلى أن مضمون الدعوة يحمل بين طياته خصائص وصفات تجذب الناس إليه وتقربهم إلى وارف ظلاله ، وسيكون تناول هذا الفصل- بمشيئة الله تعالى -تحت المباحث التالية:
- المبحث الأول - أثر الوضع المتردي في البلاد المفتوحة في نجاح الدعوة .
- المبحث الثاني - أثر خصائص الإسلام في نجاح الدعوة .
- المبحث الثالث - أثر النزعة الدينية في نجاح الدعوة .
- المبحث الرابع - أثر الصفات الإيجابية للجيش الإسلامي في نجاح الدعوة .
- المبحث الخامس - أثر الصفات السلبية للجيش المضادة في نجاح الدعوة .
- المبحث السادس - أثر الجهود الدعوية في نجاح الدعوة .

المبحث الأول - أثر الوضع المتردي في البلاد

المفتوحة في نجاح الدعوة:

إن المجتمع المطمئن إلى أوضاعه لا يبحث عن متنفس آخر ليركن إليه ويرتاح فيه، بخلاف من عنده قلق يكدر صفوه ، وينغص استقراره ، ويقض مضجعه فإنه يتوق إلى ما ينقذه من هذا الوضع السيء ، وينتشله من تلك الأحوال .

إن الأوضاع في العراق وفارس وغيرها من بلاد العالم قبل الإسلام تمتلئ بالشر والفساد في كل مناحي الحياة ، فقد « كان القرن

السادس والسابع لميلاد المسيح^(١) من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف
«^(٢).

ففي الميدان السياسي مل الناس وسئموا الاضطراب الذي خيم على بلاد فارس، سواء في العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة وما يكتنفها من حرب طاحنة ، أو الأمور الداخلية ؛ فإنه في السنوات الخمس الأخيرة والتي سبقت الفتح الإسلامي والمقارنة لأوائله (١- ١٥هـ) لم يكد يستقر ملك لفارس^(٣)، كما أن استبداد الساسانيين في حكمهم وطغيانهم فيه كان سببا في أن يكرههم المواطنون ويمقتوهم^(٤).
لقد جاء الإسلام فهدم تأليه الفرد وسلطانه المطلق ، ورد العبودية إلى الله سبحانه وتعالى ، وقضى على التسلط الساساني .

ومن الناحية الدينية فقد كانت البلاد مشتتة بين أديان وضعية ، وحركات هدامة ، وأديان سماوية محرقة فليس ثمة دين يقنع العقول ، وتطمئن إليه النفوس ، وتسكن إليه الأرواح ، فما أن عرفوا الإسلام عن كثب إلا وأقبلوا عليه وارتموا في أحضانه .

فالنصارى الذين يمثلون شريحة من شرائح مجتمع العراق وفارس ، بل ينتسبون إلى دين من أعلى الأديان هناك؛ لأن فيه أثارة من وحي وبقية من رسالة .

هؤلاء النصارى يرجع أنولد إقبالهم على الإسلام إلى عاملين : أحدهما- تدهور الكنيسة ، والآخر - إعجاب أهل الذمة بالعقيدة

(١) أي القرن الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والقرن الذي بعث فيه ، أي قبل الفتح الإسلامي .

(٢) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٤ .

(٣) آرثر كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ص ٤٨٠ . حسن بيرنيا ، تاريخ إيران القديم ص ٢٨٢ .

(٤) حسن بن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ص ٢١٦ .

الإسلامية^(١)، ولا شك أن تدهور الكنيسة يشمل التدهور العقدي والأخلاقي، وهو ما قرره لينبول أيضاً^(٢).

ومن الناحية الاجتماعية فقد كان المجتمع الإيراني لا يعرف المساواة ولا يفكر بها، فالمجتمع مقسم إلى طبقات متعددة تفصل بينها هوات عميقة، بل كان الناس يقصدون ملوكهم ويرون فيهم شيئاً من الألوهية^(٣)، وكان أهل القرى والفلاحون أقنان أرض للساسانيين، وإذا أعطى كسرى أحداً من رجاله أرضاً أخذها بفلاحيتها، أي أن رقهم ينتقل إلى المالك الجديد^(٤). كما يوجد التمايز في الحيرة^(٥).

أما من الناحية الاقتصادية فقد انغمس الملوك والأغنياء والأشراف ونحوهم في الشهوات والملذات والترف والبذخ^(٦)، ويقابل هؤلاء طبقة الفلاحين والصناع والتجار وأهل الحرف والأشغال كانوا في جهد من العيش، ويعيشون عيش البهائم، ثم لا حظ لهم في الحياة إلا التعب والإجهاد لينعم غيرهم^(٧).

ولا شك أن مثل هذه الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية تجعل الشعب ينظر إلى الفتح الإسلامي على أنه منقذ من هذه الأحوال ومحرر من هذه العبودية، فقد نقل الإسلام شعب الفرس من الرق والعبودية إلى عالم الحرية والكرامة؛ ولذلك رحب الفرس بالمسلمين ودخلوا في دينهم.

(١) عن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة ص ١١٢.

(٢) عن المرجع السابق ص ١١١.

(٣) آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين ص ٣٠٢.

(٤) د. حسين بن مؤنس، الإسلام الفاتح ص ١٢.

(٥) يوسف ابن غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة ص ٩٦.

(٦) شاهين مكاربوس، تاريخ إيران ص ٩٠. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧٣.

(٧) عبدالرحيم الدهلوي، حجة الله البالغة ١/١٠٥-١٠٦.

يقول حسن بن إبراهيم بن حسن : « وقد رحب الفرس بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام أولا ، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانياً ، ثم أملا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر ؛ ذلك أن الإسلام يبيح لغير المسلمين أن يتدينوا بما يرضون »^(١) ، ونحوها من هذا قال الخربوطي^(٢) .

المبحث الثاني - أثر خصائص الإسلام في نجاح الدعوة :

إن من أهم وأكدهما ما يجذب الناس لاعتناق دين أو فكر معين هو ما يحمله ذلك الدين والفكر من مضامين تقنع العقل فيُسَلِّم ويستكين ، وتوافق الفطرة فتهدأ وتستقر .

والدين الإسلامي هو دين الله عزوجل لجميع الناس ، فلا غرو أن احتوى ضروب الأدلة التي تقنع أصناف الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والعلمية ، كما أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ ولذلك ما إن يصل إلى سويداء القلب ويخالط شغافه حتى تشعر النفس بالسكينة والراحة والطمأنينة .

وهو مع ذلك كله سهل واضح للجميع ، ليس فيه تعقيدات الفلاسفة ، ولا كهنوت المسيحية المحرفة ، إلى غير ذلك من الخصائص التي جعلت الناس يقبلون عليه ويلتفون حوله ، أو على الأقل يبهرهم ذلك الحسن المتجلي فيه . وأهم هذه الخصائص مايلي :

أولاً - موافقته للفطرة .

ثانياً - وضوحه .

(١) تاريخ الإسلام ص ٢٢٢ .

(٢) الإسلام وأهل النمة ص ١٠٢ .

ثالثاً - يسره وسماحته .
رابعاً- عدالته وإنصافه .
خامساً- الحرية الدينية لأهل الذمة فيه .
سادساً - موقفه من الأرقاء .

أولاً - موافقته للفطرة :

يبين الله سبحانه وتعالى أنه فطر الإنسان على الإسلام فيقول عز من قائل: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله} (١)، وتفسير الفطرة بالإسلام هو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل (٢).

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإنسان مولود على الفطرة وهي الإسلام فيقول : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تُنثج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة ر: {فطرة الله التي فطر الناس عليها ... الآية}» (٣).

فقد بين الحديث أن الإنسان مفطور على الإسلام ، ثم تعمل المؤثرات المحيطة به عملها في تغيير تلك الفطرة .
ولما كان الدين الإسلامي ديناً عالمياً فهو موافق لفطرة كل إنسان في كل زمان ومكان مهما كانت جنسيته أو لونه أو حضارته .

(١) آية ٣٠ من سورة الروم

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن م ٧ ج ٤ / ٢٥١ ، المكتبة العربية، ١٣٨٧هـ ، القاهرة .

(٣) صحيح البخاري م ١ ج ٩٧/٢ ، كتاب الجنائز ، باب ٨٠ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام .

والفطرة الإنسانية تُحَسَّن الإسلام وتميل إليه إذا انتفض عنها غبار التبعية ، وزالت عواصف العصبية ، ومطامع المنصب ، وتجردت للحق ، فهذا رستم حينما وقف هو وزهرة بن حوية دار بينهما حديثاً نجتزئ منه ما يلي :

«-رستم : ما هو دينكم ؟

- زهرة : أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى

- رستم : ما أحسن هذا ! وأي شيء أيضاً ؟

- زهرة : إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى .

- رستم : حسن ، وأي شيء أيضاً ؟

-زهرة : والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم .

-رستم : ما أحسن هذا ! «

فانصرف رستم ، ودعا رجال فارس فذكر لهم ذلك فغضبوا من ذلك وأنفوا ، فقال : « أبعدكم الله وأسحقكم ، أخزى الله أحرعنا وأجبننا! ».

فقد حسَّن رستم الإسلام وأمره لموافقته ما في نفسه من فطرة ، لكن عندما واجه كبراء قومه تغير الموقف حبا في المنصب^(١) وهروبا من وصمه بالجبن والخوف .

ولئن منع ذلك رستم من الإسلام فقد ارتمت في أحضان هذا الدين شخصية أخرى استمعت لهذا النقاش وهو الرفيل^(٢).

ثانياً - وضوحة :

(١) قد اعترف هو بنفسه بأنه ذو حب للشرف وذو طمع. انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٢٩٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥١٧-٥١٨ .

يعتبر الوضوح إحدى الخصائص الظاهرة للإسلام ، ولن يجد إنسان مهما أجهد نفسه بالبحث والتنقيب مذهباً^(١) (أيديولوجية) دينياً ولا وضعياً أوضح من الإسلام^(٢).

ويتجلى هذا الوضوح في كلام الرسل الذين أوفدهم المسلمون لدعوة الفرس إلى الإسلام وبيان معالمه لهم ، وعدم وجود أدنى اختلاف بينهم^(٣)، ومرد هذا الاتفاق وضوح الإسلام في أذهانهم ، ولم تشر المصادر إلى أي اجتماع عقد لمن يريد الذهاب رسولا إلى الفرس لكي يُعلم ما يقوله.

ولم يملك أكبر قادة الفرس رستم إلا إظهار الإكبار والإعجاب بهذا الاتفاق بين الرسل في حديثهم حيث يقول لقومه : « هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين!! والله لئن بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ لما أرادوا منهم ، ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شي »^(٤).

كما نجد تمجيذا بوضوح كلام ربي بن عامر رضي الله عنه أحد رسل المسلمين من قبل رستم أيضاً ، حيث يقول لكبراء الفرس لما خلا بهم: « هل رأيت كلاما قط أعز ولا أوضح من كلام هذا الرجل ؟! »^(٥).

(١) المذهب : عند الفلاسفة مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ترتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٣١٧/١] .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، خصائص الإسلام العامة ص ٢٠٨ .

(٣) انظر فصل الرسل ص ٢٨ وما بعدها من هذا البحث .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٢/٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٢٠/٣ .

ولقوة ظهور خاصية الوضوح في الدين الإسلامي لم يجد المستشرقون مناصاً من الاعتراف بها والربط بينها وبين سرعة انتشار الإسلام ، وفيما يلي نماذج من شهاداتهم في هذا الصدد :
قال ول ديورانت : « والإسلام أبسط الأديان كلها وأوضحها »^(١) .
ويعلل جوستاف لوبون انتشار الإسلام السريع بسهولته ، حيث يخلو مما يوجد في غيره من الأديان مما يأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض ، ويوضح جوستاف أن المسلم قادر على معرفة أصول الإسلام في كلمات وجيزة ، بينما المسيحي لا يستطيع الكلام عن التثليث وغيره من الغوامض التي لا يعرفها غير علماء اللاهوت^(٢) .

وقال كابتاني : « إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهيلينية إلى اللاهوت المسيحي ، أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فقد كانت الثقافة الهيلينية وبالإضافة من الوجهة الدينية ؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة مليئة بالشكوك والشبهات ، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس ، بل زرع أصول العقيدة الدينية ذاتها ، فلما أهلت آخر الأمر أبناء الوحي الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي تمزقت بفعل الانقسامات الداخلية ، وتزعزعت قواعدها الأساسية ، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب ، لم تعد المسيحية بعد تلك قدرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد كل الشكوك التافهة ، وقدم مزايا مادية جلييلة إلى جانب مبادئه

(١) قصة الحضارة ١١٦/١٣ .

(٢) عن الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمة ص ١١١ .

الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل ، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتقى في أحضان نبي بلاد العرب»^(١).

وقال تايلور: « لقد كان [أي الإسلام] ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى ، ولقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته ، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه ، وأعلن أن المرء مسؤول ، وأن هناك حياة آخرة ويوما للحساب ، وأعد للأشرار عقابا أليما ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المتنازعين في الدين ، وأحل الشجاعة محل الرهينة ، ومنح العبد رجاء ، والإنسانية إزاء ، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية»^(٢). وفي تاريخ الحضارات : « فبعد أن ملَّ النصارى ، وسئمت نفوسهم عطن المناقشات التي أدَّت إليه المشاقات الدينية والمذهبية ، وهذه الشروح والتفاسير والتعاليق الفلسفية اللاهوتية التي آلت إليها أو شجرت عنها فقد رأوا في الإسلام تبسيطا معقولا لمعتقداتهم»^(٣).

ثالثاً - يسره وسماحته :

إن من السمات التي تميز بها الإسلام يسره وسماحته ، فالتيسير روح في جسم الشريعة الإسلامية ، وهذا من رحمة الله تعالى ورأفته بعباده ومراعاته لضعفهم وكثرة الأعباء الملقاة على كواهلهم . والنصوص متظافرة في الدلالة على يسر الإسلام وسماحته منها : قوله تعالى : {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} ^(٤).

(١) عن توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) عن المرجع السابق ص ٩٠ .

(٣) اداور بروي بالتعاون مع آخرين ، تاريخ الحضارات العام ١٢٣/٣ .

(٤) آية ١٨٥ من سورة البقرة .

وقوله : { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها }^(١) .
 وقوله : { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج }^(٢) .
 وقوله : { لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها }^(٣) .
 وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما
 يكره أن تؤتى معصيته »^(٤) .
 وقوله : « بشرُوا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا »^(٥) .
 وهذه النصوص ونحوها هي الأصل في القاعدة الفقهية المقررة
 لدى علماء الأمة الإسلامية « المشقة تجلب التيسير » ، فالإسلام
 يراعي الظروف المحيطة بالإنسان ، فإذا رأى مشقة يسر له وخفف
 عليه ، وقد ذكر العلماء الأمور الجالبة للتيسير وهي: السفر ،
 والمرض ، والإكراه ، والنسيان ، والجهل ، وعموم البلوى ،
 والنقص^(٦) ، ولكل منها أحكام فصلتها كتب الفقه الإسلامي .
 ومن أمثلة ذلك صلاة المريض قائما ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن
 لم يستطع فعلى جنب^(٧) ، وجواز الجمع بين الظهر والعصر ،

(١) آية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢) آية ٦ من سورة المائدة .

(٣) آية ٧ من سورة الطلاق .

(٤) مسند الإمام أحمد ١٠٨/٢ ، قال البنا : أورده الهيتمي وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والبخاري والطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، بلوغ الأمان ١٧/١٩ .

(٥) صحيح مسلم ١٣٥٨/٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ٣ في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، رقم الحديث العام ١٧٣٢ .

(٦) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، الأشباه والنظائر في الفروع ص ٥٥-٥٩ ، دار الفكر ، وبهامشه كتاب المواهب السنوية لعبدالله الجرهمي . عبدالله بن سليمان الجرهمي الشافعي ، كتاب المواهب السنوية ص ١٠٣-١١٣ ، دار الفكر ، بهامش الأشباه والنظائر للسيوطي .

(٧) أبو الفرج عبدالرحمن المقدسي ، الشرح الكبير ٤٢٤/١ .

والعشائين في وقت إحداهما للسفر الطويل والمرض الذي يلحقه بترك الجمع فيه مشقة وضعف^(١)، وجواز الفطر للمسافر والمريض وغيرهما من أهل الأعدار^(٢)، إلى غير ذلك من الأمثلة المبسطة في كتب الفقه الإسلامي .

وكان هذا التيسير من الأسباب التي حدت بأهل الذمة إلى الإقبال على الإسلام، لاسيما أنهم لم يألفوا مثل ذلك في دياناتهم السابقة كما يقول المؤرخ دوزي^(٣).

رابعاً - عدالته وإنصافه :

من خصائص الإسلام العدل المطلق وسلامته من التحيز والهوى ، وذلك مقتضى ربانيته ، فالله سبحانه وتعالى خالق جميع البشر فلا فرق عنده بين جنس وآخر ، ولا لون دون لون ؛ « لأنهم من أصل واحد فليس لأحد حق مكتسب منذ الولادة »^(٤).

قال الله تعالى: { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }^(٥).
وقال: { إن الله يأمر بالعدل }^(٦).

(١) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوزاني (ت ٥١٠هـ) ، كتاب الهداية ص ٤٨ ، تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصاري والشيخ صالح العمري ، مراجعة : الأستاذ ناصر بن سليمان العمري ، مطابع القصيم ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ .

(٢) منصور البهوتي (ت ١٠٥١هـ) ، الروض المربع شرح زاد المستقنع ٣٧٢/٣ وما بعدها ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، المطبوع مع حاشية ابن قاسم عليه .

(٣) عن الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمة ص ١١١ .

(٤) د. عبدالكريم بن عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ص ٨٤-٨٥ ، مؤسسة الأنوار ، الرياض ، ط ٥ ، ١٣٩٨هـ .

(٥) آية ٥٨ من سورة النساء .

(٦) آية ٩٠ من سورة النحل .

ونهى الله تعالى المسلمين أن تحملهم العداوة والبغضاء على ترك العدالة فقال: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى} (١).

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا محاباة لأحد من الناس عند تطبيق الحدود ، بل الجميع سواسية فيقول : « إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون على الشريف ، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها » (٢).

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم اتحاد أصل البشر وأنه لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى فيقول: « ياأيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، أبلغت ؟ قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣).

وقد بين الفاتحون المسلمون للفرس وغيرهم أنهم جاءوا لذلك ، فهذا زهرة بن حوية يبين بعض تعاليم الإسلام التي يحملونها لرستم فيقول : « جننا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله » (٤)، يعني بعبارة أخرى العدل والمساواة بينهم ، وإلغاء الطبقة المقتية التي يستعبد بها بعض الناس بعضهم .

وكان المسلمون حريصين على إعطاء أهل الذمة حقوقهم ، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب ربعث زياد بن حدير الأسدي (٥) على عشور

(١) آية ٨ من سورة المائدة .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٨٦/١٢ ، كتاب الحدود ، باب ١١ إقامة الحدود على الشريف والوضيع ، رقم الحديث ٦٨٨٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٤١١/٥ ، قال: البنا : لم أقف عليه لغير أحمد ، وأورده الهيثمي وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، بلوغ الأمانى ٢٢٧/١٢ .

(٤) الكامل في التاريخ ٣١٩/٢ .

(٥) هو زياد بن حدير الأسدي أحد بني مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، روى عن عمر وعلي وطلحة وعبيدالله ، وهو أول من عثر في الإسلام ،

العراق ، وأمره أن يأخذ من أهل الذمة نصف العشر ، فمر عليه رجل نصراني ومعه فرس ، فقوموها بعشرين ألفا ، فأخذوا منه ألفا ، ثم مرّ عليه مرة أخرى في رجعتة في السنة نفسها ، فطلب منه زياد ألفا أخرى ، فاستنكر ذلك النصراني ، وذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه بمكة وقص عليه أمره ، فلم يزد عمر على قوله: كفيت ، فرجع النصراني إلى زياد ، وقد وطّن نفسه على دفع ألف ثانية له ، فلم يفجأه إلا كتاب عمر رضي الله عنه قد وصل قبله « من مرّ عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئا إلى مثل ذلك اليوم من قابل إلا أن تجد فضلا » ، وعند ذلك ظهر للنصراني صدق هذا الدين وعمق تأثيره على أهله فأعلن إسلامه^(١).

ويجد علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو بالكوفة درعه مع يهودي ، ويرفض اليهودي تسليمها لعلي رضي الله عنه زاعماً أنها له ، وكان بإمكان علي رضي الله عنه وهو صاحب السلطان أن ينتزعها بالقوة ، لكنه لم يفعل ذلك ولم يخطر بباله ، وإنما رفعه إلى القاضي شريح ، ويحكم القاضي لليهودي لعدم قدرة علي رضي الله عنه على إقامة البينة ، وعند ذلك أعلن اليهودي إسلامه قائلاً : « أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه ، وقاضيه يقضي عليه ، أشهد أن هذا الدين على الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك ليلا » ، بل نجد ذلك اليهودي لا يكتفي بمجرد الإسلام بل يخرج مع علي رضي الله عنه إلى الخوارج ويقاتلهم ويُقتل^(٢).

إن العدل عند الخلفاء الراشدين ليس كلاما تنمق به الخطب ، ولا كتبا ترسل ليتسامع بها الناس ، ولا علماً يرفع فوق القضبان ، ولكنه

وله عقب بالكوفة، ومن ولده أبو حوالة القارئ إمام مسجد الجماعة بالكوفة . [ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣٠/٦] .

(١) القاضي أبو يوسف ، كتاب الخراج ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) وكيع ، أخبار القضاة ٢٠٠/٢ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٠١/٣ .

واقع ملموس وقضية مطبقة ليس بين المسلمين فحسب ، بل مع غير المسلمين ولو كان خصمهم من المسلمين ؛ ولذلك كان له صداه وتأثيره ، ولعل إسلام هذا اليهودي وذلك النصراني أمثلة على مدى تأثير العدل الإسلامي .

خامساً - الحرية الدينية لأهل الذمة فيه:

إن المسلمين بوحى من دينهم لما ذهبوا إلى بلاد العراق وفارس لم يرغموا أهلها على الإسلام ، ولم يكرهوهم على ترك أديانهم . وهذه الحرية الدينية تظهر بجلاء في عقود الصلح التي أبرمها المسلمون مع أهل الذمة^(١)، تلك العقود التي جعلت الناس يتنفسون عبر الحرية الدينية ويرتاحون من عنت الاضطهاد الديني الموجود سابقاً^(٢).

ولقد أشاد بعض المستشرقين بتلك الحرية التي أعطاها الإسلام لأهل الذمة فمثلاً قال ترتون : « الواقع أن المجوس كان عددهم كبيراً ، وكانوا يعاملون معاملة الشعوب المعاهدة ، وإن العهود التي أعطيت لهم أباحت لهم مطلق الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية ، ولم يكن ذلك مجرد حبر على ورق »^(٣). وفي كتاب تاريخ الحضارات العام: « تمتع الذميون بكافة حرياتهم »^(٤).

وكان نتيجة هذا التسامح الديني أن دخل في الإسلام معظم النصارى وكثير من اليهود وأغلب الزردشتيين والوثنيين في آسيا

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢١ . تاريخ الطبري ١٣٦/٤-١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٢) د. محمد ضياء الدين الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ١٦٤ .

(٣) عن د. توفيق اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٥٤ ، دار العلوم ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، الرياض .

(٤) إدوار بروي بالتعاون مع آخرين، تاريخ الحضارات العام « القرون الوسطى » ١١٦/٣ .

ومصر وشمالى افريقيا^(١)، وهذا ىرد على من زعم أن الإسلام إنما انتشر بالسيف^(٢).

سادساً - موقفه من الأرقاء :

لم ينظر الإسلام إلى الأرقاء نظرة ازدراء واحتقار توغر صدورهم وتغيظ قلوبهم ، ولكنه نظر إليهم نظرة كريمة عادلة فأنصفهم وأكرمهم ، وإنك لن تجد نظاماً من النظم الاجتماعية فى العالم كله أعطى الرقيق حقوقهم كما فعل الإسلام^(٣).

لقد رد الإسلام البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، حرهم وعبدهم إلى أصل واحد، قال الله تعالى : { ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا }^(٤).

ويقول : { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم }^(٥).

فقد أسقط الله جميع الفوارق ، وأسقط جميع المعايير ، ورفع ميزانا واحداً بقيمة واحدة يرجع الناس إليه^(٦). وهكذا رفع الإسلام الرقيق وجعله يعيش إنساناً كسائر الناس على حد سواء ، ولا فضل لأحد من البشر عليه كائناً من كان مهما كانت جنسيته أو نسبه أو جاهه أو ماله إلا بالتقوى .

(١)ول ديورانت ، قصة الحضارة ١٣/١٣٣ .

(٢) توماس آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ٨٨ .

(٣)د. عبدالله بن ناصح بن علوان ، نظام الرق فى الإسلام ، ص ٢٩ ، دار السلام ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

(٤)آية ١ من سورة النساء .

(٥)آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٦)سيد بن قطب ، فى ظلال القرآن ٦/٣٣٤٨ .

كما أن الإسلام فتح أبواباً كثيرة لتحرير الرقيق من رقهم ، منها أن الإسلام حث على ذلك ورتب عليه الأجر العظيم ، ومنها طريق الكفارات ، ومنها أنه أحد مصارف الزكاة ، وعتق أم الولد ، وغير ذلك^(١) .
وإننا لنذكر بالإجلال والإكبار ذلك العتق الجماعي الذي قام به مصقلة بن هبيرة الشيباني فقد أعتق خمسمائة من النصارى اشتراهم بألف ألف^(٢) .

كما أوصى الإسلام بحسن معاملة الأرقاء^(٣) .
قال الله تعالى: { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً }^(٤) .

وعن المعرور بن سويد قال : « رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حُلَّةٌ ، فسألناه عن ذلك ، فقال: إني ساببت رجلاً فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمه ؟ ثم قال : إن إخوانكم خولكم^(٥) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ،

(١) د. عبدالله بن ناصح بن علوان ، نظام الرق في الإسلام ص ٤٣ ومابعدا . د. محمد البهي ، الإسلام والرق ص ٢٤ ومابعدا ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ . محمد بن علي أبو العباس ، معاملة الخدم في الإسلام ص ٢٢ ومابعدا ، مكتبة القرآن .
(٢) تاريخ الطبري ١٢٩/٥ .

(٣) نجد مثلاً أن النووي بَوَّبَ باباً في كتابه رياض الصالحين بعنوان فضل الإحسان إلى المملوك مما يدلنا على عمق هذه المسألة في الإسلام ، انظر رياض الصالحين ص ٤٩٤-٤٩٥ .

(٤) آية ٣٦ من سورة النساء .
(٥) الخَوْلُ: الخدم، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور، أي يصلحونها . [ابن حجر ، فتح الباري ١٧٤/٥] .

وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقتين أو أكلة^(٢) أو أكلتين ؛ فإنه ولي علاجه»^(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من كانت له جارية فعلمها فأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران»^(٤).

ولقد ملك المسلمون بسبب الجهاد في سبيل الله في العراق وفارس أعداداً كبيرة من السبي ، وليس هناك شك في أن جيل الصحابة والتابعين هم خير من طبق تعاليم الإسلام كلها ، ومنها تلك التعاليم المتعلقة بالرقيق فهم خير القرون .

وإن مثل هذه المعاملة الحسنة والتي تصدر من شخص هو سيد ومالك للرقيق لها أثرها الكبير في إيجاد وشائج المحبة والمودة بينهم والتأثر بدينهم ، لاسيما أنه هو الذي يأمرهم بهذه المعاملة الطيبة .

المبحث الثالث - أثر النزعة الدينية في نجاح الدعوة :

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٧٣/٥-١٧٤، كتاب العتق ، باب ١٥ قول النبي صلى الله عليه وسلم العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون ، رقم الحديث ٢٥٤٥ .

(٢) أكلة: أي لقمة . [ابن حجر ، فتح الباري ١٨١/٥] .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٨١/٥ ، كتاب العتق باب ١٨ إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، رقم الحديث ٢٥٥٧ .

(٤) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٧٣/٥ ، كتاب العتق ، باب ١٤ فضل من أدب جاريته وعلمها ، رقم الحديث ٢٥٤٤ .

على الرغم من اختلاف الديانات في العراق وفارس إلا أننا نلاحظ أن التدين والإيمان بالغيب يجمعها ويوحدها^(١)، ولا شك أن هذا له أثره في تيسير نشر الدعوة الإسلامية ، حيث يصبح الإيمان بالغيب مسألة مسلمة بخلاف الملحدين الذين ينكرون كل ما وراء الحس غير ملتفتين لنداء الفطرة ولا لصوت العقل .

إن مما ييسر عملية الدعوة إلى الله عزوجل، ويقرب من استجابة المدعو أن يكون المدعو واثقاً بوجود عالم الغيب مؤمناً باليوم الآخر .
ومما يدل على هذا تلك النماذج الحية في بلاد البحث ، منها قصة إسلام باذان الفارسي ووالي اليمن من قبل الفرس ، فإنه بأمر من كسرى قد أرسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم رسولين ليذهب محمد صلى الله عليه وسلم معهما إلى كسرى ، فأخبرهما الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وليلة كذا ، ثم أوصاهما الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبلغا باذان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم له إلى الإسلام ، ورغبه ببعض المرغبات ، فقدم الرسولان على باذان وأخبراه الخبر ، فقال : « والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، ولننظرن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام إنه لنبي مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا » ، فلم يلبث باذان أن جاءه تصديق نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلم معه أبناء فارس في اليمن^(٢) .

ف نجد أن باذان لم يناقش في قضية وجود الله عزوجل فهذه مسلمة بدهية عنده لإيمانه بالغيب ، كما أن قضية النبوة قضية حاضرة في ذهنه ، وإنما القضية صدقها من كذبها ، فلما تيقن من كونها حقاً بادر للإيمان والتصديق ، واتبعه من اتبعه من قومه للعلة نفسها .

(١) انظر الحالة الدينية في العراق وفارس من هذا البحث ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) تاريخ الطبري ٦٥٥/٢-٦٥٦ .

ولما عرض زهرة مبادئ الإسلام على رستم قائد الفرس كان من كلامه : « أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى » ، فقال له رستم : ما أحسن هذا^(١).

فقد حسن رستم الكلام عن عمود الإسلام وهو يقوم على قضيتين غيبيتين هما: وجود الله عزوجل ، وصدق النبوة وكونه يأتيه الوحي ، ولقد مال رستم إلى الإسلام لكن منعه حب المنصب والشرف من الدخول فيه ، فقاتل الله الدنيا إذا منعت من حظ الآخرة !!

إن رستم لو كان من الملاحدة الذين لا يصدقون بوجود الله عزوجل ولا بقضية النبوة لما حسن هذا فضلاً عن ميله إليه ، ولاحتاج الموقف إلى براهين وحجج وإثبات علها تزيحه عن موقفه الذي قد تشرّب به واعتقده .

يضاف إلى هذا أننا نجد في ثنايا كلامهم حديثاً عن الله سبحانه وتعالى كقول بوران لرستم لما كتبت له بأنه على حرب فارس: « ليس عليك إلا الله عزوجل»^(٢).

وكقول رستم ليزدجرد : « أنشدك الله في نفسك»^(٣).

كما نجد توافقاً بين الزرادشتية والأديان السماوية في بعض الأصول ، وإن كانت الزرادشتية تختلف في كثير من الطقوس ذات الصلة بالعقيدة نفسها ، ونجدها تتفق معها في آدابها ومعاملاتها في نقاط كثيرة ، فهي تحرم الربا والزنا واللواط والسرقة والرشوة ، وتنتهي عن المنكر ، وتأمّر بالمعروف ، وبناء الفرد والأسرة على أساس الأخلاق الكريمة ، ونشر العلم بين جميع الناس حتى المجرمين

(١) تاريخ الطبري ٥١٧/٣-٥١٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٧/٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٤/٢ .

، وعمل كل ما ينفع المجتمع ويرتقي به من اهتمام بالطب والزراعة والتجارة والاقتصاد والعمران وكل وسائل الحضارة والتمدين^(١). والزرادشتية هي الديانة الرسمية المنتشرة في الدولة الساسانية حينما ظهر الإسلام^(٢).

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن الله سبحانه وتعالى قد أثنى على الفرس خيرا وكذا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : { وآخرين لما يلحقوا بهم }^(٣)، وقد بين الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أن المقصود بهم أهل فارس وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال : « كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ : { وآخرين منهم لما يلحقوا بهم } ، قال رجل : من هؤلاء يارسول الله ؟ فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا ، قال : وفينا سلمان الفارسي ، قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء »^(٤).

قال القرطبي : « وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم عيانا ؛ فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها مالم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم »^(٥).

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم هم المراد بالقوم في قوله تعالى : { وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

(١) أحمد بن عبدالغفور بن عطار ، الديانات والعقائد في مختلف العصور ٢٥١/١ .
(٢) عقل بن عبدالكريم العقل ، المجوسية وأثرها في العالم الإسلامي ص ٩ ، رسالة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .

(٣) آية ٣ من سورة الجمعة .

(٤) سبق تخريجه ص ٤١ من هذا البحث .

(٥) عن ابن حجر ، فتح الباري ٦٤٣/٨ .

{^(١) وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً هذه الآية { وإن تتولوا يستبدل
قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم } ، قالوا : ومن يستبدل بنا ؟ قال :
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال : هذا
وقومه »^(٢).

ونقل القرطبي عند تفسيره لهذه الآية عن المحاسبي قوله : « فلا
أحد بعد العرب من جميع أجناس الأعاجم أحسن ديناً ، ولا كانت
العلماء منهم إلا الفرس »^(٣).

وعقد ابن خلدون فصلاً في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم
العجم^(٤)، ومما يساعد النزعة الدينية دعوة المصطفى صلى الله عليه
وسلم لهم بالهداية فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوماً ونظر إلى الشام فقال : « اللهم أقبل بقلوبهم ،
ونظر إلى العراق فقال نحو ذلك ، ونظر قبل كل أفق ففعل
ذلك...الحديث »^(٥).

المبحث الرابع - أثر الصفات الإيجابية للجيش الإسلامي في نجاح

الدعوة :

ليس من شك أن أحد العوامل الفاعلة في نشر أي دين أو فكر هو
الحامل لذلك الدين وما يتصف به من صفات .

(١) آية ٣٨ من سورة محمد .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٢ من هذا البحث .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن م ٨ ج ٢٥٨/١١ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٥٧/٣ .

(٥) سبق تخريجه ص ٤٣ من هذا البحث .

ولقد وجدت في المسلمين الفاتحين خصائص وصفات حسنة كانت سبباً في تحقيق النصر والتمكين لهم ضد العدو المواجه لهم ، ونشر الدين الذي يحملونه .

وسأعرض- بمشيئة الله تعالى - أبرز هذه الصفات -والتي أئبعت ثمرتها فيما بعد- تحت العناوين التالية :

- الأول - الارتباط بالله .
- الثاني - رجاء إحدى الحسينين .
- الثالث - إيثار الآخرة على الدنيا وحبهم للجهاد .
- الرابع - القوة المعنوية .
- الخامس - اهتمام القادة بأمر المسلمين .
- السادس - حب القادة للرعية .
- السابع - مساواة القائد نفسه بجنده .
- الثامن - طاعة ولي الأمر .
- التاسع - الحنكة العسكرية .
- العاشر - الشجاعة .
- الحادي عشر - وجود الصحابة .
- الثاني عشر - نصر المسلمين بالكرامات .
- الثالث عشر - النصر بالرعب .

الأول - الارتباط بالله :

كانت الجيوش الإسلامية تجمعها كلمة واحدة ويلفها رباط واحد فهي خرجت مجاهدة في سبيل الله وطلباً لإعلاء كلمته ، تذكر لها ربا قريباً عند الشدة فتلجأ إليه ، واثقة بنصره قال تعالى: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان} ^(١)، وقال: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} ^(٢).

(١) آية ١٨٦ من سورة البقرة .

(٢) آية ٦٠ من سورة غافر .

ولا تنسى ربها عند الرخاء فهي ذاكرة له ناسبة النصر والتمكين إليه .

وإذا ارتبط الإنسان بربه واتقاه تيسرت أموره وانفتحت له الآفاق ونصره الله ومكن له .

قال تعالى : { ومن يتق الله يجعل له مخرجا }^(١)، وقال تعالى : { ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا }^(٢)، وقال : { يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا }^(٣)، وقال : { إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم }^(٤).

ويتضح هذا الارتباط من عدة محاور :

- ١ - الوثوق واليقين بنصر الله وبالفتح .
- ٢ - اللجوء إلى الله وسؤاله النصر والعون .
- ٣ - إخلاصهم القتال لله عزوجل .
- ٤ - رد النصر إلى الله وشكره عليه .

وهذه نبذة عن كل واحد منها :

١ - الوثوق واليقين بنصر الله وبالفتح :

كان المسلمون على ثقة من نصر الله عزوجل لجنده والمقاتلين في سبيله، وعلى يقين بفتح الله لهم لاسيما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بشرهم بفتح بلاد العراق وفارس ، ومن أثر ذلك أن أحد المسلمين يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة أحد عظماء الحيرة^(٥).

ويظهر هذا اليقين في كتاب أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد- رضي الله عنهما - وهو باليمامة يأمره بالسير إلى العراق وفيه : « فإن الله الذي لا إله إلا هو قال: { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

(١) آية ٢ من سورة الطلاق .

(٢) آية ٤ من سورة الطلاق .

(٣) آية ٢٩ من سورة الأنفال .

(٤) آية ٧ من سورة محمد .

(٥) أبو عبيد ، كتاب الأموال ص ٢٣٧ . تاريخ الطبري ٣/٣٦٦ .

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم^(١) وكتب الآية كلها ، وعداً منه
لا خلف له ومقالاً لا ريب فيه^(٢) .

ولما ولي عمر رضي الله عنه خلافة المسلمين ندب الناس مع
المثنى بن حارثة رضي الله عنه إلى العراق ومن كلامه : « أين
المهاجرون عن موعد الله ؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في
الكتاب أن يورثكموها فقال : { ليظهره على الدين كله }^(٣) ، فإله
مظهر دينه ، ومعز ناصره ، ومولي أهله مواريث الأمم^(٤) .

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص قائده بالعراق - رضي الله
عنهما - قبل القادسية : « إنه ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو
هزمتموهم ، فاطرحوا الشك وآثروا اليقين عليه^(٥) .

وقال أسير من المسلمين عند الفرس لرستم لما سأله عن سبب
مجيئهم : « جننا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن
تسلموا . فقال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك . قال : من قتل منا دخل الجنة
، ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد
وضعنا إذن في أيديكم ؟! فقال : أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا
يغرنك من ترى حولك ؛ فإنك لست تجاول الإنس إنما تجاول القضاء
والقدر^(٦) .

فهذا المسلم يعلم أن الله قد وعد المسلمين بملك فارس إن لم يسلموا
، وهو على يقين من هذا الوعد ؛ ولهذا ينصح لقائد الفرس بأن لا يغتر
بما عنده من قوة مادية من كثرة جنود ، ووفرة سلاح وقوته ، ذلك أن

(١) آية ٥٥ من سورة النور .

(٢) سنن البيهقي ١٧٩/٩ .

(٣) آية ٣٣ من سورة التوبة .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٩٠٨/٤ .

(٥) غزوات ابن حبيش ١٢٢/٢ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٧/٢ .

الفرس في لقائهم مع المسلمين لا يقاتلون المسلمين لوحدهم ، وإنما معهم الله بتأييده ونصره ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يخذله .
ولما دخل المسلمون بَهْرَسِير^(١) ورأوا القصر الأبيض ، ومع أن نهر دجلة يحول

بينهم وبينه إلا أنه لتبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بفتحه - قال أحد المسلمين وهو ضرار بن الخطاب : « الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله » وكَبَّرَ الناس حتى الصباح^(٢) .

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه والمسلمون يعبرون دجلة إلى المدائن : «حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات»^(٣) .

٢- اللجوء إلى الله وسؤاله النصر والعون :

جنود المسلمين هم جنود الله ، خرجوا لرفع رايته ومد نوره على مشارق الأرض ومغاربها ، فلا عجب إذا لجئوا إليه عزوجل ، واستغاثوا به ، وسألوه النصر على عدوه وعدوهم .

فهذا أبوبكر رضي الله عنه يدعو في كل غدوة وعشية بعد صلاة الفجر والعصر يقول: « اللهم إنك خلقتنا ولم نك شيئا ، ثم بعثت إلينا رسولا رحمة منك لنا وفضلا منك علينا ، ... وقويتنا وكنا ضعافا ، ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا : لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اللهم إنا نطلب رضاك ،

(١) بهرسير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وهي في غربي دجلة وهي تجاه الايوان قصر كسرى فالايوان في شرقي دجلة وهي في غربيه . [الحموي ، معجم البلدان ٥١٥/١] .

(٢) تاريخ الطبري ٨/٤ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٥٧/٢ .

ونجاهد أعداك من عدل بك وعبد معك إلهها غيرك ، ... اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين !»^(١).

وفي موقعة البويب حينما تغلب قلبُ المسلمين على قلب المشركين جعل المثنى رضي الله عنه والمسلمون في القلب يدعون للمجنّبات بالنصر ، ويرسل عليهم من يشجعهم ويقول إن المثنى يقول : « عاداتكم في أمثالهم ، انصروا الله ينصركم»^(٢).

ويكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما- فيوصيه بالتوكل على الله والاستعانة به على أمره كله^(٣)، إضافة إلى أن عمر رضي الله عنه والمسلمين بالمدينة كانوا يدعون لسعد رضي الله عنه خاصة وللمسلمين عامة^(٤)، كما أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يكتب لعمر رضي الله عنه ويسأله أن يستنصر الله لهم لخطورة موقفهم وعظمتهم^(٥).

وفي ليلة الهرير - التي تلي اليوم الثالث - من معركة القادسية اشتد القتال وحمي الوطيس ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط ، فما كان من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلا أن توجه إلى العزيز الرحيم وأقبل على الدعاء بقلب خاشع ذليل^(٦).

ولما أراد سعد رضي الله عنه عبور دجلة اقتحمه المسلمون وهم يقولون : « نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٧).

(١) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٧/٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ .

(٤) المصدر السابق ٤٩٢/٣ .

(٥) المصدر السابق ٤٩٤/٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٣٤/٢ . تاريخ ابن خلدون ٩٣٣/٤ .

(٧) تاريخ ابن خلدون ٩٣٧/٤ .

وفي كتاب عمر إلى النعمان بن مقرن - رضي الله عنهما - ليسير بمن معه إلى نهاوند : « واستنصروا الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله »^(١).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وقت موقعة نهاوند يدعو الله ليلا ونهارا للمجاهدين دعاء المضطرين ، وابتهاال أهل الضرورات^(٢).

وكان المسلمون بنهاوند يبتهلون إلى الله عزوجل ويتضرعون إليه ويسألونه النصر على عدوهم^(٣)، ودعا قائدهم النعمان بن مقرن فقال: « اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يُدل به الكفار ، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة »^(٤).

٣- إخراجهم القتال لله عزوجل :

لقد كانت أعمال المجاهدين وكلماتهم تتم عن إخلاصهم لله عزوجل حتى شعرهم ، وما أحسن قول عاصم بن عمرو بعد النمارق والشيوخ إلى كسكر :

لعمري وما عمري عليّ بهين

لقد صبحت بالخزي أهل النمارق.

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم

يجوسونهم ما بين دُرْتا^(٥) وبارق^(٦) ^(٧).

(١) تاريخ الطبري ١٢٦/٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١١/٧ .

(٣) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٤٦/٢ .

(٤) تاريخ الطبري ١١٩/٤ .

(٥) درتا : موضع قرب بغداد مما يلي قَطْرِبِل . [الحموي ، معجم البلدان ٤٤٩/٢] .

(٦) بارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة . [

الحموي ، معجم البلدان ٣١٩/١] .

(٧) تاريخ الطبري ٤٥٠/٣ - ٤٥١ .

وعندما أمر المثنى باتباع القوم بعد البويب قال : « ... وابلغوا من عدوكم ما

تغيظونهم به فهو خير لكم وأعظم أجرا ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم»^(١)، وبعد الإغارة على سوق بغداد قال: «... واحمدوا الله وسلوه العافية»^(٢)، وكلمات الرؤساء في القادسية التي يحثون فيها الجيش على البسالة والإقدام نرى فيها صدق الإخلاص لله عزوجل^(٣).

وفي القادسية أيضاً أصيب المؤذن فتنافس الناس على الأذان حتى كادوا أن يقتتلوا ، ولم ينفك النزاع حتى أقرع سعد رضي الله عنه بينهم^(٤).

وأما الصلاة وهي الصلة بين العبد وربه فلم تكن لتترك^(٥) مهما اشتدت المواقف فيؤدونها على قدر استطاعتهم^(٦)، بل كان منهم من يقوم لصلاة الليل النافلة^(٧)، وفي بعض المعارك كان الناس صياما لله ولا يفطرون حتى يقسم عليهم القائد^(٨).

وفي بعض المعارك عندما يكون في الوقت متسع تتلى سورة الجهاد وهي سورة الأنفال فتتهش قلوب الناس^(٩)، وكان التكبير شعارهم يدوي فيملاً قلوب الأعداء

(١) غزوات ابن حبيش ٩٥/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٤/٣ .

(٣) غزوات ابن حبيش ١٦٥/٢-١٦٧. وفي ص ٢٧٩ من هذا البحث يوجد نموذج من تلك الكلمات.

(٤) تاريخ الطبري ٥٦٦/٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣٢/٣-٥٣٣ ، ٥٣٥ و ٢٧/٤ . الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٢٨ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ٢٧٣/١ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٨١ .

(٨) تاريخ الطبري ١٨٣/٤ .

(٩) تاريخ ابن خلدون ٩٢٨/٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .

رعباً وخوفاً^(١).

وإذا أصيب أحد بشيء من جسده أو ماله احتسبه عند الله عزوجل ،ومن ذلك أن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه تصاب عينه بسهم في فتح همذان فيقول : «احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ، ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله»^(٢).

إن كلمات المسلمين النابعة من قلوبهم تدل على ارتباطهم القوي بالله عزوجل وركونهم إليه وإخلاصهم له ، ويُصدّق كلامهم حالهم ذلك الحال الذي يجسد حرصهم على رضا الله عزوجل وتتافسهم في التقرب إليه .

٤ - رد النصر إلى الله وشكره عليه :

إن من يؤمن بالله عزوجل الذي لا يحدث شيء إلا بإذنه لا بد أن يرُدَّ ما حل به من خير إلى الله عزوجل ، فالخير كله من الله تفضلاً ومئة ، ولقد تجسد هذا في مواقف المسلمين فنرى مثلاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح الله عزوجل نهاوند على المسلمين ، وهزم الفرس وأخذ المسلمون غنائمهم - يكتب بعد ذلك إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه كتاباً فيه : «... أما بعد فالحمد لله الذي أنجز وعده ، وهزم الكفار وحده ، فاحمدوا الله عباد الله على ما رزقكم من غنائم عدوكم ، واعتصموا به»^(٣).

ولما أقام يزيد جرد وآل كسرى بفرغانة^(٤) معهم عهد من خاقان ملك الترك ، وفتح الله على المسلمين فأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر جمع الناس وخطبهم ومن كلامه فيها : « فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرّق

(١) تاريخ الطبري ١١٥/٤ ، ١٢٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ ، ١١٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٦ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١١/٣ .

(٣) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٦٢/٢ .

(٤) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . [الحموي ،

معجم البلدان ٢٥٣/٤] .

شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ، ألا وإن الله قد أورتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون»^(١).
بل نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه عن الشام والتمثى بن حارثة رضي الله عنه عن العراق ، ويبين أن عزله لهما « ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما ، وأن القوة لله جميعاً »^(٢).

ويدرك زهرة بن حوية رضي الله عنه أحد ملوك فارس الشجعان فيقتله فيسأله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : هل أعانك عليه أحد ؟ فيجيب بكلمات الإخلاص: نعم ، الله^(٣).

ويكتب سعد بن أبي وقاص لعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- بعد القادسية فيقول : « أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الرءاون مثل زهائها^(٤) فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين »^(٥).

وكتب عتبة بن غزوان رضي الله عنه بعد فتحه للأبلة إلى عمر بن الخطاب ر : «أما بعد فإن الله وله الحمد فتح علينا الأبلة ، ...وأغننا ذهبهم وفضتهم وذراريهم»^(٦).

ولما دخل سعد رضي الله عنه المدائن فرأى خلوتها ، وانتهى إلى إيوان كسرى أقبل يقرأ: {كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام

(١) تاريخ الطبري ١٧٣/٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١٥/٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٦٧/٣ .

(٤) الزهاء: المقدار . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٤٠٥/١] .

(٥) تاريخ الطبري ٥٨٣/٣ .

(٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٧ .

كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين {^(١)،
وصلى فيه صلاة الفتح^(٢).

ويقدم عروة بن زيد الخيل الطائي إلى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه بعد انتصاره على الري وغيرها فيقول : « بل أحمد الله فقد نصرنا
وأظهرنا » ثم أخبره بالنصر^(٣).

ومن خلال هذه الكلمات التي تشع نوراً يظهر بوضوح تام دون
أدنى تأمل عمق إيمان المسلمين بأن ما تحقق لهم من النصر فهو من
الله وإليه ، فلا ينسبونه إلى قوتهم واتحادهم وذكائهم وتخطيطهم ، وإن
كانت هذه من الأسباب التي أمر المسلمون باتخاذها ، لكنهم يعلمون أن
للأسباب ربا هو الفاعل لكل شيء سبحانه وتعالى .

فالمسلمون قد تعلقوا بربهم وارتبطوا به ؛ فهم مخلصون له ،
متضرعون لاجئون إليه، واثقون بنصره ، مرجعو النصر والفتح إليه ،
فالأمر من أوله إلى آخره كله مرتبط به سبحانه .

الثاني - رجاء إحدى الحسينيين:

إن المجاهد المخلص لله عزوجل لا يخشى عندما يجابه الأعداء
شيئاً ؛ لأنه على خير في أي حال من أحواله ، فهو إما أن يستشهد
فيدخل الجنة ونعمت والله المال ، وإما أن يسلم فيعود إلى أهله بما
أعطاه عزوجل من أجر وغنيمة ، فهو يعيش بين هذين الرجائين ، قال
الله تعالى : { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسينيين }^(٤)، وعن أبي
هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «
تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان
بي وتصديق برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى

(١) الآيات ٢٥-٢٨ من سورة الدخان .

(٢) تاريخ الطبري ١٦/٤ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١١٣ . وإنما قال بل لأن عمر لما رآه قال « إنا لله وإنا
إليه راجعون » ، وإنما قالها عمر لأن عروة هو الذي قدم عليه بخبر هزيمة الجسر .

(٤) آية ٥٢ من سورة التوبة .

منزله الذي خرج منه نائلا ما ناله من أجر أو غنيمة... الحديث
«(١).

ويظهر هذا في المجاهدين الذين خرجوا للعراق وفارس ؛ فنجد
جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يقول لقبيلته : « ... فإنما
تنتظرون إحدى الحسنين : الشهادة والجنة، أو الغنيمة والجنة »(٢).
ويقول المثني رضي الله عنه لمن معه بعد الإغارة على سوق
بغداد : « ولو أدركوكم [يعني الفرس] ومن معهم لقاتلتهم لاثنتين:
التماس الأجر، ورجاء النصر »(٣).
وفي خطاب أحد رجال المسلمين لرستم قبل القادسية : « إن من
قتل منا قبل

الفتح أدخله الله الجنة ، وأنجز لمن بقي منا أرضكم وأبناءكم
ودماءكم »(٤).

وفي جلولاء يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه : «
يامعشر بجيلة ، اعلموا أن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله عليكم حظاً
سنيا فاصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماسا لإحدى الحسنين: إما
الشهادة فثوابها الجنة، وإما النصر والظفر ففيهما الغنى من العيلة »(٥).
ووصف أحد من حضر نهاوند المسلمين فقال : « فوالله ما علمت
من المسلمين أحدا يوماً يُريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر
»(٦).

(١) صحيح مسلم ١٤٩٥/٢ ، كتاب الإمارة ، باب ٢٨ فضل الجهاد والخروج في سبيل
الله ، الرقم العام للحديث ١٨٧٦ .
(٢) تاريخ الطبري ٤٦٩/٣ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٦/٢ .
(٤) تاريخ الطبري ٥٠٨/٣ .
(٥) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢٧٣/١-٢٧٤ .
(٦) تاريخ الطبري ١١٩/٤ .

إن المسلم وهو يذهب إلى أرض المعارك مجاهداً لله لا يبعد عنه الخير بحال ، فهو على أمر طيب في كل ما يصيبه ، فهو قد يظفر وينتصر وذلك الغنيمة العاجلة في الدنيا ، وإما أن يستشهد فذلك خير وأبقى ، وإنه للحياة الحقيقية الدائمة الأبدية في النعيم المقيم عند رب العالمين .

وإن هذا الاعتقاد وهذا الرجاء لا يفارق المسلمين ، بل إنه مستكن في قلوبهم، مهيمن على تصرفاتهم ، ناطقة به أسنتهم كما سمعنا .
وإن أناساً يقاتلون بهذه الروح العالية لجديرون بتخطي كل الصعاب ، وإزالة كل العوائق ، وتحدي كل القوى ، ودك كل العروش ، وتحطيم كل الرموز ، وهو ما كان بالفعل بتأييد من ربهم ونصر من عنده .

الثالث - إيثار الآخرة على الدنيا وحبهم للجهاد :

تبين في النقطة السابقة أن المجاهدين يرجون إحدى الحسنين ، لكنهم مع هذا الرجاء فهم يؤثرون الآخرة على الدنيا ؛ ولذلك يفرحون بالجهاد ويتمنون الشهادة فيه ؛ لأن الموت هنا هو الحياة .

قال الله تعالى : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون }^(١) .

ومن أمثلة ذلك الفرح بالجهاد وحب الشهادة قول خالد بن الوليد ر: «ما ليلة تهدي إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب ، وأبشر فيها بسلام - بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها

(١) آية ١٦٩ من سورة آل عمران .

العدو»^(١) . وقوله : « لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي»^(٢) .

وكره النعمان بن مقرن رضي الله عنه ولاية جباية الخراج مع ما فيها من أمن ورغد عيش ، ورغب في ولاية الجهاد والبذل والتضحية^(٣) .

وخرج حممقر^(٤) إلى أصبهان غازيا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك ، فإن كان حممة صادقا فاعزم له صنعه ، وإن كان كاذبا فاعزم عليه وإن كرهه ، اللهم لا ترد حممه من سفره هذا ! » فمات بأصبهان^(٥) .

وما أكثر من يتمنى الشهادة من المسلمين ، ويسأل الله إياها!^(٦) مثل البراء بن مالك والنعمان بن مقرن - رضي الله عنهما - ؛ ولذلك كان القادة يخيفون أعداء الله عزوجل بحب جنودهم للموت ، فقد كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في رسالته لمرازبة أهل فارس: « ... فإن لم تفعلوا^(٧) فوالله الذي لا إله إلا هو لأسيرن إليكم يقوم يحبون الموت كحبكم الحياة»^(٨) .

(١) الهيثمي ، مجمع الزوائد ٣٥٠/٩ . وقال عنه : رجاله رجال الصحيح .
(٢) الإمام ابن المبارك ، كتاب الجهاد ص ٦١ . الهيثمي ، مجمع الزوائد ٣٥٠/٩ ، وقال عنه : إسناده حسن .

(٣) تاريخ الطبري ١١٤/٤ .
(٤) هو حممة الدوسي ، أحد الصحابة ، وقال عنه أبو موسى الأشعري : إنه شهيد ، وبات هرم بن حيان مرة عنده فرآه يبكي الليل أجمع ، وكان يصطحبان أحيانا . [ابن حجر ، الإصابة ٣٥٥/١] .

(٥) مسند الإمام أحمد ٤٠٨/٤ . قال البنا : سنده جيد ، بلوغ الأمانى ٣٥/١٤ . ابن المبارك ، كتاب الجهاد ص ١١٧ .

(٦) تاريخ الطبري ٣٠٥/٤ . ابن أعمم الكوفي ١٣/٢ ، ٤٨ . أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٣٥٠/١ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٦٢٦/١ . تاريخ ابن خلدون ٩٧٥/٤ .
(٧) يعني قبول الإسلام أو الجزية .

(٨) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ١٥٦-١٥٧ .

وإذا أخيف المسلمون بمكروه يصيبهم في الجهاد احتسبوه عند الله ، واستبشروا بذلك ، فعندما أرسل رستم إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يخبره أن عينه ستفقاً غداً^(١) قال: « بشرتني بخير وأجر ، ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً »^(٢).

وكان المسلمون يخشون من كل ما يخافونه على آخرتهم ، فقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجريير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه ولقومه ربع ماغنموه من السواد ، فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعها فأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر - رضي الله عنهما - يخبره بذلك فكتب عمر : « إن شاء جريير أن يكون إنما قاتل وقومه على جعل كجعل المؤلفات قلوبهم فأعطوهم جعلهم ، وإن كانوا إنما قاتلوا لله واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم » ، فلما بلغ ذلك جريير رفض الجعل وأباه^(٣).

الرابع - القوة المعنوية :

كان المسلمون يتمتعون بقوة معنوية عالية ، فهم إنما خرجوا لرفع كلمة الله والجهاد في سبيله وتحطيم المعبودات من دونه ؛ ولذلك فهم واثقون بنصره ، وهم على خير في كل أحوالهم إما الشهادة أو النصر .

(١) معلوم أن علم الغيب إنما هو من اختصاص الله عزوجل ، ولعل المغيرة بن شعبة لم ينكر هذا لأن الفرس كافرون بأصل الإسلام ، ولأن المقام مقام ردّ ودفع لهدفهم وهو محاولتهم زرع الرعب في قلب المغيرة ، فبين لهم استبشاره بذلك وهو بهذا يحاول ردّ كيدهم إلى نحرهم وزرع الرعب في قلوبهم لأنهم يقاتلون قوما هذه نظرتهم إلى الابتلاءات .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٢/٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٦٧-٢٦٨ .

ومعارك المسلمين في أرض العراق وفارس زاخرة بالأمثلة الدالة على شجاعة المسلمين وتضحيتهم^(١) النابعة من تلك القوة ، ومع ذلك فقد كان القادة والشجعان يحاولون الزيادة من تلك القوة وتعميقها ، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف جزءاً منها .

ففي يوم الولجة بارز خالد بن الوليد رضي الله عنه أحد فرسان الفرس وكان يعد بألف فارس ، فلما انتهى من قتله اتكأ عليه وطلب غداءه^(٢) .

ما وجه طلب الغداء في ذلك الوقت ؟ وما سر أكله على تلك الحالة ؟

إن الإجابة واضحة تماماً فهو رضي الله عنه يريد تعميق عدم مبالاته بالفرس وقتالهم ، بل وقاتل أفضل شجعانهم ، وبهذا يضرب لهم المثل بنفسه فتزداد نفوسهم قوة إلى قوة .

وفي القادسية هجم المسلمون على كتيبة من كتائب الفرس عليهم السلاح التام فضربوهم بالسيوف فلم تعمل لكثرة الحديد الذي على الفرس وقوته فارتدع المسلمون ، ولاحظ أحد رؤساء المسلمين وشجعانهم حميضة بن النعمان البارقي رضي الله عنه^(٣) ذلك فلم يتركه دون معالجة ، بل سألهم عن سبب تراجعهم ، فأخبروه بعدم عمل السلاح فيهم ، وكان الموقف لا يحتاج إلى كثير كلام وخطب بقدر ما هو بحاجة إلى نموذج تطبيقي يرفع ما علق بالنفوس ، وهو ما فعله

(١) انظر البذل والتضحية ص ١٧٢ وما بعدها من هذا البحث ، و الشجاعة ص ٥١٨ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٥٤ .

(٣) حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي ، أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ارتد يوم ارتدت العرب ، وحاربه المسلمون وكان تحته الأزدوبجيله وختعم ، ثم تاب فبعثه عمر بن الخطاب إلى العراق أميراً على السروات ، وهم بارق وألمع وغامد وسائر إخوتهم في سبعمئة من أهل السراة ، وله ذكر في حرب العراق . [تاريخ الطبري ٣/٣٢٠ ، ٤٨٤ ، ٥١١ ، ٥٦٢ . ابن حجر ، الإصابة ١/٣٥٧] .

شجاعنا حيث أمرهم بأن ينظروا إليه وهو يهجم على الفرس ، وحمل على رجل منهم فدق ظهره بالرمح ، ثم قال لأصحابه : « ما أراهم إلا يموتون دونكم » ، ولقد سرت تلك الكلمات في نفوس المسلمين سريان الروح في الجسد فحملوا على الفرس حملة قوية أعادتهم إلى صفهم^(١) ، إلى غير ذلك من أمثلة الشجاعة والبطولة التي تملأ نفوس الحاضرين قوة معنوية .

كما نجد بجانب المواقف العملية أقوالا كثيرة تحت وتعمق هذا الجانب في المسلمين ، من ذلك أن المثنى بن حارثة رضي الله عنه يوم البويب وقف على الرايات يحرض الناس^(٢) ، وفي المعركة نفسها أقبل الفرس ولهم زَجَل^(٣) ، فقال المثنى للمسلمين : « إن الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت وانتمروا همسا »^(٤) ، وهكذا قام المثنى رضي الله عنه بإبطال ما أرادوا بثه في صفوف المسلمين من رهبة وخوف ، بل وزرع الازدراء لهذا العمل في نفوس جنده ، وفي المعركة نفسها رأى المثنى رخلا في بني عجل فأرسل إليهم رجلا يذمرهم فقال : « إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم » ، وبحمد الله ومنته فقد استجاب القوم لنداء قائدهم وأروه ما يسره^(٥) .

وفي البويب أيضا يخشى مسعود بن حارثة من انهيار القوة المعنوية عند المسلمين إذا أصيب قادتهم فيقول : « إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ؛ فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف ، الزموا مصافكم ، وأغنوا غناء ما يليكم »^(٦) .

(١) تاريخ الطبري ٥٦٢/٣-٥٦٣ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٩١٢/٤ .

(٣) الزجل : الصوت . يقال : سحاب زَجَل : أي ذو رعد . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٢٦٩] .

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٤/٢ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٦٥/٣-٤٦٦ .

(٦) المصدر السابق ٤٦٦/٣ .

وبعد البويب وما لقي فيها المسلمون من شدة الفرس وضرأوتهم يحاول المثنى تقليل شأنهم ، وغرس الروح القوية في نفوس أتباعه ضدهم فيقول : « قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد عليّ من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشدّ عليّ من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصدوقتهم ، ووَهّن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ^(١) تزونه ، ولا سواد ، ولا قسي فُجّ ^(٢) ، ولا نبال طوال ؛ فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت ^(٣) ، إلى غير ذلك من الكلمات الرافعة للمعنوية في معركة البويب ^(٤) .

وقبل معركة القادسية لما جاء أحد الرسل الذين بعثهم المسلمون لكسرى يزددجرد بالتراب الذي حمله إياه كسرى لإذلال الرسل - قال سعد رضي الله عنه : « أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم » ، وانشرحت صدورهم لذلك وتفاءلوا به فتح ديارهم ^(٥) .

وفي القادسية كان بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عرق النساء ، وأصابته معه دماميل لا يقوى معها على الجلوس فصعد على سطح القصر واضعاً صدره على وسادة ، وأطل على الناس ، ووصل إلى سعد رضي الله عنه لوم بعض الجند له وعيبيهم عليه عدم وقوفه مع الجيش وبقائه في القصر ، فخشي سعد رضي الله عنه أن يؤدي ذلك إلى فجوة بين القائد العام والجنود ، وخاف أن يتهم بالجبن ، وما أشد أثر ذلك على العسكر!! لأجل ذلك نزل وبين للناس عذره وأراهم

(١) الزهاء : المقدار . [مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ٤٠٥/١] .

(٢) يقال قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبتها . [ابن منظور ، لسان العرب ١٨٦/١٠] .

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٨/٣ .

(٤) المصدر السابق ٤٦٨/٣ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .

القروح في جسده فعذروه^(١). وخطبهم سعد رضي الله عنه في أول يوم من أيام القادسية خطبة عظيمة حثهم فيها على الارتباط بالله عزوجل فالنصر من عنده ، ورجبهم في الزهد في الدنيا ورجبهم في الآخرة وبين أن ذلك مفتاح النصر^(٢). كما أمر مناديه في ذلك اليوم فنأدى : « ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله ، يا أيها الناس ، فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد »^(٣).

وفي القادسية أيضاً قام أمير كل قوم في أصحابه خطيباً وحثهم على الجهاد ، وتحاض القوم على الطاعة^(٤). وبعث سعد رضي الله عنه إلى أهل الرأي والشعراء والخطباء والنجدة فأمرهم بتذكير الناس وتحريضهم على القتال ففعلوا^(٥).

وفي جلولاء كان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قائد المسلمين رضي الله عنه يحث الناس على الصبر والبذل والتضحية ويذكرهم بأن هذا اليوم له ما بعده ، حتى إذا كان أحد الأيام خرج الفرس في مظهر عظيم وقوة كبيرة فقابل هاشم ذلك ببث روح القوة الإيمانية في نفوس جنوده ؛ لكي يجابهوا هذا الأمر العظيم ، فنأدى في المسلمين : « أبلوا لله بلاء حسناً يتم لكم عليه الأجر والمغنم ، واعملوا لله »^(٦)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تدفع الجيش للمضي قدماً في تحقيق الغايات الربانية والأهداف الإسلامية^(٧).

(١) تاريخ ابن خلدون ٩٢٨/٤ . الهيثمي ، مجمع الزوائد ١٥٤/٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٣٢-٥٣١/٣ .

(٣) المصدر السابق ٥٣٠/٣ .

(٤) المصدر السابق ٥٣٢/٣ .

(٥) المصدر السابق ٥٣٣/٣ وانظر خطبهم ٥٥٥-٥٣٣/٣ .

(٦) المصدر السابق ٢٥/٤ .

(٧) تاريخ خليفة ص ١٤٨-١٤٩ . تاريخ الطبري ٥٤٤/٣-٥٦٣ و ٢٦/٤ . ابن أعمش

الكوفي ، الفتوح ١٥/٢ ، ٦٦ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٦/٢ .

الخامس - اهتمام القادة بأمور المسلمين :

ومن المعالم البارزة لدى خلفاء المسلمين وقادتهم اهتمامهم الكبير بشؤون الأمة الإسلامية أيما اهتمام مهما كانت الظروف ، فعندما قدم المثنى رضي الله عنه إلى المدينة لاستئذان أبي بكر رضي الله عنه في الاستعانة بمن قد أعلن التوبة من المرتدين وجده في المرض الذي مات فيه وقد أشفى ، فأخبره الخبر فدعا عمر رضي الله عنه وكان قد عقد له الخلافة ، فلما جاء قال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إنني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، وذلك يوم الإثنين ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يُصَب الخلق بمثله ، ... وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق ؛ فإنهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الضراوة منهم والجرأة عليهم »^(١).

فبالرغم من معاناة المرض ، وقرب الوفاة ، وشدة الكربات إلا أن ذلك كله لم يصرف أبا بكر رضي الله عنه عن أمور المسلمين ، مع أن هناك من يكفيه تدبير الأمور وتصريف الشؤون ممن يعول عليه ويركن إليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة -رضوان الله عليهم - ذوي العقول الراجحة ، والأفكار النيرة ، والآراء الصائبة .

ولم يكتف أبو بكر رضي الله عنه بمجرد الوصاية والتحريض على الاهتمام بالأمر بل قدّم الآراء التي يرى فيها نفعاً للمسلمين ، وهذا يدل دلالة واضحة لا مرية فيها على امتلاء قلبه بحب هذا الدين وأهله، والبذل لهم وتقديم كل ما يمكن أن يُقدم .

(١) تاريخ الطبري ٤١٤/٣ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٨٦/٢ .

وفي موقعة البويب أثخنت الجراح مسعود بن حارثة^(١) وصرعته فرأى من معه ذلك فضعفوا ووهنوا ، فلما أحس بذلك قال : « يامعشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعي »^(٢) .
ونلاحظ هنا أن مسعودا قد أثبتته الجراح حتى ما عاد يستطيع المشاركة ماديا في المعركة ، لكن عظم اهتمامه بالمسلمين جعلته يغالب جميع أوجاعه ويشارك بسلاح الكلمة .

ولما رأى المثنى بن حارثة رضي الله عنه عجزه عن القدوم على المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بسبب إنهاك مرض الموت له حمل أخاه المعنى وصيته لسعد رضي الله عنه بعدم مقاتلة الفرس في عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود بلادهم ، وعلل ذلك بأنه إن كان النصر للمسلمين ما وراءهم ، وإن كانت الهزيمة كان أيسر لانسحاب المسلمين وانحيازهم إلى فئة إلى أن يرد الله الكرة على الفرس^(٣) ، وليس هذا بغريب على المثنى فهو من أحرص الناس على المسلمين ، وأشدهم حبا لانتصارهم حتى لو لم يبق حيا بعد ذلك فهو القائل : « وددت أني قد رأيت فتح جلولاء ولو قبل موتي بيوم واحد »^(٤) .

وفي معركة القادسية كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يشكو من القروح ومن عرق النساء فلم يطلب الإعفاء من قيادة المعركة ليذهب باحثا عن علاج له ، ولم يغلق باب قصره على نفسه

(١) مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان من الفرسان المعدودين ، شارك في فتوح العراق ، وكان أخوه يثق به فكان على إحدى مجنبيه ببابل ، وفي موقعة البويب كان على الرجل ، وقد أصيب بها إصابة قوية فتضعف من معه فحثهم على الصبر والجهاد ، وقد أدت تلك الإصابة إلى وفاته . [تاريخ الطبري ٤١٢/٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩] .

(٢) تاريخ الطبري ٦٧٤/٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ .

(٤) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢٧٨/١ .

حرصا عليها ، بل كان همُّه هو أمر المسلمين ، فقد كان جالسا في رأس القصر يدبر أمر الجيش وينظر في مصالحه ، ولم يشغله مرضه عن ذلك^(١).

وفي نهاوند يأتي أحد الجنود إلى النعمان بن مقرن رضي الله عنه وهو في آخر أوقاته من الدنيا فيغسل وجهه بماء ، فيقول النعمان رضي الله عنه ما صنع المسلمون ؟ فقال له: أبشر بفتح الله ونصره . قال : « الحمد لله ، اكتبوا إلى عمر »^(٢).

إن هذا الاهتمام العظيم والحرص الشديد من لدن قادة المسلمين هو أحد الأسباب التي هياها الله عزوجل لتحقيق النصر ، فهو الذي أفرز تلك الجهود العظيمة من لدن ولاية الأمر تخطيطا وتنفيذا ومتابعة . وإن الجنود إذا رأوا من قاداتهم ذلك كان لهم أسوة حسنة فيهم ، وقدوة صالحة لهم ، فساروا على نهجهم ، واقتفوا آثارهم .
السادس - حب القادة للرعية :

الإمارة في الإسلام ليست وسيلة للوصول إلى ملاذ الحياة وترفها وزخرفها، ولا تسلطا وبغيا على الناس ، وإنما هي مسؤولية أمام الله عزوجل .

عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ... الحديث»^(٣).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٤/٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠١ .

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٨١/٥ ، كتاب العتق ، باب ١٩ العبد راع في مال سيده ونسب النبي صلى الله عليه وسلم المال إلى السيد ، رقم الحديث ٢٥٥٨ .

يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه ^(١)، وفي رواية
: « ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم
يدخل معهم الجنة » ^(٢).

ومن هذا المنطلق كان ولاية المسلمين يحبون رعاياهم ويحوطنهم
بالرعاية .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لأن أستنقذ رجلا من
المسلمين من أيدي الكفار أحب إلي من جزيرة العرب » ^(٣)، وفي كتابه
للنعمان بن مقرن - رضي الله عنهما- « فسر بأمر الله وبعون الله
وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطنهم وعرا فتؤذيهم، ولا
تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ^(٤) ؛ فإن رجلا من المسلمين
أحب إلي من مائة ألف دينار ، والسلام عليك » ^(٥).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحزن لقتل المسلمين
لاسيما خاصتهم ، ففي القادسية استشهد سعد بن عبيد الأنصاري رضي
الله عنه ^(٦) فاغتم عمر رضي الله عنه لمصابه وقال : « لقد كان قتله
ينغص علي هذا الفتح » ، ولما بشر بفتح نهاوند سأل عن النعمان بن
مقرن رضي الله عنه فلما أخبر بقتله قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون »

(١) صحيح مسلم ١/١٢٥ ، كتاب الإيمان ، باب ١٦٣ استحقاق الوالي الغاش لرعيته
النار ، رقم الحديث العام ٢٢٧ .

(٢) صحيح مسلم ١/١٢٦ ، كتاب الإيمان ، باب ١٦٣ استحقاق الوالي الغاش لرعيته
النار .

(٣) القاضي أبو يوسف ، الخراج ص ٢١٢ .

(٤) الغيضة : الأجمة ، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض . [
الرازي ، مختار الصحاح ص ٤٨٧] .

(٥) تاريخ الطبري ٤/١١٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/١٠٨ .

(٦) هو سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو الأنصاري الأوسي ، شهد بدرا ،
جمع القرآن، ودُكر أنه كان يؤم في مسجد قباء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر ، استشهد بالقادسية . [ابن حجر ، الإصابة ٢/٣١] .

ثم بكى^(١)، وسأل عن عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه فأخبر بقتله ، وأنهم لم يعرفوه من كثرة الإصابات والضربات فيه إلا بثناياه ، فبكى عمر رضي الله عنه بكاء شديدا ثم قال : «رحم الله أبا ثور»^(٢)، وسأل عمّن قتل من المسلمين فأخبر بأعيان الناس وأشرفهم، ثم قيل له : وآخرون من أفاء الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكي ويقول: « وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين؟! لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر! »^(٣).

ويُفضّل سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين بالقادسية رضي الله عنه سلامة مائة من المسلمين على مصابهم بالقتل مع قتل ألف من أهل فارس^(٤).

إن ولاية الأمر في الإسلام ليس همهم المحافظة على مناصبهم ، أو إحكام السيطرة على من تحت أيديهم ، أو توسيع رقعة الأرض التي تحت حكمهم ، بل هم رعاة يرأفون برعيّتهم ، وتمتليء قلوبهم بالرحمة لهم ، فهم أحب عليهم من الأموال الطائلة ، وتكبيد العدو الخسائر الفادحة ، فهم حريصون على إعطائهم حقوقهم ، وتجنبيهم المهالك المادية والمعنوية .

وبعد المعارك يسألون عنهم ويتفقدهم ، ويعز عليهم فراقهم مع غلبة ظنهم بحسن المصير لهم .

وإذا خرج أحد الأمراء عن رعاية من تحت يده فإنه يقع تحت طائلة العقاب والتأديب ، ففي إحدى السرايا الإسلامية تعب أحد أفرادها وأنهك فطلب منهم أن يقفوا عنده وينتظروه ، فأبى الأمير فنادى الرجل : يا عمراه ، لكن كلماته لم تجد استجابة من الأمير ، وبلغ الخبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر بأمر السرية فأحضر

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠١ .

(٢) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٦١/٢ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ١١١/٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٥١٢/٣ .

فجعل يضربه بقناة ويقول : « يا لبيكاه . ويقول : يا مهلك ، يقول لك الرجل انتظرنى فتذهب وتتركه ؟ فينادي ياعمراه » ، فأخذ أمير السرية بالاعتذار ، فقال عمر ر:كلماته الذهبية: «والله لصالح رجل من المسلمين أحب إلي من هلاك كذا وكذا من أهل الشرك » ، ولم يكتف عمر رضي الله عنه بذلك بل كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان هو الذي ولّى هذا : « انظر مهلكا فلا

تستعمله ما كنت لنا على عمل »^(١).

بهذه الأخلاق تأتلف قلوب المسلمين ، وتتعانق أرواحهم على المحبة والألفة وتحقيق الأهداف المشتركة .

السابع - مساواة القائد نفسه بجنده :

الدين الإسلامي دين المساواة والتواضع ولين الجانب ، وعدم ترفع صاحب منصب بمنصبه ، وهو ما أوضحه زهرة لرستم حيث قال : « والناس بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم »^(٢).

وإذا كان الناس من أصل واحد فعلام يترفع أحدهم على الآخر؟! ولقد ضرب قادة المجاهدين أمثلة رائعة في مساواتهم لأنفسهم بالجند وعدم الاستئثار عليهم ، فبعد وقعة السقاطية بكسر جاء فروخ وفروندا من رؤساء بلاد السواد إلى أبي عبيد قائد المسلمين رضي الله عنه بأنواع من أطيب الطعام وقدموه له ، فسألهم هل قدموا للجند مثل ذلك ، فكانت إجابتهم بأنه لم يتيسر ذلك وأنهم فاعلون فيما بعد ، فرفض أبو عبيد رضي الله عنه ذلك الطعام .

ثم جاءه الأندرزغز بن الخركبذ أحد رؤساء السواد بطعام طيب ، فسأله أبو عبيد رضي الله عنه عن شمول الطعام لكل الجند ، فأجاب

(١) ابن شبة ، تاريخ المدينة ٨١٢/٣ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٩/٢-٣٢٠ .

الأندرز غز بالنفي ، فأبى أبو عبيد رقبوله قائلاً : « لا حاجة لنا فيه ،
بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه
أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ! لا والله لا يأكل مما أفاء
الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم » .

وكان هؤلاء القادة من الفرس ينتظرون نتيجة المعركة القادمة بين
الفرس والمسلمين ، فلما انتصر المسلمون فيها جاءوا إلى أبي عبيد
رضي الله عنه بطعام جيد له ولجنده ، فلما قُدّم له ظن أنه إنما أعطي
وحده فرفضه ، فلما علم أن جميع المسلمين مثله أكل^(١) .

إن عادة القادة والرؤساء والحكام الاستئثار لأنفسهم بنصيب الأسد
، ومن عادة العامة عدم التطلع لمساواة رؤسائهم ، فما سر اختلاف
المسلمين عن غيرهم ؟

لعل هذا كان يدور في أذهان هؤلاء الرؤساء ، ولعل هذا استحثهم
على البحث عن السبب ومن ثم معرفة أن الإسلام هو أساس ذلك ، ولا
شك أن هذا له أثره ، فقد يؤدي إلى إسلامهم ، أو على الأقل النظر
باحترام لهذا الدين وأهله لاسيما أن الفرس ممن تعودوا الطبقية .

الثامن - طاعة ولي الأمر :

من الأمور المقررة في الإسلام طاعة ولي الأمر في غير معصية
الله عزوجل ، قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم }^(٢) ، وعن ابن عمر-رضي الله عنهما- عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : «السمع والطاعة حق مالم يؤمر

(١) تاريخ الطبري ٤٥٢/٣ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٠/٢ .

(٢) آية ٥٩ من سورة النساء .

بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١) ، فتلزم الجيش طاعة ولي الأمر والنصح له والصبر معه^(٢) .

ولقد كان المسلمون مطيعين لأمرائهم فنرى خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول عن أحد أوامر أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجدة الأمة»^(٣) ، وقدم عتبة بن غزوان رضي الله عنه البصرة في ثلاثمائة رجل ، فلما شاهد منبت القصب وسمع نقيق الضفادع قال : « إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب وأدنى أرض الريف من أرض العجم ، فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا»^(٤) وقال النعمان رضي الله عنه يوم نهاوند: « إني هاز لوائي ثلاث مرات ، ... وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد » وصُرع النعمان رضي الله عنه فأتى عليه أحد المسلمين ورأى حاله ، لكنه لم يستطع المكث عنده لما أمر به النعمان رضي الله عنه من عدم إلقاء أحد على أحد ؛ ولذلك مال إلى عمل آخر لا يقع معه في معصية الأمير حيث جعل عليه علماً وذهب^(٥) .

وتتجلى الطاعة في أقوى صورها يوم الجسر حيث رأى الأمير أبو عبيد رضي الله عنه عبور الجسر ، وخالفه سليط بن قيس رضي الله عنه ورأى فساد رأي الأمير ، لكنه مع اختلاف وجهة النظر وقوة وجهة سليط رضي الله عنه إلا أنه استجاب وسمع وأطاع للقائد وقال

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١١٥/٦ ، كتاب الجهاد ، باب ١٠٨ السمع والطاعة للإمام ، رقم الحديث ٢٩٥٥ .

(٢) المقدسي ، كتاب الشرح الكبير ٥٣٣/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣٧٣/٣ . ويقصد بأمر أبي بكر هو استقراغ المسالِح قبل التوغل في أرض الفرس .

(٤) تاريخ الطبري ٥٩٤/٣ .

(٥) المصدر السابق ١٤٣/٤ .

« لولا أنني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ، ولكني أسمع وأطيع وإن كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك »^(١).

إن المسلمين كانوا مثلاً رائعاً في الاستمساك بهذه الصفة النبيلة التي لها عظيم الأثر على وحدة الصف وقوته ، والبعد عن الشقاق والتفرق الذي هو آفة القوة وهلاك الأمة وسبب الخذلان والهزيمة .

التاسع - الحنكة العسكرية :

من الأسباب التي هياها الله للمسلمين القيادة الذكية المحنكة ، فهي بجانب اعتمادها على الله والتوكل عليه واللجوء إليه وسؤال النصر منه - تأخذ بجميع الأسباب التي تقدر عليها، ومن ذلك التخطيط الذكي والخداع في الحرب، وفي الحديث « الحرب خدعة »^(٢).

فمن حنكة الصديق رضي الله عنه أنه لما أمر خالد بن الوليد وعاياض بن غنم - رضي الله عنهما- على حرب العراق أمر خالد رضي الله عنه بدخول العراق من أسفله ، وأمر عياض رضي الله عنه بدخوله من أعلاه ، ثم يتنافسا في الوصول إلى الحيرة ، فأيهما وصل أولاً فهو الأمير على صاحبه^(٣).

فأبو بكر رضي الله عنه قد وضع قائديه في منافسة شريفة ، بحيث يجتهد كل واحد منهما في تحقيق النصر بكل الطرق الممكنة للوصول إلى المكان المحدد قبل صاحبه .

وفي وقعة الولجة ظهر ذكاء خالد بن الوليد رضي الله عنه الحربي ، حيث طبق خطة حربية محكمة ، فقد وضع لهم كميناً من ناحيتين فخرج في وجهين ، وقد أدت هذه الخطة إلى انتصار المسلمين نصراً مؤزرًا ، وهزيمة الفرس شر هزيمة ، وفر قائدهم ومات عطشاً .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣٠٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٥٧/٦-١٥٨ ، كتاب الجهاد ، باب ١٥٧ الحرب خدعة، رقم الحديث ٣٠٢٨ ، ٣٠٢٩ ، ٣٠٣٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ .

لقد انتصر المسلمون في هذه المعركة بفضل من الله عزوجل ثم بفضل تلك القيادة الذكية التي أبرمت تلك الخدعة العسكرية ، ولعلنا ندرك قيمة تلك الخطة إذا قرأنا ما ذكره الطبري في وصف القتال قبل خروج الكمين حيث يقول : « فاقنتلوا بها قتالا شديدا حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ »^(١).

وفي يوم أغواث - ثاني أيام القادسية - جاء المدد من قبل الشام وعليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو الذي سبق الجيش فوصل إلى القادسية صبيحة اليوم الثاني ، فقسم أصحابه جماعات كل جماعة عشرة رجال، وأمرهم كلما انطلقت فرقة وصارت على مد البصر أن تنطلق فرقة أخرى ، وخرج في الفرقة الأولى ، فلما قدم على المسلمين بشرهم بالمدد وحثهم على الجهاد ، وصارت فرسانه تقدم إلى الليل فتجدد للناس نشاطهم وتنسيبهم مصائبهم ، وكان القعقاع يتابع عن كثب مجيء أصحابه ، فكلما أقبلت فرقة منهم نبه المسلمين إليها بالتكبير فيكبر خلفه المسلمون ، ويهجم على الفرس فيهجمون ، فلما كان الليل بات القعقاع يخرج أصحابه خلسه إلى المكان الذي فارقهم فيه بالأمس ، وأمرهم أن يقدموا مع الشمس قطعاً ، كل قطعة مائة فارس ، وعلل ذلك بأنه يجدد الرجاء للناس ويحفز الهمم ، ففعلوا كما أمرهم ولم يعلم به أحد ، وطبقت الفكرة ، وأقبلوا كما أمرهم ، وكان القعقاع حين يراهم يلفت أنظار الناس إليهم بالتكبير فيكبر المسلمون وراءه ويهتفون : جاء المدد ، وقد كان عاصم بن عمرو قد صنع مثل صنيع أخيه فجاء أصحابه من جهة أخرى ، وتقدموا والحرب على قدم وساق ، والمسلمون نشيطون لتتابع المدد ، فما قدمت آخر فرقة من أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم رضي

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٤ .

الله عنه فأخبروه بعمل القعقاع ، فما كان منه إلا أن سار على خطاه حيث عبى من معه سبعين سبعين ، ثم أمرهم بالتتابع^(١) .
لقد كان لهذا الدهاء الحربي أثره الكبير على موازين معركة القادسية الفاصلة حتى قال ابن الأثير: « فلولا أن الله ألهم القعقاع ما فعل في اليومين ، وأتاح لهم بهاشم وإلا كسر ذلك المسلمين »^(٢) .
وفي القادسية أيضاً لما رأى المسلمون ما صنعت بهم الفيلة في اليوم الأول ردُّوا على ذلك بتدبير ذكي ، وجاءوا بحيلة استغلوا فيها الجمال ، فقد قام مجموعة من أبناء عم القعقاع بن عمرو على إبل ألبسوها فهي مجللة مبرقعة ، وخيولهم من حولهم تذود عنهم ؛ فما توجهت الإبل إلى فئة من الفرس قَلَّتْ أو كثرت إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيل المسلمين ، وعندما نظر المسلمون إلى فعل هؤلاء من بني تميم قلدوهم ، فكان لهذا الدهاء أثره حيث أنهكت الإبل الفرس هذا اليوم - ثاني أيام القادسية - أعظم من إنهاك المسلمين بسبب الفيلة بالأمس^(٣) .

وفي نهاوند لما صرع النعمان بن مقرن رضي الله عنه خشي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن يَفُتَّ ذلك في عضد المسلمين إن علموا ذلك ، فما كان منه إلا أن قال: « اكنموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لكيلا يهن الناس »^(٤) .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٨/٢-٣٣٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٣٢/٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٤٥/٣ .

(٤) المصدر السابق ٢٣١/٤ .

ولما وصل إلى مسامع عبيد الله بن معمر^(١) أحد قادة المسلمين رضي الله عنه أن آذربيان أحد رؤساء الفرس يريد أن يغدر بهم نظر في الأمر وفكر ، وتوصل إلى طريقة يغرس فيها الرعب في قلب هذا الفارسي كي يرتدع عما همَّ به ، حيث أظهر له رغبته في أن يصنع الفارسي للمسلمين طعاما ويذبح لهم بقرة ، وأن يجعل العظام في الأنية التي هو عليها ، فكان ذلك ، فجعل عبيدالله رضي الله عنه يأخذ العظم الكبير الذي لا يكسر إلا بالفأس فيكسره بيده فيتمخذه ، وكان من أقوى الرجال ، وعند ذلك امتلأ قلب الملك الفارسي بالخوف وتراجع عن الغدر ، وأخذ برجل عبيدالله رضي الله عنه واستعاذ به فأعطاه عهداً^(٢).

وجمع قارن^(٣) أحد قادة الفرس أربعين ألفاً ، وأقبل على خراسان ، وكان

المسلمون مع أميرهم ابن خازم رضي الله عنه^(٤) أربعة آلاف ، فالفرس عشرة أضعاف المسلمين فلم يهن المسلمون ، ومع اعتمادهم على ربهم ، فقد فكروا في حيلة تعينهم على عدوهم ، ووصل ابن خازم رضي الله عنه إلى فكرة جيدة حيث نادى في الناس أن يُلْفَّ كل واحد

(١) عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي ، والد عمر أحد أجواد قريش ، قال ابن منده: اختلف في صحبته ، وذكر ابن حجر خبراً يدل على إدراكه لعصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو مميز ، قيل: قتل سنة تسع وعشرين أو في التي بعدها ، وقيل : إن قتله كان قبل ذلك ، وقيل : غير ذلك . [ابن حجر ، الإصابة ٤٤٠/٢] .

(٢) تاريخ الطبري ١٧٧/٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢١/٣ .

(٣) من كبار ملوك وقادة فارس ، حضر القادسية ، وراسل ومن معه من الملوك في الماهين حذيفة بن اليمان للصلح فصالحه أحدهم وهو دينار وتابعوه ، ثم غدر كما تدل الحادثة في المتن . [تاريخ الطبري ٥٧٠/٣ و ١٣٤/٤ ، ٣١٤ ، ٣١٥] .

(٤) عبدالله بن خازم بن ظبيان السلمي أبو صالح الأمير المشهور ، يقال : له صحبة ، وكان من أشجع الناس ، وولي خراسان عشر سنين ، قتل سنة اثنتين وسبعين . [ابن حجر ، الإصابة ٣٠١/٢] .

منهم على طرف رمحه خرقة ونحوها ، ثم يوسعوه بما معهم من سمن ونحوه ، فلما أمسى قدّم مقدمته ستمائة ، ثم اتبعهم ، وأمر الناس أن يشعلوا النيران في تلك الخرقة ، ووصلت مقدمته إلى الفرس نصف الليل فناوشوا الحرس ، وقام الفرس مدهوشين فقد باتوا آمنين ، واقترب ابن خازم رضي الله عنه ببقية جيش المسلمين فرأى الفرس النار يمنا ويسرة ، وتتقدم وتتأخر ، وتعلو وتنخفض ، ولا يرون أحدا فهاهم ذلك ودخلهم الرعب ، وما زالت مقدمة المسلمين تقاتلهم ، ووصل المسلمون فقتل قائد الفرس وولى أتباعه منهزمين لا يلوون على شيء^(١).

العاشر - الشجاعة :

إن من عقائد الإسلام الراسخة في نفوس الفاتحين أن ما قدره الله عزوجل كائن لا محالة ، وهذا يشحن النفوس بطاقة فياضة من الشجاعة والثبات ، يضاف إلى هذا شدة ارتباطهم بالله عزوجل ، ورجاؤهم إحدى الحسنين ، وثقتهم بنصر الله سبحانه وتعالى لهم . ولذلك مهما كثر العدو وتكاثرت عدته وأرغى وأزبد فإنه لا يزيد المؤمنين إلا ثباتا ، لكن هناك أشخاصا من المسلمين قد بزوا غيرهم وعلوا سواهم فصاروا كالقمر بين النجوم ، فنحن نذكر شيئا من أخبارهم :

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: « نعم عبدالله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سله الله عزوجل على الكفار والمنافقين »^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٣١٤/٤-٣١٥ .

(٢) البنا ، الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد ٢٢٦/٢٢ ، باب ما جاء في فضل خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقال البنا : أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات ، بلوغ الأمانى ٢٢٦/٢٢ .

وقال عنه أبو بكر رضي الله عنه بعد وقعة أمغيشيا^(١): «يامعشر قريش ، عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله^(٢) ، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد؟!»^(٣).

وقال أيضاً : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد »^(٤).

وقال له : « إن الجموع لم تشج^(٥) بعون الله شجيك »^(٦).
ومن مواقفه التي تدل على الشجاعة ورباطة الجأش ما كان منه في غزوة ذات السلاسل ، حيث أن قائد الفرس هرمز كان قد بيّت هو وأصحابه الغدر بخالد رضي الله عنه ، فلما تواجه الصفان ترجّل هرمز ودعا إلى المبارزة فترجل خالد وتقدم إليه، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد رضي الله عنه ، ونفذت حامية هرمز ما اتفقت عليه مع قائدها من الغدر فحملت على خالد رضي الله عنه وتبعته ، فما شغله ذلك عن قتله ، فلما رأى المسلمون ذلك حمل القعقاع على حماة هرمز فقتلهم وإذا خالد يجالدهم^(٧).

وقد كان المثنى بن حارثة رضي الله عنه من أعظم الرجال شجاعة وإقداما ، وكان أول من يهجم وآخر من ينسحب^(٨).
وفي بابل أرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين فما كان من شجاعنا المثنى رضي الله عنه إلا أن حمل عليه

(١) أمغيشيا : موضع كان بالعراق وكان فرات بادقلي ينتهي إليها وكانت أليس من مسالحها. [الحموي، معجم البلدان ٢٥٤/١].

(٢) خردل اللحم: قطعه وفرقه . [ابن منظور ، لسان العرب ٥٧/٤].

(٣) تاريخ الطبري ٣٥٩/٣ .

(٤) المصدر السابق ٤٠٨/٣ .

(٥) الشجوة : الهم والحزن . [الرازي ، مختار الصحاح ص ٣٣٠].

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٥٢/٦ .

(٧) تاريخ الطبري ٣٤٩/٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٤٤/٦ .

(٨) محمود بن شيبان بن خطاب ، قادة العراق والجزيرة ص ٤٨ .

فقتله^(١). وفي معركة الجسر حينما هُزم المسلمون وفتك بهم الفرس وقف المثني رضي الله عنه وفرسان من المسلمين فحموا الناس فعبروا الجسر^(٢).

وكما وجدت الشجاعة في القادة^(٣) كخالد والمثني - رضي الله عنهما - فقد وجدت عندسواهم ، فمثلا نجد طليحة بن خويلد الأسدي رضي الله عنه كان يعد بألف فارس لشجاعته وشدته^(٤)، وقد أرسله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع آخرين في مهمة استكشافية ، فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا جيوش الفرس فرجع أصحاب طليحة رضي الله عنه وأبى هو إلا المضي ، وتقدم وحده حتى دخل عسكر رستم ، وبات فيه ينظر ويتوسم ، فهتك أطناب بيت رجل عليه وأخذ فرسه ، ثم فعل بأخرين كذلك ، ثم خرج متوجها نحو المسلمين ، وطلبه الفرس فلحقه فارس منهم يعد بألف رجل فقتله طليحة رضي الله عنه ولم يرعه أن الفرس من خلفه ، ثم ثان وهو نظيره في القوة فجدد له ، ثم ثالث مقارب لقوتها وهو ابن عم لهما غاضب لهما فكرَّ عليه طليحة رضي الله عنه فأسره ، فلما رأى الفرس أن فارسهما قد قتلا وأسر الثالث وقد قارب طليحة معسكر المسلمين رجعوا ، وذهب طليحة إلى سعد - رضي الله عنهما - ومعه الفارس وقص عليه الأمر^(٥).

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٧/٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٢ .

(٣) يحسن الرجوع إلى كتاب قادة فتح العراق والجزيرة وكتاب قادة فتح بلاد فارس كلاهما لمحمود بن شيبان بن خطاب فقد ذكر عددا من قادة فتح العراق وفارس ومواقف تدل على شجاعتهم .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣١٧/١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٨/٢ وانظر مثالا ثانيا في تاريخ الطبري ٥٥٨/٣ ومثالا ثالثا عند ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٨/٧ .

وما أشبه أبا محجن الثقفي^(١) بطليحة الأسيدي - رضي الله عنهما -
فإنه لما اشتد القتال في القادسية وكان أبو محجن قد سجن وقيد في
قصر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ضاق أبو محجن رضي الله
عنه من عدم شهود القتال ، ورجا من سعد رضي الله عنه أن يعفو عنه
فأبى ، فذهب إلى زوجة سعد رضي الله عنه فطلب منها أن تفك عنه
القيد ، وأن تعيره فرس سعد البلقاء ليجاهد عليها ثم يعود في المساء
إلى قيده فرفضت ، فرجع حزينا يقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقتنا
وأترك مشدودا عليّ وثاقيا.
إذا قمت عناني الحديد وأغلقت
مصاريع دوني قد تصم المناديا.
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
فقد تركوني واحدا لا أخاليا.

فرقت له سلمى وأطلقتها على أن يفى بوعده من الرجوع إلى القيد
في المساء ، فخرج على البلقاء وتوجه إلى ميمنة المسلمين فكبر وحمل
على ميسرة الفرس ، ثم رجع من خلف المسلمين وإلى الميسرة فكبر
وهجم على ميمنة العدو ، ثم انتقل إلى قلب المسلمين وانقض على
الأعداء انقضاض الأسد على فريسته ، ولقد قصف العدو قسفاً منكرا
، وتعجب الناس من شجاعته وقوته وعظم نكايته في العدو وتأثيره

(١) هو أبو محجن الثقفي الشاعر المشهور مختلف في اسمه فقيل : هو عمرو بن حبيب
بن عمرو بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف ، وقيل : اسمه كنيته ،
وكنيته أبو عبيد ، وقيل : اسمه مالك ، وقيل : اسمه عبدالله ، وأمه كنود بنت عبدالله بن
عبد شمس ، قال أبو أحمد الحاكم : له صحبة ، قيل : مات بأذربيجان ، وقيل :
بجرجان . [ابن حجر ، كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٧٣-١٧٦] .

فيهم حتى قال بعضهم : « لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا ملك يثبتنا »^(١).

فلئن كان الجبان يفر من المعارك ، ويبتعد عنها ، ويسوؤه تورطه فيها- فإن فارسنا قد حزن أشد الحزن على بعده عن المشاركة في المعركة والناس حوله يقاتلون، إنه لا يبالي بكل المخاطر التي تواجه الإنسان في أرض المعارك . ولعمق حزنه وشدة استيائه من ذلك فإنه ذهب إلى سعد قائد المسلمين رضي الله عنه لعله أن يعفيه من القيد ليشارك إخوانه في القتال ، فلما لم يفلح لم ييأس من تحقيق أمنيته والوصول إلى رغبته، بل سلك كل طريق فيه ببصيص من نور وقليل من أمل فتوجه إلى زوجة سعد رضي الله عنه فأبت ، فعصر الأسي قلبه ودب الشعر إلى لسانه ليخفف من لوعته ، ولقد أثر موقفه البائس في مشاعر المرأة المسلمة وأحاسيسها وهز وجدانها فوافقت على إطلاقه للمشاركة في الجهاد فكان ذلك . وانطلق الأسد إلى بغيته وشفى صدره ورأى المسلمون من قتاله العجب .

بهذه الشجاعة المبنية على الإيمان ، وحب التضحية في سبيل الرحمن ، انتصرت جيوش الإسلام على كل قوى الشر والعدوان .
وسُمي البويب يوم الأعراس ؛ أحصي مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ^(٢)، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي يصعب استقصاؤها^(٣).

الحادي عشر- وجود الصحابة :

إن وجود الصحابة له أثره البالغ في نجاح الدعوة سواء بالكلمة أو القدوة أو القوة ، فهم أفضل القرون على الإطلاق ففي الحديث: « خير

(١) تاريخ الطبري ٥٤٨/٣-٥٤٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٨/٢ .

(٣) انظر مثلا تاريخ الطبري ٣٤٦-٣٤٧، ٣٥٧، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٥٤ . و٢٧/٤ ،

١٢٨ ، ١٤٠ ، ١٧٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٥/٧ ، ٦١ .

الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»^(١) ، كما أن له أثراً في تحقيق النصر .

وما أحسن وصف عبدالرحمن بن ربيعة لهم لشهريراز : « تالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الردم . قال : وما هم ؟ قال : أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في هذا الأمر بنية ، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرمهم ، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم ، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم »^(٢) .

ولقد شارك الصحابة في الجيوش الذاهبة إلى العراق وفارس ، فمثلا نجد في القادسية بضعة وسبعين بدريا ، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن أسلم قبل بيعة الرضوان ، وثلاثمائة ممن شهد فتح مكة ، وسبعمائة من أبناء الصحابة^(٣) .

ولما خرج هاشم رضي الله عنه من المدائن متجها إلى جلولاء كان معه وجوه المهاجرين والأنصار^(٤) ، وعندما سار النعمان رضي الله عنه إلى نهاوند كان معه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) ، وفي سنة ثلاثين من الهجرة خرج سعيد بن العاص رضي الله عنه في جيش ، وصالح عددا من بلاد فارس ، وكان في الجيش الحسن

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٣/٧ ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، رقم الحديث ٣٦٥١ .

(٢) تاريخ الطبري ١٥٨/٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ . تاريخ اليعقوبي ١٤٥/٢ غير أنه قال : يوجد سبعون بدريا ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

(٤) تاريخ الطبري ٢٥/٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٦٢/٢ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠٨/٧ .

والحسين والعبادلة الأربعة وحذيفة بن اليمان في خلق من الصحابة - رضوان الله عليهم-^(١) إلى غير ذلك .

كما أننا نلاحظ ظاهرة كون الولاة من الصحابة من أمثال خالد بن الوليد وأبو عبيد وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم- رضوان الله عليهم-^(٢)، وإن وجود أمثال هذه الشخصيات في هذه المراكز الريادية لمن أعظم العون على نجاح الدعوة وحسن سيرها ، سواء في كونهم قدوة مثلى يتأسى بهم أو ما يقومون به من عمل دعوي آخر .

الثاني عشر - نصر المسلمين بالكرامات :

من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات أولياء الله عزوجل^(٣)، ولما نصر المسلمون الله نصرهم وأيدهم بتأييده ، ومن ذلك التأييدات الغيبية حيث أمدتهم بالكرامات .

ففي غزوة ذات السلاسل كان الماء في أيدي الفرس ، وشكى المسلمون ذلك إلى قائدهم ، وتأتي عناية الله لتحل المشكلة فقد أرسل الله سحابة أمطرت المسلمين، وكونت عندهم غدراناً ، فقواهم ذلك على عدوهم واستبشروا به^(٤).

(١) المصدر السابق ١٥٤/٧ .

(٢) سنن أبي داود ٣/٣٦٤ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ١٨ في تدوين العطاء، رقم الحديث ٢٩٦٠ . الإمام مالك ، الموطأ م ١ ج ٢/٦٨٧ ، كتاب القراض ٣٢ ، باب ما جاء في القراض (١). تاريخ خليفة ص ١٦٤ . تاريخ الطبري ٤/١٧٠ . تاريخ ابن خلدون ٤/٩٧٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٤٣ . البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٣٠ .

(٣) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٥٤ ومابعدھا ، تحقيق: مصطفى بن العدوى ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة . علي بن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ص ٤٤٨ ومابعدھا .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٤ .

وهكذا عملت الكرامة عملها في تقوية القلوب والأجسام ، فالماء يعين جسم المجاهد ويقويه في قتاله، ورؤية رحمة الله تنزل بالمسلمين تقوي العزائم وتربط على القلوب .

ولما نزل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه القادسية ، ومكث شهرا ولم يأتيه أحد من الفرس أرسل سرية بقيادة عاصم بن عمرو تبحث عن غنم أو بقر للجيش من إحدى المناطق القريبة فلم يقدر على شيء ، وتحصن الناس منه ، فوجد عاصم رجلا عند أجمة^(١) فطلب منه عاصم أن يدلّه على البقر والغنم ، فادعى الرجل الجهل بأماكنها ، فصاح ثور من الأجمة قائلاً : «كذب عدو الله وهانحن أولاء » ، فأخذها عاصم إلى الجيش فأكلوها.

وكان لهذه الكرامة أثر عظيم على النفوس ، فقد استبشروا بها ورأوها آية على رضا الله عزوجل وفتح البلاد لهم وتمكينهم^(٢) ، كما أن هذه الآية حدثت أمام هذا الرجل من العدو إن كان له قلب ، وربما تركه المسلمون وأطلقوا سراحه لكي ينقل هذه الحادثة إلى قومه .

وفي مسير رستم إلى القادسية سلط الله عليه رؤيا أفزعته ، وأقضت مضجعه وملأت قلبه رعبا وخورا ، وبما أن رستم يعتبر أكبر شخصية عسكرية فارسية فإن هذا تأييد عظيم للمسلمين .

رأى رستم كأن ملكا نزل من السماء بصحبة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه فنزع الملك سلاح فارس منهم ، وأعطاه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فسلمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣) .

(١) الأجمة : الحصن والشجر الكثير الملتف ، وقيل : الأجمة من القصب . [ابن منظور ، لسان العرب ١/٨١-٨٢] .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣١٤ .

(٣) المصدر السابق ٢/٣١٤ .

وفي آخر القادسية بعث الله ريحا قوية اقتلعت خيام الفرس وألقت سرير رستم، وكان لهذا أثره ؛ فإن رستم لما رأى ذلك سارع إلى الفرار ، لكن هيهات النجاة ، فقد أدركه المسلمون وأردوه قتيلا^(١) .
وعندما حاصر المسلمون (بهرسير) أشرف على المسلمين رسول من الفرس ، وأخبرهم برغبة الملك بالصلح على أن للفرس ما يليهم من دجلة وجبلهم ، وللمسلمين ما يليهم من دجلة إلى جبلهم فبدر الناس أبو مفرز الأسود بن قطبة^(٢) فتكلم بكلام لا يدري ما معناه لا هو ولا المسلمون ، وإنما هو كلام أنطقه الله به ، فتعجب المسلمون من ذلك وسألوه عما قال . فقال : « لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو إلا أن عليّ سكينه ، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير» ، وكان لهذا الكلام الذي أجراه الله على لسان هذا الجندي المجاهد عمله العجيب ، حيث أخذ الفرس في الفرار والهرب من البلدة وتركوها للمسلمين ؛ وإنما فعلوا ذلك لأن الملك لما أخبر بكلام هذا الجندي بين لقومه أن ذلك ليس منه ، وإنما أجري على لسانه^(٣) ، ومادام الأمر كذلك فلا طاقة لهم بالمسلمين .

ودس الفرس السم للمسلمين في الطعام فما أثر فيهم بإذن الله سبحانه وتعالى^(٤) . وحال نهر دجلة بين المسلمين ومواصله الفتوح ، وبعد تردد عزم سعد رضي الله عنه على العبور ، ودعا الله عزوجل أن يسلم وينصر جيشه في هذا اليوم وكان مجاب الدعوة ، وأمر الجند

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤/٧ و تكرر تأييد المسلمين بالريح في وقعة جلولاء ، انظر تاريخ الطبري ٢٥/٤ .

(٢) أبو مفرز الأسود بن قطبة ، شهد فتح القادسية وله فيها أشعار كثيرة ، وهو شاعر المسلمين في تلك الأيام ، وهو رسول سعد بن أبي وقاص بسبي جلولاء إلى عمر . [ابن حجر ، الإصابة ١/١٠٥] .

(٣) تاريخ الطبري ٧/٤ وقد ذكر الطبري كلام هذا الجندي المسلم وهو « لا يكون بيننا وبينكم صلح حتى نأكل عسل أفريذين بأترج كوئي » وهاتين من بلدان فارس .

(٤) ابن أعمش الكوفي ، الفتوح ١/٢١٢ .

بالتوكل على الله والاستعانة به ورد الحول والقوة إليه ، واقتحم المسلمون النهر آمنين مطمئنين ، وقد أيدهم الله برحمته ، فكان الفرس إذا تعب في الماء يسر الله له مثل المرتفع يستريح عليه ، بل إن بعض الخيل ليمشي في الماء ولا يصل الماء إلى حزامها ، « وكان يوما عظيما ، وأمراً هائلا ، وخطبا جليلا ، وخارقا باهرا ، ومعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلقها الله لأصحابه لم يُر مثلها في تلك البلاد ولا في بقعة من البقاع »^(١).

وفي تستر أرهق الفرس المسلمين وأنهكهم ، فتوجه المسلمون لأحد أفراد الجيش الربانيين وهو البراء بن مالك رضي الله عنه وذكروه بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ممن لو أقسم على الله لأبره ، ورجوه أن يقسم على ربه بتمكين المسلمين ونصرهم ، وحقق البراء رغبتهم وأقسم على الله ، واستجاب الله ، وولى الفرس الأدبار ، ثم التقى المسلمون والفرس مرة أخرى ، وتكرر الموقف ذاته وأرجع الفرس المسلمين ، ورجا المسلمون البراء مرة ثانية ، ففعل وأضاف مع النصر للمسلمين الشهادة لنفسه، وحقق الله ذلك بفضل منه ورحمة^(٢)، وتلك من آيات الله وكراماته يؤيد بها من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا بقيادة سارية بن زعيم الدثلي ر^(٣) فالتقى هو والفرس ، وكانوا كثرة كاثرة ، وكان في ناحية المسلمين جبل لو لحقوا به لم يستطع الفرس إتيانهم إلا من وجه

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٦٤/٧-٦٥ . أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، كتاب دلائل النبوة ص ٢٠٨ ، عالم الكتب ، بيروت .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٣٥٠/١ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ٦٢٦/١

(٣) هو سارية بن زعيم بن عبدالله بن جابر الكناني الدثلي ، قال ابن عساكر : له صحبة ، وذكره ابن حبان في التابعين . قال خليفة : افتتح سارية أصبهان صلحا وعنوة فيما يقال . [ابن حجر ، الإصابة ٣٠٢/٢] .

واحد مهما كان عددهم ، ولم يفطن المسلمون لذلك ، فتأتي رحمة الله لتدرك المسلمين ويُري الله عزوجل الجيش الإسلامي وهو في بلاد الفرس عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو في المدينة المنورة وهو يخطب ، فلا يملك عمر رضي الله عنه نفسه حتى يهتف: « ياسارية ، الجبل » ، ويتولى سبحانه وتعالى إيصال هذا الهتاف إلى المعسكر الإسلامي في بلاد الفرس النائية ، وينفذ المسلمون تعاليم النداء ، ويتحقق لهم النصر بحمد الله ومنته^(١).

الثالث عشر - النصر بالرعب :

من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم نصره بالرعب مسيرة شهر ، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ... الحديث »^(٢)، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر ، وهل هي حاصلة لأمته من بعده ؟ فيه احتمال^(٣).

والناظر في الحروب التي خاضها المسلمون يلمس النصر بالرعب فعندما التقى خالد بن الوليد رضي الله عنه بأهل الأبله قال لجيشه : « احملوا عليهم فإني أرى هيئة قوم قد ألقى الله في قلوبهم الرعب » ، ولقد صدق ظن خالد رضي الله عنه فما أن حمل عليهم المسلمون

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/١٣٠-١٣٢ . وقال بعد سرد طرقها : فهذه طرق يشد بعضها بعضا . ابن حجر ، الإصابة ٣/٢ . وقد حسن ابن حجر إسناد إحدى الروايات . اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩/١٢٠-١٢٢ ، تحقيق : د. أحمد بن سعد بن حمدان ، دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، الرياض .

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١/٤٣٥-٤٣٦ ، كتاب التيمم ، باب ١ ، رقم الحديث ٣٣٥ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ١/٤٣٧ .

حتى ولى الفرس الأدبار ، وقتل المسلمون منهم وغرق آخرون في دجلة^(١).

ويتحدث أحد المسلمين عن فرار الفرس بعد البويب وعدم وقوفهم أمام المسلمين فيقول : « وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس »^(٢). ولما هزم عتبة بن غزوان رضي الله عنه أهل الأبله هربوا إلى المدينة فدخلوها ، فألقى الله الرعب في قلوبهم ، فلم يستطيعوا البقاء فيها إلا أياما، ثم تسللوا منها هاربين^(٣).

وكان شعار المسلمين في المعارك وهو التكبير يزلزل قلوب الفرس ، ويملؤها خوفا وهلعا ، فعندما التقى المسلمون والفرس في اصطخر^(٤) كبر المسلمون ، فوقع الرعب في قلب ملك الفرس شهرك^(٥) ، وبعد ساعة كبر المسلمون ثانية ، فطارت قلوب الفرس من الخوف ، وأدبروا لا يلوون على شيء^(٦) ، وفي نهاوند كبر قائد المسلمين النعمان رضي الله عنه وكبر معه الناس فذعر الفرس وخافوا^(٧).

وإن لله جنودا يرسلها تزيد الفرس خوفا إلى خوفهم ، ومن ذلك أن رستم وهو في طريقه إلى القادسية رأى رؤيا نخبته قلبه وملأته ذعرا ورعبا^(٨) ، ورستم أكبر شخصية عسكرية عند الفرس .

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٤٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٠/٣ .

(٣) المصدر السابق ٥٩٤/٣ .

(٤) اصطخر : بلدة بفارس بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا، ومن أشهر مدنها البيضاء ومائين ونيرين وغير ذلك . [الحموي ، معجم البلدان ٢١١/١] .

(٥) أحد ملوك الفرس وقد التقى بالمسلمين في اصطخر فهزموه ، ثم صالح المسلمين ولما كان في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان نقض العهد وجمع الفرس فالتقى به المسلمون فهزموا جيشه وقتلوه سنة ثلاث وعشرين . [تاريخ الطبري ٨١/٤ ، ٨٢ ، ١٧٦] .

(٦) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧٣/٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤/٣ .

(٨) المصدر السابق ٣١٨/٢ . وانظر الرؤيا في ص ٥٢٦ من هذا البحث .

إن الرعب الذي في قلوب الفرس لم يكن سرا ، بل كان بعضهم يتحدث به إلى بعض إما لحكمة أو لعدم قدرة على كتمانهم ، فعندما أراد الفيرزان ورستم أكبر قادة فارس توجيه جيش كبير للمثنى استكثرتهم بوران ملكة الفرس ، وسألت عن سر ترك عادة الفرس القديمة في بعوثهم للعرب حيث كانت قليلة ، فأخبرها بصدق قائلين: « إن الهيبة كانت مع عدونا يومئذ ، وإنها فينا اليوم فما لأتھما »^(١).

وهذا شهرك أحد ملوك الفرس عندما التقى مع المسلمين في اصطخر وكبر المسلمون امتلاً قلبه خوفا ، ولم يستطع ضبط نفسه ولا كتمان سره ، بل دبَّ ما في صدره إلى لسانه وصرح لأصحابه بمكنون قلبه قائلاً: «ماذا أفعل وإلى أين أصير!!»^(٢).

وإذا كان هذا في كبار القادة فإنه في الجنود من باب أولى ، فعندما عبر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالمسلمين دجلة لفتح المدائن جعل الفرس ينظرون إليهم ويقول بعضهم لبعض: « والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن » ؛ وانطلاقاً من هذا ولو الأدبار^(٣).

ويفر أحد شجعان الفرس من إحدى المعارك مع المسلمين فيتلقاه المأمور بقتل الفارين ، فيصرِّح هذا الفار بخوفه من قتال المسلمين خاصة لتمتعهم بخصائص ليست عند غيرهم فيقول : « لا تقتلني فإنما نقاتل قوما منصورين الله معهم » ثم يضع حجراً ويرميه فيفلقه ثم يقول : « أترى هذا السهم الذي فلق الحجر ؟ والله ما كان ليخدش بعضهم لو رمي به !! »^(٤).

بل إن الرعب بحمد الله ومنته لم يقف عند حدود من وطئتهم خيول المسلمين ، بل تعداه إلى البلاد الأخرى ، فهذا ملك الصين يقول ليزدجرد كسرى فارس : « ... ولكن هؤلاء القوم الذي وصف لي رسولك صفتهم

(١) تاريخ الطبري ٤٦٤/٣ .

(٢) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧٣/٢ وانظر الهامش في نفس الصفحة .

(٣) تاريخ الطبري ١٤/٤ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٩ .

لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلي سَرَبُهُمْ^(١) أزالوني ماداموا على ما وصف ، فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ، ولا تهيجهم مالم يهيجوك»^(٢).

ولذلك نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين في إحدى خطبه أن من لم يخضع للمسلمين من الأمم فقد ملأ الله قلبه رعبا ، ينتظر ما يحل به من وقائع الله عزوجل في كل يوم وليلة^(٣).

(١) السرب: الطريق والوجهة . [الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ٥٤٣/٢] .

(٢) تاريخ الطبري ١٧٢/٤-١٧٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٢١٧/٤ .

المبحث الخامس - أثر الصفات السلبية للجيش المضادة :

وكما وجدت في جانب المسلمين الخصائص والصفات الحسنة التي مكنتهم بإذن الله تعالى من النصر ، فقد كانت في الفرس صفات سيئة جعلت دائرة السوء تدور عليهم ، والهزائم تتوالى عليهم ، وجعلت شعوبهم تفر منهم ، وتبحث عن متنفس تلجأ إليه ، وسند تركز إليه وكان ذلك المتنفس هو الإسلام .

وسأعرض- بمشيئة الله تعالى - أهم هذه الخصائص والصفات السلبية تحت العناوين التالية:

- الأول - الترف .
- الثاني - شرب الخمر .
- الثالث - حب الدنيا وكرهية الموت .
- الرابع - عدم اهتمام القادة بالشعب وظلمهم وانتهاك حرمتهم .
- الخامس - غدر بعض الفرس ببعض .
- السادس - الانهيار المعنوي .

الأول - الترف :

إن الترف وباء خطير ، وداء مستطير يؤدي إلى هلاك الأمم وتدميرها ؛ ذلك أن المترفين بانغماسهم في الملذات والشهوات تفسد نفوسهم فتتلذذ بالمجون ، وتستطيب الفساد ، وتزدري القيم ، وتحتقر المثل التي هي عقد المجتمع الجامع له ، وسيأجه الحامي له من الانهيار .

ولذلك كان المترفون على رأس الكافرين بدين الله المحاربين له .

قال الله تعالى : { وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون }^(١).

وقد كان الملوك والأمراء في فارس قد غرقوا في الترف والبذخ أيما غرق ، وأسرفوا في الملذات إسرافا عظيما^(٢)، فعندما هرب يزدجرد آخر ملوك الفرس من دار ملكه أمام الفتح الإسلامي كان معه ألف طباح ، وألف مطرب وألف معلم للفهود، وألف صاحب باز مع غيرهم ، وهو يرى أنه في حاشية قليلة^(٣) ، وكان عند كسرى أبرويز اثنتا عشرة ألف امرأة ، وخمسون ألف فرس ، كما أن لديه مالا يقدر من أدوات الترف ، والقصور الشامخة البهية التي يضرب بها المثل ، ومظاهر الغنى^(٤).

وكانت الطبقات العليا والوسطى يسيرون خلف ملوكهم ، يحاولون محاكاتهم في الملبس والمأكل ؛ مما أدى إلى ارتفاع مستوى الحياة ارتفاعا قويا حتى إن مصروف الواحد من الشرفاء يغني قرية ، ولو تساهل أحدهم في ذلك لكان مدعاة لانتقاده ولومه^(٥).

ولعمق تأصل هذا الترف في نفوسهم لم يستطيعوا الفكاك منه حتى في أوقات الشدة والبأس ، فمثلا عندما ذهب ربعي بن عامر رضي الله عنه رسولا إلى الفرس أظهروا من الزخارف والزينة الذهبية الشيء الكثير^(٦)، وهو ما نلمسه أيضا عندما ذهب إليهم رسول المسلمين

(١) آية ٣٤ من سورة سبأ .

(٢) أبو الأعلى المودودي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧١-٧٢ . أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، السيرة النبوية ص ٣٥-٣٦ ، مراجعة : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، ١٤٠١ هـ ، صيدا ، بيروت .

(٣) أبو منصور الثعالبي ، تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٧٤٢ .

(٤) شاهين مكاربوس ، تاريخ إيران ص ٩٠ .

(٥) المودودي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٧٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٣٢٠ .

الآخر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ^(١)، وفي نهاوند خرج أحد كبرائهم على فيل له قد زينته بالذهب، وإن صفرة الذهب لتخطف الأبصار ^(٢).

إن داء الترف هو أحد العوامل التي نخرت في حضارة الفرس، وأضعفت بنيتها، وجعلت جحافلها المتفوقة على المسلمين في العدد والعتاد لا تستطيع الوقوف أمام المؤمنين الصادقين بالرغم من أنهم أقل عددا وأضعف عدة مادية.

الثاني - شرب الخمر :

ومن صفات الخنا لدى أهل العراق وفارس شرب الخمر وغرقهم في ذلك حتى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما بعث إلى أهل الحيرة رسالة، وأراد أن يبرز فيها شجاعة المسلمين واستماتتهم في سبيل إعلاء عقيدتهم شبه ذلك بحب الحيريين للخمر ^(٣).

بل نجد بعضهم يعاقر الخمر في أحلك اللحظات وأشدّها خطورة، فعندما أغار المسلمون على المصيّخ ^(٤) إذا أحدهم وهو حرقوص بن النعمان النمري ومعه بنوه وبناته وامراته عكوف على خمر، وهو يقول لهم: « اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمرا بعدها؛ هذا خالد بالعين وجنوده بْحَصِيد ^(٥)، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا » ^(٦). فجاء المسلمون وهم على تلك الحال فقتلوه وأولاده وسبوا بناته ^(٧).

(١) المصدر السابق ٣٢١/٢ .

(٢) ابن أعمم الكوفي، الفتوح ٥٤/٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٣٤٥/٣ .

(٤) المصيّخ : مكان بالعراق بين حوران والقلت . [الحموي، معجم البلدان ١٤٤/٥] .

(٥) حصيد : واد بين الكوفة والشام . [الحموي، معجم البلدان ٢٦٦/٢] .

(٦) تاريخ الطبري ٣٨٢/٣ .

(٧) المصدر السابق ٣٨٢/٣ .

فمع علمه بجنود خالد رضي الله عنه وقدمهم ، وأنهم معرضون لغارتهم في أي لحظة إلا أننا نجده مصرأ على تعاطي الخمر بدلا من التخطيط لملاقاة جيش المسلمين .

وما الفرس ببعيدين عن عرب السواد ، فقد كتب لهم خالد رضي الله عنه بمثل ما كتب لأهل الحيرة حيث يقول : « ... فإن أبيتم ^(١) فإن معي قوما يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر ^(٢) . » وكان يزدجرد قبل دخول رسل المسلمين عليه يعاقر الخمر ^(٣) . ولما نزل رستم وجنوده بالبُرس ^(٤) شربوا الخمر وعاثوا فسادا ^(٥) .

بل نجدهم لا يتركون ذلك في الظروف الصعبة ، فبعد هزيمتهم بالقادسية ، وهروبهم نجدهم ما إن يصلوا إلى مكان يرون فيه شيئا من الطمأنينة حتى ينادوا بالخمر ويشربونها ^(٦) على الرغم من أن صوت المعركة مازال يرن في آذانهم ، وهولها يسيطر على نفوسهم ، والمسلمون في آثارهم ، وفي أي لحظة قد يطبقون عليهم إلا أنه مع كل هذا فهم يأبون إلا تعاطيها ، وهذا يدل على عمق تأصل معاقرتها في نفوسهم .

فأي أمة يعتمد عليها !! وأي جنود يرتقب منهم تحقيق النصر ودينتهم شرب الخمر والعكوف عليها ، وهم يهيمون بها حتى أن قائد

(١) يعني فإن أبيتم الإسلام أو دفع الجزية .
(٢) ابن زنجويه ، الأموال ١٣٨/١ . الهيثمي ، مجمع الزوائد ٣١٠/٥ . قال عنه : رواه الطبراني وإسناده حسن أو صحيح .

(٣) ابن أعمم الكوفي ، كتاب الفتوح ١٩٦/١ .
(٤) البرس : موضع بأرض بابل وبه آثار لبخت نصر . [الحموي ، معجم البلدان ٣٨٤/١] .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٧/٢ .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٦/٧ .

المسلمين انتقى هذه المحبة دون غيرها ليشبه حب المسلمين للشهادة بها!!

الثالث حب الدنيا وكراهية الموت :

كان الارتباط بالله عزوجل وكذا رجاء إحدى الحسنين من خصائص الجيش الإسلامي ؛ ولذلك كانوا يقدمون على القتال بشجاعة وبسالة ، بخلاف الفرس الذين لا يرجون الله واليوم الآخر ؛ فإنهم كانوا محبين للدنيا كارهين للموت كحب المسلمين للشهادة ، وهذا ما ذكره خالد بن الوليد رضي الله عنه في رسالته إليهم^(١).

ولذلك نجد ظاهرة سلسلة الجنود في المعارك^(٢)، وهل تعطي السلاسل الرجال شجاعة وقوة؟! إنما تشل حركتهم وتيسر لعدوهم التمكن منهم ، ولكن لعلمهم بخور قلوبهم جاء هذا التصرف الأخرق ، كما نرى أن الفرس لم يلتقوا بالمسلمين في معركة إلا انهزموا وولوا الأدبار باستثناء وقعة الجسر .

إن حب الفرس للدنيا وتركهم للأخرة أوقعهم في المعاصي وأشدّها الكفر ، والمعاصي توهن القلب حتى تميته ، كما أنها تضعف البدن ، فإن المؤمن قوته في قلبه، وتنعكس تلك القوة على بدنه ، وأما الكافر وإن بدا بدنه قويا إلا أنه يخور عند الحاجة ، ويخون صاحبه ، وهذا ظاهر بحمد الله في اللقاءات العسكرية بين المسلمين وبين الفرس والروم حيث غلبهم المسلمون بقوة قلوبهم وأبدانهم^(٣).

الرابع - عدم اهتمام القادة بالشعب وظلمهم وانتهاك حرمتهم:

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٧-٣٤٨ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠١ . تاريخ الطبري ٣/٣٤٨ و ٤/١١٦ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/٢٦٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/٣٤٤ .
(٣) ابن القيم ، الجواب الكافي ص ٦٢ ، المطبعة السلفية ومكنتها ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .

لم تحظ فارس في الفترة التي نتحدث عنها بأبوة حانية رفيقة تدير دفة الحكم برحمة وشفقة ، وإنما وقعت في براثن حكام جبابرة ، همهم إشباع رغباتهم ، وتحقيق نزواتهم ، والانغماس في ملذاتهم ، والإغراق في الترف والبذخ إلى أقصى حدوده .

ولما كان البذخ والترف بتلك الصورة لا يحصل إلا بإنفاق الأموال العظيمة فإنهم استعبدوا شعوبهم وظلموهم وامتصوا أموالهم وضاعفوا الضرائب عليهم ، ومن يحاول الفلات من ذلك ينزلون به أشد العقاب ، فصار الناس بمنزلة البهائم التي غايتها العمل لغيرها وتحقيق المكاسب لهم ، وهو ما ألمح إليه رستم قائد الفرس لزهرة بن حوية حيث قال : « أما إن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون : إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم »^(١).

ولما كان ذلك منعما عند المسلمين استنكروه وازدروه ، وحاولوا استغلاله لصدع صف الفرس ، فعندما ذهب المغيرة بن شعبه رضي الله عنه رسولا إلى رستم وجلس على سريره ونهروه واستنزلوه بشدة - قال : « كان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض » ، ولقد سرت كلماته مسرى النار في الهشيم فنرى أن السفلة قالوا : « صدق والله العربي » ، وأما السادة فقالوا خاشين من ذلك : « والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه »^(٢).

وكانت جنود الفرس إذا مرت بالقرى عاثت فيها فسادا ، فعندما حل رستم بالبرس اعتدى جنده على الناس ، واغتصبوا الأبناء والأموال ، وفعلوا الفواحش بالنساء ، وشربوا الخمر^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٥١٨/٣ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢١/٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٨/٣ .

إن مثل هذه الأعمال جديرة بأن تولد شعبا متفككا ، كل يضمم الحقد على الآخر ، وتجعل الضعيف يتمنى زوال القوي ، ويرحب بكل ما يخلصه منه ، فهي أشبه بالسوس ينخر في جسم الدولة ؛ ولذلك كان رستم يتخوف كثيرا منها ، وهو ما صرح به لجنوده حيث قال : « والله ما أسلمنا إلا أعمالنا »^(١).

وقبل هذا فإن الظلم موجب لغضب الله عزوجل ونزول عقابه بالظالم ، وقد ساق الله عزوجل المسلمين ، وجعل فتحهم للبلاد رحمة للمساكين والضعفاء وقمعا وتدميراً للظلم وأهله .

الخامس - غدر بعض الفرس ببعض :

الغدر خلق ذميم وصفة مقيته ، هذا إذا كان مع العدو فكيف بغدر الإنسان بقومه وبني جلدته .

إن غدر الإنسان بقومه وذويه وإيصال أسرارهم إلى عدوهم يضعف من شأنهم، ويوهن من قوتهم ، بل قد يؤدي إلى استئصال شأفتهم ، ومن أمثلة غدر الفرس ببعض مجيء أحدهم إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو متردد في عبور دجلة فيحرّضه على العبور ؛ لأنه إذا لم يفعل فإن يزدجرد كسرى فارس سيذهب بكل ما في المدائن خلال ثلاث ليال^(٢).

وعند هزيمة أهل المدائن نهب بعضهم بعضا ، ثم هربوا في كل الطرق^(٣)، وبعد دخول المدائن جاء رجل من أهلها إلى سعد رضي الله عنه وقال : « أنا أدلكم على طريق تدركون فيه القوم قبل أن يمعنوا في السير »^(٤).

(١) المصدر السابق ٥٠٨/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١٠/٤ .

(٣) المصدر السابق ١٦/٤ .

(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٢٧ .

وعندما حاصر المسلمون (تستر) طلب أحد الفرس الأمان ، والثمنُ
إعانة المسلمين ضد قومه بدلاتهم على المدخل الذي يفتحون منه
المدينة^(١).

وحاصر المسلمون نيسابور وكان بها أربعة رؤساء من فارس ،
فغدر أحدهم بأصحابه ، واتفق مع المسلمين سراً أن يدخلهم ليلاً مقابل
تأمينه^(٢).

وفي فتح الري كان مع المسلمين الزينبي^(٣) أحد كبار الفرس
مغاضبا لحاكمه حاكم الري ، فسالم المسلمين ، ودلهم على عمل سهّل
لهم تحقيق النصر ، حيث ذهب معه مجموعة فأدخلهم البلد من غير أن
يחס بهم أهلها ، فصار الفرس بذلك بين المجموعة التي يقودها قائد
المعركة العام وبين المجموعة التي دخلت المدينة سراً ، وأدى ذلك إلى
هزيمة الفرس هزيمة منكرة^(٤).

بل إن ملكهم كسرى يزددجرد لم يسلم من غدرهم ، فقد كان عند
ماهويه^(٥) مرزبان مرو فطلب يزددجرد منه مالا فلم يعطه ، وبعدها
خاف منه أهل مرو ، فطلبوا النصر من الترك الذين لبوا النداء ،
فقدموا وبيّتوا كسرى وقتلوا من معه ، وهرب كسرى ماشيا ولجأ إلى
بيت رجل ينقر الرحي ، فلما نام قتله ، وقيل : إن أهل مرو لم
يستتصروا الترك ، وإنما بيّتوا كسرى بأنفسهم ، وقتلوا من معه ، ولاذ

(١) تاريخ الطبري ٨٥/٤ . ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢٠/٢ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٠١٢/٤ .

(٣) هو الزينبي بن قولة أبو الفرخان ، أحد قادة الفرس ، وكان على أهل الري في وقعة
واج الروذ ضد المسلمين ، ثم خرج مخالفا لملك الري وسالم المسلمين وأعانهم على
فتح الري ، ثم صالحهم عليها وصار مرزبانها . [تاريخ الطبري ١٤٨/٤ ، ١٥٠ ،
١٥١] .

(٤) تاريخ الطبري ١٥٠/٤ .

(٥) هو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو براز ، مرزبان مرو ، قدم على علي بن أبي طالب
رضي الله عنه بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له علي كتاباً إلى دهاقين مرو
والأساورة ، ثم كفروا بعد ذلك . [تاريخ الطبري ٥٥٧/٤ - ٥٥٨] .

كسرى بالفرار فقتله النقار^(١)، وعلى كلا القولين فالغدر لهم قرين وصاحب ، إلى غير ذلك من الأمثلة^(٢).
إن انتشار الغدر بين سكان فارس دليل ضعف اللحمة بينهم ، وتفرق قلوبهم، وتشنت اتجاهاتهم ثم هو سبب قوي لعدم ثقة بعضهم ببعض ،ومن ثم انتشار الضعف المعنوي والمادي فيهم الذي يقودهم إلى الفشل والهزيمة .

السادس - الانهيار المعنوي :

إن مما ميز القوات الفارسية التفوق الهائل في العدد والعدة ؛ وهذا ما أتاح لها الوقوف في وجه الفتح الإسلامي مدة من الزمان .
بيد أن تلك القوة المادية الضاربة لم يكن يدعمها قوة معنوية تشد أزرها وتقف معها ، بل كانت قوتها المعنوية ضعيفة قللت من شأنها وأنهكتها ، ومن معالم ذلك الانهيار أننا نرى المتربع على عرش فارس وهو كسرى يزدجرد يقول عن المسلمين بعد لقياه لرسولهم: « إنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه »^(٣).

كما نجد أن الانهيار يتابع كبار شخصيات فارس ، فنرى رستم أكبر شخصية عسكرية لديها قد أضناه الخوف ونخب قلبه ، يظهر ذلك في مناسبات عديدة ، فعندما حملَّ يزدجرد أحد رسل المسلمين تراباً من أرض فارس إهانة له ، وعلم رستم بذلك قال ليزدجرد : « والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا » ، ثم بعث وراء الرسول رجلاً لعله يدركه وقال : « إن أدرك التراب فرده تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا به إلى أميرهم

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥٩/٣ .
(٢) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٥ . تاريخ الطبري ١٦٦/٤ ، ١٦٧ ، ٢٩٦ ،
٢٩٧ . ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧٥/٢ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .

غلبونا على أرضنا» ، وفات الرسول بالتراب ، ووصل المسلمين^(١) فكانت وخزة في قلب رستم .
وبجانب ذلك فإن رستم قد رأى في منامه رؤيا أقضت مضجعه ، وكره بسببها الخروج للمسلمين ، وسأل كسرى أن يخرج الجالوس^(٢) على رأس الجيش بدلا منه حتى ينظر ما يصير إليه الأمر^(٣) .
كما كان رستم منجما وكان يرى أن السعد والحظ للمسلمين^(٤) ؛ ومن ثم فهو لا يرغب في الاصطدام بهم^(٥) .
ولأجل هذه النظرة المتشائمة عند رستم كان خارجا للحرب مكرها ، وقد عبر عن تلك الكراهة بقوله لجابان أحد كبار الفرس : « أمّا أنا فأقاد بخشاش^(٦) وزمام^(٧) ، ولا أجد بدا من الانقياد^(٨) .
وبجانب هذا التشاؤم فقد سلط الله عليه الرؤى التي تملأ جوفه خوفا وقلبه هلعاً، ففي الدير^(٩) رأى رستم أن ملكا دخل جيشه فختم السلاح كله^(١٠) .

(١) تاريخ الطبري ٥٠١/٣-٥٠٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/٧ .
(٢) الجالوس أحد كبار قادة الفرس ، وله مشاركات في حروب الفرس ضد المسلمين أهمها القادسية ، وكان رئيسا لإحدى كتائبها ، ولما انهزم الفرس وهربوا كان الجالوس في آخرهم يحميهم فلحق به زهرة بن حوية فقلته . [تاريخ الطبري ٤٥١/٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٥-٥١٧ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٩ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧] .

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٥/٣ .
(٤) من المعلوم أن الشرع الإسلامي لا يقر التنجيم ويعتبره أمراً محرماً ، ولكنني هنا أذكر واقعاً موجوداً عند رستم أدى إلى خوفه وضعفه المعنوي ، لا أنني أقر التنجيم لديه أو أرى صوابه .

(٥) تاريخ الطبري ٥٠٥/٣-٥٠٦ .
(٦) الخشاش : العود الذي يجعل في أنف البعير . [ابن منظور ، لسان العرب ٩٨/٤] .
(٧) الزمام : الخيط الذي يشد في الخشاش . [ابن منظور ، لسان العرب ٨٤/٦] .
والمعنى أنه كان مسوقاً بقوة .
(٨) تاريخ الطبري ٥٠٧/٣ .

وعاودته الرؤيا مرة أخرى ففي النَّجَف^(٣) رأى أن ذلك الملك جاء
ومعه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعمر ، فأخذ الملك سلاح
الفرس فختمه ، وسلمه لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي أعطاه بدوره
لعمر^(٤) ، وفي ليلة عبور الخندق الذي يفصل بين المسلمين والفرس
في القادسية عادت تلك الرؤيا تطارد رستم ، وأثرت فيه أيما تأثير^(٥) .
ومما لاشك فيه أن مثل هذه النفسية المنهارة لها تأثير كبير على
الجيش الذي تقوده ، لاسيما أن من سوء سياستها أن ذهبت تفشي هذه
الرؤيا المدمرة نفسيا لخاصتها ومن حولها^(٦) .

وقبل ذلك فقد أفشى رستم ما كان يراه من سعد المسلمين وما لهم
من حظ ، وسوء طالع الفرس لأخيه البندوان مرزبان الباب ، وإلى
رؤوس أهل بلادهم حيث كتب إليهم « فرموا حصونكم وأعدوا
واستعدوا فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم، وقارعوكم عن أرضكم
وأبنائكم ؛ وقد كان من رأيي مدافعتم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم
نحوسا ، فأبى الملك^(٧) ، فعلى الرغم من بعد منطقة (الباب) عن
المسلمين زمن كتابة الرسالة إلا أن التشاؤم والخوف الذريع دفعه إلى
هذا ، ومن ثم فبدلاً من خوفه لوحده نشر الرعب عند غيره . وفي
رواية : « ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ، ويستولون على
ما يلينا^(٨) » ، وهذا تصريح لما لوح به في الرواية الأولى .

-
- (١) لم أجد له تعريفاً . ويبدو أنه في الحيرة أو قريب منها. [تاريخ الطبري ٨٠٥/٣] .
(٢) تاريخ الطبري ٥٠٩/٣ .
(٣) النجف : عينان يقال لأحدهما: الرِّيض وللأخرى : النجف ، وهو بظهر الكوفة . [الحموي ، معجم البلدان ٢٧١/٥] .
(٤) تاريخ الطبري ٥٠٩/٣-٥١٠ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣١٨/٢ .
(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣٢٤/٢ .
(٦) المصدر السابق ٣٢٤/٢ .
(٧) تاريخ الطبري ٥٠٥/٣-٥٠٦ .
(٨) المصدر السابق ٥٠٦/٣ .

ونلاحظ هنا أن رستم بدلا من تقوية نفوس من حوله وشحنها بالقوة واليقين بالنصر وتحقيقه يعمل على عكس ذلك .

وبجانب رستم ومن نقل إليهم عدواه في الضعف المعنوي نجد قادة آخرين قد عانقوا هؤلاء في الانهيار ، منهم جابان الذي لم يستطع إلا إظهار ما في نفسه والكتابة إلى من يحب ويرجو له الخير يحرضهم على مسالمة المسلمين ؛ لأن فارس قد زال ملكها ، وقد أقبل ملك المسلمين باعتقاده^(١).

ومنهم أخو شهرك رئيس مدينة سابور ، فقد ملأ الله قلبه هلعا وذعرا عن طريق رؤيا سلطها الله عليه ، حيث رأى في منامه أن عربيا دخل عليه فسلبه قميصه؛ ولذلك لم يطل به الوقت حتى طلب الأمان والصلح مع المسلمين^(٢).

وإذا كان القادة بهذا المقام فلا تسل عن الناس العاديين ، وما ظاهرة سلسلة الجنود إلا دليل على عمق الضعف المعنوي لديهم ، كما أن للكرامات شيئا من الأثر في إضعاف القوة المعنوية لدى الفرس ، بجانب ذلك حبهم للدنيا وكراحتهم للموت، وقذف الله عزوجل الرعب في قلوبهم .

(١) تاريخ الطبري ٥٠٧/٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٨٠-٣٨١ .

المبحث السادس - أثر الجهود الدعوية في نجاح الدعوة :

إن الدعوة الإسلامية في العراق وفارس على الرغم من عوامل النجاح المساعدة التي سبق الحديث عنها إلا أنها لم تكن أمراً سهلاً ، ولم يكن طريقها معبداً ، بل كانت تواجه صعوبات شتى على محاور متعددة: فكبر قادة الفرس ونزقهم ، وتفوقهم في العدد والعتاد ، مع انضواء عرب السواد تحت لوائهم ، إلى غير ذلك من العوائق التي واجهتها الدعوة .

إن دعوة تواجه مثل هذه الصعوبات لا يكفيها جهد يسير من جهة واحدة ، بل لابد من تضافر الجهود ، وتكاتف الأيدي ، والتقديم السخي والبذل دون حساب .

وكذلك فعل المسلمون وعلى رأسهم نبيهم-صلوات الله وسلامه عليه- بتأييد من الله وحفظ من لدنه وكلاً ورعاية ، فقد بذلوا كل ما في وسعهم وقدموا من غير منة .

قام النبي صلى الله عليه وسلم بتكوين المجتمع الإسلامي الذي يحمل عبء الدعوة إلى الله عزوجل ، كما أنه لفت أنظار المسلمين إلى بلاد العراق وفارس عن طريق التبشير بفتحها ، إضافة إلى أنه أقام أول لبنة في صرح الدعوة الإسلامية فيها، رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس متوكلاً على ربه واثقا به غير وجل من بطش كسرى ولا خائف منه .

وتبعه المسلمون في البذل فبذلوا أنفسهم ، فالألوف التي خرجت للجهاد في سبيل الله تعلم علم اليقين أنها معرضة للقتل أو الأسر ، وكان المسلمون يقذفون بأنفسهم إلى مواطن الخطر غير مبالين تضحية في سبيل الله سبحانه وتعالى ، كما فعل حمّال والرّيبيل الأسديين ، وعوف بن مجزأة ، والأسود بن كلثوم^(١) ، ومن المسلمين من يتمنى

(١) انظر ص ١٧٤-١٧٥ من هذا البحث .

الشهادة ويسأل الله عزوجل أن يرزقه إياها من أمثال البراء بن مالك رضي الله عنه والنعمان بن مقرن ر^(١) حتى يقدم نفسه ويبذل روحه لهذه الدعوة الغالية .

وبجانب بذل الأنفس فإنهم ضحوا بأوقاتهم وراحتهم وملذاتهم وأوطانهم ، وأعملوا فكرهم لهذه الدعوة والنهوض بها ، لم يشغلهم عن ذلك شاغل ، وعلى رأسهم نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه- ومن بعده خلفاؤه الراشدون ، ولا ننسى كلمات الصديق المدوية لعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما - : « ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم »^(٢) .

لقد اشترك في بذل الجهود جميع المسلمين من صغير وكبير ، وذكر وأنثى ، وحر وعبد ، وأمير وأمور ، لم يتخلف أحد منهم ، كل بحسب قدرته واستطاعته، فإن تشتت قدراتهم وأعمالهم فالبذل لهم عقد جامع .

ومن الجهود المبذولة تلك الوسائل والأساليب التي استخدمها المسلمون في نشر الدعوة إلى الله عزوجل ، وقد سبق تفصيلها . ولقد كان لهذه الجهود المبذولة أثرها الواضح في نجاح الدعوة ، من حيث تحطيم الرؤساء المعترضين طريق الدعوة ، وفلّ جيوشهم ، ومواجهة أهل العقول بالإفحام العقلي ، وجذب النفوس عن طريق القدوة والمعاملة الحسنة ونحوها إلى الإسلام ، كما كان للتعليم أثره البالغ في نشر الفكر الإسلامي .

وهكذا كانت الجهود الدعوية المبذولة ركيزة من ركائز نجاح الدعوة في العراق وفارس ، وقد انضمت إلى غيرها من العوامل لتحقق ذلك النجاح الباهر والتغلغل العميق للدعوة الإسلامية .

(١) انظر ص ٤٩٩ من هذا البحث .

(٢) تاريخ الطبري ٤١٤/٣ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

فإن تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين جدير بأن نتتبعه ، وننشره ، ونباهي به، ونفاخر ؛ فهو تاريخ مجيد ، وقد سجل فيه أولئك الرجال صفحات من نور إبان زمان انغمست فيه البشرية في مستنقع البعد عن الله ، وحمأة الشرك والوثنية ، والظلم والطغيان ... وصار الناس كالحيوانات .

ودرستنا لهذا الجيل ليست لمجرد التسلية والاطلاع ، ومزيد المعرفة والثقافة فحسب ، بل وللعظة والاعتبار ، والاقتداء ، واستخلاص الدروس الثمينة ، وإنارة درب المسلمين والدعاة إلى الله عزوجل . ومن ناحية أخرى فإن دراسة جهادهم وفتوحاتهم وما دار حولها لهو الرد القاطع على الزعم الذي يدعي أن الباعث على الفتوحات الإسلامية الأمور المالية .

وقد توصلت - بحمد الله ومنته - من خلال هذا البحث إلى إبراز حقائق من أهمها ما يلي :

* خرج المسلمون من بلادهم متوجهين إلى البلاد الكافرة ومنها العراق وفارس انطلاقاً من عالمية الرسالة التي فرضها عليهم ربهم سبحانه وتعالى ، ورغبة في نشر دينهم . وإذا كانوا قد غنموا أموراً دنيوية فذلك الرزق العاجل وإن لم يكن هو الباعث . وهذه الغاية كانت واضحة كل الوضوح عند المسلمين ليس عليها أدنى ذرة غبار ، وقد أوضحوها للمدعوين .

* ومع حسن هذه الغاية وسموها إلا أن المسلمين لم يعتمدوا عليها مع التوكل على الله عزوجل فحسب ، وإنما أضافوا بجانب ذلك تعاطي الأسباب ، فاجتهدوا في استخدام الوسائل المتاحة لهم في ذلك العصر من : الرسل ، والرسائل ، والولاية ... ، وكذا الأساليب من : الدعوة بالكلمة ، والتعليم ، والقدوة ، والترغيب والترهيب ... ، وإن للمسلمين في العصر الحاضر قدوة بأسلافهم في العزم على الاستفادة من كل وسيلة وأسلوب مفيد للدعوة لا يتعارض مع الشرع الإسلامي الحنيف .

* لم تكن ممارسة المسلمين للأسباب من باب التعذير ، بل كانت نابعة من إيمان عميق ورغبة صادقة في نشر هذا الدين ، تلك الرغبة التي كانت محور عيشتهم وبؤرة تفكيرهم ومركز اهتمامهم . ومن ذلك مثلا ما فعله المسلمون عند إرسال الرسل فلم يكن اختيار المبعوثين عشوائيا مستندا على أن حسن مهمتهم سبب قوي لتوفيق الله لهم ، وإنما كان انتقاؤهم مبنياً على معايير دقيقة تيسر من نجاح مهمتهم ، مع سؤال الله عزوجل التوفيق والسداد . كما نلاحظ الفرق الجلي بين صفات هؤلاء الرسل الذين وُجِّهوا لدعوة فئة كافرة لها خصائصها ، وبين أولئك الذين أسند إليهم المسلمون مهمة الدعوة إلى الله عزوجل في أوساط المسلمين ونشر العلم بينهم . فالدعاة بين المسلمين يُرَكِّز فيهم على غزارة العلم والتقوى ، بينما يلاحظ في دعاة الكفار قوة الحجة وسرعة البديهة وهيبة المنظر . وهذا لا يعني قلة أهمية الصفات الأخرى لداعية الداخل (بين المسلمين) والخارج (بين غير المسلمين) ، فكل الصفات الحسنة ينبغي توفرها في الداعية ما أمكن ذلك ، لكن اجتماع كل الصفات في البشر يعز ويندر ، وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: « اللهم إليك أشكو ضعف التقي وجلد الفاجر »^(١) ، وإن لنا في سلفنا الصالح القدوة الصالحة والمثل الحسن عند تعيين الدعاة ؛ فنراعي ما يتمتعون به من صفات ونسند لهم المهام المناسبة لهم .

* على الرغم من قوة العقبات وعظمتها إلا أنها- بتيسير الله ومنته- قد تدهدت وانهدت ؛ لإيمان المسلمين الراسخ ، وعزيمتهم الصادقة في نشر الإسلام .

إن العقبات التي واجهها المسلمون لم تكن إلا حافزاً لمزيد من البذل والتضحية .

(١) ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ١٦ ، دار المعرفة ، بيروت .

* إن المتأمل والناظر بروية لما يصنعه أعداء الأمة الإسلامية من عراقيل يجد أن أخطرها وأشدّها فتكا كيد الأعداء الخفي الذي ينخر في جسد الأمة دون أن تحس به ، فيكلفها الأثمان الباهظة ، ويصدها دون أن تشعر به عن غاياتها وأهدافها ؛ ولذلك كان من الأهمية بمكان التنبه واليقظة لذلك ، وإيجاد كل السبل الموصلة إليه .

* لقد أثمرت الدعوة في العراق وفارس أحسن الثمرات ، حيث قضت على امبراطورية الفرس إحدى الدول العظمى في ذلك العصر ، وأخضعت بلادها تحت الحكم الإسلامي ، ونشرت الإسلام ولغته في تلك الأصقاع .

وبحمد الله ومنته فقد انضم من أسلم من الفرس إلى ركاب الدعوة ، فحمل لواءها مع إخوانه المسلمين السابقين .

وإنما نجحت الدعوة الإسلامية بسبب عمق إيمان حاملها ، وصدق عزمهم في أن ترفرف راية الحق على كل مكان ؛ ولذلك هيا الله عزوجل لهم الظروف ويسر لهم الأسباب فتحقق أعظم فتح وأفضل انتصار .

* المساجد هي بيوت الله عزوجل ، وقد كانت لها مهمات عظيمة في صدر الإسلام من: الصلاة ، والتعليم ، والذكر ، وغير ذلك ، وعلى المسلمين اليوم أن يعيدوا للمساجد أثرها الفعال في المجتمع .

* تعتبر المخالطة إحدى وسائل الدعوة إلى الله عزوجل ، وقد أثمرت مخالطة المسلمين الأوائل لغيرهم أحسن الثمرات ؛ وما ذلك إلا لأنهم كانوا على درجة عالية من الإيمان .

إن إيمان الشخص إذا ضعف قل تأثيره ، بل ويخشى عليه من التقليد والانسياق وراء الشهوات والشبهات ، فينبغي للدعاة التنبه لهذه القضية الخطيرة ، فليس كل شخص أهلا لأن يمتزج بالكافرين وأهل الفسق والفجور ؛ ولذلك كان من الضروري لمن يتولى مثل هذا العمل أن يكون على درجة قوية من العلم والإيمان .

* نشر العلم بين الناس طريق مهم جدا من طرق إيصال الدعوة إلى الناس وبت الفكر الصحيح بينهم ، وكلما انتشر العلم الصحيح قوي الايمان وتعمق ، وانزوى الجهل والبدعة والخرافات ... ، وتكون سد منيع أمام أعداء المسلمين وشبهاتهم ، وبالعكس كلما انحسرت دائرة التعليم كلما نشطت الأفكار الضالة ، ووجدت لها مسلكا في الأمة ، وبالتالي ينخدع بها بعض المسلمين ، وتتبنى تلك الأفكار والعقائد الدخيلة جماعات تنتسب إلى الأمة الإسلامية ، وتنخر في جسمها، وتوهن من قوتها ، كالخوارج والسبئية .

* القدوة من أعظم وسائل الدعوة إلى الله عزوجل ، ويبلغ تأثيرها مالا تبلغه الكلمة، فعلى المسلمين عامة والدعاة خاصة التنبه لذلك ، والالتزام بما يدعون إليه حتى تكون كلمتهم إلى القلوب أنفذ ، وإلى نفوس السامعين أقرب .

* شارك جميع المسلمين في الدعوة إلى الله عزوجل في ذلك العصر كل حسب استطاعته ، وإن لنا فيهم أسوة حسنة ، فعلى المسلمين اليوم التكاتف في العمل الدعوي ، فهو ليس خاصا بأناس دون آخرين ، بل كل مسلم يدعو وفق قدرته وعلمه .

* إن الكفار وإن اختلفت مذاهبهم فعداوة المسلمين تجمعهم ، وتوحد فرقهم ، وقد رأينا تكاتف عرب العراق مع الفرس ، ولم تكن وحدة العروبة لتزيل أو تخفف من هوة الاختلاف العقدي .

* رأينا سلفنا الصالح أمام أكبر شخصيات الأعداء لا يخجلون من ضيق يدهم ؛ لأنه من الله ، ولا من سوء ماضيهم ؛ لتوبتهم منه ، فعلى الدعاة أن لا يكثرثوا من ذلك .

ومع ما سبق من توصيات مندرجة مع النتائج فإنني أقدم هذه التوصية المهمة للمسلمين وهي أن يعوا أنه لكي تنهض الأمة الإسلامية من جديد فلا بد لها من العودة الصادقة إلى هذا الدين ؛ فإنما أخرج ذلك الجيل الفذ تمسكه العظيم بهذا الدين القويم ، فجاءت تلك

الصفات التي اتصف بها منبثقة من هذا الأساس ؛ وبذلك استحق تمكين الله له في الأرض .

كما أوجه نظر كُتّاب المسلمين ومفكريهم إلى هذا المضار العلمي وهو تاريخ الدعوة الإسلامية لينهلوا من معينه ويقوموا بتقديمه للأمة ؛ ففيه دروس وعبر ، وقدوة حسنة في المثابرة على العمل الصالح من العبادة والدعوة وغيرها ...

وأخيرا أسأل الله عزوجل أن يجعل عملي خالصا لوجهه كل الإخلاص، وأن يتقبله مني كل القبول ، وأن ينفع به كل النفع ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الآثار .
- ٤ - فهرس الأشعار .
- ٥ - فهرس المصادر والمراجع الوارد ذكرها في هذه الرسالة .
- ٦ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	رأس الآية
٣٤٨	٤٤	البقرة	أتأمرون الناس بالبر
٤٧١	١٨٥	البقرة	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم

			العسر
٤٨٦	١٨٦	البقرة	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
٤٢٣	٢٥٦	البقرة	لا إكراه في الدين
٤٧٢	٢٨٦	البقرة	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
٢٦٤	٦١	آل عمران	فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
٣٦٨	٩٢	آل عمران	لن تنالوا البر حتى تنفقوا
١٧٣	١٤٥	آل عمران	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله
١٧٨	١٥٩	آل عمران	وشاورهم في الأمر
٤٩٨	١٦٩	آل عمران	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
١٨٣	٢٠٠	آل عمران	ياأيها الذين آمنوا اصبروا
٤٧٨	١	النساء	ياأيها الناس اتقوا ربكم
٤٥٧	٥	النساء	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
٢٥٤،٢٥ ٧	٣٥	النساء	وإن خفتن شقاق بينهما
٤٧٩	٣٦	النساء	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً
٤٧٤	٥٨	النساء	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
٥١٢	٥٩	النساء	ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله
٢٦٨	١٣١	النساء	ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
٤٩	١٧٤	النساء	ياأيها الناس قد جاءكم برهان
٢٣٠	٥	المائدة	اليوم أحل لكم الطيبات

٤٧٢	٦	المائدة	ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
٤٧٤	٨	المائدة	ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
٢٥٣	٩٥	المائدة	ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم
٢٥٣	٥٧	الأنعام	إن الحكم إلا لله
٢٥٢	٣٢	الأعراف	قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
٨٥	٤٦	الأعراف	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
٤٩	١٥٨	الأعراف	قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم
٤٨٦	٢٩	الأنفال	ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
١١٢،٤٨ ٧	٣٣	التوبة	ليظهره على الدين كله
٤٩٦	٥٢	التوبة	قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين
٤٩	١٠٨	يونس	قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من
٣٤٨	٨٨	هود	وما أريد أن أخالفكم
٦	١٢٠	هود	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل
٤٩	١٠٤	يوسف	وما تسألهم عليه من أجر
٢٨٧	١١١	يوسف	لقد كان في قصصهم
٣٣٩	٤٣	الرعد	ومن عنده علم الكتاب
٢٣٩	٤	إبراهيم	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
١٩	٧	إبراهيم	وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم
٣٤٩	٤٤	النحل	وأنزلنا إليك الذكر لتبين

٤٧٤	٩٠	النحل	إن الله يأمر بالعدل
٢٤٤	١٢٥	النحل	وجادلهم بالتي هي أحسن
٢٧٨	٥	الأنبياء	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
٤٩	٩٠	الأنبياء	قل لا أسألكم عليه أجرا
٤٩	١٠٧	الأنبياء	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
٣٦١	٣٤	الحج	وبشر المخبتين
٣٦١	١-٢، ١٠-١١	المؤمنون	قد أفلح المؤمنون
١٨٦	٣٦-٣٧	النور	في بيوت أذن الله أن ترفع
			وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا
٤٨٧	٥٥	النور	الصالحات
٣٥٨	١٢-١٣	الفرقان	إذا رأتهم من مكان بعيد
			فانتوا بكتاب من عند الله هو أهدى
٢٦٤	٤٩	القصص	منهما
٤٤١	٨٣	القصص	تلك الدار الآخرة
٢٣٠	٢١	الروم	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
٤٦٧	٣٠	الروم	فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
٢٥٩	٣٤	لقمان	إن الله عنده علم الساعة
٢٥٨،٣٤	٢١	الأحزاب	لقد كان لكم في رسول الله أسوة
٨			حسنة
٥	٦٢	الأحزاب	ولن تجد لسنة الله تبديلا
٥٠	٢٨	سبأ	وما أرسلناك إلا كافة للناس
٥٣٥	٣٤	سبأ	وما أرسلنا في قرية
٣٠٨	٢٨	فاطر	إنما يخشى الله من عباده العلماء
٣٠٨	٩	الزمر	قل هل يستوى الذين يعلمون
٣٦٠	١٨	غافر	وأنذرهم يوم الآزفة

٨٥	٣٥	غافر	كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
٤٨٦	٦٠	غافر	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
١٧٨	٣٨	الشورى	وأمرهم شورى بينهم
٣٥٩	٦-١	الدخان	حم والكتاب المبين
٢٠٣،٤٩ ٥	٢٨-٢٥	الدخان	كم تركوا من جنات و عيون
٣٩٣	٢٠	الأحقاف	أذهبتم طيباتكم في حياتكم
٤٨٦	٧	محمد	إن تنصروا الله ينصركم
٣٠٩	١٦	محمد	حتى إذا خرجوا من عندك
٤١،٤٨٤	٣٨	محمد	وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم
٤٧٨	١٣	الحجرات	ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنتى
٢٧٢	١	القمر	اقتربت الساعة وانشق القمر
٣٥٧	٤٦	الرحمن	ولمن خاف مقام ربه
٤٢٠	٩-٨	المتحنة	لا ينهاكم الله عن الذين
٣٤١	٢	الصف	ياأيها الذين آمنوا لم تقولون
٤٠،٤٨٣	٣	الجمعة	وأخرين لما يلحقوا بهم
٤٨٦	٢	الطلاق	ومن يتق الله يجعل له مخرجا
٤٨٦	٤	الطلاق	ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا
٤٧٢	٧	الطلاق	لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها
٢٠٦،٢٧ ٠	٦	التحريم	ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
٣٦٨	٨	الإنسان	ويطعمون الطعام على حبه
٣٣١	١	العلق	اقرأ باسم ربك
٤٥٧	٧	العاديات	وإنه لحب الخير لشديد

٤٠٢	٣-١	العصر	والعصر إن الإنسان
-----	-----	-------	-------------------

فهرس الأحاديث (١)

الصفحة	طرف الحديث
	(أ)
٣٠٣	أبو اليقظان على الفطرة ولا يدعها حتى
٣١٦،٣١٧	أتيت الكوفة في زمن فتحت تستر
٣٦٦،٣٦٧	أخرجوها فقدسمعت
٤٨٠	إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه
٤٠٥،٤٠٦	إذا حدثك سعد بشيء فلا ترد عليه
٥٨،٥٩	إذا فتحت عليكم فارس والروم
٥٩	إذا مشت أمتي بالمطيطاء
٣٠٩،٣١٠	استقرئوا القرآن من أربعة

(١) درجت في عملي لفهرس الأحاديث أن أنظر إلى أول ما أنقله منه بنصه بغض النظر عن كونه من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم أم من فعله أم من قول الراوي

٥٣٠-٥٠٠،٥٢٩	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي
٢٥٥-٢٥٤	اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٨٢	أكره أن أملككم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
٤٥	ألا إن الفتنة هاهنا
٤٠٠	البسوا من ثيابكم البياض
٤٣،٤٨٤-٤٢	اللهم أقبل بقلوبهم
٣٣٤	اللهم علمه الحكمة
٤٤٣	ألم تعلم أنهم كانوا ينهون عن ذلك
٣٧٤	أما إنهم كانوا أحب
٢٧٢-٢٧١	أما بعد فإن الدنيا قد آذنت
٢٩٣	أنا أول من أتى عمر
٢٤٣	أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٩	إن الرجم سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٨	إن الله زوى لي الأرض
٤٧٢	إن الله يحب أن تؤتي رخصه
٦٤-٦٣	أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب
٦٣	أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى
٣٦٤	إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة
٣٠٠	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى
٣٥٧،٣٩٧	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهدا
٣٦٥	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي

٢٨٧،٢٨٨	إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه
٣٠٠	إن صلاح ذات البين أفضل من عامة
٢٠٠	انطلقنا حاجين فإذا رجل
٢٧٧	إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته
٩٢	إن كدتم أن تفعلوا فعل فارس والروم
٤٧٤	إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون
٤٠٤	إن ناسا يكرهون الشرب قائما
٢٧٧-٢٧٦	إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
٢٧٤	إنه لم يكن نبي إلا له دعوة تنجزها
٢٧٣	إنه ليس لحم ينبت من سحت فيدخل
٢٠٩-٢٠٨	إني با لكوفة في داري
٣٦٦	إني سمعت قولكم وإني غزوت
٥٠	إني قلت يا أيها الناس
٣٠١	أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت
	(ب)
٤٤٥	بالرفاء والبنين ، فقال لا تقولوا ذلك
٦٥-٦٤	بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله
٤٧٢	بشروا ولا تنفروا
٥٦	بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حول المدينة
٦١-٦٠	بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه
	(ت)
٤٩٦	تضمن الله لمن خرج في سبيله
٥٤	تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون
٤١،٤٨٤	تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما هذه الآية« وإن تتولوا ... »

٦٢-٦١	تمثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب
	(ث)
٤٥٨	ثم أحل الله لنا الغنائم
١٩٢	ثنتان أسألك عنهما ما ينجيني من النار
	(ح)
٥١٤	الحرب خدعة
	(خ)
٥٢٣	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
	(د)
٤٦	الدجال يخرج من أرض بالمشرق
	(ذ)
٤٧	ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا
٤٤٤	الذهب والفضة والحريير والديباج
	(رضي الله عنه)
٤٨٠-٤٧٩	رأيت أبا ذر
٢٠٧	رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
	(س)
٢٩٦	سألتك بالله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٣٧	سمعت الصبي بن معبد
٥١٣-٥١٢	السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية
٤٥-٤٤	سيحان وجيحان والفرات والنيل
٤١٠	سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان
٤٧	سيصير الأمر إلى أن تكون جنود مجندة
	(ع)

٦١	عصبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض
	(ف)
٤٠٥-٤٠٤	فأخذ بيمينه الإناء فأكفأه على يده اليسرى
٤٤	فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان .
٣٤٩	فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم...
١٩٣-١٩٢	في نزلت هذه الآية وخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم...
	(ق)
٤٠٦	قلت لأبي يا أبت إنك قد صليت خلف...
	(ك)
٥٦	كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج علينا في الصفة..
٢٠٧،٥٠٨-٢٠٦	كلكم راع ومسؤول عن عيته
٤١،٤٨٣-٤٠	كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم... ..
١٨٢	كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي...
٥٥	كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة..
٣٦٥	كنت بأذربيجان
٣٣٦	كنت شاكيا بفارس
	(ل)
٤٦	لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب..
٣٦٥	لا حتى أدعوهم كما كان يدعوهم...
٢٨١	لا يقعد قوم يذكرون الله...
١٩٤-١٩٣	لتنزلن طائفة من أمتي...
٢٥٢	لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦٠-٥٩	لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق..
٢٩٢-٢٩١	لما بعث الله عزوجل النبي... صلى الله عليه وسلم
	(م)
٥٠٨	ما من أمير يلي أمور المسلمين...
٥٠٨	ما من عبد يستر عيه الله رعية...
٤٦٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة...
٢٥٨	من اقتبس علما من النجوم...
١٨٦	من بنى لله مسجدا بنى الله له...
٤٤٥	من خرج من الجماعة واستذل الإمارة...
٤٣٩	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...
٣١٠	من سره أن يقرأ القرآن غضا...
٣٠٨	من سلك طريقا يطلب فيه علما...
١٧٨،٤٢٦	من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة... ..
٤٨٠	من كانت له جارية فعلمها...
١٩	من لم يشكر الناس
	(ن)
٣٠٩	نضر الله امرءا سمع منا...
٤٥٧	نعم المال الصالح للرجل الصالح...
٥١٩	نعم عبدالله وأخو العشيرة...
	(هـ)
٢١٠-٢٠٩	هاجت ريح حمراء بالكوفة...
٥٧-٥٦	هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده..
	(و)
٦١	وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة

	ربنا..
٢٦٩	وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل » حديث قدسي ..»
٥١	والذي نفسي بيده..
٢٨٩-٢٩٠	والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه (وسلم)
٣٥١	واهتدو بهدي عمار...
٤٣-٤٤	ورفعت لي سدرة المنتهى..
٢٥٧	وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع...
٣١٩	وقدم علي ببدن
٢٤١،٣١٠	وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه... ..
	(ي)
٣٢٩	يا أبا موسى لقد أوتيت
٣٣٧	يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٧٤-٤٧٥	يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد...
٤٦	يخرج منه قوم يقرؤون القرآن..

فهرس الآثار

الصفحة	طرف الأثر
	(أ)
٣٨٣-٣٨٢	أس بين الاثنين في مجلسك...
٥٠٣	أبشروا فقد والله أعطانا الله...
٥٠٤	أبلوا لله بلاء حسنا...
٣٩٤	ابن ما يترك من الشمس...
١٧٣	أتخافون من هذه النطفة
٣٤٠	أتدرون لم مشيت معكم
٣٥٦	أحببت الله عزوجل...
٤٩٣	احتسبتها عند الله...
١٧١،٢٧٩	احمدوا الله وصدقوا قولكم...
٥٣٠	احملوا عليهم فإني أرى هيئة قوم...
٢٩٨-٢٩٤	أخرجنا عمر بن الخطاب في سرية...
٣٣٥	أدركت نحوا من خمسين...
٣٠٦	أدعوكم إلى الله...
٣١٨	إذا حدثنا ثقة عن علي...
٣٠٢	اذكر الله عند همك
٣٤٢	أذهب فأنت أفضى العرب...
١٦٠	أرأيتم إن استعملت عليكم...
٣٨٤	أردت أمرا وأراد الله غيره...
٤٤٠	ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك...
٤٤٤	اسكت مقبوحا منبوحا...
٣٠٤	أسلمي أزواجك رجلا شريفا...
١٧٩	اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم...

٥٠٥	اسمع يا عمر ما أقول لك ...
٣٦٨	أشترى خوصا بدرهم ...
٣٥٩	أصبحنا ضعفاء مذنبين ...
٤٥٣	أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان ...
٣١٥،٣٢٨	أصحاب عبدالله سرج ...
٣١٦	أعلم أصحاب محمد بالمنافقين ...
٢٤٠	أعني بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
٣٥٨	أعوذ بالله من صباح ...
٣١٨	أعوذ بالله من معضلة ...
٣٤٣	اقرأ في الأوليين بفاتحة الكتاب ...
٤٣٣	أقسم بالله لأتصدقن عليهم ...
٥١٧	اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ...
٣٣٧	أكثرتم علينا يا أهل العراق
٣٨٠	أكون في غرباء الناس ...
٣٩٩	ألا أريك الدنيا ...
٥٠٤	ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد ...
٢٧٣-٢٧٢	ألا إن الله يقول ...
٤١٣	ألا سويت بينهم ...
١٧١	ألا وإني قد وهبت نفسي لله
٤٨٨	الله أكبر ، أبيض كسرى ...
١٧١	الله جاء بنا وهو بعثنا ...
٥٥٢	اللهم إليك أشكو
٤٩٩-٤٩٨	اللهم إن حممة يزعم أنه يحب ...
٤٨٩	اللهم إنك خلقتنا ولم نك شيئاً ...
٤٩١	اللهم إنني أسألك أن تقر عيني اليوم ...

٣٨٢	اللهم اني لم أبعثهم...
٤٤٤	اللهم لم أشهد ولم أمر...
٣٦٩	أليس إنما أردت...
٣١٨	أما إنه أعلم من بقي...
١٥٨	أما بعد فأسلم تسلم...
٤٩٣	أما بعد فالحمد لله الذي أنجز وعده...
٤٢١	أما بعد فإن الله أمر الأئمة...
٤٩٤	أما بعد فإن الله نصرنا...
٤٩٥	أما بعد فإن الله وله الحمد فتح علينا...
٤١٣	أما بعد فبحسب المرء من الشر...
١٦١	أما بعد ففضل أهل السابقة...
٤٨٢	أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به...
٣٨٣	أما والله إنني لأقضي لك...
٣٨٨	أما والله لولا الله...
٤٧٦	أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه...
٣٦٧	أنا أحق من حملة...
٣٨٦	إن أقواما أدوا هذا
٤٤٠-٤٣٩	أن اكسروا كل شيء قدرتم...
٥٠٢	إن الأمير يقرأ عليكم
٥١٩	إن الجموع لم تشج...
١١٢-١١١	إن الحجاز ليس لكم بدار...
٥٠٢	إن الذي تسمعون فشل...
٩٠	إن الرسل لا يفعل بهم هذا..
٣٨٥	إن الله جل و علا جعلك
٢٧٨	إن الله هو الحق لا شريك له...
٥٠٩	إنا لله وإنا إليه راجعون...

١٧٢	إننا لم نأتكم لطلب الدنيا...
٥١٣	إن أمير المؤمنين أمرني
١٦٢	إن أمير المؤمنين بعثني...
٣٠٤	إننا نأكل من التمر...
١٦٣	إن أهم أمركم عندي الصلاة...
٣٩٧	أنت أخي وأنا أخوك...
٣٠٥	أنتم خيار أهل البصرة...
٣٩٩	انتهى الزهد إلى ثمانية...
٣١٨	انتهى علم أصحاب رسول الله ((صلى الله عليه وسلم))...
٤٥٩	انثالت عليهم الدنيا...
٣٨٣	إن جاءك شيء في كتاب الله
١٧٠	إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٠٢	إن رأيتمونا أصبنا...
٥٠٠	إن شاء جرير أن يكون...
٣٤٢	إن شهد أربعة من نسائها...
١٩١	انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا...
٢٧٨	انطلقوا فقوموا في الناس...
٤٣١	انظرا أن تكونا حملتما
٥١١-٥١٠	انظر مهلكا فلا تستعمله...
٣٩٢	إن عائشة قد سارت...
١٠٧	إن عدوكم قد اعتصم منكم..
١٨٠	إن قبلك رجلين هما فارسا العرب...
٩١	إنك تقدم على أرض المكر
١٠٦	إنك تقدم على بلد منيع
٣٨٥	إنك عففت فعفت

١٨٤	إنكم أسلمتم فلم تبدلوا...
٢٤٣	إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسما...
٣٥١	إنكم لتأتون رجلا
٣٩١	إن كنت كاذبا فأكثر الله مالك...
٤١٩	إن كنتم صادقين بذلك...
١٥٦-١٥٥	إنما أنت أحد رجلين...
٤٢٧	إنما بذلوا الجزية...
٤٩٧-٤٩٦	إن من قتل منا قبل الفتح...
٩٧	أن من كان عليه عمامة..
٤٨٨	إنه ألقى في روعي أنكم...
١٧٩	إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه...
٤٠٩	إنه قد جد بكم...
٣١٣	إنه كان يسمع حين لا نسمع...
٣٦٢	إنه كما تقولون ولكني سمعته...
٢٣٥	إنهم تكلموا بلسان المسلمين
٣٠٧	إني رجل منكم أسلمت...
٣٦٨	إني سمعت الله يقول...
١٧٧	أن يقاتلوا في سبيل الله...
١٨١	إني لأرجو أن أموت من يومي هذا...
٤٣٠	إني لأظنكم قد أهلكتم
٣٨٣	إني لم أدعكما...
٥١٣	إني هاز لوائي ثلاث مرات
٣٩٣	إني والله قد أرى تقذيركم...
٣٠٢-٣٠١	أوصيكما بتقوى الله...
٤٤١	أوفوا الكيل والميزان...
٤٤٤	أو قد كان ذلك...

٣٩٤	إياكم والتتعلم...
٣٣٢	أيسرك أن عمالك...
٤٨٧	أين المهاجرون عن موعود الله؟
١٩١-١٩٠	أيها الناس إذا لقيتم العدو...
٤٤٢	أيها الناس الصلاة...
٢٧٣	أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم...
	(ب)
٣٧٠	بت مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه...
٣٠١-٢٩٩	بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى ...
٤٩٩	بشرتني بخير وأجر...
٣٤٠	بعثنا عمر بن الخطاب...
٤٩٥	بل أحمد الله فقد نصرنا...
٣٤٥	بلغني أنك تأذن للناس جمعا...
٣٥٩	بلى ولكن الله أخبرنا...
٣٩٨	بنيت شديدا وأملت بعيدا...
٤٤١	بيعوا ولا تحلفوا...
	(ت)
٥٢٤-٥٢٣	تالله إن معنا لأقواما لو يأذن...
٣٣٢	تركته يعلم الناس...
٢٣١	تزوج المهاجرون والأنصار...
	(ث)
٣٩٦	ثكلتك أمك لقد أردت...
	(ج)
٣٤٤	جاء رجل إلى عمر...
٣١٢	جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم...
٤٧٥	جننا لإخراج العباد من عبادة العباد...

٤١٨،٤٨٨	جئنا نطلب موعود الله...
٣٩٢	جهزني فإني خارج
	(ح)
٤٨٩	حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله...
٢٦٨-٢٦٧	الحمد لله أحمده وأستعينه وأستهديه...
٢٨٤-٢٨٢	الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره...
٥٠٧	الحمد لله اكتبوا إلى عمر...
١٨٤	الحمد لله الذي شرفني بقتلهم...
٤٣١	الحمد لله الذي لم يجعل
	(خ)
٣٩١	خير أذني سببت...
	(د)
٣٩٩	الدنيا تحتنا...
١٥٣	الدهاة أربعة...
١٥٢	الدهاة في الفتنة أربعة...
	(ذ)
١١٣	ذلك وجه قد كفيتموه..

	(رضي الله عنه)
٣٧١	رابع أربعة وما رابع أربعة...
٤٠٦	رأيت علياً قام فبال ثم توضأ...
٣٤٤	رتل فذاك أبي وأمي...
٣٧١-٣٧٠	رجلان وأنا الثالث...
٥٠٩	رحم الله أبا ثور...
	(س)
١٥٦	سلام على من اتبع الهدى...

٣١٩	سلوني عن كتاب الله
	(ش)
٣١٢	شامت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم..).
٢٣١	شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا...
	(ص)
٣٣٠	صبغ من العلم صبغة...
١٥٣	صحبت المغيرة بن شعبة...
٣٤٢	صحاب سلمان رضي الله عنه...
	(ع)
٤٨٩	عاداتكم في أمثالهم...
٣١١	علم القرآن والسنة...
٣١٨	علي أقضانا
٤٤٢	علي بالنيران...
	(ف)
٤٩٤	فالحمد لله الذي أنجز وعده...
٥٣٧	فإن أبيتم فإن معي قوما...
٤٨٧	فإن الله الذي لا إله إلا هو...
١٦٠	فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمه...
٣٧٥-٣٧٤	فإن لآعب أحد منكم أحدا من العجم...
٤٩٩	فإن لم تفعلوا فوالله...
٤٩٦	فإنما تنتظرون إحدى الحسينيين...
٣٥٤	فإنه الآن يأتينا...
٩٦	فخرجوا إلينا في الحديد...
٤٤٠	فرقوا بين كل ذي محرم...
٥٠٩-٥٠٨	فسر بأمر الله وبعون الله...
٤١٨	فقتت وقد والله أرعبت...

٢٨٥	فكان إذا ذكّر وقع حديثه...
٣٥٤	فلا تغالوا بكفني...
٤٣١-٤٣٠	فلا سوط ولا نوط...
٤١٨	فلا يغرّنك ما ترى حولك...
٩٦	فلما أتيتهم كادت تلك الحراب..
٩٧	فلم أر والله مثل ذلك اليوم..
٤١٦	فنحن ندعوك إلى أن تؤمن...
٤٩٧	فوالله ما علمت من المسلمين أحدا...
٣٥٥-٣٥٤	فوالله ما وقعت في كربة...
	(ق)
٤١٨	قال الله لرسوله : إني قد سلطت
٣٨٩	قد جاءكم غلام...
٢٨١-٢٨٠	قد علمتم ما أعزكم الله به...
١١٤،٥٠٣	قد قاتلت العرب والعجم..
٢٣٢	قد كنت أنت وأبوك تتمنيان...
٣٣٤	قدمت البصرة فدخلت المسجد...
١٥٩	قدمت على عمر بن الخطاب...
٣٣٠	قدمنا البصرة على أبي موسى...
١٠٧	قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه..
٤٣٠	القوي على قدر قوته...
	(ك)
٣٣٢	كان أبو موسى إذا صلى الصبح...
٣٣١	كان أبو موسى الأشعري يطوف...
٣٣٥	كان ابن عباس يسمى البحر...
٥٤٠	كان أحسن من الذي صنعتم...
٢٤٢	كان أصحاب ابن مسعود سرج...

٣٨٤	كانت نيتي غاية العدد...
٢٨٥	كان محدث بالكوفة...
٣١٨	كان يتفجر العلم من جوانبه...
٣٤١	كفى بالمرء علما...
٣١٨	كنا نتحدث أن من أفضى...
٣٣٦	كنا نسمع الرواية بالبصرة
٢٦٩	كنت إن لم أسأل النبي ((صلى الله عليه وسلم
٣١١	كنيف ملئ علما...
٤٣١	كيف فعلتما أتخافان أن تكونا...
	(ل)
٤٢٢	لا أرى ذمة الله تخفر...
٤٠٩	لا أوتي بأحد يفضلني...
٣٧٤	لا تخف ذلك...
١٨١	لا تدعوا أحدا له سلاح
٣٧٦	لا ترزأ معا هذا إبرة
٣١١	لا تسألوني عن شيء...
٤٣١	لا تضربن رجلا منهم...
٤٣٣	لا تفرق بين المرأة...
٤٤١	لا تنفخوا اللحم
٥١٢-٥١١	لا حاجة لنا فيه...
٣٦٥	لا حتى أدعوهم...
٤٠٦	لا حتى ندخلها...
٥٠٨	لأن أستنقذ رجلا من المسلمين...
٣٥٧	لأن أكون أعلم أن الله يقبل...
٤٠١-٤٠٠	لأن أموت ثم أنشر...
٥٢٧	لا والذي بعث محمدا بالحق...

٣٥٢	لا والله لا تهزمون...
٣٣٢	لا يا أمير المؤمنين...
٤٤١	لا يباع في سوقنا طافي...
١٧٠	لا يغرناك من الله أن قيل...
٤٢٣	لا يغيرون عن ملة...
١٢٩-١٢٨	لا يكرثك ما يأتيك عنهم..
٣٨٨	لقد دفن اليوم أعظم
١٢٢	لقد رأيتنا يوم صفين
٤٩٨	لقد طابت القتل مظانه...
٥٠٩	لقد كان قتله ينغص عليّ هذا الفتح...
٣٣٠	لم أر بالكوفة أعلم من...
٣٢٢-٣٢١	لم أر بالكوفة من أصحاب محمد...
١٠٨	لم أكن في أرض العجم..
٣١٨	لم يكن أحد من الصحابة...
٣١٤	لو أعلم أن أحداً أعلم...
٣٣٤	لو أن ابن عباس أدرك...
٣٦٠	لو سألنا الله أن يميتنا...
٤٠٧	لو سرنا في الساعة التي أمرنا...
٥٢٢	لولا أن الملائكة لا تباشر القتال...
٥١٤	لولا أنني أكره خلاف الطاعة...
٣٦٠	لو وزن خوف المؤمن...
٣٤١	ليس العلم بكثرة الرواية...
٣٧٤	ليس على أولئك سبيل...
٤٩٤	ليعلم الناس أن الله نصر الدين...
	(م)
٣٣٢	ما أتاها راكب خير لأهلها...

٥٠١	ما أراهم إلا يموتون دونكم...
٣١١	ما ترك بعده مثله...
٣١٥	ما دخل الكوفة أحد...
٣٣٥	ما رأيت مجلساً قط أكرم...
٣٣٠	ما سمعت مزماراً...
٣٢٨	ما كنت أعرف فقهاء الكوفة...
٣٧٧	ما كنت بالذي أغدر به...
٩٣	ما لقيت قوما كأهل فارس..
٤٩٨	ما ليلة تهدي إلى بيتي فيها عروس...
٣٩٨	مثلي ومثل كسكر...
٢٩٨-٢٩٦	محاورات بين مجموعة من الصحابة منهم ابن الخطاب وعائشة وحفصة
٢٥٥-٢٥٢	محاورة بين ابن عباس والخوارج...
٣٩٠	محاورة بين ابن مسعود وأصحابه...
٣٩٢	محاورة بين أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك...
٢٤٦-٢٤٥	محاورة بين أسير مسلم ورستم...
١٤٩-١٤٦	محاورة بين رسل من المسلمين ورستم..
١٣٣-١٣٢	محاورة بين المغيرة بين زرارة ويزدجرد..
١٤٢-١٤١	محاورة بين المغيرة بن شعبة ورستم
١٣٢-١٣١	محاورة بين النعمان بن مقرن ويزدجرد..
١٤٠	محاورة بين حذيفة بن محسن ورستم..
١٣٨-١٣٧	محاورة بين ربيع بن عامر ورستم.. ..
٤٦٨-٢٤٨، ٤٦٧-٢٤٧	محاورة بين زهرة بن حوية ورستم...
٣٤٢	محاورة بين سلمان الفارسي ورجل من عبس...
٢٥١-٢٤٩	محاورة بين (عائشة والزبير وطلحة)

	والقعقاع...
٤٣٤	محاورة بين علي بن أبي طالب وابنة كسرى...
٢٥٨-٢٥٦	محاورة بين علي بن أبي طالب والخوارج...
٢٦٥-٢٦٣	محاورة أخرى بين علي بن أبي طالب والخوارج...
٢٥٩-٢٥٨	محاورة بين علي ومنجم...
٤٤٣-٤٤٢	محاورة بين علي ومن زعموا له الألوهية...
٢٦٢-٢٦١	محاورة بين (قيس بن عبادة وأبو أيوب) والخوارج...
٣٠٤	مررت بأبي ذر...
٤٥٣	المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها...
١٥٩	من استعمل رجلا لمودة...
٣٥٥	من أهل السماء...
٣٣٩	من لكم بمثل لقمان...
٤٧٦-٤٧٥	من مر عليك فأخذت منه صدقة...
٦٧	من هذا الذي تأتينا وقائعه..
٣٤٣	من يشتري علما بدرهم...

	(ن)
٤٩٠	نستعين بالله ونتوكل عليه...
	(هـ)
٣٧١	هاتوا كل حاجة لكم...
٣٧٩	هو أبعد عن الكبر...
٣٣٩	هو سلمان...
	(و)
٤٩٢-٤٩١	وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به...

٤٩٢	واحمدوا الله وسلوه العافية...
١٧٠	وادع إلى الله...
١١٤	وإذا فتح الله على أهل الشام...
٤٩٠	واستنصروا الله وأكثروا من...
١٠٠	واعلم فيما لديك
٣٨٦	والأمانة الأمانة
٣١٠	والذي لا إله غيره ما نزلت آية...
٥٣٠	وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس...
٣٨٦	والله إن الجيش لذو أمانة
٣٥٦-٣٥٥	والله إنها لإحدى المنزلتين...
٣٨٨	والله لا أخبركم لتحمدوني...
٣٧٢	والله لأن تختلف الأسنة في جوفي...
٥١٩	والله لأنسين الروم وساوس الشيطان...
٤٤٤	والله لا يوسر رجل
٥١٠	والله لصلاح رجل من المسلمين...
٢٨٩-٢٨٨	والله لقد رأيت أصحاب محمد ((صلى الله عليه وسلم))...
٢٨٩	والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي...
٣٩٥	والله ما أركم شيئاً...
٣١١	والله ما أعلم النبي (صلى الله عليه وسلم) ترك...
٣١٧	والله ما نزلت آية...
٥١١	والناس بنو آدم وحواء...
٣٧٦،٤٢١	والوفاء الوفاء... ..
١٥٧	وإنه من صلى صلاتنا...
٣٨٥	وأن يقسم ذلك على

٤٢٩	وإني نظرت في عدتهم فوجدتهم...
٥١٣	وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل...
٤٣٥	وجعلت لهم أيما شيخ...
٣٥٨	وددت أني رماد...
٥٠٧	وددت أني قد رأيت فتح جلولا...
٩٥	وقد لقوا المسلمين بعدة..
٩٢	وكان أحسن من الذي صنعتم..
٣٤١	وكنا نقرأ سورة كنا...
٣٨١	ولا ترفع إلي باطلا
٥٤٨	ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت...
٤٢٧	ولا يدخل قرى أهل الصلح...
٣٦٩	ولكن الله يدري...
١٦٣	ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة...
٤٩٦	ولو أدركوكم ومن معهم لقاتلتهم...
٤٤٠	ولوهم بيعها
٥٠٩	وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين...
٩٥	وما عامة جنن المسلمين..
٤٠١	ومالي لا أجزع...
٣٩٧	وما يعجبك فما ترى إلى جنب...
٣٧٥	ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح...
٣١٢	وهل أحد منهم أثبت...
٣٤١	ويل لمن لا يعلم...
	(ي)
٣٩٧	يا أبا عبد الله ألا ترى إلى...
٣٦١	يا أبا يزيد لو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم...)

١٥٩	يا أحنف قد بلوتك وخبرتك...
٣٩٥	يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل...
٣١٤	يا أهل الكوفة أجزعتم...
١٩٥	يا أهل الكوفة إن أحبكم إلي...
٢٧٤	يا أيها الناس ابكوا...
٢٧٠	يا أيها الناس لا تكونوا ممن يرجو...
١١١	يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه..
١٨٣	يا بني أسلمتم طائعين...
٣٥٤	يا بُني إن عجزت عنه في شيء...
١٢٢	يا بُني لبيت أباك مات
٣٨٤	يا بُني والله لأنت أحب إلي...
٥٢٩	يا سارية الجبل...
٣٩٤	يا صفراء ويا بيضاء غري غيري...
٣٥٩	يا لبيت أمي لم تلدني...
٤٤١	يا معشر التجار خذوا الحق...
٤٩٧	يا معشر بجيلة اعلموا أن لكم في هذه البلاد...
٥٠٦	يا معشر بكر بن وائل ارفعوا رايتمكم...
٥١٩	يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد...
٥١٠	يا مهلك يقول الرجل انتظرني...
٣٧٧	يجير على المسلمين أدناهم...
٣٥٠	يقول فصلا ويحكم عدلا...
٣٤١-٣٤٠	ينبغي لحامل القرآن...
٣٣١-٣١٢	يؤخذ العلم عن ستة... ..

فهرس الأشعار

الصفحة	صدر البيت
٣٩٤	اببيضي واصفري و غري غيري...
٥٢٢	إذا قمت عناني الحديد وأغلفت...
٤٩١	بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم...
٥٢٢	كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا...
٤٩١	لعمري وما عمري عليّ بهين...
٢٤٢	وابن مسعود الذي سرج القرية...
٥٢٢	وقد كنت ذا مال كثير وإخوة...

فهرس المصادر والمراجع الوارد ذكرها في هذه الرسالة

- ١ - القرآن الكريم .
- * آرنولد ، توماس .
- ٢ - الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : الدكتور حسن بن إبراهيم بن حسن والدكتور عبدالمجيد بن عابدين وإسماعيل النجاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٩٧٠م ، القاهرة .
- * ابن الأثير ، علي بن محمد بن الجزري (ت ٦٣٠هـ) .
- ٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر .
- ٤ - الكامل في التاريخ ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه : نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- * ابن الأثير ، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) .
- ٥ - جامع الأصول ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ .
- ٦ - النهاية في غريب الحديث ، تحقيق : طاهر بن أحمد الزاوي ومحمود بن محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية .
- * إدوار بروي بالتعاون مع جانين أوبوايه وكلود كاهين وجورج دوبي وميشال مولات .

- ٧ - تاريخ الحضارات العام «القرن الوسطى» ، إشراف : موريس كروزيه ، ترجمة: يوسف بن داغر وفريد بن داغر ، منشورات عويدات ، ط ٢ ، ١٩٨٦م ، بيروت ، باريس .
- * الأزدي ، محمد بن عبدالله الأزدي (ت نحو ١٦٥هـ) .
- ٨ - تاريخ فتوح الشام ، تحقيق : عبدالمنعم بن عبدالله بن عامر ، مؤسسة سجل العرب .
- * أسود ، العميد عبدالرزاق بن محمد .
- ٩- المدخل إلى دراسة الأديان ، الدار العربية للموسوعات ، ط ١ ، ١٤٠١هـ ، بيروت .
- * الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ) .
- ١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، ط ٣ ، ١٤٠٠هـ ، بيروت .
- ١١- كتاب دلائل النبوة ، عالم الكتب ، بيروت .
- ١٢- كتاب ذكر أخبار أصفهان ، الدار العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، موري كيت دلهي ، الهند .
- * الألباني ، محمد بن ناصر الدين .
- ١٣ - صحيح سنن الترمذي ، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .
- ١٤ - صحيح سنن أبي داود ، اختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ .
- ١٥ - صحيح سنن ابن ماجه ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت .
- ١٦ - صحيح سنن النسائي باختصار السند ، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج . ط ١ .
- * الإمام مالك ، مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) .

- ١٧- الموطأ ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد بن فؤاد بن عبد الباقي ، دار الدعوة .
- * الإمام البخاري ، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) .
- ١٨- كتاب التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٩- صحيح البخاري ، دار الدعوة .
- * بخيت ، عبدالحميد .
- ٢٠- ظهور الإسلام ، مكتبة الانجلو المصرية .
- * بدران ، عبدالقادر (ت ١٣٤٦هـ) .
- ٢١- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، دار المسيرة ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ ، بيروت .
- * البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ) .
- ٢٢- كتاب المعرفة والتاريخ ، تحقيق : أكرم بن ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ، بيروت .
- * البسيط ، أحمد بن إسماعيل .
- ٢٣- الحسن البصري مفسراً ، دار الفرقان ، عمان .
- * الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) .
- ٢٤- تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- * البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ) .
- ٢٥- مرآة الإطلاع ، تحقيق وتعليق : علي بن محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٣٧٣هـ .
- * البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) .
- ٢٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٦٤هـ .
- * البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) .
- ٢٧- فتوح البلدان ، عنى بمراجعتة والتعليق عليه: رضوان بن محمد بن رضوان ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .

- * البنا (الساعاتي) ، أحمد بن عبدالرحمن بن محمد (ت ١٣٧٨هـ) .
- ٢٨- بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ، دار الشهاب ، القاهرة ، المطبوع مع الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد البنا .
- ٢٩- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، دار الشهاب ، القاهرة ، المطبوع مع مختصر شرحه بلوغ الأمان لأحمد البنا .
- * البنا ، حسن بن أحمد بن عبدالرحمن (ت ١٣٦٨هـ) .
- ٣٠- مجموعة رسائل حسن البنا ، دار الدعوة ، ١٤١١هـ ، الاسكندرية .
- * البهوتي ، منصور بن يونس بن صلاح الدين (ت ١٠٥١هـ) .
- ٣١- الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ط ١ ، ١٣٩٧هـ ، المطبوع مع حاشية ابن قاسم عليه .
- * البهي ، د. محمد .
- ٣٢- الإسلام والرق ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ .
- * البيانوني ، د. محمد أبو الفتح .
- ٣٣- المدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- * بيرنيا ، حسن .
- ٣٤- تاريخ إيران القديم ، ترجمة : الدكتور محمد نور الدين عبدالمنعم والدكتور السباعي بن محمد السباعي ، مراجعة وتقديم : د. يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
- * البيهقي ، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) .
- ٣٥- السنن الكبرى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٦هـ ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، وبذيله الجواهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني .
- * الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) .

- ٣٦- سنن الترمذي ، تحقيق وشرح : أحمد بن محمد بن شاكر ، دار الدعوة .
- * ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ت ٧٢٨هـ) .
- ٣٧ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق وتعليق : د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ .
- ٣٨ - كتاب التوبة ، دار ابن حزم ، مؤسسة الريان ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ ، بيروت .
- ٣٩ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٠ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تحقيق : مصطفى بن العدوى ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- * الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ)
- ٤١- تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مكتبة الأسد ، ١٩٦٣م ، طهران .
- * الجرهمي ، عبدالله بن سليمان الشافعي .
- ٤٢- كتاب المواهب السنية ، دار الفكر ، بهامش الأشباه والنظائر للسيوطي .
- * جريشة ، د. علي .
- ٤٣- أدب الحوار والمناظرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .
- * الجزائري ، أبوبكر جابر .
- ٤٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
- * ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) .
- ٤٥ - غاية النهاية في طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ ، بيروت .
- * الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي (ت ١٢٠٤هـ) .

٤٦- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ، عيسى البابي الحلبي ، مصر .

* ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)

٤٧- تلبيس إبليس ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨هـ : إدارة الطباعة المنيرية بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٨- صفة الصفوة ، حققه وعلق عليه محمود بن فاخوري ، خرج أحاديثه : د. محمد بن رواس بن قلعه جي ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ ، بيروت .

٤٩- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق : زينب بنت إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت .

٥٠- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دراسة وتحقيق : محمد بن عبدالقادر بن عطا ومصطفى بن عبدالقادر بن عطا ، راجعه وصححه : نعيم بن زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

* الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) .

٥١- المستدرک علی الصحیحین ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي .

* ابن حبان ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) .

٥٢- كتاب مشاهير علماء الأمصار ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩هـ .

* ابن حبيش ، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله (ت ٥٨٤هـ) .

٥٣- غزوات ابن حبيش ، تحقيق : د. سهيل بن زكار ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، لبنان .

* ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) .

- ٥٤- الإصابة في تمييز الصحابة ، مكتبة المثنى ، ط ١ ، ١٣٢٨ هـ ،
بغداد ، بهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر .
- ٥٥- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي ،
مراجعة : محمد بن علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- ٥٦- تقريب التهذيب ، تحقيق : عبدالوهاب بن عبداللطيف ، دار
المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ، بيروت .
- ٥٧- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل
البخاري ، تصحيح وتحقيق : بإشراف : الشيخ عبدالعزيز بن باز ،
نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
- ٥٨ - لسان الميزان ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، بيروت .
* ابن حزم الظاهري ، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)
- ٥٩- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام بن هارون ، دار
المعارف ، ١٣٨٢ هـ ، مصر .
- ٦٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : الدكتور محمد بن
إبراهيم بن نصر والدكتور عبدالرحمن بن عميرة ، شركة مكتبات
عكاظ ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
- * حسن ، د. حسن بن إبراهيم .
- ٦١- تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ، ط ٧ .
* حسن ، محمد بن أمين .
- ٦٢- خصائص الدعوة الإسلامية ، مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
* حسونة ، محمد بن أحمد .
- ٦٣- أثر العوامل الجغرافية في الفتوح ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،
١٩٦٠ م .
- * حسين ، د. عبدالرزاق بن عباس .

٦٤- نشأة مدن العراق وتطورها ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتوجيه والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ م .

* الحلبي ، علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ) .
٦٥- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ ، مصر .

* الحموي ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ) .
٦٦- معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٦هـ ، بيروت .

* الحميري ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ) .
٦٧- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د. إحسان بن عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت .

* الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) .

٦٨- المسند ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت ، بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، وطبعه أخرى : شرح وفهرسة أحمد بن محمد بن شاكر ، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر .

* أبو يعلى الحنبلي ، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) .
٦٩- الأحكام السلطانية ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٢ ، ١٣٨٦هـ ، مصر .

* الخربوطلي ، علي بن حسني .
٧٠- الإسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، ١٣٨٩هـ .

* خطاب ، محمود بن شيت .
٧١- عمر بن الخطاب الفاروق القائد ، مكتبة الحياة ، ط ٢ ، بيروت .
٧٢- قادة فتح بلاد فارس .. إيران ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٤هـ .
٧٣- قادة فتح العراق والجزيرة ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٧هـ .

* ابن خلدون ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد المغربي (ت ٨٠٨هـ) .

٧٤- كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المشهور بتاريخ ابن
خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

٧٥- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : د. علي بن عبدالواحد بن وافي ،
دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط ٣ ، القاهرة .

* ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) .

٧٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د. إحسان بن
عباس، دار صادر، بيروت .

* أبو خليل ، شوقي .

٧٧ - أطلس التاريخ العربي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ .

* الخولي ، البهي .

٧٨- تذكرة الدعاة ، مكتبة الفلاح ، ط ٦ ، ١٣٩٩هـ ، الكويت .

* أبا الخيل ، سليمان بن عبدالله بن حمود .

٧٩- أبو موسى الأشعري ودوره في العلم والدعوة ، بحث مكمل

للماجستير ، قسم الدعوة والاحتساب ، كلية الدعوة والإعلام ،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ ، الرياض .

* الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ)

٨٠- سنن الدارمي ، دار الدعوة .

* أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) .

٨١- سنن أبي داود ، دار الدعوة ، وبهامشه معالم السنن للخطابي مع

تخريج الأحاديث .

* الدجيلي ، حسن .

٨٢- الكوفة مدينة النحاة والقضاة والشعر، مقال في مجلة الفيصل ،

السنة الخامسة، العدد ٥٦ .

- * دروزة ، محمد بن عزة .
- ٨٣- تاريخ الجنس العربي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .
- * الدهلوي ، أحمد المعروف بشاه ولي الله عبدالرحيم الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) .
- ٨٤- حجة الله البالغة ، دار التراث ، دار الجيل ، القاهرة .
- * الدوري ، د. عبدالعزيز .
- ٨٥- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .
- * الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) .
- ٨٦- كتاب الأخبار الطوال ، تحقيق : عبدالمنعم بن عامر ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٩٦٠م ، القاهرة .
- * ديورانت ، ول .
- ٨٧- قصة الحضارة، ترجمة : د. زكي بن نجيب بن محمود ، مطابع النجوى ، ط ٤ ، ١٩٧٣م ، القاهرة .
- * الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) .
- ٨٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام « عهد الخلفاء الراشدين » ، تحقيق : د. عبدالسلام بن تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، بيروت .
- ٨٩- تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ٤ ، ١٣٨٨هـ ، حيدر آباد الدكن ، الهند .
- ٩٠- سير أعلام النبلاء ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ .
- ٩١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق : محمد بن سيد بن جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، ط ١ ، مصر .
- * الرازي ، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) .

- ٩٢- كتاب الجرح والتعديل ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ١ ، ١٣٧٢هـ ، حيدر آباد الدكن ، الهند .
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦هـ) .
- ٩٣- مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠١هـ ، بيروت .
- * الرافي ، عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم القزويني (ت ٣٢٦هـ) .
- ٩٤- التدوين في أخبار قزوين ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٤هـ ، الرياض .
- * الرافي ، د. مصطفى .
- ٩٥- حضارة العرب ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٣ ، ١٩٨١م .
- * رضا ، محمد .
- ٩٦- الفاروق عمر بن الخطاب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، بيروت .
- * الرئيس ، د. محمد بن ضياء الدين .
- ٩٧- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ، ط ٤ ، ١٩٧٧م .
- * الزاوي ، الطاهر بن أحمد .
- ٩٨- ترتيب القاموس المحيط ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٢ ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي .
- * الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ) .
- ٩٩- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر .
- * الزبيدي ، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ) .
- ١٠٠- كتاب نسب قریش ، دار المعارف .
- * الزرقاني ، محمد بن عبدالعظيم (ت ١٣٦٧هـ) .
- ١٠١ - مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- * الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي .

- ١٠٢- شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ، دار المعرفة ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ ، بيروت ، وبهامشه زاد المعاد لابن القيم .
- * الزركشي ، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٢هـ) .
- ١٠٣- شرح الزركشي على مختصر الخرقى ، تحقيق وتخريج : عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين .
- * الزركلي ، خير الدين .
- ١٠٤- الإعلام ، ط ٣ .
- * ابن زنجوية ، حميد بن مخلد (زنجوية) بن قتيبة الأزدي النسائي (ت ٢٥١هـ) .
- ١٠٥- كتاب الأموال ، تحقيق : د. شاکر بن ذيب بن فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ .
- * أبو زهرة ، محمد بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ) .
- ١٠٦- الدعوة إلى الإسلام ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٧٣م .
- ١٠٧- محاضرات في النصرانية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ٤ ، ١٤٠٤هـ .
- * زيدان ، د. عبدالكريم .
- ١٠٨- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، بيروت .
- ١٠٩- أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، مكتبة البشائر ، عمّان ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ .
- * الزيلعي ، أبو محمد عبدالله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ) .
- ١١٠- نصب الراية لأحاديث الهداية ، المجلس العلمي ، ط ٢ ، جنوب افريقيا ، باكستان ، الهند ، مع حاشية «بغية الأملعي في تخريج الزيلعي» .
- * سالم ، د. السيد بن عبدالعزيز .
- ١١١- تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

- ١١٢- التاريخ العربي والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١ م .
- * السرخسي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ) .
- ١١٣- كتاب المبسوط ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٤هـ ، مصر .
- * ابن سعد ، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) .
- ١١٤- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- * أبو سعدة ، د. محمد بن جبر .
- ١١٥- ابن أعمم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
- * ابن سعدي ، عبدالرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ) .
- ١١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
- * ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .
- ١١٧- كتاب الأموال، تحقيق : محمد بن خليل بن هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ ، القاهرة .
- * السمهودي ، علي بن السيد الشريف شهاب الدين بن العباس (ت ٩١١هـ) .
- ١١٨- كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مطبعة الآداب والمؤيد ، ١٣٢٦هـ ، مصر .
- * السهارنفوري ، خليل بن أحمد (ت ١٣٤٦هـ) .
- ١١٩- بذل المجهود في حل أبي داود ، دار العلوم للطباعة ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ .
- * السهمي ، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي (ت ٤٢٧هـ) .

- ١٢٠- تاريخ جرجان ، مراقبة : د. محمد بن عبدالمعيد خان ، عالم الكتب ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ ، بيروت .
- * سوسة ، د. أحمد .
- ١٢١- الجمهورية العراقية «العراق» في الخوارط القديمة ، مطبعة المعارف ، ١٣٧٩هـ ، بغداد .
- * السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) .
- ١٢٢ - الإتيان في علوم القرآن ، مطبعة حجازي ، ط ٣ ، ١٣٦٠هـ ، القاهرة .
- ١٢٣- الأشباه والنظائر في الفروع ، دار الفكر ، بهامشه كتاب المواهب السنية لعبدالله الجوهرى .
- ١٢٤- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محي الدين بن عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٣٧٨هـ .
- ١٢٥- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- * الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ) .
- ١٢٦- الاعتصام ، مطبعة المنار ، ط ١ ، ١٣٣٢هـ ، مصر .
- * ابن شبة ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) .
- ١٢٧- كتاب تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهميم بن محمد بن شلتوت .
- * شلبي ، د. أحمد .
- ١٢٨- مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٧م .
- ١٢٩- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١١ ، ١٩٨٤م ، القاهرة .
- * شلبي ، د. أبو زيد .
- ١٣٠- الخلفاء الراشدون ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- * شلبي ، د. عبدالجليل بن عبده .
- ١٣١- الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
- * الشنقيطي ، د. سيد محمد ساداتي .

- ١٣٢ - ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، دار عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، الرياض .
- * الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ) .
- ١٣٣ - الملل والنحل ، تحقيق : محمد بن سير بن كيلاني ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٣٩٥ هـ ، بيروت .
- * الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ) .
- ١٣٤ - فتح القدير ، دار الفكر .
- * ابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) .
- ١٣٥ - المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : الأستاذ عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية .
- * الصديقي ، محمد بن علان (ت ١٠٥٧ هـ) .
- ١٣٦ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
- * صفوت ، أحمد بن زكي .
- ١٣٧ - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- * ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) .
- ١٣٨ - مقدمة ابن الصلاح ، دار الحكمة ، دمشق .
- * الصيحي ، محمد بن إبراهيم .
- ١٣٩ - الفن والعمارة عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
- * الطالبي ، د. عمار .
- ١٤٠ - آراء الخوارج الكلامية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
- * ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩ هـ) .

- ١٤١- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، ١٣٨٦هـ ، بيروت .
- * الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) .
- ١٤٢- المعجم الكبير ، حققه وخرج أحاديثه : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مطبعة الأمة ، بغداد .
- * الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) .
- ١٤٣- تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت .
- ١٤٤- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٢هـ .
- * الطريفي ، د. ناصر بن عقيل .
- ١٤٥- تاريخ الفقه الإسلامي، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .
- * أبو الطيب اللغوي ، عبدالواحد (ت ٣٥١هـ) .
- ١٤٦- مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- * أبو العباس ، محمد بن علي .
- ١٤٧- معاملة الخدم في الإسلام ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
- * العباسي ، أحمد بن عبدالحميد .
- ١٤٨- كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، تعليق ونشر : السيد أسعد طرابزوني .
- * ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري (ت ٤٦٣هـ) .
- ١٤٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مكتبة المنتبي ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ ، بغداد ، بهامش الإصابة .
- ١٥٠- جامع بيان العلم وفضله ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .
- * عبدالحليم ، د. علي .

- ١٥١- عالمية الدعوة الإسلامية ، دار عكاظ ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ ، جدة .
- * عبدالرزاق ، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) .
- ١٥٢- المصنف ، حقه وخرج أحاديثه وعلق عليه : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ومعه كتاب الجامع للإمام معمر الأزدي .
- * ابن عبدربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) .
- ١٥٣- العقد الفريد ، تحقيق : د. عبدالمجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، بيروت .
- * عبدالقادر ، د. علي بن حسن .
- ١٥٤- نظرة في تاريخ الفقه الإسلامي ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، ١٩٦٥ م ، القاهرة .
- * العجلي ، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح (ت ٢٦١ هـ) .
- ١٥٥- تاريخ الثقات ، بترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي ، وتضمنات الحافظ ابن حجر ، تحقيق : د. عبدالمعطي قلجعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، بيروت .
- * عثمان ، د. عبدالكريم .
- ١٥٦- معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الأنوار ، ط ٥ ، ١٣٩٨ هـ ، الرياض .
- * ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد (ت ٣٦٤ هـ) .
- ١٥٧- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حقه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتباتها ، القاهرة .
- * ابن أبي العز الحنفي ، علي بن علي بن محمد (ت ٧٩٢ هـ) .
- ١٥٨- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تحقيق : أحمد بن محمد بن شاكر ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ ، الرياض .
- * ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) .

- ١٥٩- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : سكينه الشهابي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ١٦٠- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ ، دمشق .
- * العصفري ، خليفة بن خياط الليثي (ت ٢٤٠ هـ) .
- ١٦١- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : د. أكرم بن ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار العلم ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ .
- ١٦٢ - كتاب الطبقات ، رواية : أبي عمران موسى التستري ، تحقيق : أكرم بن ضياء العمري ، مطبعة العاني ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ ، بغداد .
- * عطار ، أحمد بن عبدالغفور .
- ١٦٣- العقائد في مختلف العصور ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- * عطية الله ، أحمد .
- ١٦٤- القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ .
- العظيم آبادي ، أبو الطيب محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر شمس الحق (ت ١٣١٠ هـ) .
- ١٦٥- عون المعبود ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، وهو حاشية لسنن أبي داود .
- * العقل ، عقل بن عبدالكريم .
- ١٦٦- المجوسية وأثرها في العالم الإسلامي ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة بكلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .
- * علوان ، د. عبدالله بن ناصح .
- ١٦٧- نظام الرق في الإسلام ، دار السلام ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .
- * علي ، د. إبراهيم بن فؤاد .

- ١٦٨- الموارد المالية في الإسلام ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ط ٣ ، ١٩٧٢م .
- * علي ، د. جواد .
- ١٦٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٩م .
- * العلي ، د. صالح بن أحمد .
- ١٧٠- امتداد العرب في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ، بيروت .
- ١٧١- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٩م .
- * العمري ، عبدالعزيز بن إبراهيم .
- ١٧٢- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ، رسالة دكتوراه ، بقسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٨هـ .
- * العودة ، سليمان بن حمد .
- ١٧٣- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، دار طيبة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- * أبو عوض ، عاطف بن شكري .
- ١٧٤- الزندقة والزنداقة ، دار الفكر ، عمّان .
- * عيسى ، مصطفى بن أحمد .
- ١٧٥- الحسن البصري ، بحث مكمل للماجستير بقسم الدعوة ، كلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٤هـ .
- * العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) .
- ١٧٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .
- * أبو حامد الغزالي ، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥هـ) .

- ١٧٧- إحياء علوم الدين ، قدم له : د. بدوي بن طبانة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
* غنيمة ، يوسف (ت ١٣٧٠هـ) .
- ١٧٨- الحيرة المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دنكور الحديثة ، بغداد .
- * ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) .
- ١٧٩- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط: عبدالسلام بن هارون ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، مصر .
- ١٨٠- مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق : زهير بن عبدالمحسن بن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، بيروت .
- * فارس ، محمد بن سعيد .
- ١٨١- مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية ، جامعة أم القرى ، كلية العمارة الإسلامية ، ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ ، مكة المكرمة .
- * فرج ، محمد .
- ١٨٢- الفتح العربي للعراق وفارس ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٦هـ .
- * فوزي ، د. فاروق بن عمر .
- ١٨٣- الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري ... إعادة تقويم ، مقال نشر في الرسالة الإسلامية العدد (٢٠٦) ، مجلة فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية ، الدار العربية ، بغداد .
- ١٨٤- تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية (١-٦٥٦هـ) ، مكتبة النهضة ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، بغداد .
- * د. فضل إلهي ، د. فضل إلهي بن شيخ ظهور إلهي .
- ١٨٥- الحسبة (تعريفها ، ومشروعيتها ، وحكمها) ، إدارة ترجمان الإسلام ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، باكستان .
- * الفيروز آبادي ، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧هـ) .

- ١٨٦- القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، دار
الجيل ، بيروت .
- * فيصل ، شكري .
- ١٨٧- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، دار العلم للملايين ،
بيروت .
- ١٨٨- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول (نشأتها ، مقوماتها ،
تطورها اللغوي والأدبي) ، مكتبة الخانجي ، ١٣٧١هـ ، مصر .
- * الفيومي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت بعد ٧٧٠هـ) .
- ١٨٩- المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م ، بيروت .
- * ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) .
- ١٩٠ المعارف ، تحقيق : د. ثروت بن عكاشة ، دار المعارف ، ط ٢
، مصر .
- * القحطاني ، عايض بن مريع .
- ١٩١- عبدالله بن مسعود الداعية ، بحث متم للماجستير بقسم الدعوة
، كلية الدعوة والإعلام ، جامعة الإمام محمد بن مسعود
الإسلامية ١٤٠٥-١٤٠٦هـ .
- * القحطاني ، محمد بن سعيد .
- ١٩٢- الولاء والبراء في الإسلام في مفاهيم عقيدة السلف ، تقديم :
فضيلة الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي ، دار طيبة ، ط ١ ، الرياض .
- * القرشي ، يحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ) .
- ١٩٣- كتاب الخراج ، صححه وشرحه ووضع فهارسه: أحمد بن
محمد بن شاكر ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧هـ .
- * ابن قدامة ، أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر محمد المقدسي (ت
٦٨٢هـ) .
- ١٩٤- الشرح الكبير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية
الشرعية ، الرياض .
- ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ) .

١٩٥- المغني ، تحقيق : الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي
والدكتور عبدالفتاح بن محمد الحلو ، دار هجر ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ
، القاهرة .

* ابن قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) .

١٩٦- الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : د. محمد بن حسين
الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م .

* القرافي ، أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي (ت ٦٨٤هـ) .

١٩٧- الفروق ، دار المعرفة ، بيروت ، وبذيل الصفحة إدراج
الشروق على أنوار الفروق لابن الشاط ، وبهامش الصفحة تهذيب
الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية للشيخ محمد بن علي .

* القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) .

١٩٨- الجامع لأحكام القرآن ، المكتبة العربية ، ١٣٨٧هـ ، القاهرة .

* القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ) .

١٩٩- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، ١٣٩٩هـ ، بيروت .

* القطان ، مناع .

٢٠٠- التشريع والفقہ في الإسلام تاريخاً ومنهجاً ، مكتبة وهبة ، ط ١ ،
١٣٩٦هـ .

٢٠١- مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ،
الرياض .

* قطب ، سيد بن قطب بن إبراهيم (ت ١٣٨٧هـ) .

٢٠٢- في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٥ ، ١٣٩٧هـ ، بيروت ،
القاهرة .

* القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ) .

٢٠٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

* ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت
٧٥١هـ) .

- ٢٠٤- أحكام أهل الذمة ، حققه وعلق عليه : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، بيروت .
- ٢٠٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين ، راجعه وقدم له وعلق عليه : طه بن عبدالرؤوف بن سعد ، دار الجيل ، ١٩٧٣ م ، بيروت .
- ٢٠٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، المطبعة السلفية ومكبتها ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٠٧- زاد المعاد في هدي خير العباد ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٠٨- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحقيق : محمد بن حامد فقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- *الكاندهلوي ، محمد بن يوسف (ت ١٣٨٤ هـ) .
- ٢٠٩- حياة الصحابة ، دار الباز ، دار المعرفة ، بيروت .
- * ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) .
- ٢١٠- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت .
- ٢١١- تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، ١٣٨٨ هـ ، بيروت .
- * كحالة ، عمر بن رضا .
- ٢١٢- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت .
- * كريستنسن ، آرثر .
- ٢١٣- إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة: يحيى الخشاب ، مراجعة : عبدالوهاب ابن عزام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
- * الكلوذاني ، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد (ت ٥١٠ هـ) .

- ٢١٤- كتاب الهداية ، تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصاري والشيخ صالح العمري ، مراجعة : الأستاذ ناصر بن سليمان العمري ، مطابع القصيم ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ .
- * كمال ، أحمد بن عادل .
- ٢١٥- سقوط المدائن ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ .
- ٢١٦- الطريق إلى المدائن ، دار النفائس ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ ، بيروت .
- * الكوثري ، محمد بن زاهد بن الحسن (ت ١٣٧١هـ) .
- ٢١٧- فقه أهل العراق وحديثهم ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ ، بيروت .
- * ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ) .
- ٢١٨- كتاب الفتوح ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، ط ١ ، ١٣٨٨هـ ، الدكن ، الهند .
- * لاشين ، محمود بن المرسي .
- ٢١٩- التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٧م .
- * اللالكائي ، أبو القاسم هبة الدين الحسن الطبري (ت ٤١٨هـ) .
- ٢٢٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق : د. أحمد بن سعد بن حمدان ، دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، الرياض .
- * لسترنج ، كي .
- ٢٢١- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
- * اللميلم ، د. عبدالعزيز بن محمد .
- ٢٢٢- رسالة المسجد في الإسلام ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ .
- * لوبون ، د. غوستاف .
- ٢٢٣- حضارة العرب ، ترجمة : عادل بن زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- * لومبار ، موريس .
- ٢٢٤- الإسلام في مجده الأول ، ترجمة وتعليق : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
- * ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) .
- ٢٢٥- سنن ابن ماجه ، دار الدعوة .
- * ابن ماكولا ، أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت ٤٧٥هـ) .
- ٢٢٦- الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، تحقيق : المعلمي اليماني ، محمد أمين دمج ، بيروت .
- * الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .
- ٢٢٧- الأحكام السلطانية ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ ، مصر .
- ٢٢٨- نصيحة الملوك ، تحقيق : خضر بن محمد بن خضر ، مكتبة الفلاح ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .
- * ابن المبارك ، الإمام عبدالله (ت ١٨١هـ) .
- ٢٢٩- كتاب الجهاد ، تحقيق : د. نزيه بن حماد ، المكتبة العصرية ، ١٣٩٨هـ .
- * المباركفوري ، محمد بن عبدالرحمن (ت ١٣٥٣هـ) .
- ٢٣٠- تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ .
- * المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) .
- ٢٣١- منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ، وهو هامش لمسند الإمام أحمد بن حنبل .
- * مجمع اللغة العربية بمصر .

- ٢٣٢- المعجم الكبير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٤٠١هـ .
- ٢٣٣ - المعجم الموسيط ، قام بإخراجه: إبراهيم بن مصطفى وأحمد بن حسن الزييات وحامد بن عبدالقادر ومحمد بن علي النجار ، أشرف على طبعه: عبدالسلام بن هارون .
- * المحب الطبري ، أبو جعفر أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ) .
- ٢٣٤- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ، بيروت .
- * مختار ، علي .
- ٢٣٥- دور المسجد في الإسلام ، رابطة العالم الإسلامي ، السنة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، العدد ١٤ .
- * مرعشلي ، نديم وأسامة .
- ٢٣٦- الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربية ، ط ١ ، ١٩٧٥م ، بيروت .
- * المزي ، أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ) .
- ٢٣٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : د. بشار بن عواد بن معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، بيروت .
- * المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) .
- ٢٣٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، فهرسة : يوسف بن أسعد بن داغر ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، بيروت .
- * الإمام مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) .
- ٢٣٩- صحيح مسلم ، تحقيق وترقيم: محمد بن فؤاد بن عبدالباقي ، دار الدعوة .
- * مصطفى ، د. شاكر .
- ٢٤٠- التاريخ العربي والمؤرخون العرب ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٩م ، بيروت .
- * المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ) .

- ٢٤١- كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة الأسدى ، ١٩٦٢م ، طهران .
- * المقرىزى ، أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ) .
- ٢٤٢- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرىزية ، دار صادر ، بيروت .
- * مكارىوس ، شاهين (ت ١٣٢٨هـ) .
- ٢٤٣- تاريخ إيران ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨م ، مصر .
- * المنذرى ، عبد العظيم بن عبدالقوى (ت ٦٥٦هـ) .
- ٢٤٤- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تعليق: مصطفى بن محمد بن عمارة ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ .
- * ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ) .
- ٢٤٥- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- ٢٤٦- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : سكىنة الشهابى ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، دمشق .
- * موسى ، عبدالله بن محمد .
- ٢٤٧- أسباب نجاح الدعوة الإسلامية فى العهد النبوى ، دار عالم الكتب للنشر والتوزىع .
- * مؤنس ، د. حسين .
- ٢٤٨- الإسلام الفاتح ، مطبوعات رابطة العالم الإسلامى .
- ٢٤٩- أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، القاهرة .
- * الميدانى ، عبدالرحمن بن حسن بن حبنكة .
- ٢٥٠- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ ، دمشق ، بيروت .
- * النجار ، د. عبدالوهاب بن أحمد (ت ١٣٦٠هـ) .
- ٢٥١- الخلفاء الراشدون ، دار الكتب العلمىة ، ١٣٩٩هـ ، بيروت .
- * الندوة العالمىة للشباب الإسلامى .

- ٢٥٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، الرياض .
- * الندوي ، أبو الحسن علي بن الحسين .
- ٢٥٣ - السيرة النبوية ، مراجعة : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، ١٤٠١ هـ ، صيدا ، بيروت .
- ٢٥٤ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الكتاب العربي ، ط ٨ ، ١٤٠٤ هـ ، بيروت .
- * النسائي ، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ) .
- ٢٥٥ - سنن النسائي ، دار الدعوة ، استانبول .
- * النواوي ، د. عبدالخالق .
- ٢٥٦ - النظام المالي في الإسلام ، المكتبة العصرية ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م ، بيروت ، صيدا .
- * النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) .
- ٢٥٧ - تهذيب الأسماء والصفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٥٨ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، أوضح معانيه : مصطفى بن محمد بن عمارة ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، بيروت .
- ٢٥٩ - صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية ومكتبتها .
- * الهاشمي ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) .
- ٢٦٠ - كتاب المحبر ، المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ، المكتبات المدرسية .
- * الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ) .
- ٢٦١ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣١٢ هـ ، حيدرآباد .
- * الهيتمي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧ هـ) .
- ٢٦٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ .
- * القاضي وكيع ، محمد بن خلف بن حيان الضبي (ت ٣٠٦ هـ) .

- ٢٦٣ - أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت .
- * اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت ٢٨٤هـ) .
- ٢٦٤ - تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٩هـ ، بيروت .
- * يوسف ، شريف .
- ٢٦٥ - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ، السلسلة الفنية ٤٩ ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٢م .
- * القاضي أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) .
- ٢٦٦ - الخراج ، المطبعة السلفية ، ط ٥ ، ١٣٩٦هـ ، القاهرة .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	<u>المقدمة</u>
٢١	<u>التمهيد</u>
٢٢	الموقع الجغرافي للعراق وفارس
٢٢	العراق
٢٣	فارس
٢٥	الأحوال السائدة في العراق وفارس
٢٦	الحالة السياسية
٢٨	الحالة الدينية
٣٥	الحالة الاجتماعية
٣٨	الحالة الاقتصادية

الصفحة	الموضوع
٤٠	الأحاديث عن العراق وفارس
٤٠	فضل العراق وفارس
٤٥	ذم العراق وفارس
٤٨	عالمية الإسلام
(١٢٤-٥٢)	الباب الأول - سير الدعوة والعقبات التي واجهتها
٨٢-٥٣	الفصل الأول - سير الدعوة
٥٤	تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بالفتح
٦٣	رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى
٦٧	بداية الفتح في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٧٢	إكمال الفتح في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما
١٢٤-٨٣	الفصل الثاني - العقبات التي واجهتها الدعوة
٨٥	الكبر والصلف لدى زعماء فارس
٩٣	تفوق الفرس المادي
١٠١	اتحاد الفرس بعد تفرقهم
١٠٣	وقوف عرب السواد بجانب الفرس
١٠٦	عقبات جغرافية
١١١	إحساس العرب بتفوق الفرس وخوفهم منهم
١١٥	الفتن
(٢٣٥-١٢٦)	الباب الثاني- وسائل الدعوة
١٥٣-١٢٨	الفصل الأول - الرسل
١٢٨	الوفد لكسرى يزدجرد
١٣٦	الرسل إلى قادة الفرس
١٣٦	ربيعي بن عامر رضي الله عنه رسول إلى قائد الفرس رستم
١٣٩	حذيفة بن محسن رضي الله عنه رسول إلى رستم

الصفحة	الموضوع
١٤٠	المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى رستم
١٤٦	وفد لرستم قائد الفرس
١٥١	المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى قائد نهاوند
١٥٢	المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسول إلى الفرس ثلاث مرات
١٥٨-١٥٤	الفصل الثاني - الرسائل
١٥٥	الرسائل إلى كسرى
١٥٥	رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى
١٥٥	رسالة المثنى بن حارثة رضي الله عنه إلى كسرى شهربراز
١٥٦	الرسائل إلى مرازبة أهل فارس
١٥٧	الرسائل إلى أمراء بعض المناطق
١٦٧-١٥٩	الفصل الثالث - الولاية
١٦١	التعليم
١٦٢	إقامة الصلاة
١٦٣	بناء المساجد
١٦٤	تيسير أمور الحج
١٦٥	إقامة الحدود والعقوبات
١٦٦	الجهاد في سبيل الله
١٦٦	القضاء على الفتن
١٨٥-١٦٨	الفصل الرابع - الجهاد
١٦٩	مبادئ الجهاد الإسلامي
١٦٩	وضوح غاية الجهاد
١٧٢	البذل والتضحية
١٧٦	الرحمة والإنصاف

الصفحة	الموضوع
١٧٨	الشورى
١٨٠	المشاركون في الجهاد
٢٠٥-١٨٦	الفصل الخامس - المسجد
١٨٧	إقامة الصلاة
١٨٨	تتبع أحوال المسلمين
١٨٩	التعليم
١٩٠	استنفار الوالي للمسلمين
١٩١	المسجد مكان استراحة وإيواء للغرباء
١٩١	تبادل الأحاديث
١٩٤	المسجد حلقة وصل بين الراعي والرعية
١٩٥	إعلان سياسة الوالي
١٩٨	مسجد البصرة
١٩٩	مسجد الكوفة
٢٠٠	مسجد العشار
٢٠١	مسجد أربيل
٢٠١	مسجد بجزيرة بفارس
٢٠٢	مساجد توج
٢٠٢	مسجد اصطخر
٢٠٣	مسجد الربيع بن خثيم
٢٠٣	مسجد المدائن
٢٠٤	مسجد الأنبار
٢٠٤	مسجد خشيمان
٢٠٤	مسجد جي بأصبهان
٢٠٥	مسجد السهلة
٢١١-٢٠٦	الفصل السادس - المنزل
٢٣٥-٢١٢	الفصل السابع - المخالطة

الصفحة	الموضوع
٢١٣	المخالطة في المدن
٢٣٠	المخالطة بالزواج
٢٣١	المخالطة بالسبي
(٢٣٧-٤٤٥)	الباب الثالث- أساليب الدعوة
٣٠٧-٢٣٩	الفصل الأول- الدعوة بالكلمة
٢٤٤	المجادلة بالتي هي أحسن
٢٤٥	مجادلة الكفار بالتي هي أحسن
٢٤٥	بين رجل من المسلمين ورستم
٢٤٧	بين زهرة بين حوية ورستم
٢٤٨	مجادلة من ضل من المسلمين أو أخطأ عين الحقيقة
٢٤٩	بين عائشة أم المؤمنين والزبير العوام وطلحة بن عبدالله- رضوان الله عليهم - من جانب والقعقاع بن عمرو رضي الله عنه من جانب آخر
٢٥٢	مناظرة عبدالله بن عباس رضي الله عنه للخوارج
٢٥٦	علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج
٢٥٨	محاورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع منجم
٢٦١	مناظرة بين بعض أصحاب علي - رضي الله عنهم- والخوارج
٢٦٣	مناظرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج
٢٦٦	الخطبة
٢٦٧	خطب السلم
٢٦٧	خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول جمعة صلى بالكوفة
٢٦٩	خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه
٢٧٠	خطبة علي رضي الله عنه بالكوفة بعد فراغه من

الصفحة	الموضوع
	النهران
٢٧١	خطبة عتبة بن غزوان رضي الله عنه
٢٧٢	خطبة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه
٢٧٣	خطبة ثانية لحذيفة رضي الله عنه
٢٧٤	خطبة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
٢٧٤	خطبة لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما
٢٧٦	خطبة أخرى لابن عباس رضي الله عنهما
٢٧٨	خطب الحرب
٢٧٨	خطبة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في القادسية
٢٧٩	خطبة بسر بن أبي رهم الجهني بالقادسية
٢٨٠	خطبة النعمان بن مقرن رضي الله عنه بنهاوند
٢٨١	حلق الذكر
٢٨٦	الدعوة بذكر أخبار الصالحين
٢٩٩	وصايا عند الموت
٢٩٩	وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه للحسن والحسين وغيرهم
	ممن بلغه كتابه رضي الله عنه
٣٠١	وصية علي لأولاده
٣٠٢	وصية سلمان الفارسي لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما
٣٠٢	وصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
٣٠٣	الدعوة الخاصة
٣٠٦	دعوة الكفار قبل القتال
٣٤٧-٣٠٨	الفصل الثاني - التعليم
٤٠١-٣٤٨	الفصل الثالث - القدوة الحسنة

الصفحة	الموضوع
٣٥٤	قوة اليقين بالغيب
٣٥٦	حب الله والرضا بقدره
٣٥٧	خشية الله
٣٦١	الخشوع
٣٦٢	الحرص على طاعة الله عز وجل
٣٦٣	التمسك بالسنة
٣٦٦	اجتناب المال الحرام
٣٦٧	البذل في سبيل الله
٣٦٩	العبادة والتنسك
٣٧٤	الوفاء
٣٧٨	التواضع
٣٨١	العدل
٣٨٥	الأمانة
٣٨٩	سلامة الصدر
٣٩٠	المحبة في الله والتزاور له
٣٩١	الحلم
٣٩١	صدق اللمجة
٣٩٣	الزهد
٤٠٠	التطيب والنظافة
٤٠٠	الحياء
٤١٠-٤٠٢	الفصل الرابع - الدعوة بالعمل
٤٠٢	جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه
٤٠٤	تطبيق الأحكام الشرعية
٤٠٧	تطبيق العقوبات والحدود
٤١٩-٤١١	الفصل الخامس - الترغيب والترهيب
٤١٢	إسقاط الجزية

الصفحة	الموضوع
٤١٢	المساواة بين قدماء المسلمين ومسلمي الفرس
٤١٤	منحهم العطاء
٤١٦	إبقاء من له سلطة على سلطته أو وعده بذلك
٤١٦	إسناد بعض المناصب لهم
٤٢٠-٤٣٨	الفصل السادس - المعاملة الحسنة
٤٢٣	حرية التدين
٤٢٥	حماية الأنفس والأبدان
٤٢٧	حماية الأعراض
٤٢٧	حماية الأموال وحرية كسبها
٤٢٩	التسامح في الجزية
٤٢٩	أهل الجزية
٤٣٠	مراعاة المستوى الاقتصادي لأهل الذمة
٤٣٢	أخذ العروض في الجزية
٤٣٣	حسن معاملة الأسرى
٤٣٣	مراعاة منزلة عظمائهم
٤٣٥	إجراء الصدقات على الفقراء والعاجزين من أهل الذمة
٤٣٦	شهادة الفرس والمستشرقين بحسن معاملة المسلمين
٤٣٨	الفرق بين الموالاة والمعاملة الحسنة
٤٣٩-٤٤٥	الفصل السابع - الاحتساب
٤٣٩	احتساب الخلفاء
٤٤٣	احتساب غير الخلفاء
(٤٤٦-٥٤٩)	الباب الثالث - آثار الدعوة وعوامل نجاحها
٤٤٧-٤٦١	الفصل الأول - آثار الدعوة
٤٤٨	الإثخان في العدو وكسر شوكته
٤٤٩	انتشار الإسلام
٤٥٢	مشاركة مسلمي الفرس في الدعوة

الصفحة	الموضوع
٤٥٤	اتساع بلاد الإسلام
٤٥٦	انتشار اللغة العربية
٤٥٧	الأموال
٥٤٩-٤٦٢	الفصل الثاني - عوامل نجاح الدعوة
٤٦٣	أثر الوضع المتردي في البلاد المفتوحة في نجاح الدعوة
٤٦٦	أثر خصائص الإسلام في نجاح الدعوة
٤٦٧	موافقته للفطرة
٤٦٨	وضوحه
٤٧١	يسره وسماحته
٤٧٣	عدالته وإنصافه
٤٧٧	الحرية الدينية لأهل الذمة فيه
٤٧٨	موقفه من الأرقاء
٤٨١	أثر النزعة الدينية في نجاح الدعوة
٤٨٥	أثر الصفات الإيجابية للجيش الإسلامي في نجاح الدعوة
٤٨٦	الإرتباط بالله
٤٨٧	الثوق واليقين بنصر الله وبالفتح
٤٨٩	اللجوء إلى الله وسؤاله النصر والعون
٤٩١	إخلاصهم القتال لله عزوجل
٤٩٣	رد النصر إلى الله وشكره عليه
٤٩٦	رجاء إحدى الحسينيين
٤٩٨	إيثار الآخرة على الدنيا وحبهم للجهاد
٥٠٠	القوة المعنوية
٥٠٥	اهتمام القادة بأمور المسلمين
٥٠٨	حب القادة للرعية

الصفحة	الموضوع
٥١١	مساواة القائد نفسه بجنده
٥١٢	طاعة ولي الأمر
٥١٤	الحنكة العسكرية
٥١٨	الشجاعة
٥٢٣	وجود الصحابة
٥٢٥	نصر المسلمين بالكرامات
٥٢٩	النصر بالرعب
٥٣٤	أثر الصفات السلبية للجيش المضادة
٥٣٤	الترف
٥٣٦	شرب الخمر
٥٣٨	حب الدنيا وكرهية الموت
٥٣٩	عدم اهتمام القادة بالشعب وظلمهم وانتهاك حرمتهم
٥٤٠	غدر بعض الفرس ببعض
٥٤٣	الانهيار المعنوي
٥٤٧	أثر الجهود الدعوية في نجاح الدعوة
٥٥٠	الخاتمة
(٦٣٥-٥٥٥)	الفهارس
٥٥٦	فهرس الآيات القرآنية
٥٦١	فهرس الأحاديث النبوية
٥٦٩	فهرس الآثار
٥٩١	فهرس الأشعار
٥٩٢	فهرس المصادر والمراجع الوارد ذكرها في هذه الرسالة
٦٢٤	فهرس الموضوعات